المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



المباحث العقديّة المتعلِّقة بالعزّة الإلهيّة

والرد على المخالفين فيها على ضوء الكتاب والسنة

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:
تيغرمت عبد الحليم

إشراف فضيلة الدكتور:
عبد العزيز بن جليدان الظفيري
ـ حفظه الله تعالى ـ

العام الجامعي

١٤٣٥ -١٤٣٦هـ



المقدمة:

وتحتوي على:

1- موضوع البحث وأهميته وأسباب اختياره.

2- الدراسات السابقة.

3- خطة البحث.

4- منهج البحث.

المقدّمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ لـه، ومن يضلل فلا هادي له, وأشهد أن لا إلـه إلّا اللـه وحـده لا شـريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﮊ [آل عمران: ١٠٢].

ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ [النساء: ١].

ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كتـاب اللـه، وأحسـن الهـدي هدي نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم وشرّ الأمور محـدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة[1].

ثم إنّ من أشـرف العلـوم العلمَ باللـه تعـالى وأسـمائه وصـفاته، قـال ابن القيم رحمـه اللـه: (فـالعلم بأسـمائه وإحصاؤها أصـل لسـائر العلـوم، فمن أحصـى أسـماءه كمـا ينبغي للمخلوق أحصى جميع العلوم؛ إذ إحصاء أسمائه أصل لإحصـاء كـل معلـوم؛ لأنّ المعلومـات هي من مقتضـاها، ومرتبطة بها) [2].

ولهذا رأيت أن يكون موضـوع بحـثي لمرحلـة الماجسـتير

---

[1] () هذه خطبة الحاجة التي كان النبي صلى اللـه عليـه وسـلم يبـدأ بها خطبه, ويعلّمها أصحابه, أخرج الحديث أحمد في المسند (5/315), رقم: 3275, وأبو داود في سننه, كتاب النكاح, باب خطبة النكاح، (2/238), رقم: 2118, والنسائي في الكبرى, كتاب النكاح, باب ما يستحب من الكلام عند النكاح (5/228), رقم: 5504، والترمذي وحسّنه, كتاب النكاح, باب ما جاء في خطبة النكاح (2/404), رقم: 1105، وابن ماجه في سننه, كتاب النكاح, باب في خطبة النكاح (1/609), رقم: 1892, وانظر: تخريج الحديث للألباني في رسالته خطبة الحاجة.

[2] () بدائع الفوائد (1/163).

متعلقـا بجـانب من جـوانب الأسـماء والصـفات, وصـفة من صفات الله تعالى, وبعد الاسـتخارة والاستشـارة اسـتقر رأيي على أن يكون هذا البحث بعنوان:

$المباحث العقدية المتعلقة بالعزّة الإلهية
والرد على المخالفين فيها على ضوء الكتاب والسنة#.

أهمية الموضوع:

ترجـع أهميّـة الموضـوع إلى أهميّـة العلم بأسـماء اللـه وصفاته، فإنّ العلم باللـه تعـالى أحـد أركـان الإسـلام بـل هـو أصلها، وما بعدها تبع لها.

يقول شيخ الإسلام رحمـه اللـه: (والقـرآن فيـه من ذكـر أسـماء اللـه وصـفاته وأفعالـه أكـثر ممـا فيـه من ذكـر الأكـل والشّرب والنّكاح في الجنّة، والآيـات المتضـمّنة لـذكر أسـماء الله وصفاته أعظم قدرا من آيات المعاد)[1].

وهـذا الموضـوع متعلـق باسـم من أسـماء اللـه الحسـنى وصفة من صفاته، ألا وهو اسم الله العزيز وصفة العزة.

وأيضا تظهر أهميّة الموضوع في فضل من أحصى أسـماء الله تعالى، ومما يدخل في معنى الإحصاء فهم معـنى الاسـم ومدلوله, قال ابن القيم رحمه الله في القاعدة الثّانيـة عشـر من كتابه بدائع الفوائد: (في بيان مراتب إحصاء أسمائه الـتي من أحصاها دخل الجنة, وهذا هو قطب السّعادة ومدار النّجاة والفلاح.

-المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

-المرتبة الثّانية: فهم معانيها ومدلولها.

-المرتبة الثّالثة: دعاؤه بها)[2].

---

1 () درء تعارض العقل والنقل (5/310).

2 () بدائع الفوائد (1/164).

أسباب اختيار الموضوع:

1. كـثرة ورود هـذا الاسـم في القـرآن الكـريم, فقـد ورد ثمانياً وثمانين مرّة على أنّه اسم لله تعالى.

2. ورود هذا الاسم في السّنة النّبوية الشّريفة.

3. ورود الإقسام بصفة العزّة والاسـتعاذة بهـا في القـرآن والسّنة.

4. اقتران اسم اللـه العزيـز بغـيره من الأسـماء الحسـنى وما في ذلك من الدّلائل واللّطائف.

5. الرّغبة في جمع المسائل المتعلقـة باسـم اللـه العزيـز وصفة الله العزّة؛ إذ إنّ من أنواع البحث جمع المتفرّق.

الدراسات السابقة:

أمـا عن الدّراسـات السّـابقة لهـذا الموضـوع، فلم أجـد- حسب اطلاعي- من كتب في هذا الموضوع.

خطة البحث:

وهـذا البحث يتكـوّن من مقدّمـة وتمهيـد وبـابين وخاتمـة وفهارس تفصيليّة.

المقدّمـة: وفيهـا أهميّـة الموضـوع وأسـباب اختيـاره، والدّراسات السّابقة، وخطّة البحث، ومنهج البحث.

التّمهيد: وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: مجمل اعتقاد أهل السّنة والجماعة في باب الأسماء والصّفات, وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: أسماء الله عزّ وجلّ, وصفاته توقيفيّة.

المطلب الثّـاني: أسـماء اللـه عـزّ وجـلّ, بالغـة في الحسن غايته.

المطلب الثّالث: إمرارها كمـا جـاءت مـع فهم معانيهـا وتفويض علم الكيفيّة لله عزّ وجلّ.

المبحث الثـاني: منهج المخـالفين في بـاب الأسـماء والصّفات, وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: منهج أهل التّعطيل والتّأويل.

المطلب الثّاني: منهج أهل التّشبيه.

المطلب الثّالث: تعريف الإلحاد وأنواعه.

الباب الأوّل:

إثبات اسم الله العزيز وصفة العزّة لله تعالى, وما يتعلق بهما من مسائل, وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأوّل:

إثبات اسم الله العزيز وما يتعلق به من مسائل، وفيه ثلاثة مباحث:

<u>**المبحث الأوّل:**</u> إثبـات اسـم اللـه العزيـز, وفيـه ثلاثـة مطالب:

المطلب الأوّل: بيان معناه في اللّغة والمعنى المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثّاني: الأدلة على ثبوته.

المطلب الثّالث: مقتضى اسم الله العزيز وأثره.

المبحث الثّاني: المسائل العقدية المتعلّقة باسم الله العزيز, وفيه ثمانيّة مطالب:

المطلب الأوّل: دعاء الله عزّ وجلّ باسمه العزيز والأدلّة على ذلك.

المطلب الثّاني: إضافة التّعبيد له.

المطلب الثّالث: التّوسل إلى الله تعالى به والأدلّة على ذلك.

المطلب الرّابع: ما جاء في تسميّة الله بالأعزّ.

المطلب الخامس: ما جاء في تسميّة الله بالمعز.

المطلب السّادس: ما جاء في تسميّة الله بربّ العزّة.

المطلب السّابع: ما جاء في الأسماء المقاربة له في المعنى.

المطلب الثّامن: حكم تسميّة المخلوق بالعزيز.

المبحث الثّالث: اقتران اسم الله العزيز بغيره من الأسماء الأخرى, ودلالة ذلك, وفيه تسعة مطالب.

المطلب الأوّل: اقترانه باسم الله الحكيم.

المطلب الثّاني: اقترانه باسم الله الغفور والغفار.

المطلب الثّالث: اقترانه باسم الله الحميد.

المطلب الرّابع: اقترانه باسم الله الوهاب.

المطلب الخامس: اقترانه باسم الله الرّحيم.

المطلب السّادس: اقترانه باسم الله القوي.

المطلب السّابع: اقترانه باسم الله العليم.

المطلب الثّامن: اقترانه باسم الله المقتدر.

المطلب التّاسع: اقترانه باسمي الله الجبّار والمتكبّر.

الفصل الثّاني:

إثبات صفة العزّة, وفيه مبحثان:

<u>المبحث الأوّل:</u> إثبات صفة العزّة المضافة إلى الله تعالى, وما يتعلق بها من مسائل, وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: بيان معناها المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثّاني: الأدلّة على ثبوتها.

المطلب الثّالث: بيان أنّ صفة العزّة ذاتيّة.

المطلب الرّابع: بيان أقسام عزّة الله تعالى, وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: عزّة القوّة.

المسألة الثّانية: عزّة الامتناع.

المسألة الثّالثة: عزّة القهر والغلبة.

المطلب الخامس: تنزّه الله عزّ وجلّ عن النّقص, وفيه ثمان مسائل:

المسألة الأولى: تنزّهه سبحانه عن اتّخاذ الولي من الذّل.

المسألة الثّانية: تنزّهه سبحانه عن الظّهير, والمعين, والشّريك.

المسألة الثّالثة: تنزّهه سبحانه أن يناله أحد بسوء.

المسألة الرّابعة: تنزّهه سبحانه أن يسأله أحد عمّا يفعل, أو أن يتعقّبه أحد في حكمه.

المسألة الخامسة: تنزّهه سبحانه أن يخاف من أحد تبعة.

المسألة السّادسة: تنزّهه سبحانه أن يعجزه شيء, وعن اللّغوب وما في معناه.

المسألة السّابعة: تنزّهه عن حاجته إلى خلقه.

المسألة الثّامنة: تنزّهه أن يكرهه أحد على شيء.

المطلب السّادس: معنى كون العزّة إزارا لله عزّ وجلّ.

المطلب السّابع: مظاهر عزّة الله تعالى.

<u>المبحث الثّاني:</u> المسائل العقدية المتعلقة بصفة العزّة

لله تعالى, وفيه ستّة مطالب:

المطلب الأوّل: حكم الدّعاء بصفة العزّة.

المطلب الثّاني: حكم التّعبيد لصفة العزّة.

المطلب الثّالث: حكم التّوسل إلى الله بصفة العزّة.

المطلب الرّابع: حكم الإقسام بصفة العزّة.

المطلب الخامس: حكم الإستعاذة بصفة العزّة.

المطلب السّادس: ما جاء في علاقة صفة العزّة بصفة القوّة والانتقام والقدرة والحكمة.

الفصل الثالث:

الآثار الإيمانية للإيمان بصفة العزّة لله تعالى, وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأوّل: أثـر الإيمـان بصـفة العـزّة في تقريـر توحيد الرّبوبية.

المبحث الثّـاني: أثـر الإيمـان بصـفة العـزّة في تقريـر توحيد الأسماء والصّفات.

المبحث الثّالث: أثـر الإيمـان بصـفة العـزّة في تقريـر توحيد الألوهيّة.

المبحث الرّابع: أثـر الإيمـان بصـفة العـزّة في سـلوك المسلم.

المبحث الخامس: آثار عزّة الله في خلقه, وفيه أربعـة مطالب:

المطلب الأوّل: بيان أنّ العزّة لله جميعا.

المطلب الثّاني: بيـان أنّ الذّلـة في مخالفـة أمـر اللـه تعالى.

المطلب الثّالث: أسـباب إعـزاز اللـه لعبـده المـؤمن, وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: إعزاز الله لعبـده المـؤمن بسـبب عفـوه عن النّاس.

المسألة الثّانية: إعزاز الله لعبده المـؤمن بسـبب إقامتـه

دين الله.

المسألة الثّالثة: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب كمال توكله على الله تعالى, واستغنائه عمّا في أيدي النّاس.

المسألة الرّابعة: إعزاز الله لعباده المؤمنين بسبب إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى.

المسألة الخامسة: إعزاز الله لعباده المؤمنين بسبب اجتماعهم, وتعاونهم, وعدم تفرقهم.

المطلب الرّابع: نماذج من إعزاز الله لهذه الأمّة.

البــــــاب الثاني:

الرّدّ على الانحرافات العقدية المتعلّقة باسم الله تعالى العزيز, وصفة العزّة, وفيه فصلان:

الفصل الأوّل:

الانحرافات العقديّة المتعلّقة باسم الله العزيز, والرّدّ عليها, وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأوّل: انحراف المشركين في اشتقاقهم العزّى من العزيز, والردّ عليهم.

المبحث الثّاني: الردّ على من أنكر هذا الاسم.

المبحث الثّالث: الردّ على من أثبته اسما مجردا عن الصّفة.

المبحث الرّابع: الإلحاد في هذا الاسم, وفيه مطلبان:

المطلب الأوّل: النّهي عن التّسمي بعزيز ووجه ذلك.

المطلب الثّاني: التّصرف في بنية الاسم بالزّيادة والنّقصان.

الفصل الثّاني:

انحرافات المخالفين المتعلقة بصفة العزّة والرّدّ عليهم، وفيه ستّة مباحث:

المبحث الأوّل: الرّدّ على من أنكر صفة العزّة لله تعالى.

المبحث الثّاني: الرّدّ على من حرَّف صفة العزّة لله

تعالى.

المبحث الثّالث: الـرّدّ على من شـبَّه صـفة العـزّة للـه تعالى بصفة المخلوقين.

المبحث الرّابــع: دعــوى أنّ الملائكــة خلقت من نــور العزّة, وأنّ إبليس خلق من نار العزّة.

المبحث الخامس: عـدم مشـروعيّة زيـادة عبـارة "عـزّ جاهك".

المبحث السّادس: عدم مشروعيّة سؤال اللـه بمعاقـد العزّ من عرشه.

الخاتمة، وأذكر فيها أهم نتائج البحث، وتوصيّاته.

الفهارس: وهي على النّحو التّالي:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النّبويّة.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم في البحث.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

وقد اتّبعت في بحثي المنهج الآتي:

1. عزو الآيات القرآنيّة أو أجزائها الـواردة في البحث إلى سـورها, مـع ذكـر رقم الآيـة في السـورة, وكتابتها بالرسـم العثماني.

2. عزو الأحاديث النّبوية، فإن كان الحديث في الصّحيحين أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليهما أو أحدهما، وما لم يكن فيهما عزوته إلى مظانّه من كتب السـنّة, مـع ذكـر كلام أهـل العلم في بيان درجته.

3. توثيق النّصوص والنّقول من مصادرها الأصيلة.

4. عـرض الموضـوع وفـق عقيـدة أهـل السّـنة والجماعـة معتمدا في ذلك على الكتاب والسّنّة وأقوال العلماء من غــير استيعاب لجميع أقوالهم.

5. عنـد الـرّدّ على المخـالفين أذكـر المخالفـة العقديّـة أو الشّبهة من غير استيعاب لأقوال المخالفين واستدلالاتهم.

6. ترجمة الأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

7. شرح الألفاظ الغريبـة والمصـطلحات العلميـة الـواردة في البحث.

8. التّعريف بالأماكن والبلدان والقبائل والطوائف, وكلِّ ما يحتاج إلى تعريف.

9. إثبـات جميـع المصـادر والمراجـع, مـع بيانـات النّشـر الكاملة في قائمة المصـادر والمراجـع في آخـر الرسـالة بعـد ترتيبها على حروف المعجم بحسب أسماء الكتب.

10. الالتزام بعلامات التّرقيم, وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

11. تـذييل البحث بفهـارس فنيـة على النحـو المـبين في الخطة.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وصلّى الله وسلّم على سـيّدنا محمّـد، وعلى آلـه وصـحبه، ومن تبعهم بإحسـان إلى يوم الدّين.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين, سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فإنه من نعم الله علي أن يسر لي إعداد هذه الرسالة, فأشكر الله تعالى وأحمده على هذا الإتمام, وعلى جميع نعمه الظاهرة والباطنة.

وأشكر والدي الكريمين اللذين حرصا على دراستي منذ صغري إلى أن كبرت, فأسأل الله تعالى أن يجزهما عني أحسن الجزاء وأن يبارك في أعمارهما مع العمل الصالح, وأن يرحمهما كما ربياني صغيرا.

كما أتوجه بالشكر إلى جميع من تلقيت منه العلم من مشايخي الكرام في هذه الجامعة المباركة وفي غيرها

كما أتوجه بالشكر والاحترام لشيخي الفاضل فضيلة الشيخ الدكتور.عبد العزيز بن جليدان الظفيري –حفظه الله تعالى- المشرف على هذه الرسالة, فأشكره على جميع ما قدم لي, ولغيري من نصح وتوجيه وإرشاد, فجزاه الله خير الجزاء, وبارك الله في عمره, وأدام الله نفعة وعطاءه.

كما أتوجه بالشكر للمناقشين الكريمين: الشيخ الدكتور أحمد بن عبد الله الغنيمان, والشيخ الدكتور بدر بن مقبل الظفيري على قبول قراءة هذه الرسالة وتصويبها, وتصحيحها وتقويمها, فجزاهم الله خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أشكر جميع الإخوة الذين أعانوني في هذا البحث سواء بإعارة كتاب, أو تنبيه على فائدة, أو بدعوة صادقة, فجزى الله الجميع خير الجراء وبارك الله فيهم, وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التّمـهيـد:

وفيه مبحثان

المبحث الأوّل: مجمل اعتقاد أهل السّنّة والجماعة في باب الأسماء والصّفات.

المبحث الثّاني: منهج المخالفين في باب الأسماء والصّفات.

المبحث الأوّل:
مجمل اعتقاد أهل السّنّة والجماعة في باب
الأسماء والصّفات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: أسماء الله عز وجل وصفاته توقيفيّة.

المطلب الثّاني: أسماء الله عز وجل بالغة في الحسن غايته.

المطلب الثّالث: إمرارها كما جاءت مع فهم معانيها, وتفويض علم الكيفيّة لله عزّ وجلّ.

المطلب الأوّل:
أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته توقيفيّة.

من القواعد المهمّة في باب الأسماء والصّفات في معتقد أهل السّنّة والجماعة, أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيّة, أي: يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسّنّة, فلا يزاد فيها ولا ينقص[1]؛ لأنّ هذا الباب -الأسماء والصفات- غيبيّ عنّا, فالمرجع فيه إلى الوحي لا إلى العقل والرّأي, وقد دلّ على هذه القاعدة أدلّة من الكتاب العزيز, والسّنّة النّبويّة, وأيضا نصّ عليها أهل العلم من سلف[2] هذه الأمّة.

الأدلّة على هذه القاعدة:

دلّ على هذه القاعدة أدلّة من كتاب الله ومن سنّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

أولا: الأدلّة من كتاب الله تعالى:

قوله تعالى: ﮋ□□□□□□□□□□□□ ى ى ي ي ﮊ [الإسراء: ٣٦].

ولو وصفنا الله بما لم يصف به نفسه، لكُنَّا قَفْونا ما ليس لنا به علم، فوقعنا فيما نهى الله عنه[3].

وقوله تعالى: ﮋ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ﮊ [الأعراف: ٣٣].

---

1 () انظر: القواعد المثلى لابن عثيمين (ص13).

2 () السّلف في اللّغة: يقول ابن فارس رحمه الله: (السّين واللّام والفاء أصل يدلّ على تقدّم وسبق, من ذلك السّلف: الذين مضوا, والقوم السّلاف: المتقدّمون). معجم مقاييس اللّغة (3/95).
وفي الاصطلاح: قال السّفاريني رحمه الله: (المراد بمذهب السّلف ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم وأعيان التّابعين لهم بإحسان وأتباعهم وأئمّة الدّين ممن شهد له بالإمامة، وعرف عظم شأنه في الدّين، وتلقّى النّاس كلامهم خلف عن سلف، دون من رمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج والرّوافض والقدريّة والمرجئة والجبريّة والجهميّة والمعتزلة والكراميّة، ونحو هؤلاء). لوامع الأنوار البهية (1/20).

3 () شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص75).

فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم[1], وهذا محرم بنص القرآن[2].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (أصل هذا الباب[3] أن لا يتكلّم الإنسان إلاّ بعلم؛ فإنّ هذا وإن كان مأمورا به مطلقا فهو في هذا الباب أوجب, قال الله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [الأعراف: ٣٣], وقال تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [البقرة: ١٦٩], وقال تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [الإسراء: ٣٦], وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [النساء: ١٧١], وقال تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [الأعراف: ١٦٩], وكما أنّ الإنسان لا يجوز له أن يثبت شيئا إلاّ بعلم, فلا يجوز له أن ينفي شيئا إلاّ بعلم؛ ولهذا كان النّافي عليه الدّليل, كما أنّ المثبت عليه الدّليل)[4].

ومن الأدلّة أيضا من كتاب العزيز قوله تعالى: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [الأعراف: ١٨٠].

فـ(قوله سبحانه وتعالى: فَادْعُوهُ بِهَا, يعني: ادعوا الله بأسمائه التي سمّى بها نفسه, أو سمّاه بها رسوله, ففيه دليل على أنّ أسماء الله تعالى توقيفيّة لا اصطلاحيّة, وممّا يدلّ على صحة هذا القول ويؤكده, أنّه يجوز أن يقال: يا جواد, ولا يجوز أن يقال يا سخيّ, ويجوز أن يقال: يا عالم, ولا يجوز أن يقال: يا عاقل, ويجوز أن يقال: يا حكيم, ولا يجوز أن يقال: يا طبيب)[5].

قال البغويّ[6] رحمه الله: (قال أهل المعاني: الإلحاد في

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن (ص80).

[2] () شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص75).

[3] () يقصد باب الأسماء والصفات.

[4] () مجموع الفتاوى (6/513-514).

[5] () لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (2/276).

[6] () هو الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد الفراء البغوي، يلقّب بمحيي السّنّة وبركن الدّين, الشّافعي, المفسّر، صاحب التصانيف، كشرح السّنّة, ومعالم التّنزيل, والمصابيح وغيرها, مات سنة ست عشرة وخمس مائة. انظر: وفيات الأعيان (

أسماء الله: تسميّته بما لم يسمّ به، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم, وجملته: أنّ أسماء الله تعالى على التّوقيف)[1].

ثانيا: الأدلّة من السّنّة النّبويّة:

دلّت الأحاديث النّبويّة على أنّ أسماء الله تعالى توقيفيّة, فمن تلك الأحاديث:

حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: " ما أصاب أحدا قطّ هم ولا حزن، فقال: اللّهم إنّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك, سمّيت به نفسك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي، إلا أذهب الله همه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا"، قال: فقيل: يا رسول الله، ألا نتعلّمها؟ فقال: "بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلّمها"[2].

فقوله صلّى الله عليه وسلّم "سمّيت", و"علّمته", و"أنزلته", و"استأثرت" كلّها أفعال صادرة من الله تعالى, وليست من فعل المخلوقين, فهو سبحانه الذي سمّى بها نفسه, وهو الذي علّمها من شاء من خلقه, وهو الذي أنزلها في كتابه, وهو الذي استأثر بها في علم الغيب عنده.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فالحديث صريح في أنّ أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسميّاتهم)[3].

وأيضا حديث أبي هريرة عن عائشة قالت: فقدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ليلة من الفراش فالتمسته, فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد, وهما

2/136), وسير أعلام النبلاء (19/439-442).

[1] () معالم التّنزيل (3/307).

[2] () أخرجه أحمد في المسند (6/247), رقم: 3712, وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (3/253), والحاكم في المستدرك (1/690), والحديث صحّحه الألباني في السّلسلة الصّحيحة برقم: (199).

[3] () شفاء العليل (ص277).

منصوبتان وهو يقول: "اللّهم أعوذ برضاك من سخطك, وبمعافاتك من عقوبتك, وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[1].

والتّسميّة من الثّناء فدلّ على أنّ العقل لا مجال له في باب الأسماء إلا التّصديق والوقوف عند النّصوص[2].

نصوص أئمّة السّلف في تقرير هذه القاعدة:

كلام السّلف رحمهم الله تعالى في تقرير هذه القاعدة كثير على اختلاف مذاهبهم وعصورهم, حيث اتّفقوا على أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيّة فمن ذلك:

قول الرّبيع بن سليمان[3] سألت الشّافعي رضي الله عنه عن صفات من صفات الله تعالى فقال: (حرام على العقول أن تمثّل الله تعالى, وعلى الأوهام أن تحدَّه, وعلى الظّنون أن تقطع, وعلى النّفوس أن تفكّر, وعلى الضمائر أن تعمق, وعلى الخواطر أن تحيط, وعلى العقول أن تعقل إلاّ ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيّه)[4].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (ولا يوصف الله تعالى بأكثر ممّا وصف به نفسه أو وصفه به رسوله, بلا حدّ ولا غاية ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ [الشورى: ١١], ولا يبلغ الواصفون صفته, وصفاته منه, ولا نتعدّى القرآن والحديث, فنقول كما قال, ونصفه كما وصف نفسه, ولا نتعدى ذلك, نؤمن بالقرآن كلّه محكمه ومتشابهه, ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الصّلاة, باب ما يقال في الرّكوع والسّجود (1/352), رقم: 468.

[2] () انظر: المجلى شرح القواعد المثلى (ص120).

[3] () هو الرّبيع بن سليمان بن عبد الجبّار أبو محمد المرادي بالولاء المؤذن المصري، صاحب الإمام الشّافعي؛ وهو الذي روى أكثر كتبه, والـمُرَادي نسبة إلى مراد، وهي قبيلة كبيرة باليمن, قال النّسائي لابأس به, وذكره ابن حبان في الثّقات, توفي سنة سبعين ومائتين. انظر: تسمية مشايخ أبي عبد الرّحمن النسائي (ص64), والثّقات لابن حبان (8/240), ووفيات الأعيان (2/291), وتهذيب الكمال (9/87).

[4] () ذمّ التّأويل لابن قدامة (ص23).

شنعت[1])[2].

وقال الأزهريّ اللّغوي[3] رحمـه اللـه: (وأمّـا قـول النّـاس توحّد الله بالأمر وتفـرّد, فإنّـه وإن كـان صـحيحا في العربيـة, فإنّي لا أحبّ أن ألفظ بلفظ في صفة الله لم يصف به نفسـه في التّنزيل أو في السّنّة, ولم أجـد المتوحّـد ولا المتفـرّد في صفاته[4]، وإنّما تنتهي في صفات الله إلى ما وصف به نفسه، ولا تجـاوزه إلى غـيره لجـوازه في العربيـة, تعـالى اللـه عن التّمثيل والتّشبيه علوا كبيرا)[5].

وقال ابن عبد البرّ[6] رحمه اللـه: (ومـا غـاب عن العيـون, فلا يصفه ذوو العقول إلاّ بخبر, ولا خبر في صفات اللـه إلاّ مـا وصف نفسه به في كتابه, أو على لسـان رسـوله صـلّى اللـه عليه وسلّم, فلا نتعدّى ذلك إلى تشـبيه, أو قيـاس, أو تمثيـل, أو تنظير, فإنه ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [الشورى: ١١])[7].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (ومن الوجوه الصّحيحة أنّ معرفة الله بأسـمائه وصـفاته على وجـه التّفصـيل لا تعلم إلاّ

---

[1] () الشُّـنْع والشَّـناعة والشُّـنوع، كـلّ هـذا من قُبح الشَّـيء الّـذي يُستَشنَع قُبْحه، وهو شنيعٌ أشنع، وقِصَّةٌ شَنْعاء، ورجلٌ أشنعُ الخَلْق. انظر: تهذيب اللغة (1/276), وتاج العروس (21/297).

[2] () ذمّ التّأويل (ص22).

[3] () هـو محمّـد بن أحمـد بن الأزهـر أبـو منصـور الأزهـري الهـروي اللّغوي الشّافعي, كان فقيها شـافعيّ المـذهب, غلبت عليـه اللّغـة فاشتهر بها, لـه كتـاب تهـذيب اللّغـة المشـهور، وكتـاب التّفسـير, وغيرهـا, مـات سـنة سـبعين وثلاث مائـة. انظـر: معجم الأدبـاء (5/2321), ووفيـــات الأعيـــان (4/334), وســـير أعلام النّبلاء (16/215-216).

[4] () ومقصوده رحمه الله أن نتوقف حيث وقـف بنـا النص في أسـماء الله وصفاته, أما إطلاق ذلك من باب الإخبار فيجوز.

[5] () تهذيب اللّغة (5/128).

[6] () هـو يوسـف بن عبـد اللـه بن محمّـد أبـو عمـر النّمـري، حافـظ المغرب, صاحب التّصانيف الكثيرة ,كالتّمهيد والاستيعاب وغيرهــا, مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة. انظر: ترتيب المـدارك وتقـريب المسـالك (8/127-128), والـدّيباج المـذهّب في معرفـة أعيـان علماء المذهب (ص356), وسير أعلام النّبلاء (18/153-156).

[7] () التّمهيد (7/145).

من جهة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام, إمّا بخبره, وإمّا بخبره وتنبيهه ودلالته على الأدلّة العقلية؛ ولهذا يقولون لا نصف الله إلاّ بما وصف به نفسه, أو وصفه به رسوله صلّى الله عليه وسلّم قال الله تعالى: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﮊ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢])[1].

وقال ابن أبي العزّ الحنفي[2] رحمه الله: (وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسوله نفيا ولا إثباتا، وإنما نحن متّبعون لا مبتدعون, فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه, والألفاظ التي ورد بها النّص يعتصم بها في الإثبات والنّفي)[3].

وقال ابن الوزير[4] رحمه الله: (فأسماء الله وصفاته توقيفيّة شرعيّة, وهو أعزّ من أن يطلق عليه عبيده الجهلة ما رأوا من ذلك)[5].

وقال الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله: (إذا قال قائل: هل الصّفات توقيفيّة كالأسماء، أو هي اجتهاديّة، بمعنى أن يصحّ لنا أن نصف الله سبحانه وتعالى بشيء لم يصف به نفسه؟.

فالجواب أن نقول: إنّ الصّفات توقيفيّة على المشهور

---

1 () بيان تلبيس الجهميّة (2/137).

2 () هو علي بن علي بن محمّد نجم الدين أبو العبّاس المعروف بابن أبي العزّ الحنفي القاضي بدمشق ثم بالدّيار المصريّة ثم بدمشق, كان إماما عالما بارعا، فقيها مفننا, حنفي المذهب ولكنّه مخالف لهم في العقيدة, شارح الطحاوية, وغيرها, مات سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة. انظر: رفع الإصر عن قضاة مصر (ص 287), والدّرر الكامنة (4/103).

3 () شرح العقيدة الطّحاوية (ص189).

4 () هو محمد بن إبراهيم بن عليّ أبو عبد الله الحسني القاسمي، المعروف بابن الوزير اليمني الصنعاني، صنف في الرّدّ على الزّيديّة كتابه العواصم والقواصم في الذّب عن سنّة أبي القاسم ثم اختصره في الرّوض الباسم, وتنقيح الأنظار في علوم الآثار وغيرها، مات سنة أربعين وثمانمائة. انظر ترجمته في: البدر الطّالع (2/81), وفهرس الفهارس (2/1124-1125).

5 () إيثار الحق على الخلق (ص308).

عند أهل العلم، كالأسماء، فلا تصف الله إلاّ بما وصف به نفسه)[1].

هذه بعض النّقول الصّريحة الواضحة عن سلف هذه الأمّة وعلمائها رحمهم الله تعالى, تبيّن وتؤكّد أهميّة هذه القاعدة, وهي أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيّة, لا تؤخذ إلاّ بنصّ من كتاب الله أو سنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم.

ومن المناظرات المناسب ذكرها في هذا الموضع, والتي كانت من أسباب ترك أبي الحسن الأشعري للاعتزال, مناظرته لشيخه أبي علي الجبائي[2] في بعض المسائل, ومنها هذه المسألة, وهي: كون أسماء الله تعالى توقيفيّة أم لا ؟.

قال السّبكيّ[3] في طبقاته: (دخل رجل على الجبائي فقال: هل يجوز أن يسمّى الله تعالى عاقلا, فقال الجبائي: لا لأنّ العقل مشتق من العقال وهو المانع, والمنع في حق الله محال, فامتنع الإطلاق, قال الشّيخ أبو الحسن: فقلت له فعلى قياسك لا يسمّى الله سبحانه حكيما, لأنّ هذا الاسم مشتق من حكمة اللّجام, وهى الحديدة المانعة للدّابة عن الخروج, ويشهد لذلك قول حسّان بن ثابت[4] رضي الله عنه:

---

1 () شرح العقيدة الواسطية (ص142).

2 () هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو علي، المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة, رئيس المتكلمين في عصره, وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري علم الكلام, وابنه أبو هاشم من رؤوس المعتزلة، مات سنة ثلاث وثلاثمائة. انظر: تاريخ الإسلام (7/70), وفيات الأعيان (4/267-268) , طبقات المفسرين العشرين (ص 102).

3 () هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، تاج الدّين أبو نصر بن تقي الدّين السّبكيّ الشّافعي، قاضي دمشق, صنّف عدّة مصنّفات من ذلك: مختصر ابن الحاجب، وجمع الجوامع في الأصول، وغير ذلك، مات سنة إحدى وسبعين وسبعمائة. انظر: الوافي بالوفيات (19/209), والمنهل الصّافي والمستوفى بعد الوافي (7/385).

4 () هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام أبو الوليد - ويقال: أبو الحسام - الأنصاري، الخزرجي، النجاري، المدني, شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه, وسيد الشعراء المؤمنين، والمؤيد بروح القدس, قيل توفي سنة أربع وخمسين, وقيل: سنة

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدّماء[1].

وقول الآخر:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا[2].

أي: نمنع بالقوافي من هجانا, وامنعوا سفهاءكم.

فإذا كان اللّفظ مشتقّا من المنع, والمنع على الله محال لزمك أن تمنع إطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى.

قال: فلم يُحِر جوابا إلاّ أنّه قال لي: فلم منعت أنت أن يسمّى الله سبحانه عاقلا, وأجزت أن يسمى حكيما؟.

قال فقلت له: لأنّ طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشّرعي دون القياس اللّغوي, فأطلقت حكيما, لأنّ الشّرع أطلقه, ومنعت عاقلا, لأنّ الشّرع منعه, ولو أطلقه الشّرع لأطلقته)[3].

إذا (فالواجب أن ينظر في هذا الباب -باب الأسماء والصّفات -، فما أثبته الله ورسوله أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله نفيناه، والألفاظ التي ورد بها النّصّ يعتصم بها في الإثبات والنّفي، فنثبت ما أثبتته النّصوص من الألفاظ والمعاني, وننفي ما نفته النّصوص من الألفاظ والمعاني[4].

وتسميّته تعالى بما لم يسمّ به نفسه, أو لم يسمّه به رسوله صلّى الله عليه وسلّم يعتبر نوعا من أنواع الإلحاد كما تقدّم, وسيأتي بيانه بإذن الله تعالى في المطلب الثالث.

أربعين, وقيل: زمن معاوية. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (2/845), والاستيعاب (1/341).

[1] () انظر: ديوان حسان ص(6).

[2] () البيت للشاعر جرير, انظر: ديوان جرير ص(48), والكامل في الأدب(ص2/20).

[3] () طبقات الشافعية الكبرى (3/357-358).

[4] () انظر: منهاج السنة النبوية (2/554).

المطلب الثّاني:
أسماء الله عزّ وجلّ بالغة في الحسن غايته.

ورد وصف أسماء الله تعالى بالحسنى في القرآن الكريم في أربع آيات, وهي:

قوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [الأعراف: ١٨٠].

وقوله: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الإسراء: ١١٠].

وقوله: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﭼ [طه: ٨].

وقوله: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ [الحشر: ٢٤].

معنى كلمة الحسنى:

الحُسْنُ: ضدّ القبح ونقيضه[1], والحسنى تأنيث الأحسن, يقال: الاسم الأحسن, والأسماء الحسنى[2].

والحسنى أيضا جمع الأحسن, فأسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء, لا كونها حسنة فقط؛ لأنّ جمع الحسن حِسان, كما أنّ الحُسْن يكون صفة للّفظ والمعنى, فتكون أسماء الله تعالى أحسن الأسماء لفظا ومعنىً.

قال ابن الوزير رحمه الله عن الحسنى: (إنّها جمع "الأحسن" لا جمع "الحسن", وتحت هذا سرّ نفيس, وذلك أنّ الحسن من صفات الألفاظ ومن صفات المعاني, فكلّ لفظ له معنيان حسن وأحسن فالمراد: الأحسن منهما حتى يصحّ جمعه على حسنى, ولا يفسّر بالحسن منهما إلاّ الأحسن لهذا الوجه)[3].

وقال أيضا: (واعلم أنّ الحسنى في اللّغة هو جمع الأحسن، لا جمع الحسن، فإنّ جمعه حِسان وحسَنَةٌ، فأسماء

---

[1] () لسان العرب (13/114).
[2] () تهذيب اللّغة (4/184).
[3] () إيثار الحق (ص166).

الله التي لا تحصى كلّها حسنةٌ[1]، أي: أحسن الأسماء، وهو مثل قوله تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮊ [الروم: ٢٧], أي: الكمال الأعظم في ذاته وأسمائه ونُعُوته، فلذلك وجب أن تكون أسماؤه أحسن الأسماء لا أن تكون حسنةً وحِساناً لا سوى، وكم بين الحَسَنِ والأحسن من التّفاوت العظيم عقلاً وشرعاً ولغةً وعُرفاً)[2].

قال ابن القيم رحمه الله: (أسماؤه سبحانه وتعالى كلُّها أسماء مدح وثناء وتمجيد؛ ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلّها صفات كمال، ونعوته كلّها نعوت جلال، وأفعاله كلّها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، كلّ شيء من مخلوقاته دالّ عليه، ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه)[3].

قال الشّيخ عبد الرّحمن السّعديّ رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [الأعراف: ١٨٠]: (هذا بيان لعظيم جلال وسعة أوصافه بأنّ له الأسماء الحسنى، أي: كلّ اسم حسن، وضابطه أنّه كلّ اسم دالّ على صفة كمال عظيمة, وبذلك كانت حسنى، فإنّها لو دلّت على غير صفة بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، فإنّها لو دلّت على صفة ليست بصفة كمال، بل إمّا صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح لم تكن حسنى, فكل اسم من أسمائه دالّ على جميع الصّفة التي اشتُق منها، مستغرق لجميع معناها، وذلك نحو "العليم" الدّال عليه أنّ له علما محيطا عاما لجميع الأشياء, فلا يخرج عن علمه مثقال ذرَّة في الأرض ولا في السّماء، و"الرّحيم" الدّال على أنّه له رحمة عظيمة واسعة لكلّ شيء، و"القدير" الدّال على أنّ له قدرة عامة لا يعجزها شيء ونحو ذلك, ومن تمام كونها حسنى أنّه لا يُدعى إلا بها، ولذلك قال: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ, وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة)[4].

والحسن في أسماء الله تعالى كما يكون باعتبار كل اسم

---

[1] () هكذا في المطبوع ولعلّ الصواب "حسنى" حتى يستقيم الكلام.

[2] () العواصم والقواصم (7/228).

[3] () مدارج السالكين (1/125), (1/28).

[4] () تيسير الكريم الرّحمن (ص309).

على انفراده, يكون أيضا باعتبار جمع اسم مع اسم آخر, فيحصل بذلك حسن آخر وكمال آخر.

قال الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله: (والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كلّ اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال, مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإنّ الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا, فيكون كلّ منهما دالًّا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزّة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم, والجمع بينهما دالّ على كمال آخر، وهو أنّ عزّته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزّته لا تقتضي ظلما وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزّاء المخلوقين، فإنّ العزيز منهم قد تأخذه العزّة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التّصرف, وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعزّ الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنّهما يعتريهما الذّلّ)[1].

فأسماء الله تعالى كلّها حسنى وصفاته عليا, ومن المناسب في هذا المقام أن يذكر الباحث معنى كون صفات الله تعالى عليا, فمعنى كونها عليا: أي: كاملة, وقد ورد وصف صفات الله تعالى بأنّها عليا في موضعين من كتابه العزيز[2] فقال تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ [النحل: ٦٠]

.

وقال أيضا: ﮋﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ [الروم: ٢٧].

قال القرطبيّ رحمه الله[3]: (ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [النحل: ٦٠], أي:

---

1 () القواعد المثلى (ص8).

2 () انظر: القول المفيد (2/325), وموقف الطّوائف من توحيد الأسماء والصّفات (ص45).

3 () محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي من كبار المفسّرين ,صالح متعبّد, من كتبه الجامع لأحكام القرآن التّفسير المشهور، والتّذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة, وغيرها, مات سنة إحدى وسبعين وستمائة. انظر: وديوان الإسلام (4/28), طبقات المفسّرين للسّيوطي (ص 92).

الوصف الأعلى من الإخلاص والتّوحيد, قاله قتادة, وقيل: أي الصّفة العليا بأنّه خالق رازق قادر)[1].

يقول ابن كثير[2] رحمه الله: (ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮊ أي: الكمال المطلق من كلّ وجه، وهو منسوب إليه)[3].

فالله تعالى له المثل الأعلى, أي: له الوصف الأكمل والأعلى, وله الكمال المطلق من كل وجه في كلّ صفة ثابتة له سبحانه وتعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وصف نفسه بأنّ له المثل الأعلى فقال تعالى: ﮋﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ [النحل: ٦٠], وقال تعالى: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الروم: ٢٧], فجعل مثل السّوء المتضمِّن للعيوب والنّقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم, وأخبر أنّ المثل الأعلى المتضمّن لإثبات الكمالات كلِّها له وحده؛ ولهذا كان المثل الأعلى وهو أفعل تفضيل, أي: أعلى من غيره....وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجوديّة والمعاني الثّبوتيّة التي كلّما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره, ولمّا كان الرّبّ تعالى هو الأعلى, ووجهه الأعلى, وكلامه الأعلى, وسمعه الأعلى, وبصره وسائر صفاته عليا, كان له المثل الأعلى)[4].

فالله تعالى له من كل صفة أقصى الكمال فيها وأعلاه, ومن كمال تلك الصّفة في حقّه تعالى نفي نقيضها عنه سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (أن يعلم أنّ الكمال ثابت لله، بل الثّابت له هو أقصى ما يمكن من الأكمليّة، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلاّ وهو ثابت للرّبّ تعالى,

---

[1] () الجامع لأحكام القرآن (10/119).

[2] () هو إسماعيل بن عمر بن كثير عماد الدّين أبو الفداء الدّمشقي الشّافعي, له كتاب التّفسير, والبداية والنّهاية, وطبقات الشّافعية, وغير ذلك، مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ (ص38), وذيل طبقات الحفاظ للسّيوطي (ص238).

[3] () تفسير القرآن العظيم (4/578).

[4] () الصواعق المرسلة (3/1030-1032).

يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه, فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإنّ هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلّة العقلية والبراهين اليقينيّة، مع دلالة السّمع على ذلك)[1].

فتبين ممّا سبق أنّ أسماء الله تعالى كلّها حسنى, ومعنى كونها حسنى أي: أنّها أحسن الأسماء على الإطلاق, وأنّ حُسن كل اسم من أسماءه تعالى كما يكون على انفراده, يكون أيضا بجمع اسم آخر معه, فيحصل بذلك كمال فوق كمال, كما تبيّن أن صفاته تعالى عليا أي: أنّها أكمل الصّفات وأعلاها, فهو سبحانه له الكمال المطلق في أسمائه وصفاته وأفعاله جل وعلا.

---

1 () مجموع الفتاوى (6/71).

المطلب الثالث:
إمرارها كما جاءت مع فهم معانيها وتفويض علم الكيفية لله عز وجل.

من أصول اعتقاد أهل السّنة والجماعة في باب أسماء الله تعالى وصفاته, أنّهم يمرّون نصوص الأسماء والصّفات كما جاءت, من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. فيثبتون لله تعالى الأسماء والصفات كما دلّت عليها النّصوص من الكتاب والسّنّة, وينفون عن الله تعالى مماثلة المخلوقات, مخالفين في ذلك طريقة أهل التّعطيل الذين ينفون عن الله تعالى الصّفات, وطريقة أهل التّشبيه الذين يشبّهون الله بالمخلوقات, فهم بهذا الأصل وسط بين هاتين الفرقتين الضّالتين عن الطّريق المستقيم.

يقول الشّيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله[1] في منظومته الماتعة سلّم الوصول:

نـُمِرُّها صريحة كما أتت	مع اعتقادنا لما له اقتضتْ
من غير تحريف ولا تعطيل	وغير تكييف ولا تمثيل
بل قولنا قول أئمة الهدى	طوبى لمن بهديهم قد اهتدى[2]

وسلوك هذا الطّريق, من إمرار نصوص الكتاب والسّنّة

---

1 () حافظ بن أحمد بن علي الحكمي فقيه أديب، من علماء (جيزان) بين الحجاز واليمن, نشأ بدويا يرعى الغنم ثم قرأ القرآن, ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله، من كتبه، سلم الوصول إلى علم الأصول أرجوزة ،ومعارج القبول شرح لها، وأعلام السنة المنشورة وغيرها, مات بمكة سنة سبع وسبعين وثلاثمائة وألف. انظر: الأعلام (2159).

2 () معارج القبول (1/31).

على ظاهرها, وتفويض علم كيفيتها إلى الله تعالى, مع إثبات حقيقة الصّفة, ونفي أن يشبهه أحد من خلقه في أسمائه وصفاته؛ هو مذهب السّلف الصّالح من هذه الأمّة, وهو سبيل الهدى الذي اتّفق عليه أهل السّنّة والجماعة.

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [الأعراف: ٥٤]: (فللنّاس في هذا المقام مقالات كثيرة جدّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنّما يُسلك في هذا المقام مذهب السّلف الصّالح: مالك، والأوزاعي[1]، والثّوري[2]، واللّيث بن سعد[3]، والشّافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه[4] وغيرهم، من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل, والظّاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإنّ الله لا يشبهه شيء من خلقه، وﮋﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الشورى: ١١], بل الأمر كما قال

---

1 () هو عبد الرّحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو: مشهور باسمه وكنيته ,إمام الديار الشّامية في الفقه والزّهد ،ولد في بعلبكّ، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها سنة سبع وخمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة. انظر ترجمته في: والثقات لابن حبان (7/62), تاريخ دمشق (35/150), وتهذيب الكمال (34/131).

2 () سفيان بن سعيد بن مسروق أبوعبد الله الثّوري من أهل الكوفة, كان إماما من أئمّة المسلمين، وعلما من أعلام الدّين، مجمعا على إمامته, بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الاتقان، والحفظ، والمعرفة، والضّبط، مات سنة إحدى وستين ومائة. انظر: الجرح والتّعديل (1/55-59), وتاريخ بغداد (10/219-243).

3 () هو اللّيث بن سعد بن عبد الرّحمن الفهمي يكنّى أبا الحارث المصري, ثقة ثبت فقيه إمام مشهور, مات سنة خمس وسبعين ومائة. انظر: تاريخ ابن يونس المصري (1/419-420), وتقريب التّهذيب (ص287).

4 () هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم أبو يعقوب الحنظلي المروزي المعروف بابن راهويه كان أحد أئمة المسلمين, سمع من إسماعيل ابن علية، ووكيع بن الجراح، وروى عنه: محمد بن إسماعيل البخاري ،ومسلم بن الحجاج النّيسابوري, ومن أقرانه أحمد بن حنبل, مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين. انظر: الجرح والتّعديل (2/209-210), وتاريخ بغداد (7/362-363).

الأئمّة -منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي[1] شيخ البخاري -: "من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر"[2], وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصّريحة والأخبار الصّحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى، ونفى عن الله تعالى النّقائص، فقد سلك سبيل الهدى)[3].

تقرير هذه القاعدة من أقوال سلف هذه الأمّة رحمهم الله تعالى:

قال سفيان بن عيينة[4] رحمه الله وقد سُئِل عن حديث النبى: "إنّ الله عزّ وجلّ يحمل السّماوات على أصبع والأرضين على أصبع"[5], وحديث: "إنّ قلوب بني آدم بين

---

1 () هو نعيم بن حماد الخزاعي الحافظ أبو عبد الله المروزي الأعور روى عن أبي حمزة السّكري وإبراهيم بن سعد وروى عنه البخاري مقرونا, والدّارمي, ويحيى بن معين, مختلف فيه, كان شديدا على الجهمية, قال صالح بن مسمار: سمعت نعيما يقول: أنا كنت جهميا، فلذلك عرفت كلامهم فلّما طلبت الحديث عرفت أن أمرهم يرجع إلى التّعطيل، امتحن في خلافة المعتصم، فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فحبس بسامراء، فلم يزل محبوسا حتّى مات في السّجن سنة ثمان وقيل سنة تسع وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (15/430), وميزان الاعتدال (4/467-469).

2 () رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السّنّة والجماعة (3/532), رقم: 936, وقال الألباني: (إسناد صحيح) في مختصر العلو للعلي العظيم (ص184), رقم: 217.

3 () تفسير القرآن العظيم (3/427).

4 () هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ويكنّى أبا محمد مولى لبني عبد الله بن روبية, أصله من أهل الكوفة ثم نزل بمكة, كان ثقة ثبتا كثير الحديث حجة, سمع من الزهري وروى عنه عبد الله بن المبارك, وهمّام بن يحي, مات سنة ثمان وتسعين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (4/41), والتّاريخ الكبير للبخاري (4/94-95), والثّقات للعجلي (1/417).

5 () أخرجه البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب قوله: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [الأنعام: ٩١] (6/126), رقم: 4811, ومسلم, كتاب صفة القيامة والجنة والنّار (4/2147), رقم: 2786.

أصبعين من أصابع الرّحمن"[1], وحديث: "إنّ الله عزّ وجلّ يعجب ويضحك ممّن يذكره في الآفاق"[2], فقال سفيان: **(هي كما جاءت نقر بها ونحدث بها بلا كيف)**[3].

وقال الوليد بن مسلم[4] رحمه الله: سألت الأوزاعي والثّوري ومالك بن أنس واللّيث بن سعد عن الأحاديث التي في الصّفات وكلّهم قال: **أمرّوها كما جاءت بلا تفسير**[5].

وعنى قولهم: "بلا تفسير", أي بلا تفسير كتفسير الجهمية.

وقال أبو حنيفة رحمه الله: (فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنّفس فهو له صفات بلا كيف, ولا يقال: إنّ يده قدرته أو نعمته؛ لأنّ فيه إبطال الصّفة, وهو قول أهل القدر والاعتزال, ولكن يده صفته بلا كيف, وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف)[6].

ومنها قول الإمام مالك رحمه الله في جواب ذاك

---

1 () أخرجه مسلم, كتاب القدر, باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء (4/2045), رقم: 2654.

2 () ذكره بهذا اللّفظ الدارقطني في الصّفات, ولم يذكر له إسناد. انظر: الصفات ص(72), وفي مختصر العلوّ للألباني (في الأسواق) بدل (في الآفاق), وقال رحمه الله: (كذا في الأصول كلّها، ولعلّ فيها شيئا فإنّي لم أعرف الحديث يذكر الأسواق). انظر: مختصر العلوّ للعلي العظيم ص(165).

3 () الصّفات (ص42), والرّدّ على من أنكر الحرف والصّوت (ص 268), والحجة في بيان المحجة (1/474), والعلو للعلي الغفّار (ص156)

4 () هو الوليد بن مسلم، أبو العباس، الدّمشقي ,مولى لبني أمية, ثقة كثير الحديث والعلم, روى عن الأوزاعي، والثّوري, روى عنه الحميدي وابن المديني, حجّ سنة أربع وتسعين ومائة في خلافة محمد بن هارون, ثمّ انصرف فمات بالطّريق قبل أن يصل إلى دمشق سنة خمس وتسعين ومئة. انظر: التّاريخ الكبير (8/152), والطّبقات الكبرى (7/326-327), والجرح والتّعديل (9/16-17).

5 () انظر: الإبانة لابن بطة (3/242), والحجة في بيان المحجة (1/475), وذم التّأويل (ص20), والعرش للذّهبي (2/251), والعلو للعلي الغفّار (ص140).

6 () الفقه الأكبر (ص27).

السّائل, الذي صار جوابه قاعدة من قواعد الأسماء والصّفات.

قال ابن وهب[1]رحمه الله: (كنا عند مالك، فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ [طه: ٥], كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرّحضاء[2]، ثم رفع رأسه وقال: ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ [طه: ٥] كما وصف نفسه، ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه", وفي رواية أنّه قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"[3].

قال الذّهبي[4]رحمه الله بعدما أورد هذا الأثر عن الإمام مالك رحمه الله: وقد تقدّم نحوه عن أمّ سلمة[5]، ووهب بن

---

1 () هو عبد الله بن وهب المصري وهو ابن وهب بن مسلم الفهري مولى رمانة المصري مولى بني فهر قرشي, ثقة, روى عن مالك, وسعيد بن أبي أيوب روى عنه يحيى بن عبد الله ابن بكير وأحمد بن صالح, وأعلم النّاس بما عند الإمام مالك, مات سنة سبع وتسعين ومائة. انظر: الجرح والتّعديل (5/189-190), والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص48-50).

2 () هو عرق يغسل الجلد لكثرته، وكثيرا ما يستعمل في عرق الحمى والمرض. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (2/208), ولسان العرب (7/154).

3 () كتاب العرش (2/229).

4 () هو محمد بن أحمد بن عثمان الحافظ شمس الدّين أبو عبد الله التّركماني الذّهبي, وصفه تلميذه السّبكيّ فقال: إمام الوجود حفظا، وذهب العصر معنى ولفظا،...), صاحب التّصانيف الكثيرة منها السّير والكاشف والميزان والتّاريخ الكبير وغيرها مات سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. انظر: طبقات الشّافعية الكبرى (9/100-106), والوفيات لابن رافع (2/55-56).

5 () أما أثر أم سلمة رضي الله عنها أخرجه ابن بطة في الإبانة (3/162-163) رقم:120, وابن منده في كتاب التوحيد (3/302-303), رقم: 887, واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (3/397)، رقم:663, والذهبي في العلو (ص81), رقم: 181, وقال: (هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأي، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأمّا عن أم سلمة فلا يصح؛ لأنّ أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه), وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا

منبّه[1], وربيعة الرّأي[2].

فانظر إليهم كيف أثبتوا الاستواء لله، وأخبروا أنّـه معلـوم لا يحتاج لفظه إلى تفسير، ونفـوا الكيفيّـة عنـه، وأخـبروا أنّهـا مجهولة[3].

ومقصود السّلف رحمهم الله بقولهم: أمرّوها كمـا جـاءت بلا كيف، إثبات حقيقة معاني ألفاظهـا والإيمـان بهـا، مـع نفي علمهم بكيفيّتها, وليس المقصود أنّهم يؤمنون باللّفظ من غير فهم لحقيقة معناه, فهم يفهمون حقيقة معـاني هـذه الألفـاظ

ومرفوعاً، ولكن ليس له إسـناد يعتمـد عليـه). مجمـوع الفتـاوى (5/365), فالأثر ضعيف لا يصح.

[1] () هـو وهب بن منبـه بن كامـل أبـو عبـد اللّـه الصّـنعاني ويقـال الذماريّ وذمار من صنعاء على مرحلتين، من أبنـاء فـارس تـابعيّ ثقة, روى عن ابن عباس وجابر بن عبد اللـه, روى عنـه عمـرو بن دينار والمغـيرة بن حكيم, مـات سـنة أربـع عشـرة ومائـة. انظـر: التّـاريخ الكبـير (8/164), الثّقـات للعجلي (2/345), والجـرح والتّعديل (9/24).

أما أثر وهب بن منبه فأخرجه أبو الشيخ في العظمـة (2/705-708)، رقم: 294, وأورده الـذهبي في العلـوّ (ص125), رقم: 334, وحكم عليه بالوضع حيث قال: (هـذا أحسـبه من وضـع غلام الخليل، وهو كلام ركيك).

[2] () هو ربيعة الرّأي ابن أبي عبد الـرّحمن واسـم أبي عبـد الـرّحمن فروخ مولى آل المنكدر التّيميين, ويكنى أبا عثمان, آخـر مشـاهير التّـابعين بالمدينـة الـذين كـانوا مسـتوطنين لهـا, كـان ثقـة كثـير الحديث وكأنّهم يتّقونه للرأي, يـروي عن أنس بن مالـك روى عنـه مالك وعنه أخذ الفقه, والثّـوري, مـات سـنة سـت وثلاثين ومائـة. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (5/415-417), وتـاريخ ابن أبي خيثمة (2/282-286), ومشاهير علماء الأمصار (ص133).

وأثر ربيعـة الـرأي أخرجـه ابن بطـة في الإبانـة (3/163-164)، رقم:121, واللالكـائي في شـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعة (3/398)، رقم: 665, والبيهقي في الأسـماء والصـفات (2/306)، رقم: 868, والـذهبي في العلـو (ص129), رقم: 352, وقال شيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (روى الخلال باسـناد كلهم ثقـات عن سفيان بن عيينة قال سئل ربيعة...) مجموع الفتاوى (5/40), وصحّحه الألباني في مختصر العلو (ص132), رقم: 111.

[3] () كتاب العرش (2/234), وانظر: دراسة أثر مالـك لعبـد الـرزاق العباد البدر (ص57).

الواردة في الصّفات كالاستواء والضحك, ويؤمنون بذلك على ما يليق بالله سبحانه وتعالى، ويفوّضون في الكيفيّة, وليس معنى كلامهم: "أمرّوها كما جاءت", وقولهم: "الكيف مجهول" أنّهم يعنون بذلك نفي حقيقة الصّفة, وإنّما يقصدون نفي إدراك حقيقة صفة الله تعالى, وكنه صفات الله تعالى, أمّا معنى الصّفة فمعلوم عندهم في لغة العرب التي أنزل الله بها القرآن.

قال القرطبيّ رحمه الله: (ولم ينكر أحد من السّلف الصّالح أنّه استوى على عرشه حقيقة, وخصّ العرش بذلك لأنّه أعظم مخلوقاته، وإنّما جهلوا كيفيّة الاستواء فإنّه لا تعلم حقيقته, قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم - يعني في اللّغة - والكيف مجهول، والسّؤال عن هذا بدعة)[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله بعد إيراده للآثار السّابقة عن السّلف: (فقول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول, والكيف غير معقول, والإيمان به واجب موافق لقول الباقين: أمرّوها كما جاءت بلا كيف, فإنّما نفوا علم الكيفيّة, ولم ينفوا حقيقة الصّفة, ولو كان القوم قد آمنوا باللّفظ المجرد من غير فهم لمعناه - على ما يليق بالله - لما قالوا: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ولما قالوا: أمرّوها كما جاءت بلا كيف, فإنّ الاستواء حينئذ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم, وأيضا: فإنّه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفيّة إذا لم يفهم عن اللّفظ معنى؛ وإنّما يحتاج إلى نفي علم الكيفيّة إذا أثبتت الصّفات, وأيضا: فإنّ من ينفي الصّفات الخبرية - أو الصّفات مطلقا - لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف, فمن قال: إنّ الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف, فلو كان مذهب السّلف نفي الصّفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف, وأيضا: فقولهم: أمرّوها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه؛ فإنّها جاءت ألفاظ دالة على معان, فلو كانت دلالتها منتفيّة لكان الواجب أن يقال: أمرّوا لفظها مع اعتقاد أنّ المفهوم منها غير مراد, أو أمرّوا لفظها مع اعتقاد أنّ الله لا يوصف بما دلّت عليه حقيقة, وحينئذ فلا

---

[1] () الجامع لأحكام القرآن (7/219-220).

تكون قد أمرّت كما جـاءت ولا يقـال حينئـذ بلا كيـف؛ إذ نفي الكيف عمّا ليس بثابت لغو من القول)[1].

فتبين مما سبق أنّ طريقـة أهـل السـنة والجماعـة تجـاه نصوص الأسماء والصفات, أنهم يمرونها كما جـاءت بلا كيـف, ومعنى يمرونها كما جـاءت بلا كيـف, أنهم يفهمـون ويعلمـون معناها, ويفوضون حقيقة تلـك الصـفات إلى اللـه تعـالى؛ لأنّ العلم بحقيقة الصفة فـرع عن العلم بحقيقـة الـذات, فكمـا لا نعلم ذاته المقدسة, كذلك لا نعلم حقيقة صفاته.

---

1 () مجموع الفتاوى (5/41-42).

المبحث الثّاني:
منهج المخالفين في باب الأسماء والصّفات

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأوّل: منهج أهل التّعطيل والتّأويل.

المطلب الثّاني: منهج أهل التّشبيه.

المطلب الثّالث: تعريف الإلحاد وأنواعه.

المطلب الأوّل:
منهج أهل التّعطيل والتّأويل

التّعطيل في اللّغة:

العين والطـاء واللاّم أصـل صـحيح واحـد يـدلّ على خُلُـوًّ وفراغ[1].

والتّعطيل الفراغ, وكل شـيءٍ خلا من حافـظ فقـد عُطِّل, وكل شيء تُرِكَ ضـائعاً فهـو معطَّل, من ذلـك تعطيـل الثّغـور وما أشبهها, يقال: امرأة عاطل، إذا كانت لا حليّ لها، وقـوس عُطُلٌ: لا وَتَر عليها, وخيل أعطال: لا قلائد لها, وعطِّلت الدّار، ودار معطّلة, ومتى تركت الإبـل بلا راع فقـد عطِّلت، وكـذلك البئر إذا لم تورد ولم يستق منها, قال الله تبـارك وتعـالى: ﭽﯙ ﯚ ﭼ [الحج: ٤٥]، وقال تعالى: ﭽﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [التكوير: ٤][2].

التّعطيل اصطلاحا:

الذي يهمنا في هذا المطلب هو تعريفه في باب التّوحيـد, وخاصّة في بـاب الأسـماء الصّـفات, أمّـا عن معنـاه في بـاب التّوحيد الذي يضاده الشّرك بالله تعالى, إذ (الشّرك شركان:

شرك يتعلّق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وشرك في عبادته ومعاملته، وإن كـان صـاحبه يعتقـد أنّـه سبحانه لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

والشّــرك الأوّل الــذي يتعلــق بــذات المعبــود وأســمائه وصفاته نوعان:

أحدهما: شرك التّعطيل: وهو أقبح أنواع الشّرك، كشــرك فرعون إذ قال: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﭼ [الشعراء: ٢٣] , وقال تعالى مخـبرا عنه أنّه قال لهامان: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [غافر: ٣٦ - ٣٧] فالشّرك والتّعطيل متلازمان: فكلّ مشرك معطّل وكـلّ معطّـل مشـرك، لكنّ الشّـرك لا يسـتلزم أصـل التّعطيل، بل يكون المشرك مقرّا بالخـالق سـبحانه وصـفاته،

[1] () انظر: مقاييس اللّغة (4/351).
[2] () انظر: مقاييس اللّغة (4/352), وكتاب العين (2/9).

ولكنّه معطّل حق التّوحيد.

وأصل الشّرك وقاعدته التي يرجع إليها، هو التّعطيل، وهو ثلاثة أقسام:

تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه.

وتعطيل الصّانع سبحانه عن كماله المقدّس، بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله.

وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد[1].

والتّعطيل في باب الأسماء والصّفات خاصّة هو: نفي الأسماء والصّفات الواردة في الكتاب والسّنّة، وإنكار قيامها بذاته تعالى, أو إنكار بعضها, وزعم أن ظاهرها غير مراد [2].

إذا فأهل التّعطيل هم الذين ينكرون أسماء الله وصفاته, أو الذين يثبتون الأسماء وينفون الصّفات, أو يثبتون بعضا من الصّفات, وينفون البعض الآخر, ومن خلال النّظر في أقوال أهل العلم في بيان أهل التّعطيل وبيان درجاتهم نجدها من حيث العموم تنقسم ثلاثة أقسام:

القسم الأوّل: الذين ينفون جميع الأسماء والصّفات:

وهذا قول الجهمية أتباع جهم بن صفوان[3]، والفلاسفة

---

1 () الداء والدواء (ص130).

2 () انظر: شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص67), والكواشف الجلية (ص69).

3 () ستأتي ترجمته في الكلام عن الجهمية.

أتباع الفارابي[1]، وابن سينا[2]، وابن عربّي[3]، وغيرهم.

القسم الثّاني: الذين ينفون الصّفات دون الأسماء.

وهذا قول المعتزلة، ومن افقهم كابن حزم الظّاهريّ[4] وغيرهم[5]،, فالمعتزلة يُجمعون على تسميّة الله بالاسم ونفي الصّفة عنه.

القسم الثّالث: الذين يثبتون الأسماء, ويثبتون بعض الصّفات, وينفون البعض الآخر.

وهذا قول الكلابيّة, والأشاعرة, والماتريديّة[6].

---

1 () هو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي التّركي, صاحب التّصانيف في المنطق والموسيقى والفلسفة من ابتغى الهدى منها ضلّ وحار, ومنها تخرّج ابن سينا، قرأ على متى بن يونس كتاب أرسطوطاليس في المنطق, وأخذ عن يوحنا بن حيلان النّصراني وغيرهم, هلك سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان (5/103-106), عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص603-607), وسير أعلام النّبلاء (15/416).

2 () هو الحسين بن عبد الله بن الحسن أبو علي بن سينا البلخي، ثم البخاري, الفيلسوف المشهور, يعرف بالشّيخ الرّئيس, صاحب التّصانيف في الطّب والفلسفة والمنطق, منها الشّفاء, والقانون, وغيرها, كان أبوه كاتبا من دعاة الإسماعيليّة, هلك سنة ثمان وعشرين وأربع مائة. انظر: عيون الأنباء (ص437), ووفيات الأعيان (2/157), وسير أعلام النّبلاء (17/431-434).

3 () هو محمد بن علي بن محمد، محيي الدّين أبو بكر الطّائي الحاتميّ الأندلسيّ، المعروف بابن عربيّ، الصوفي من أهل الوحدة, قيل عنه: شيخ سوء مقبوح كذاب, من كتبه: الفتوحات المكيّة, وفصوص الحكم المملوء بالكفر البواح, وغيرها, قتل مرتدا سنة ثمان وثلاثين وستمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (23/48), وفوات الوفيات (3/345-346).

4 () هو علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد بن حزم الأندلسيّ القرطبيّ الفقيه، الظّاهريّ ،صاحب التّصانيف، مثل المحلى والفصل في الملل والنّحل وغيرها, اشتغل بالمنطق وأجزاء الفلسفة، فأثّرت فيه تأثيرا , مات سنة ست وخمسين وأربع مائة. انظر: وفيات الأعيان (3/325-328), وسير أعلام النّبلاء (18/184-211).

5 () مثل الرّافضة الإماميّة، والإباضيّة.

6 () انظر: مقالة التعطيل والجعد بن درهم (ص24).

والتّأويل في اللّغة:

ترجع معاني التأويل في اللغة إلى:

- التفسير: يقال التأويل: تفسير ما يؤول إليه الشيء, وأَوَّل الكلام تأويلا، وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره.

الرجوع: آل إليه يؤول أَوْلا ومآلا: رجع, والأَيِّل: الذّكر من الأوعال، والجمعُ: الأيايل، وإنّما سمّي بهذا الاسم، لأنّه يَؤُول إلى الجبال فيتحصَّن فيها.

- الخثور: آل القطران يؤول أولا، إذا خثر, وآل اللّبن يؤول أولا وأؤولا: إذا خثر.

- الإصلاح والسّياسة: آل المِلِك رعيته يؤول إيالا بالكسر: ساسهم وأحسن رعايتهم, آل على القوم أولا وإيالا وإيالة بكسرهما: وَلِيَ أمرَهم, وفي كلام بعضهم: قد ألنا وإيل علينا, وآل المالّ أولا: أصلحه وساسه[1].

التّأويل في الاصطلاح:

يختلف تعريف التّأويل في الاصطلاح باختلاف المتقدّمين من العلماء والمتأخّرين.

فالتّأويل عند السّلف, وعند العلماء المتقدّمين يرجع إلى معنيين هما:

النّوع الأوّل: التّأويل الذي هو بمعنى التّفسير والبيان، وهو الغالب على اصطلاح المفسّرين للقرآن كابن جرير[2] رحمه الله وغيره.

النّوع الثّاني: التّأويل الذي بمعنى الحقيقة التي يؤول

---

1 () انظر هذه المعاني في: العين (4/170), وتهذيب اللّغة (15/317), ومعجم مقاييس اللّغة (1/159), وتاج العروس (28/32).

2 () هو محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، لإمام، العلم، المجتهد، عالم العصر, صاحب التفسير الكبير, والتاريخ الشهير الذي هو أصح التواريخ وأثبتها, مات سنة عشر وثلاثمائة. انظر: وفيات الأعيان (4/191), و سير أعلام النبلاء (14/267).

إليها الكلام كما قال تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [الأعراف: ٥٣], وأمثلة هذا النّوع كثيرة في القرآن، ولا سيما ما يتعلّق بأخبار المعاد, فتأويل ما في القرآن من أخبار المعاد هو ما أخبر الله تعالى به فيه، مما يكون من القيامة والحساب والجزاء والجنّة والنّار ونحو ذلك، كما قال في قصة يوسف لما سجد أبواه وإخوته قال: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [يوسف: ١٠٠] فجعل عين ما وجد في الخارج هو تأويل الرّؤيا, ومنه قول عائشة رضي الله عنها: كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللّهم ربنا وبحمدك، اللّهم اغفر لي"[1] يتأوّل القرآن, تعني قوله تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [النصر: ٣], فهذان النّوعان من التّأويل هما المعروفان عند سلف هذه الأمّة.

والتّأويل في اصطلاح كثير من المتأخّرين - من المتكلّمين-: هو صرف اللّفظ عن الاحتمال الرّاجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به, وهذا هو الذي قصده أكثر من تكلّم من المتأخّرين في تأويل نصوص الصّفات وترك تأويله[2].

وهذا التّأويل المعروف عند المتأخّرين ينقسم قسمين:

1- تأويل صحيح: وهو الذي دلّ عليه الدّليل الشّرعي من الكتاب أو السّنّة الصّحيحة, ولا يخالف التّأويل المعروف عند السّلف.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ويجوز باتّفاق المسلمين أن تفسّر إحدى الآيتين بظاهر الأخرى ويصرف الكلام عن ظاهره؛ إذ لا محذور في ذلك عند أحد من أهل السّنّة وإن سمّي تأويلا وصرفا عن الظّاهر فذلك لدلالة القرآن عليه ولموافقة السّنّة والسّلف عليه؛ لأنّه تفسير القرآن بالقرآن؛ ليس تفسيرا له بالرّأي, والمحذور إنّما هو صرف القرآن عن فحواه بغير دلالة من الله ورسوله والسّابقين)[3].

---

[1] () أخرجه البخاري, كتاب الصلاة, أبواب صفة الصلاة, باب الدعاء في الركوع (1/158), رقم: 794.

[2] () انظر: التدمرية (ص91-93), والصفدية (ص288-291).

[3] () مجموع الفتاوى (6/21).

يقول ابن القيم رحمه الله: (فنحن لا ننكر التّأويل, بل حقيقة العلم هو التّأويل, والرّاسخون في العلم هم أهل التّأويل, ولكن أيّ التّأويلين؟, فنحن أسعد بتأويل التّفسير من غيرنا, وغيرنا أشقى بتأويل التّحريف منّا)[1].

(وبالجملة فالتّأويل الذي يوافق ما دلّت عليه النّصوص وجاءت به السّنّة ويطابقها هو التّأويل الصّحيح)[2].

2- التّأويل الفاسد: هو كلّ صرف للكلام عن ظاهره من غير دليل, وهو الذي يخالف ما دلّت عليه النّصوص من الكتاب والسّنّة, وما كان عليه سلف الأمّة, وهو المقصود من كلام شيخ الإسلام, فتأويل هؤلاء المتأخّرين عند الأئمة تحريف باطل[3].

وهذا التّأويل الفاسد أنواعه كثيرة, ومن مرادفاته التّحريف والإلحاد.

يقول ابن القيم رحمه الله: (والتّأويل الذي يخالف ما دلّت عليه النّصوص وجاءت به السّنّة هو التّأويل الفاسد...

ثمّ شرع في بيان أنواعه إلى أن قال: والمقصود أنّ التّأويل يتجاذبه أصلان: التّفسير والتحريف, فتأويل التفسير هو الحق, وتأويل التّحريف هو الباطل, فتأويل التّحريف من جنس الإلحاد, فإنّه هو: الميل بالنّصوص عن ما هي عليه, إمّا بالطعن فيها أو بإخراجها عن حقائقها مع الإقرار بلفظها, وكذلك الإلحاد في أسماء الله تارة يكون بجحد معانيها وحقائقها, وتارة يكون بإنكار المسمّى بها, وتارة يكون بالتشريك بينه وبين غيره فيها, فالتأويل الباطل هو: إلحاد وتحريف, وإن سمّاه أصحابه تحقيقا وعرفانا وتأويلا)[4].

فأهل التّأويل هم الذين ينكرون حقائق الأسماء والصّفات,

---

1 () الصواعق المرسلة (1/219).
2 () المصدر نفسه (1/187).
3 () انظر: مجموع الفتاوى (13/295).
4 () الصواعق (1/187-217), وانظر في هذا الموضوع: رسالة جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية لمحمد أحمد لوح ص(12-18), ومنهج دراسات الأسماء والصفات للشنقيطي (ص 24).

أو ينكرون حقائق معانيها ويثبتون لها معان أخرى غير معانيها الحقيقيّة.

وبما أنّ الباحث ذكر معنى التّأويل ناسب أن يذكر معه معنى التّفويض, إذ هما مسلكا أهل الكلام تجاه صفات الله تعالى, فيؤوّلونها أو يفوّضون معناها كما قال قائلهم:

وكلّ نصٍّ أَوهم التّشبيها أوّله أو فوِّضه ورُمْ تنزيها[1]

وهذا هو منهج الأشاعرة والماتريدية كما سيأتي معنا عند ذكر مجمل منهجهما في أسماء الله وصفاته.

فالتّفويض في اللّغة:

هو ردّ الأمر إلى الغير بدون التّصرف فيه والحكم عليه.

يقال: فوَّضَ إليه الأمر تفويضا ردّه إليه وجعله الحاكم فيه, ومنه قوله تعالى: ژڈ ڎ ژ ژڑ ڑ ک ک ک ژ [غافر: ٤٤].

وفوَّض المرأة تفويضا: زوّجها بلا مهر[2].

وفي الاصطلاح:

هو صرف اللّفظ عن ظاهره مع عدم التّعرض لبيان المعنى المراد منه, بل يترك ويفوَّض علمه إلى الله تعالى, بأن يقول الله أعلم بمراده[3].

وهذا التّعريف يوافق بذلك الحقيقة اللّغوية لكلمة التّفويض في ردّ العلم بمعاني نصوص الصّفات إلى الله تعالى.

فأوّل الفرق التي سيتناولها الباحث بالتّعريف من فرق أهل التّعطيل هم الفلاسفة ثم الجهميّة الغلاة ثم المعتزلة, ثم يتناول أهل التّأويل والتّفويض مبتدئا بالكلابية ثم الأشاعرة ثم الماتريدية, معرفا بكلّ فرقة منها وذاكرا مجمل اعتقادها ومنهجها اتّجاه أسماء الله وصفاته.

---

1 () تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (ص91).

2 () العين (7/64), تاج العروس (18/496), مختار الصحاح (ص 244).

3 () النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد, حاشية على إتحاف المريد (ص128).

1- منهج الفلاسفة:

الفلسفة لغة:

الفلسفة كلمة يونانية أصلها فيلاسوفا مركبة من كلمتين, فيلا: وهو المحبّ، وسوفا: وهو الحكمة، والاسم: الفلسفة، والفيلسوف محبّ الحكمة[1].

أما في الاصطلاح :

فقد عرّفها ابن القيم رحمه الله بقوله: (والمقصود: أنّ الفلاسفة اسم جنس لمن يحبّ الحكمة ويُؤْثِرها.

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من النّاس مختصّا بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلاّ إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

وأخصّ من ذلك: أنّه في عرف المتأخّرين اسم لأتباع أرسطو[2]، وهم المشاؤون[3] خاصة, وهم الذين هذّب ابن سينا طريقتهم وبسطها، وقرّرها، وهي التي يعرفها، بل لا يعرف سواها المتأخّرون من المتكلّمين, وهؤلاء فرقة شاذّة من فرق الفلاسفة، ومقالتهم واحدة من مقالات القوم، حتّى قيل: إنّه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته، فهو أوّل من عُرِف أنّه قال بقدم هذا العالم, والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه، وإثبات الصّانع، ومباينته للعالم، وأنّه فوق العالم وفوق السّماوات بذاته كما حكاه عنهم أعلم النّاس في زمانه بمقالاتهم: أبو الوليد بن

---

1 () انظر: القاموس المحيط (ص822)

2 () هو أرسطوطاليس الحكيم بن الحكيم الفيثاغوري، فيلسوف يوناني وثني، مؤسس مذهب فلسفة المشائين, له مؤلفات عديدة, وكان تلميذ أفلاطون الحكيم، وهو أوّل من قال بقدم العالم, وبه ختمت حكمة اليونانيين, وهو الملقب بالمعلّم الأوّل, مات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة قبل الميلاد. انظر: بغية الطلب في تاريخ حلب (3/1341), والملل والنحل (2/219).

3 () لأنّه كان يعلِّم أتباعه وهو يمشي وهم يمشون معه، فلُقِّبت فلسفته بالمشائية، وأتباعه بالمشائين. انظر: الملل والنحل (2/219).

رشد[1] في كتابه "مناهج الأدلّة")[2].

والفلاسفة المتقدّمون[3] خير من أرسطو وأتباعه من المتفلسفة الإسلاميين, كالفارابي, وابن سينا, فإنّ أولئك كانوا معظّمين للرّسل والشّرائع ولا يتكلّمون في الإلهيات, بخلاف أرسطو وأتباعه فهم لا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وكذلك كان أساطينهم ومتقدموهم، العارفون فيهم، معظّمين للرسل والشرائع، موجبين لاتباعهم، خاضعين لأقوالهم، معترفين بأنّ ما جاءوا به آخر وراء طور العقل، وأنّ عقول الرسل وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم.

وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلّمون باب الكلام فيها إلى الرسل، ويقولون: علومنا إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها, وكانوا يقرون بحدوث العالم.

---

1 () هو أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد ابن شيخ المالكية أبي الوليد بن رشد القرطبي فيلسوف الوقت, من تصانيفه بداية المجتهد في الفقه، وكتب في المنطق والفلسفة وغيرها, رفعت عنه أقوال ردية، ونسبت إليه العلوم المهجورة، فمات محبوسا بداره بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (21/307-309), والأعلام (5/218).

2 () إغاثة اللهفان (2/257).

3 () من هؤلاء الفلاسفة الذين تصدوا لعبادة الأصنام والإيمان بالله سقراط تلميذ فيثاغورس. قال ابن القيم: سقراط أحد تلامذة فيثاغورس وكان من عبادهم ومتألهيهم وجاهرهم بمخالفتهم في عبادة الأصنام وقابل رؤساءهم بالأدلة والحجج على بطلان عبادتها فثار عليه العامة واضطروا الملك إلى قتله فأودعه السجن ليكفهم عنه ثم لم يرض المشركون إلا بقتله فسقاه السمّ خوفا من شرّهم بعد مناظرات طويلة جرت له معهم, وكان مذهبه في الصفات قريبا من مذهب أهل الإثبات فقال : إنه إله كل شيء وخالقه ومقدره, وهو عزيز أي منيع ممتنع أن يضام, وحكيم أي: محكم أفعاله على النظام, وقال: إن علمه وقدرته ووجوده وحكمته بلا نهاية, لا يبلغ العقل أن يضعها,...فهو مثبت للصفات وحدوث العالم, ومنكر لعبادة الأصنام, ولكن لم يواجه قومه بالرد عليهم وعيب آلهتهم, فسكتوا عنه وكانوا يعرفون له فضله وعمله. انظر: (إغاثة اللهفان2/265-266).

وقد حكى أرباب المقالات أن أوّل من عُرِف عنه القول بقِدَم هذا العالم أرسطو, وكان مشركا يعبد الأصنام, وله في الإلهيات كلام كلّه خطأ من أوّله إلى آخره، فقد تعقبه بالرد عليه طوائف المسلمين، حتى الجهمية والمعتزلة، والقدرية، والرافضة، وفلاسفة الإسلام أنكروه عليه، وجاء فيه بما يسخر منه العقلاء.

وأنكر أن يكون الله سبحانه يعلم شيئا من الموجودات، وقرر ذلك بأنّه لو علم شيئا لكمل بمعلوماته، ولم يكن كاملا في نفسه، وبأنّه كان يلحقه التّعب والكَلَالُ من تصور المعلومات.

فهذا غاية عقل هذا المعلم والأستاذ....

فحقيقة ما كان عليه هذا المعلّم لأتباعه: الكفر بالله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، ودرج على أثره أتباعه من الملاحدة، ممن يتستر باتّباع الرسل، وهو منحلٌ من كلّ ما جاءوا به.

وأتباعه يعظّمونه فوق ما يعظّم به الأنبياء، ويرون عرض ما جاءت به الأنبياء على كلامه فما وافقه منها قبلوه، وما خالفه لم يعبأوا به شيئا.

ويسمّونه المعلّم الأوّل؛ لأنّه أوّل من وضع لهم التعاليم المنطقية، كما أن الخليل بن أحمد[1] أوّل من وضع عروض الشعر, وزعم أرسطو وأتباعه أنّ المنطق ميزان المعاني، كما أنّ العروض ميزان الشعر.

وقد بيّن نُظّار الإسلام فساد هذا الميزان وعوجه، وتعويجه للعقول، وتخبيطه للأذهان, وصنفوا في رده وتهافته كثيرا...

والمقصود: أنّ الملاحدة درجت على أثر هذا المعلِّم

---

[1] () هو الخليل بن أحمد الفراهيدي من فراهيد البصرة, أبو عبد الرحمن الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، ذكره ابن حبان في الثقات, يقال: إنّه دعا الله أن يرزقه علما لا يسبق إليه، ففتح له بالعروض، وله كتاب العين في اللغة لم يكمله ولم يهذبه, مات سنة بضع وستين ومائة, وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. انظر: الثقات (8/230), سير أعلام النبلاء (7/429-430).

الأوَّل، حـــتى انتهت نـــوبتُهم إلى معلِّمهم الثــاني: أبي نصـــر الفارابي, فوضع لهم التعـاليم الصـوتية، كمـا أن المعلّم الأوّل وضــع لهم التعــاليم الحرفيــة، ثم وســع الفــارابي الكلام في صـناعة المنطـق، وبسـطها وشـرح فلسـفة أرسـطو وهـذبها، وبـالغ في ذلـك, وكـان على طريقـة سـلفه: من الكفـر باللـه تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله, واليوم الآخر.

فكلّ فيلسوف لا يكون عند هؤلاء كذلك فليس بفيلسـوف في الحقيقة, وإذا رأوه مؤمنا باللـه وملائكتـه، وكتبـه ورسـله، ولقائه، متقيدا بشريعة الإسلام، نسـبوه إلى الجهـل والغبـاوة, فإن كان ممن لا يشـكون في فضـيلته ومعرفتـه، نسـبوه إلى التلبيس والتنميس بناموس الدين استمالة لقلوب العوام.

فالزندقة والإلحاد عند هؤلاء جزء من مسمى الفضـيلة، أو شرط.

ولعل الجاهل يقـول: إنّـا تحاملنـا عليهم في نسـبة الكفـر باللــه وملائكتــه وكتبــه ورســله إليهم, وليس هــذا من جهلــة بمقالات القوم، وجهلة بحقائق الإسلام ببعيد.

فــاعلم أنّ اللــه سـبحانه وتعـالى عمّـا يقولـون عندهم كما قرّره أفضل متأخريهم، ولسانهم، وقدوتهم الذي يقدّمونه على الرّسل: أبو على بن سينا: هو الوجـود المطلـق بشرط الإطلاق, وليس له عنـدهم صـفة ثبوتيـة تقـوم بـه، ولا يفعل شيئا باختياره البتة ولا يعلم شيئا من الموجودات أصــلا، لا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئا من المغيبات, ولا له كلام يقــوم به، ولا صفة.

ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر في الــذهن، لا حقيقــة له، وإنّما غايته أن يفرضه الذهن ويقدره، كما يفـرض الأشـياء المقدرة، وليس هذا هو الرب الذى دعت إليه الرسل وعرفته الأمم، بل بين هذا الرب -الـذى دعت إليـه الملاحـدة وجردتـه عن الماهية، وعن كل صفة ثبوتية، وكل فعل اختياري، وأنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا متصل به، ولا مباين له ولا فوقــه ولا تحته، ولا أمامه ولا خلفــه، ولا عن يمينــه ولا عن شـماله - وبين رب العــالمين، وإلــه المرســلين، ومن الفــرق مــا بين الوجود والعدم، والنفي والإثبات.

فأيّ موجود فرض كان أكمل من هذا الإله، الذى دعت إليه الملاحدة، ونحتته أفكارهم، بل منحوت الأيدي من الأصنام له وجود، وهذا الرب ليس له وجود، ويستحيل وجوده إلا في الذهن.

هذا، وقول هؤلاء الملاحدة أصلح من قول معلّمهم الأول أرسطو, فإن هؤلاء أثبتوا وجودا واجباً ممكنا، هو معلول له وصادر عنه صدور المعلول عن العلة، وأما أرسطو فلم يثبته إلا من جهة كونه مبدأ عقليا للكثرة، وعلة غائية لحركة الفلك فقط، وصرّح بأنّه لا يعقل شيئا، ولا يفعل باختياره.

وأمّا هذا الذى يوجد في كتب المتأخرين من حكاية مذهبه، فإنّما هو من وضع ابن سينا, فإنّه قرب مذهب سلفه الملاحدة من دين الإسلام بجهده، وغاية ما أمكنه أن قربه من أقوال الجهمية الغالين في التجهم، فهم في غلوهم في تعطيلهم ونفيهم أشد مذهبا وأصح قولا من هؤلاء.

فهذا ما عند هؤلاء من خبر الإيمان بالله عز وجل...

وحسبك جهلا بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله، من يقول: إنّه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب، واستكمل بغيره. وحسبك خذلانا وضلالا وعمى: السّير خلف هؤلاء، وإحسان الظنّ بهم، وأنّهم أولو العقول)[1].

وأوّل من أدخل علم هؤلاء الفلاسفة في الإسلام المأمون[2], وذلك بكثرة تعريب كتب الأوائل من فلاسفة اليونان فكدّر صفو العقيدة السُّنية الصافية, وشغل الناس بالمنطق الإغريقي عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[1] () إغاثة اللهفان (2/262).

[2] () هو الخليفة عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي ابن أبي جعفر المنصور العباسي, أبو العباس الملقب بالمأمون قرأ العقليات، وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وبالغ، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وكان يجل علم الكلام, مات سنة ثمان عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (11/430), وسير أعلام النبلاء (10/272-289).

قال السفاريني[1] رحمه الله: (وكان سبَبُ انتشار البدع وظهورها، وزيادتها ونشورها، المأمون بن هارون الرشيد....

قال العلماء: إنّ المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى - أظنه صاحب جزيرة قبرص - طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا مطران واحد، فإنه قال: جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها)[2].

2- منهج الجهمية:

الجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب, الضالّ المبتدع، هلك قتلا في زمان صغار التابعين سنة ثمان وعشرين ومائة من طرف سالم بن أحوز[3], وقد زرع شرا عظيما[4].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فإنّ جهما أوّل من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات, وبالغ في نفي ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه, وإن كان الجعد بن درهم[5] قد سبقه إلى

---

1 () هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون النابلسي, من كتبه كشف اللثام شرح عمدة الأحكام, ولوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية وغيرها, مات سنة ثمان وثمانين ومائة وألف. انظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (4/31), والأعلام (6/14).

2 () لوامع الأنوار البهية (1/8-9).

3 () هو سالم بن أحوز بن أربد بن محرز من بني كابية, المازني, كان على شرط نصر بن سيار بخراسان. انظر: توضيح المشتبه (1/163).

4 () سير أعلام النبلاء (6/26) , تاريخ الإسلام ووَفيات المشاهير والأعلام (3/389).

5 () هو الجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية, عداده في التابعين, مبتدع ضال, زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا, ولم يكلم موسى, فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر سنة

بعض ذلك, فإنّ الجعد بن درهم أوّل من أحدث ذلك في الإسلام, فضحى به خالد بن عبد الله القسري[1] بواسط يوم النحر, وقال: يا أيّها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإنّي مضح بالجعد بن درهم, إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا, ولم يكلّم موسى تكليما, تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا, ثم نزل فذبحه)[2].

فالمؤسّس الحقيقي للجهمية وأفكارها هو الجعد بن درهم, وأخذ هذا المذهب وهذه الأفكار عن اليهود.

قال ابن كثير رحمه الله: (كان الجعد بن درهم من أهل الشام وهو مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له: مروان الجعدي، فنسب إليه، وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون: إن الله في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم، عن خاله لبيد بن الاعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم)[3].

ثم أخذ هذه المقولة عن الجهم بن صفوان بشر

ثمانية عشرة ومائة. انظر: تاريخ دمشق (72/99), ولسان الميزان (2/105).

[1] () هو خالد بن عبد الله بن يزيد أبو الهيثم البجلي، القسري، الدمشقي، أمير العراقين لهشام، وولي قبل ذلك مكة للوليد بن عبد الملك، ثم لسليمان, فيه نصب كان يقع في علي, قتل في المحرم، سنة ست وعشرين ومائة. انظر: تاريخ دمشق (16/135), وسير أعلام النبلاء (5/525-532).

[2] () مجموع الفتاوى (12/119), وانظر: سير أعلام النبلاء (5/433), والبداية والنهاية (13/148).

[3] () البداية والنهاية (13/199).

المريسي[1], ثم أخذها عنه أحمد بن أبي دؤاد[2]، وكـان داعيـة إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة[3].

والجهمية لما ظهروا على يـد مؤسسـهم الأوّل الجعـد بن درهم, ثم الجهم بن صفوان الذي نشر هذا المذهب وزاد فيه, ودعا إليه, كانوا ضـعفاء قليلين ذليلين, تصـدى لهم العلمـاء[4] والأمــراء, فقتــل هــذان الضــالاّن المضــلاّن على يــد أئمــة المسلمين, وبقي الناس على عقيدة السلف مثبـتين للأسـماء والصفات لله تعـالى على مـا يليـق بجلالـه وعظمتـه, إلى أن وُليّ على المؤمــنين المــأمون, وتُــرجمت في زمانــه كتب اليونان, فمكّن لهـؤلاء الجهميـة, وبعـد ذلـك قـويت شـوكتهم, وتأثر بهم الناس, وبُلِي العلماء بسببهم.

يقـول ابن القيم رحمـه اللـه: (فلمـا كـثرت الجهميـة في أواخر عصر التابعين كانوا هم أوّل من عارض الوحي بــالرأي, ومع هـذا كـانوا قليلين أولا مقمـوعين مـذمومين عنـد الأئمـة, وأوّلهم شيخهم الجعد بن درهم, وإنما نفـق عنـد النـاس بعض الشيء؛ لأنّه كان معلم مروان بن محمد وشـيخه؛ ولهـذا كـان يسـمى مـروان الجعـدي, وعلى رأسـه سـلب اللـه بـني أميـة الملك والخلافة, وشتّتهم في البلاد, ومزقهم كل ممزق ببركـة

---

[1] () هـو بشـر بن غيـاث بن أبي كريمـة العـدوي مـولاهم، أبـو عبـد الرحمن البغدادي، المريسي، مبتدع ضال, نظـر في الكلام، فغلب عليه، وانسلخ من الورع والتقوى, وكان جهميّا، هلك في آخر سـنة ثماني عشرة ومائتين. انظر سير أعلام النبلاء (10/202), وميزان الاعتدال (1/322).

[2] () هو أحمد بن فرج بن حريز الإيـادي، أبـو عبـد اللـه البصـري، ثم البغدادي، الجهمي، عدوّ أحمد بن حنبل, ورأس فتنة القـول بخلـق القرآن, مات ببغداد سنة أربعين ومائتين. انظر: سـير أعلام النبلاء (11/170-171), وميزان الاعتدال (1/97).

[3] () انظر: الكامل في التاريخ (6/149).

[4] () يقـول شـيخ الإسـلام رحمــه اللــه: (ثم ظهـر جهم من ناحيـة المشرق من ترمذ، ومنها ظهر رأي جهم؛ ولهذا كان علماء السـنة بالمشـرق أكـثر كلامـا في رد مـذهبهم من أهـل الحجـاز والشـام والعراق، مثل إبراهيم بن طهمان، وخارجة بن مصعب، ومثل عبـد اللــه بن المبــارك، وأمثــالهم، وقــد تكلم في ذمهم مالــك وابن الماجشون وغيرهما، وكـذلك الأوزاعي، وحمـاد بن زيـد وغـيرهم). مجموع الفتاوى (8/229).

شيخ المعطلة النفاة.

فلما اشتهر أمره في المسلمين, طلبه خالد بن عبد الله القسري....

ثمّ طفئت تلك البدعة, فكانت كأنّها حصاة رمي بها, والنّاس إذ ذاك عنق واحد, أن الله فوق سمواته على عرشه, بائن من خلقه, موصوف بصفات الكمال ونعوت الجلال, وأنّه كلّم عبده ورسوله موسى تكليما, وتجلى للجبل فجعله دكا هشيما, إلى أن جاء أوّل المائة الثالثة, وولي على الناس عبد الله المأمون, وكان يحب أنواع العلوم, وكان مجلسه عامرا بأنواع المتكلمين في العلوم, فغلب عليه حب المعقولات, فأمر بتعريب كتب يونان, وأقدم لها المترجمين من البلاد, فعربت له واشتغل بها الناس, والملك سوق ما سوق فيه جلب إليه, فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية مما كان أبوه الرشيد قد أقصاهم وتبعهم بالحبس والقتل, فحشوا بدعة التجهم في أذنه وقلبه, فقبلها واستحسنها, ودعا الناس إليها, وعاقبهم عليها)[1].

هذا فيما يخص ظهور هذه الفرقة في الأمة الإسلامية وكيف انتشرت, أما عن معتقد هذه الطائفة في باب الأسماء والصفات, فالمقصود بالجهمية هنا الجهمية الغلاة[2], أو

---

1 () الصواعق المرسلة (3/1070-1072).

2 () يذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الجهمية على ثلاثة مراتب فيقول: (وكذلك الجهمية على ثلاث درجات:
فشرّها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا: هو مجاز ,فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ولا يتكلم...
والدرجة الثانية: من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم، الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة، لكن ينفون صفاته، وهم أيضا لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون.
وأما الدرجة الثالثة: فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، أو غير الخبرية، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هؤلاء من

الجهمية المحضة الذين ينفون أسماء اللـه وصـفاته؛ لأنّ أهـل العلم يطلقون التجهّم على كل من أنكـر الأسـماء والصّـفات, أو أنكر الصّفات فقط, أو شيئا منها.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (فـإنّ السـلف كـانوا يسمّون كلّ من نفى الصّفات, وقال: إنّ القرآن مخلوق, وإنّ الله لا يرى في الآخرة جهميا)[1].

فإذا أطلق التجهم المحض, أو الجهميـة الغلاة فالمقصـود بهم أتباع جهم بن صـفوان, الـذين ينفـون أسـماء اللـه تعـالى وصفاته, ومن نحى نحوهم من الملاحدة الكفرة.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (والتحقيـق: أنّ التجهّم المحض؛ وهـو نفي الأسـماء والصـفات, كمـا يُحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممّن نفى أسماء الله الحسنى كفرٌ بيِّنٌ، مخالفٌ لما علم بالاضطرار من دين الرسول)[2].

ويحكي أبو الحسن الأشعري عقيدة الجهميـة على سـبيل العموم فيقول: (ويحكى عنه أنه كان يقـول: لا أقـول أن اللـه سبحانه شيء؛ لأنّ ذلك تشبيه له بالأشياء.

وكان يقول: إن علم الله سبحانه مُحْدَث فيما يحكى عنه, ويقول بخلـق القـرآن, وأنّـه لا يقـال: إن اللـه لم يـزل عالمـاً بالأشياء قبل أن تكون)[3].

فالجهمية تنكر أسماء الله تعالى, وإن سمته بشيء قالت هو في حقِّه مجاز وليس حقيقةً, فهذه الأسماء عندهم حقيقـة في العبد مجاز في حـق اللـه تعـالى, تعـالى اللـه عن قـولهم علوا كبيرا.

يقول شيخ الإسـلام رحمـه الله**:** (جهم كـان ينكـر أسـماء

يقر بصفاته الخبرية الـواردة في القـرآن دون الحـديث، كمـا عليـه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهـل الحـديث، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبـار أيضـا في الجملـة، لكن مـع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول...). الفتاوى الكبرى (6/370).

[1] () مجموع الفتاوى (12/119).

[2] () النبوات (1/578).

[3] () مقالات الإسلاميين (1/219-220).

الله تعالى, فلا يسمّيه شيئا ولا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز, قال: لأنّه إذا سمّي باسم تسمّى به المخلوق كان تشبيها, وكان جهم مجبرا يقول: إنّ العبد لا يفعل شيئا؛ فلهذا نقل عنه أنّه سمّى الله قادرا؛ لأنّ العبد عنده ليس بقادر)[1].

وقال الشهرستاني[2] رحمه الله عن الجهم: (وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية, وزاد عليهم بأشياء منها قوله: لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأنّ ذلك يقتضي تشبيها، فنفى كونه حيا عالما، وأثبت كونه قادرا فاعلا خالقا؛ لأنّه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق)[3].

والسّبب الذي جعل جهما يثبت اسم الله القادر والفاعل والخالق في أحد قوليه هو: مذهبه في القدر وأفعال العباد؛ لأنّ العبد عنده مجبور على الفعل, ولا قدرة له على الفعل؛ لأنّه ليس بقادر ولا فاعل ولا مختار, فلا يوصف بأنّه قادر وفاعل فبذلك انتفت شبهة التشبيه, وجاز أن يسمى الله بها على حد زعمهم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والجهم هو أعظم الناس نفيا للصفات, بل وللأسماء الحسنى, وقوله من جنس قول الباطنية القرامطة حتى ذكروا عنه أنه لا يسمّى الله شيئا ولا غير ذلك من الأسماء التي يسمّى بها المخلوق؛ لأنّ ذلك بزعمه من التشبيه الممتنع, وهذا قول القرامطة الباطنية, وحكي عنه أنه لا يسميه إلا قادرا فاعلا؛ لأنّ العبد عنده ليس بقادر ولا فاعل إذ كان هو رأس المجبرة)[4].

والجهمية أيضا تنكر صفات الله تعالى, وقد غلوا في نفي

---

[1] () مجموع الفتاوى (12/311), وانظر: منهاج السنّة النبوية (2/582).

[2] () هو محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد أبو الفتح الشهرستاني المتكلم على مذهب الأشعري, صاحب التصانيف مثل: نهاية الإقدام في علم الكلام, والملل والنحل وغيرها, مات في شعبان، سنة ثمان وأربعين وخمس مائة. انظر: وفيان الأعيان (4/273), وسير اعلام النبلاء (20/286).

[3] () الملل والنحل (1/85).

[4] () مجموع الفتاوى (12/202).

صفة الكلام عن الله تعالى؛ لأنهم إذا نفوها بزعمهم, فإنهم ينفون جميع الصفات عن الله تعالى, مثل صفة النفس والوجه والسمع والبصر واليدين.

قال الدّارمي[1] رحمه الله: (حتى ادّعى جهم أنّ رأس محنته نفي الكلام عن الله تعالى فقال: متى نفينا عنه الكلام، فقد نفينا عنه جميع الصفات، من النفس واليدين، والوجه، والسمع، والبصر؛ لأن الكلام لا يثبت إلا لذي نفس ووجه ويد وسمع وبصر، ولا يثبت كلام لمتكلم إلا من اجتمعت فيه هذه الصفات, وكذب جهم وأتباعه فيما نفوا عنه من الكلام، وصدقوا فيما ادعوا أنه لا يثبت الكلام إلا لمن اجتمعت فيه هذه الصفات، وقد اجتمعت في الله على رغم أعداء الله وإن جزعوا منه، بلا تكييف، ولا تمثيل, وهو الذي أخبر عن نفسه بأسمائه في محكم كتابه المنزل على نبيه المرسل، ووصف بها نفسه, وقوله ووصفه غير مخلوق، على رغم الجهمية)[2].

ومن الصفات التي غلت الجهمية في نفيها, صفة الخلة والمحبة لله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأوّل من عرف في الإسلام أنّه أنكر أن الله يحِب أو يحَب الجهم بن صفوان وشيخه الجعد بن درهم، وكذلك هو أوّل من عرف أنه أنكر حقيقة تكليم الله لموسى وغيره، وكان جهم ينفي الصفات والأسماء، ثم انتقل بعض ذلك إلى المعتزلة وغيرهم; فنفوا الصفات دون الأسماء)[3].

وأنكروا صفة العلو لله تعالى, وأنّه مستو على عرشه بائن من خلقه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما من فسر قوله: إنه ليس في السماء بمعنى أنه ليس فوق العرش, وإنما فوق

---

[1] () هو عثمان بن سعيد بن خالد، الحافظ أبو سعيد الدارمي السجستاني، محدث هراة، وأحد الأعلام, كان جذعا في أعين المبتدعين له كتاب في الردّ على الجهمية، وكتاب في الردّ على بشر المريسي, مات في ذي الحجّة سنة ثمانين ومائتين. انظر: تاريخ الإسلام (6/574), وطبقات الشافعية الكبرى (2/224).

[2] () نقض الإمام الدارمي على المريسي (2/842-843).

[3] () منهاج السنّة النّبوية (5/392).

السموات عدمٌ محض, فهؤلاء هم الجهمية الضُّلال المخالفون لإجماع الأنبياء ولفطرة العقلاء)[1].

أمّا عن الصّفات التي ثبتت لله تعالى في الكتاب والسنة, فتزعم الجهمية أنّها مخلوقة منفصلة عن الله تعالى, وليست صفاتٍ اتصف الله بها حقيقية, تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وما يزعمه الجهمية والمعتزلة من أن كلامه وإرادته، ومحبته وكراهته، ورضاه وغضبه، وغير ذلك, كل ذلك مخلوقات له منفصلة عنه, هو مما أنكره السلف عليهم وجمهور الخلف، بل قالوا: إن هذا من الكفر الذي يتضمن تكذيب الرسول، وجحود ما يستحقه الله من صفاته, وكلام السلف في ردّ هذا القول، بل وإطلاق الكفر عليه، كثير منتشر)[2].

ومن تأمّل في مذهب هذه الطائفة الضالة, وكلام أهل العلم فيهم وجد أن (حقيقة قول الجهمية المعطلة هو قول فرعون؛ وهو جحد الخالق وتعطيل كلامه ودينه كما كان فرعون يفعل فكان يجحد الخالق جل جلاله ويقول: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [القصص: ٣٨], ويقول لموسى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [الشعراء: ٢٩], ويقول: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [النازعات: ٢٤], وكان ينكر أن يكون الله كلّم موسى, أو يكون لموسى إله فوق السموات, ويريد أن يبطل عبادة الله وطاعته, ويكون هو المعبود المطاع, فلمّا كان قول الجهمية المعطلة النّفاة يؤول إلى قول فرعون, كان منتهى قولهم: إنكار رب العالمين, وإنكار عبادته وإنكار كلامه)[3].

أما عن شبهة هذه الفرقة التي تمسّكوا بها في تعطيل أسماء الله تعالى وصفاته, فسيتناولها الباحث بإذن الله في الباب الثاني من هذه الرسالة في الردّ على من أنكر اسم الله العزيز وصفة الله العزة.

---

[1] () مجموع الفتاوى (19/141).
[2] () منهاج السنة النبوية (5/421).
[3] () مجموع الفتاوى (13/185).

3- منهج المعتزلة:

تقـــدم الكلام عن الفرقـــة الأولى من المعطلـــة وهم الجهمية, وذكـر البـاحث أنهم في أول ظهـورهم كـانوا قليلين ذليلين ثمّ لما وَليَ المـأمونُ أمـرَ المسـلمين مكَّن لهم, (وفي هذه المرحلة قويت شوكة التعطيـل واتسـعت دائرتـه ونشـط دعاته وكثرت طوائفه, فبَعْد أن كـان خصـوم أهـل السـنة هم الجهميـة فقـط، ظهـر المعتزلـة الـذين حملـوا رايـة التعطيـل ووجهوا دفته، ودخلوا فيه بقوة هيأها لهم المأمون ومن بعــده المعتصم[1] ثم الواثق[2], وشايعهم على ذلك العديد من الفرق الضالة، فجمعت المعتزلـة من ذلـك الـوقت بين بليـتين: بليـة نفي الصـفات, وبليـة نفي القـدر, وفي هـذه المرحلـة ظهـر القرامطة، وبدأوا يظهرون قولهم)[3].

فظهرت بعـد الجهميـة فرقـة أخـرى متـأثرة بهم في نفي الصّـفات عن اللــه تعــالى, وهي المعتزلــة, فالمعتزلــة في الصّـفات: مخـانيث الجهمية[4], والمعتزلـة من الفـرق الضـالّة المبتدعة في هذه الأمة, وسـبب تسـميتهم بالمعتزلـة مرتبـط بقصة واصل بن عطاء[5] مـع شـيخه الحسـن البصـري[6] حين

---

[1] () هو محمّـد أمـير المؤمـنين المعتصـم باللـه بن هـارون الرّشـيد, يكنّى أبا إسحاق, أخو المأمون ثامن خلفاء بني العباس, مات سنة سبع وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (4/547), تاريخ دمشق (73/234).

[2] () هو هارون أمير المؤمنين الواثق بالله بن محمد المعتصـم باللـه بن هارون الرشيد, ويكنى أبا جعفر, اسـتخلف بعـد أبيـه المعتصـم بعهد منه, مات سنة اثنتين وثلاثين ومـائتين. انظـر: تـاريخ بغـداد (16/22), وتاريخ دمشق (73/323).

[3] () مقالة التعطيل (ص73-74).

[4] () مجموع الفتاوى (14/348).

[5] () هو أبو حذيفـة المخـزومي مـولاهم، البصـري، الغـزّال, المتكلم البليغ المتشدّق، الذي كان يلثغ بالرّاء, رأس الاعـتزال. مـات سـنة إحدى وثلاثين ومائـة. انظـر: سـير أعلام النبلاء (5/464), ومـيزان الاعتدال (4/329).

[6] () هو أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري, مـولى زيـد بن ثابت رضي الله عنه, كان من سادات التابعين وكـبرائهم, جمـع كلّ فن من علم وزهد وورع وعبادة, مات سنة عشر ومائة. انظر: وفيات الأعيان (2/69-72), وسير أعلام النبلاء (4/563).

دخل رجل على حلقته فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر, والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملّة؛ وهم وعيدية الخوارج, وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضرّ مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة, فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟

فتفكّر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر, ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزل عنّا واصل، فسمّي هو وأصحابه معتزلة[1].

وتذكر بعض كتب الفرق[2] أن الحسن البصري طرد واصل بن عطاء من مجلسه فاعتزل عند سارية في ناحية من المسجد, ثم انضمّ إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد[3] فقال الناس يومئذ فيهما: أنّهما قد اعتزلا قول الأمة, وسمّي أتباعهما من يومئذ معتزلة[4].

فأوّل من تكلّم في الاعتزال هو واصل بن عطاء, ثمّ انضمّ إليه عمرو بن عبيد فأعجب به فزوجه أخته وكان يثني عليه.

قال إسماعيل ابن عليّة[5]: أوّل من تكلم في الاعتزال

---

1 () الملل والنحل (1/48).

2 () الفرق بين الفرق (ص98).

3 () هو عمرو بن عبيد بن باب البصري أبو عثمان مولى بني تميم من أبناء فارس, القدري, كبير المعتزلة, مات سنة ثلاث أو ثنتين وأربعين ومائة في طريق مكة. انظر: التاريخ الكبير (6/352), وسير أعلام النبلاء (6/104).

4 () المصدر نفسه (ص98).

5 () هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الإمام الحجة, أبو بشر الأسدي, مولاهم البصري ابن عليّة, أصله كوفي, كان حافظاً فقيهاً كبير القدر, مات ببغداد سنة ثلاث وتسعين ومائة. انظر: تهذيب الكمال (3/23), وميزان الاعتدال (1/217-220).

واصل بن عطاء الغزال، ثم دخل معه عمرو بن عبيد في ذلك وأعجب به وزوجه أخته، فبلغنا أنه قال لها: قد زوجتك رجلا ما صلح إلا أن يكون خليفة[1].

وهؤلاء المعتزلة الذين كانوا في زمن عمرو بن عبيد وأمثاله لم يكونوا جهمية, وإنما كانوا يتكلموا في الوعيد وإنكار القدر, وإنما حدث فيهم نفي الصفات بعد هذا؛ ولهذا لما ذكر الإمام أحمد بن حنبل في رده على الجهمية قول جهم قال: فاتبعه قوم من أصحاب عمرو بن عبيد وغيره, واشتهر هذا القول عن أبي الهذيل العلاَّف[2] والنَّظَّام[3] وأشباههم من أهل الكلام[4].

ثم بعد ذلك تطوّر مذهب المعتزلة, فأصبح لا يسمى معتزليا إلا من يقول بالأصول الخمسة, وهي:

1-التوحيد

2- المنزلة بين المنزلتين.

3- العدل.

4- الوعد والوعيد.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وقد اتّفق على هذه الأصول الخمسة جميع طوائف المعتزلة على اختلاف بينهم, بل لا يعتبر معتزلياً من لم يؤمن بها, فلا بدّ أن تجتمع فيه حتى يسمّى معتزليا.

---

1 () الضعفاء الكبير (3/258).

2 () هو محمد بن الهذيل بن عبيد الله أبو الهذيل العلاف مولى عبد القيس من أهل البصرة، ثمّ ورد بغداد, شيخ المعتزلة ومصنّف الكتب في مذاهبهم, كان خبيث القول، مفارق لإجماع المسلمين، رادّ لنصوص كتاب الله, قيل مات سنة خمس وثلاثين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (4/582), ووفيات الأعيان (4/265).

3 () هو إبراهيم بن سيار أبو إسحاق النظام البصري، المتكلم على مذهب المعتزلة، وله في ذلك تصانيف عدة, تكلم في القدر، وانفرد بمسائل, مات سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (6/623), وسير أعلام النبلاء (10/541-542).

4 () انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (ص65).

يقول الخياط[1] وهو أحد زعمائهم: (وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة، فإذا اكتملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي)[2].

ثمّ تأثّرت بالمعتزلة بعض الفرق الضالة, فقالوا بقول المعتزلة في نفي الصفات عن الله تعالى, وهذه الفرق هي:

الخوارج:

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: (قول الخوارج في التّوحيد, فأمّا التّوحيد فإنّ قول الخوارج فيه كقول المعتزلة)[3].

ومتأخرو الرافضة: ممن تأثر بالمعتزلة أيضا في ضلالتهم في باب الأسماء والصفات متأخرو الرافضة, أما متقدميهم فكانوا يغلون في الإثبات إلى حدّ التشبيه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فهذه المقالات التي نقلت في التشبيه والتجسيم لم نر النّاس نقلوها عن طائفة من المسلمين أعظم ممّا نقلوها عن قدماء الرافضة, ثمّ الرافضة حُرِموا الصواب في هذا الباب كما حُرِموه في غيره، فقدماؤهم يقولون بالتجسيم الذي هو قول غلاة المجسِّمة، ومتأخروهم يقولون بتعطيل الصفات موافقة لغلاة المعطلة من المعتزلة ونحوهم، فأقوال أئمتهم دائرة بين التعطيل والتمثيل، لم تعرف لهم مقالة متوسطة بين هذا وهذا)[4].

وابن حزم الظاهري: وهو أيضا ممّن تأثّر أيضا بالمعتزلة في تعطيل صفات الله تعالى, وزعم أنّ أسماء الله

---

[1] () هو عبد الرحيم بن محمد بن عثمان أبو الحسن الخياط المعتزلي من أهل بغداد رأس الفرقة الخياطية من المعتزلة, وافق أصحابه في مذاهبهم, وزاد عليهم بأن قال إنّ المعدوم شيء, ويسمّى أيضا جوهرا وعرضا. انظر: تاريخ بغداد (12/373), والوافي بالوفيات (12/193).

[2] () الانتصار في الرد على ابن الراوندي ص(126-127) نقلا عن المعتزلة وأصولهم الخمسة ص(51), وانظر: الصفات الإلهية لمحمد أمان جامي ص(142).

[3] () مقالات الإسلاميين (1/108).

[4] () منهاج السنة النبوية (2/241-242).

تعالى أعلام محضة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله عن ابن حزم: (وزعم ابن حزم أن أسماء الله تعالى الحسنى لا تدل على المعاني، فلا يدل عليم على علم، ولا قدير على قدرة، بل هي أعلام محضة)[1].

ويقول ابن حزم رحمه الله: (إنّنا لا نفهم من قولنا قدير عالم - إذا أردنا بذلك الله تعالى - إلا ما نفهم من قولنا الله فقط، لأنّ كل ذلك أسماء أعلام لا مشتقة من صفة أصلا، لكن إذا قلنا: الله تعالى بكل شيء عليم، ويعلم الغيب، فإنّما يفهم من كلّ ذلك أن هاهنا له تعالى معلومات، وأنه لا يخفى عليه شيء، ولا يُفهم منه البتة أن له علما هو غيره، وهكذا نقول: في يقدر، وفي غير ذلك)[2].

أما عن منهج المعتزلة في أسماء الله تعالى وصفاته, فالمعتزلة يثبتون أسماء الله تعالى, وهو محلّ إجماع عندهم, يقول ابن المرتضى المعتزلي[3]: (فقد أجمعت المعتزلة على أنّ للعالَم محدِثاً قديماً، قادراً، عالماً، حياً لا لمعانٍ)[4].

والمعتزلة في إثباتهم لأسماء الله تعالى لم يكتفوا بما ورد في الكتاب والسنة, لذلك جوَّزوا تسمية الله تعالى بالاستحسان العقلي, وبالقياس, فهم لا يرون أن أسماء الله تعالى توقيفية, حتى سمّى بعضهم الله تعالى بـ"محبلا للنساء", لأنّ الله تعالى خلق فيهن الحبل, وغير ذلك من الأسماء تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

يقول البغدادي[5] رحمه الله: (ولا يجوز إطلاق اسم عليه

---

[1] () منهاج السنة النبوية (3/583).

[2] () الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/100).

[3] () هو أحمد بن يحيى بن المرتضى الحسني، الملقب المهدي لدين الله، من أئمة الزيدية باليمن, اعتنى بعلوم العربية وأخذ من علم الكلام, وله مصنفات كثيرة مثل: المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل, وفي المنطق القسطاس وغيرها مات سنة أربعين وثمانمائة. انظر: البدر الطالع (1/122), والأعلام (1/269).

[4] () المنية والأمل شرح الملل والنحل (ص6).

[5] () هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور البغدادي التميمي الأسفراييني، الأشعري صاحب التصانيف منها: فضائح المعتزلة,

من طريق القياس, وهـذا خلاف قـول المعتزلـة البصـرية في إجازتها إطلاق الأسماء عليه بالقياس, وقد أفرط الجبـائي في هذا الباب حتّى سمّى الله "معطيا لعبده", إذا أعطـاه مـراده, وسماه: "مُحْبِلاً للنساء", إذا خلق فيهن الحبْل)[1].

والمعتزلة في إثباتهم لأسماء الله تعالى, يثبتونها بدون ما تتضمنه من صفات, ولهم في نفيهم لتضمُّن الأسماء للصّفات مسلكان:

المسلك الأول: من جعـل الأسـماء كـالأعلام المحضـة المترادفة التي لم توضع لمسماها باعتبار معنى قائم به, فهم بذلك ينظرون إلى هذه الأسماء على أنّها أعلام محضة لا تدلّ على صفة.

و"المحضة" الخاصة الخالية من الدلالـة على شـيء آخـر، فهم يقولون: إنّ العليم والخبير والسميع ونحو ذلك أعلام للـه ليست دالّة على أوصاف، وهي بالنسبة إلى دلالتهـا على ذات واحدة هي مترادفة وذلـك مثـل تسـميتك ذاتـاً واحـدة "يزيـد, وعمرو, ومحمد, وعلي", فهذه الأسـماء مترادفـة, وهي أعلام خالصة لا تدل على صفة لهذه الذات المسمّاة بها.

والمسـلك الثـاني: من يقـول منهم إنّ كـلّ علم منهـا مستقل، فالله يسمى عليمـاً وقـديراً، وليسـت هـذه الأسـماء مترادفـة، ولكن ليس معـنى ذلـك أن هنـاك حيـاة أو قـدرة؛ ولذلك يقولون عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سـميع بلا سـمع، بصير بلا بصر[2].

4- منهج الكلابية:

قبل الشروع في الكلام عن هـذه الفرقـة, يحسـن التنبيـه إلى أنّ هذه الفرق الثلاثة التي يتناولها الباحث بالتعريف وذكر منهجهم في الأسـماء والصـفات, وهي: الكلابيـة, والأشـاعرة,

---

والملل والنحـل, مـات في إسـفرائين سـنة سـبع وعشـرين وأربـع مائة. انظر: المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسـابور (ص394), وطبقات الشافعية الكبرى (5/136).

1 () الفرق بين الفرق (ص326).

2 () انظر: التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية (1/146).

والماتريدية يُعْرَفون في كلام أهـل العلم بالصـفاتية, والسـبب الذي لأجله اشتهروا بهذه التسمية, هو لإثباتهم بعض الصـفات لله تعالى, ونفيهم للبعض الآخر, خلافا للفرقتين اللّـتين سـبق الكلام عليهما, وهما الجهمية والمعتزلة, فهمـا تنفيـان صـفات الله تعالى بالكليّة.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (ثم جـاء أبـو الحسـن الأشعري فاتّبع طريقة ابن كلاب وأمثاله, وذكر في كتبه جمـل مقالــة أهــل الســنة والحــديث, وأن ابن كلاب يــوافقهم في أكثرها وهؤلاء يسـمون: الصـفاتية؛ لأنّهم يثبتـون صـفات اللـه تعـالى خلافـا للمعتزلـة؛ لكن ابن كلاب وأتباعـه لم يثبتـوا للـه أفعالا تقوم به تتعلق بمشيئته وقدرته, بل ولا غير الأفعال مما يتعلق بمشيئته وقدرته)[1].

ويقول أيضا: (والإثبـات في الجملـة مـذهب الصـفاتية من الكلابيــة والأشـعرية والكرامية[2], وأهــل الحــديث, وجمهــور الصوفية)[3].

والكلابيــة هم أتبــاع أبي محمــد عبــد اللــه بن سـعيد بن كُلاّب[4] القطـــان، البصـــري، رأس المتكلمين بالبصـــرة في زمانــه, صــاحب التصــانيف في الــرد على المعتزلـة، وربمـا وافقهم, وكان يلقب: كلابا؛ لأنّه كـان يجـرّ الخصـم إلى نفسـه ببيانه وبلاغته؛ ولأنّه يجتذب الناس إلى معتقده إذا ناظر عليــه كما يجتـذب الكلاب الشـيءَ, وأصـحابه هم الكلابيـة، والرَّجـل أقرب المتكلمين إلى السنة، بل هو في مناظريهم.

---

1 () مجموع الفتاوى (6/520).

2 () الكرامية فرقة من فرق المبتدعـة, وهم أتبـاع محمـد بن كـرام السجستاني, خالفوا قول أهل السنة في الإيمان وقـالوا بالإرجـاء, وكانوا يطلقون لفظ الجسـم على اللـه تعـالى, مـع تحريـف بعض الصّفات التي أثبتوهـا, وقـد كـان ظهـور هـذه الفرقـة في النّصـف الأوّل من القرن الثّالث الهجري, وهم فرق شتى بلغ عددهم اثنتي عشرة فرقة. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحـل (2/206), والملل والنحل للشهرستاني (ص107)

3 () المصدر نفسه (6/51).

4 () قال ابن ماكولا: (وأما كلاّب بضم الكاف وتشديد اللام فهو عبـد الله بن سـعيد بن كلاب المتكلم). الإكمـال في رفـع الارتيـاب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب (7/136).

وقد كان باقيا قبل الأربعين ومائتين, ولابن كلاب: كتاب الصفات، وكتاب خلق الأفعال، وكتاب الرد على المعتزلة[1].

وطريقتهم أنهم يثبتون الأسماء لله تعالى, وفي إثباتهم لأسماء الله تعالى يثبتونها متضمنة للصفات, موافقين في ذلك طريقة السلف, ومخالفين للجهمية والمعتزلة.

يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله: (وهذا شرح قول عبد الله بن كلاب في الأسماء والصفات

قال عبد الله بن كلاب: لم يزل الله عالما, قادرا, حيا, سميعا, بصيرا, عزيزا, عظيما, جليلا, متكبرا, جبارا, كريما, جوادا, واحدا, صمدا, فردا, باقيا, أولا, ربا, إلها, مريدا, كارها, راضيا عمن يعلم أنّه يموت مؤمنا, وإن كان أكثر عمره كافرا, ساخطا على من يعلم أنّه يموت كافرا, وإن كان أكثر عمره مؤمنا, محبا, مبغضا, مواليا, معاديا, قائلا, متكلما, رحمانا, بعلم وقدرة وحياة وسمع وبصر وعزّة وعظمة وجلال وكبرياء وجود وكرم وبقاء وإرادة وكراهة ورضى وسخط وحب وبغض وموالاة ومعاداة وقول وكلام ورحمة, وأنّه قديم لم يزل بأسمائه وصفاته.

وكان يقول: إنّ الله عالم أنّ له علما, ومعنى أنّه قادر؛ لأنّ له قدرة, ومعنى أنّه حي أنّ له حياة, وكذلك القول في سائر أسمائه وصفاته)[2].

والكلابية أيضا يثبتون لله تعالى الصّفات الخبرية التي أخبر الله بها في الكتاب والسنة مثل: صفة اليد, والعين, والوجه, وغيرها.

قال عبد الله بن كلاب: (أطلق اليد والعين والوجه خبراً؛ لأنّ الله أطلق ذلك, ولا أطلق غيره فأقول: هي صفات لله عز وجل كما قال في: العلم والقدرة والحياة أنّها صفات)[3].

---

[1] () انظر: سير أعلام النبلاء (17/104), والوافي بالوفيات, (11/174).

[2] () مقالات الإسلاميين (1/138).

[3] () المصدر نفسه (1/173), وانظر: منهاج السنة النبوية (2/638) ومجموع الفتاوى (2/68).

ويثبتون أيضا صفة العلوّ واستواء الله تعالى على عرشــه, ويردّون على من يقول بأنّ الله تعالى في كلّ مكان, ويعدّون ذلك من الضلال[1].

إلا أنّ الكلابيـة لا يثبتـون للـه تعـالى الصـفات الفعليـة, أو الاختيارية, فهم يثبتون فقط الصّفات الذّاتية, وهذا القــول من إثبات الصّفات الذّاتية ونفي الصّفات الفعليــة عن اللـه تعـالى لم يُسبَق إليه ابن كلاب, فهو أوّل من أظهـر هـذا القـول؛ لأنّ الناس قبل ذلك كانوا صنفين, فأهل السـنة والجماعـة يثبتـون كل ما نطق به الكتاب والسنة في حق الله تعـالى سـواء في ذلــك الصــفات الذاتيــة والاختياريــة, وغــيرهم من الجهميــة والمعتزلــة ينفــون عن اللــه تعــالى الصــفات كلّهــا الذاتيــة والاختياريــة, إلى أن جــاء عبــد اللــه بن كلاب فقــال بإثبــات الصـفات الذاتيـة ونفي الصـفات الفعليـة الاختياريـة عن اللـه تعالى.

يقول شيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (وكـان النـاس قبـل أبي محمّـد بن كلاب صـنفين: فأهـل السـنة والجماعـة يثبتـون مـا يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعـال الـتي يشـاؤها ويقـدر عليها, والجهمية من المعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهـذا, فـأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعـال وغيرهـا, ووافقــه على ذلـك أبـو العباس القلانسي[2])[3].

وقـــال أيضـــا: (والكلابيـــة ومن وافقهم من الســـالمية[4] وغيرهم يقولون: تقوم به صفات بغير مشـيئته وقدرتـه, فأمّـا

---

[1] () انظر: فهم القرآن ومعانيه للحارث المحاسبي (ص146-148).

[2] () هو الوليد بن الوليد بن زيد العنسـي الدمشـقي القلانسـي، أبـو العباس, من دمشق, كان يرى القدر، وكان منكر الحـديث. انظـر: تاريخ دمشق (63/305), ميزان الاعتدال (4/350).

[3] () درء تعارض العقل والنقل (1/241).

[4] () السالمية فرقة من الفرقة الكلامية ذات النزعة الصوفية, نسبة إلى أبي عبـد اللـه محمـد بن سـالم البصـري, وقـد جمعت هـذه الطائفة بين كلام أهل السـنة وبين المعتزلـة وشـيء من الحلـول, ومن أشهر رجـالهم أبـو طـالب المكي. انظـر: الفـرق بين الفـرق (ص247), وتاريخ بغداد (3/89), وبيان تلبيس الجهمية (3/101), ودرء تعارض العقل والنقل (10/287).

ما يكون بمشيئته وقدرته: فلا يكون إلا مخلوقا منفصلا عنـه لا يقوم بذات الرّب)[1].

والسّبب الذي جعل ابن كلاب ينكر الصّفات الاختيارية عن اللـه تعـالى تسـميتهم لهـا حـوادث, وطـردا لـدليل الأعـراض وحدوث الحوادث, إذ لـو قـامت بـه هـذه الصـفات الاختياريـة التي هي في زعمهم حوادث لَزِم منه أن لا يخلو منهـا, ومـا لا يخلو من الحوادث فهو حادث, ولـذلك نفوهـا عن اللـه تعـالى متمسكين في ذلك بشبهة نفي حلول الحوادث بالله تعالى.

يقول شـيخ الإسـلام رحمـه الله: (والكلابيـة يقولـون: هـو متصف بالصفات التي ليس له عليها قدرة ولا تكون بمشيئته, فأما ما يكون بمشيئته فإنّه حادث, والـرب تعـالى لا تقـوم بـه الحـوادث, ويسـمون "الصّـفات الاختياريـة" بمسـألة "حلـول الحوادث", فإنّه إذا كلم موسى بن عمـران بمشـيئته وقدرتـه ونـاداه حين أتـاه بقدرتـه ومشـيئته كـان ذلـك النّـداء والكلام حادثا, قالوا: فلو اتّصف الرب به لقامت بـه الحـوادث, قـالوا: ولو قامت به الحوادث لم يخل منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث, قالوا: ولأنّ كونه قابلا لتلـك الصّـفة إن كـانت من لوازم ذاته, كان قابلا لها في الأزل, فيلزم جـواز وجودهـا في الأزل, والحوادث لا تكون في الأزل, فإن ذلـك يقتضـي وجـود حوادث لا أول لها)[2].

والكلابيــة يجعلــون كلام اللــه تعــالى مثــل صــفة العلم والقدرة, وغيرها من الصفات الذاتية الـتي لا تتعلـق بمشـيئته وقدرته سبحانه وتعالى.

يقول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (وهـؤلاء المثبتـة الـذين وافقوا أهل السـنة والجماعـة على أن القـرآن كلام اللـه غـير مخلوق, ووافقوا المعتزلـة على أن الكلام ليس هـو إلا مجـرد الحروف والأصوات يقولون: إنّ كلام الله القـائم بـه ليس هـو إلا مجرد الحروف والأصوات, وهـذا هـو الـذي بينتـه أيضـا في جـواب المحنـة وبينت أن هـذا لم يقلـه أحـد من السـلف, ولا قالوا أيضا: إنه معنى قائم بذاتـه, بـل كلاهمـا بدعـة وأنّ ليس

---

1 () جامع الرسائل (2/4).

2 () درء تعارض العقل والنقل (1/240).

في كلامي شيء من البدع, ثم منهم من يقول: هو مع ذلك قديم غير حادث لموافقتهم الطائفة الأولى على أن معنى قول السلف: إنّ القرآن كلام الله غير مخلوق، إنّه صفة قديمة قائمة بذاته لا يتعلق بمشيئته واختياره قط, ومنهم من لا يقول ذلك, بل يقول: هو وإن كان مجرد الحروف والأصوات وهو قائم به, فإنّه يتعلق بمشيئته واختياره, وإنّه إذا شاء تكلم بذلك وإذا شاء سكت, وإن كان لم يزل كذلك.

وظنّ الموافقون للسلف على أنّ القرآن كلام الله غير مخلوق من القائلين بأنّ الكلام ليس إلاّ معنى في النّفس, وكثير من القائلين بأنّه ليس إلا الحروف والأصوات أنّ معنى قول السلف: القرآن كلام الله غير مخلوق, أنّه صفة قديمة قائمة بذاته لا يتعلق بمشيئته واختياره وإرادته وقدرته.

وهذا اعتقدوه في جميع الأمور المضافة إلى الله أنّها: إمّا أن تكون مخلوقة منفصلة عن الله تعالى, وإمّا أن تكون قديمة غير متعلقة بمشيئته وقدرته وإرادته, ومنعوا أن يقال: إنّه يتكلّم إذا شاء, أو إنّه لم يزل متكلما إذا شاء, أو إنّه قادر على الكلام أو التكلّم, أو إنّه يستطيع أن يتكلم بشيء, أو إنّه إن شاء تكلّم وإن شاء سكت, أو إنّه يقدر على الكلام والسكوت, كما يمتنع أن يقال: إنّه يحيى إذا شاء, أو إنّه يقدر على أن يحيى وعلى أن لا يحيى, إذ الحياة صفة لازمة لذاته, يمتنع أن يكون إلا حيا قيوما سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا, فاعتقد هؤلاء في الكلام والإرادة والمحبة والبغض والرضاء والسخط والإتيان والمجيء والاستواء على العرش والفرح والضحك مثل الحياة.

وأوّل من أظهر هذا القول من الموافقين لأهل السنة في الأصول الكبار هو: عبد الله بن سعيد بن كلاب)[1].

وأيضا من البدع التي اشتهرت بها الكلابية, قولهم أنّ الخلق هو المخلوق مخالفين في ذلك جمهور أهل العلم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والجمهور على أنّ الخلق ليس هو المخلوق، هو قول أكثر العلماء من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وأحمد، وهو قول أكثر أهل الكلام....

1 () الفتاوى الكبرى (6/438).

وطائفة قالت: الخلق هو المخلوق، وهو قول كثير من المعتزلة، وقول الكلابية كالأشعري وأصحابه، ومن وافقهم)[1].

يقول الأشعري رحمه الله: (وكان يقول: إنّ أسماء الله وصفاته لذاته, لا هي الله ولا هي غيره وأنّها قائمة بالله ولا يجوز أن تقوم بالصفات صفات.

وكان يقول: إنّ وجه الله لا هو الله ولا هو غيره وهو صفة له, وكذلك يداه وعينه وبصره صفات له لا هي هو ولا غيره, وأنّ ذاته هي هو, ونفسه هي هو, وأنّه موجود لا بوجود, وشيء لا بمعنى له كان شيئاً, وكان يزعم أنّ صفات البارئ لا تتغاير, وأنّ العلم لا هو القدرة ولا غيرها, وكذلك كل صفة من صفات الذات لا هي الصفة الأخرى ولا غيرها)[2].

واشتدّ انكار السلف عليهم, وحذر منهم أئمة الإسلام, وأمروا بهجرهم, وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما الحارث المحاسبي فكان ينسب إلى قول ابن كلاب ولهذا أمر أحمد بهجره, وكان أحمد يحذر عن ابن كلاب وأتباعه)[3].

5- منهج الأشاعرة:

الأشعرية من الفرق الكلامية الواسعة الانتشار في العالم الإسلامي, وقد اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية على طريقة ابن كلاب[4].

---

1 () درء تعارض العقل والنقل (1/338-339).
2 () مقالات الإسلاميين (1/138) سيأتي الكلام على هذه الألفاظ المجلمة في الباب الثاني من الرد على الخالفين لأهل السنة والجماعة في اسم الله العزيز وصفة الله العزة.
3 () درء تعارض العقل والنقل (1/241).
4 () الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (1/86).

والأشعرية نسبة إلي أبي الحسن الأشعري, وهـو علي بن إسـماعيل بن إسـحاق أبـو الحسـن، من نسـل الصـحابي أبي موسى الاشعري: مؤسس مذهب الاشاعرة, ولد سـنة سـتين ومـائتين، وقيـل: بـل ولـد سـنة سـبعين, بـرع في معرفـة الاعتزال, ثم كرهه وتبرأ منه، وصـعد للنـاس، فتـاب إلى اللـه تعالى منـه، ثم أخـذ يـردّ على المعتزلـة، ويهتـك عـوارهم, ثم انضمّ إلى ابن كلاب وأمثاله, ثم أخذ الحديث وعقيدة السـلف عن زكريا السَّاجي[1], ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغـداد أمورا أخرى، وذلك آخر أمـره[2], ووافـق أئمّـة السـنة، إلّا في اليسـير[3], وذلـك لأنّـه (كـانت خبرتـه بـالكلام خـبرة مفصـلة وخبرته بالسنة خبرة مجملة؛ فلذلك وافق المعتزلـة في بعض أصولهم التي التزموا لأجلها خلاف السنة, واعتقـد أنـه يمكنـه الجمع بين تلـك الأصـول وبين الانتصـار للسـنة كمـا فعـل في مسألة الرؤية والكلام والصفات الخبرية وغـير ذلـك)[4], مـات ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاث مائة.[5]

ومن خلال ما سبق نلاحظ أن الأشعري مَرّ بثلاث مراحـل في حياته:

المرحلة الأولى: المرحلة الاعتزالية التي كان متصـلا فيهـا بأبي عليّ الجبائي المعتزلي.

المرحلـة الثانيـة: وهي المرحلـة الـتي تـاب فيهـا من الاعتزال, وتأثّر بابن كلاب.

المرحلـة الثالثـة: وهي المرحلـة السـنية, بسـبب تـأثره

---

[1] () هو زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن أبو يحيى الضـبّي، البصـري، الشافعي, الإمام، الثبت، الحافظ، محدث البصـرة, وعنـه أخـذ أبـو الحسـن الأشـعري مقالـة السّـلف في الصّـفات, مـات سـنة سـبع وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (14/199), ولسان الميزان (2/488).

[2] () مجموع الفتاوى (3/228).

[3] () تاريخ الإسلام (7/70).

[4] () مجموع الفتاوى (12/204-205).

[5] () انظر ترجمته في: تـاريخ بغـداد (13/260), ووفيـات الأعيـان (3/284-285), وسير أعلام النبلاء (15/87), والـوافي بالوفيـات (20/139), وطبقات الشافعية الكبرى (3/347).

بزكريا الساجي, وحنابلة بغداد, وهي آخر ما مات عليه.

والأشاعرة المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري ابتعدوا عن منهج السلف الصالح, وعن منهج أبي الحسن نفسه الذي استقر عليه آخر حياته, فالأشاعرة المتقدمون كانوا يثبتون الصفات الخبرية في الجملة كصفة الاستواء والوجه واليدين, موافقين في ذلك مذهب السلف وأئمة المسلمين بخلاف المتأخرين منهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ومعلوم أن هذا مذهب عامة السلف ومذهب أئمة الدين, بل أئمة المتكلمين يثبتون الصفات الخبرية في الجملة, وإن كان لهم فيها طرق كأبي سعيد بن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأئمة أصحابه: كأبي عبد الله بن مجاهد[1], وأبي الحسن الباهلي[2], والقاضي أبي بكر بن الباقلاني[3], وأبي إسحاق الإسفراييني[4], وأبي بكر بن

---

[1] () هو محمد بن أحمد بن محمد أبو عبد الله الطائي المتكلّم صاحب أبي الحسن الأشعري, المالكي وعليه درس القاضي أبو بكر الباقلاني الكلام، من كتبه تهدية المتبصر ومعونة المستنصر, وغيرها, مات سنة ثلاثمائة وسبعين انظر: تاريخ بغداد (2/200), وترتيب المدارك (6/196).

[2] () هو أبو الحسن الباهلي البصري, شيخ المتكلمين, تلميذ أبي الحسن الأشعري, كانت وفاته بين ثلاثمائة وواحد وستين إلى ثلاثمائة وسبعين. انظر: تاريخ الإسلام (8/344), سير أعلام النبلاء (16/304).

[3] () هو محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الأشعري اعتقادا وطريقة، صاحب التصانيف المشهورة في علم الكلام وغيره, مات سنة ثلاث وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد (3/364), وفيات الأعيان (4/269-270).

[4] () هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني, الشافعي, إمام في الفقه والأصول, والكلام, من تصانيفه الجامع في أصول الدين, والرد على الملحدين وغيرها, مات سنة ثمان عشرة وأربعمائة. انظر :تهذيب الأسماء واللغات (2/169), وطبقات الشافعية الكبرى (4/256).

فورك[1],...وأبي بكر البيهقي[2], وغير هؤلاء, فما من هؤلاء إلا من يثبت من الصفات الخبرية ما شاء الله تعالى, وعماد المذهب عنهم: إثبات كل صفة في القرآن, وأمّا الصفات التي في الحديث: فمنهم من يثبتها, ومنهم من لا يثبتها....إلا الجهمية: من المعتزلة ومن وافقهم على نفي الصفات الخبرية: من متأخري الأشعرية ونحوهم)[3].

ويقول أيضا: (وابن كلاب إمام الأشعرية أكثر مخالفة لجهم وأقرب إلى السلف من الأشعري نفسه, والأشعري أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني, والقاضي أبو بكر وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي[4] وأتباعه؛ فإن هؤلاء نفوا الصفات: كالاستواء والوجه واليدين, ثم اختلفوا هل تُتأوّل أو تُفوَّض؟ على قولين أو طريقين:

فأوّل قولي أبي المعالي هو تأويلها...

وآخر قوليه تحريم التأويل,...واستدل بإجماع السلف على أنّ التأويل ليس بسائغ ولا واجب, وأمّا الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخبرية وفي الردّ على من يتأولها, كمن يقول: استوى بمعنى استولى, وهذا مذكور في كتبه كلها كالموجز الكبير, والمقالات

---

1 () هو محمد بن الحسن بن فورك أبو بكر الأصبهاني, الأديب، المُتكلّم، الأصولي، الواعظ, كان أشعريا, رأسا في فن الكلام, مات قتلا سنة ست وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/214), وطبقات الشافعية الكبرى (1/136).

2 () هو أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي الخسروجردي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور، صاحب التصانيف منها دلائل النبوة، السنن والآثار, شعب الايمان وغيرها, مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: طبقات الفقهاء الشافعية (1/332), ووفيات الأعيان (1/75).

3 () مجموع الفتاوى (4/147).

4 () هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين, الشافعي, الأصولي المتكلم, له مصنفات كثيرة، نهاية المطلب في دراية المذهب في فقه الشافعية، والشامل في أصول الدين على مذهب الأشاعرة وغيرها, مات سنة ثمان وسبعين وأربعمائة. انظر: تاريخ الإسلام (10/424), وطبقات الشافعية الكبرى (5/165).

الصغيرة والكبيرة, والإبانة, وغير ذلك, وهكذا نقل سائر الناس عنه حتى المتأخرون كالرازي[1] والآمدي[2], ينقلون عنه إثبات الصفات الخبرية ولا يحكون عنه في ذلك قولين, فمن قال: إنّ الأشعري كان ينفيها وأنّ له في تأويلها قولين: فقد افترى عليه, ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه, فإنّ هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة)[3].

والسبب الذي جعل متأخروا الأشاعرة يبتعدون عن طريقة السلف, وترك ما عليه الأشعري نفسه في آخر حياته هو تأثرهم بالفلسفة والتجهُّم, وأن أغلب المادة العلمية للمتأخرين منهم, خاصة في باب الأسماء والصفات مأخوذة عن الفلاسفة, والجهمية, والمعتزلة, وهؤلاء مثل: أبي المعالي الجويني, والغزالي[4], والرازي, وغيرهم.

فـ(متأخرو الأشعرية لما مالوا إلى نوع التجهم، بل الفلسفة، وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابة، الذين لم يكونوا بمخالفة النقل للعقل، بل انتصبوا لإقامة أدلة عقلية توافق السمع.

ولهذا أثبت الأشعري الصفات الخبرية بالسمع، وأثبت

---

[1] () هو محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري أبو عبد الله, فخر الدين الرازي الشافعي إمام المتكلمين, من تصانيفه: مفاتيح الغيب في التفسير، ولوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات وغيرها, مات سنة ست وستمائة. انظر: وفيات الأعيان (4/284), وطبقات الشافعية الكبرى (8/81).

[2] () هو علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي أبو الحسن سيف الدين الآمدي الحنبلي ثم الشافعي الأصولي المتكلم, من مصنفاته: الإحكام في أصول الأحكام, ومختصره منتهى السول, وأبكار الأفكار وغيرها, مات سنة واحد وثلاثين وستمائة. انظر: وفيات الأعيان (3/293), وطبقات الشافعية للسبكي (8/306).

[3] () مجموع الفتاوى (12/203) بتصرّف يسير.

[4] () محمد بن محمد بن محمد, زين الدين، أبو حامد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب الذكاء المفرط إلا أنه اشتغل بالكلام وكان غاليا في التصوف, من تصانيف: الإحياء, وتهافت الفلاسفة, وغيرها, مات خمس وخمسمائة. انظر: تاريخ دمشق (55/200), وسير أعلام النبلاء (19/326-333).

بالعقل الصفات العقلية التي تعلم بالعقل والسمع، فلم يثبت بالعقل ما جعله معارضاً للسمع، بل ما جعله معاضداً له، وأثبت بالسّمع ما عجز عنه العقل.

وهؤلاء خالفوه وخالفوا أئمة أصحابة في هذا وهذا، فلم يستدلوا بالسمع في إثبات الصفات، وعارضوا مدلوله بما ادعوا من العقليات.

والذي كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهّم والاعتزال، مثل: اعتقاد صحة طريقة الأعراض وتركيب الأجسام, وإنكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها، وأمثال ذلك من المسائل التي أشكلت على من كان أعلم من الأشعري بالسنة والحديث, وأقوال السلف والأئمة)[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ومادة أبي حامد في الفلسفة من كلام ابن سينا؛ ولهذا يقال أبو حامد أمرضه الشفاء, ومن كلام أصحاب رسائل إخوان الصفا[2], ورسائل أبي حيان التوحيدي[3] ونحو ذلك, وأمّا في التصوّف وهو أجل علومه وبه نبل, فأكثر مادّته من كلام الشيخ أبي طالب[4]

---

1 () درء تعارض العقل والنقل (7/97).

2 () قال الذهبي رحمه الله عن الغزالي وعن هذه الرّسائل: (وحُبّب إليه إدمان النّظر في كتاب (رسائل إخوان الصفا) وهو داء عضال، وجرب مرد، وسمّ قتّال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف). سير أعلام النبلاء (19/336).

وكتاب "رسائل إخوان الصفا " صنّفه جماعة في دولة بني بويه ببغداد, بعد المائة الثالثة, وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة, جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنيفية, وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة, وهو أصل مذهب القرامطة الفلاسفة, وفيه من الكفر والجهل شيء كثير. انظر: مجموع الفتاوى (4/79), وبغية المرتاد (ص229).

3 () هو علي بن محمد بن العباس أبو حيان البغدادي، الضال, الملحد، الصوفي، صاحب التصانيف الأدبية والفلسفية، مثل البصائر والذخائر, بقى إلى سنة أربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/119), وميزان الاعتدال (4/518).

4 () هو محمد بن علي بن عطية، أبو طالب المكي، الزاهد الواعظ، صاحب كتاب القوت على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات, مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة. انظر:

المكي الذي يذكره في المنجيات في الصبر والشكر والرجاء والخوف والمحبة والإخلاص, فإنّ عامّته مأخوذ من كلام أبي طالب المكي,...

وأما شيخه أبو المعالي فمادته الكلامية أكثرها من كلام القاضي أبي بكر ونحوه, واستمد من كلام أبي هاشم الجبائي[1] على مختاراتٍ له, وكان قد فسّر الكلام على أبي قاسم الإسكاف[2] عن أبي إسحاق الإسفرائيني, ولكن القاضي هو عندهم أولى, ولقد خرج عن طريقة القاضي وذويه في مواضع إلى طريقة المعتزلة, وأما كلام أبي الحسن نفسه فلم يكن يستمد منه, وإنّما ينقل كلامه ممّا يحكيه عنه الناس.

والرازي مادته الكلامية من كلام أبي المعالي والشهرستاني, فإن الشهرستاني أخذه عن الأنصاري النيسابوري[3] عن أبي المعالي, وله مادة قوية من كلام أبي الحسين البصري[4], وسلك طريقته في أصول الفقه كثيرا, وهي أقرب إلى طريقة الفقهاء من طريقة الواقفة, وفي

تاريخ بغداد (4/151), وميزان الاعتدال (3/655).

[1] () هو عبد السلام ابن الأستاذ أبي علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، المعتزلي, من كتبه الجامع الكبير، وكتاب العرض، وأشياء, توفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (15/63), والوافي بالوفيات (18/263).

[2] () هو عبد الجبار بن علي بن محمد الإمام أبو القاسم المتكلم الإسفرايني الأصم، المعروف بالإسكاف، من أصحاب الأشعري, مات سنة اثنتين وخمسين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (18/117), وطبقات الشافعية للسبكي (5/99).

[3] () سلمان بن ناصر بن عمران أبو القاسم الأنصاري النيسابوري الصوفي, الفقيه, المتكلم, أحد تلاميذ الإمام أبي المعالي الجويني, وهو الذي شرح كتاب الإرشاد للجويني, مات سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. انظر: طبقات الفقهاء الشافعية (1/477), وتاريخ الإسلام (11/191).

[4] () هو محمد بن علي بن الطيب أبو الحسين البصري المتكلّم على مذهب المعتزلة, صاحب التصانيف في أصول الفقه، منها المعتمد، وتصفح الأدلة, وغيرها, مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد (4/168), ووفيات الأعيان (4/271).

الفلسفة مادته من كلام ابن سينا والشهرستاني أيضا ونحوهما, وأما التصوف فكان فيه ضعيفا كما كان ضعيفا في الفقه, ولهذا يوجد في كلام هذا وأبي حامد ونحوهما من الفلسفة ما لا يوجد في كلام أبي المعالي وذويه, ويوجد في كلام هذا وأبي المعالي وأبي حامد من مذهب النفاة المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي الحسن الأشعري وقدماء أصحابه, ويوجد في كلام أبي الحسن من النّفي الذي أخذه من المعتزلة ما لا يوجد في كلام أبي محمد بن كلاب, الذي أخذ أبو الحسن طريقه, ويوجد في كلام ابن كلاب من النّفي الذي قارب فيه المعتزلة ما لا يوجد في كلام أهل الحديث والسنة والسلف والأئمة, وإذا كان الغلط شبرا صار في الأتباع ذراعا, ثم باعا, حتى آل هذا المآل, فالسعيد من لَزِم السنّة)[1].

وحاصل ما عليه مذهب الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته:

أنّ الأشاعرة متقدّميهم, ومتأخّريهم, متفقون على نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى, فهم في ذلك تبع لابن كلاب, كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله ذلك عن أعيانهم وأئمتهم حيث قال: (فلما كان من أصل ابن كلاب ومن وافقه، كالحارث المحاسبي[2]، وأبي العباس القلانسي، وأبي الحسن الأشعري، والقضاة أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى بن الفراء[3]، وأبي جعفر السمناني[4]، وأبي الوليد

---

1 () بغية المرتاد (ص449-451).

2 () هو الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله البغدادي من أكابر الصوفية، وله تصانيف في الزهد والرد على المعتزلة وغيرهم, من كتبه: آداب النّفوس, شرح المعرفة وغيرها, مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين. انظر: تاريخ الإسلام (5/1103), ووفيات الأعيان (2/57).

3 () هو محمد بن الحسين بن محمد أبو يعلى الفراء الحنبلي, له تصانيف كثيرة، منها: الإيمان, والأحكام السلطانية, وردود على الأشعرية والكرامية وغيرهم, مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: تاريخ الإسلام (3/55), وطبقات الحنابلة (2/193).

4 () هو محمد بن أحمد بن محمد أبو جعفر القاضي السمناني, قاضي الموصل، حنفي المذهب، ويعتقد في الأصول مذهب الأشعري, مات بالموصل سنة أربع وأربعين وأربع مائة. انظر:

الباجي[1] وغيرهم من الأعيان، كأبي المعالي الجويني وأمثاله؛ وأبي الوفاء بن عقيل[2]، وأبي الحسن بن الزاغوني[3] وأمثالهما: أنّ الربّ لا يقوم به ما يكون بمشيئته وقدرته، ويعبّرون عن هذا بأنّه لا تحلّه الحوادث، ووافقوا في ذلك الجهم بن صفوان، وأتباعه من الجهمية, والمعتزلة صاروا فيما ورد في الكتاب والسنة من صفات الرب على أحد قولين:

إمّا أن يجعلوها كلها مخلوقات منفصلة عنه, فيقولون: كلام الله مخلوق بائن عنه، لا يقوم به كلام, وكذلك رضاه، وغضبه، وفرحه، ومجيئه وإتيانه، ونزوله وغير ذلك، هو مخلوق منفصل عنه، لا يتصف الرّب بشيء يقوم به عندهم.

وإذا قالوا: هذه الأمور من صفات الفعل، فمعناه: أنّها منفصلة عن الله بائنة، وهي مضافة إليه، لا أنّها صفات قائمة به.

ولهذا يقول كثير منهم: إنّ هذه آياتُ الإضافات وأحاديث الإضافات، وينكرون على من يقول: آيات الصفات, وأحاديث الصفات.

وإمّا أن يجعلوا جميع هذه المعاني قديمة أزلية،

تاريخ بغداد (2/217), وسير أعلام النبلاء (17/651).

[1] () هو سليمان بن خلف بن سعد أبو الوليد المالكي الأندلسي الباجي, فقيه متكلم صنف كتباً كثيرة منها: المنتقى, وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرها, مات سنة أربع وسبعين وأربعمائة. انظر: ترتيب المدارك (8/117), وفيات الأعيان (2/408), وسير أعلام النبلاء (18/535).

[2] () هو علي بن عقيل بن محمد المعروف بأبي الوفاء بن عقيل البغدادي، الظفري، الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف أخذ علم العقليات عن شيوخ الاعتزال فانحرف عن السنة, مات سنة ثلاث عشرة وخمس مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (19/443), والوافي بالوفيات (21/218).

[3] () هو علي بن عبيد الله بن نصر الزاغوني أبو الحسن البغدادي، الحنبلي, وهو من متكلمي الحنابلة, مؤرخ, فقيه, صاحب التصانيف منها: الإقناع, والواضح, وغيرها, مات سنة سبع وعشرين وخمس مائة. انظر: تاريخ الإسلام (11/461), وسير أعلام النبلاء (19/605), والأعلام (4/310).

ويقولون: نزوله ومجيئه، وإتيانه وفرحه، وغضبه ورضاه، ونحو ذلك: قديم أزلي، كما يقولون: إن القرآن قديم أزلي.

ثم منهم من يجعله معنى واحدًا، ومنهم من يجعله حروفا، أو حروفا وأصواتا قديمة أزلية)[1].

كما أنّهم متفقون[2] **على إثبات سبع صفات لله تعالى**, وهي: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام, بل أجمعوا عليها.

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: (وأجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم يزل بها حيا، وعلما لم يزل به عالما، وقدرة لم يزل بها قادرا، وكلاما لم يزل به متكلما، وإرادة لم يزل بها مريدا، وسمعا وبصرا لم يزل به سميعا بصير)[3].

ثم إنّ الأشاعرة اختلفوا في الصّفات الخبرية, فالمتقدّمون منهم يثبتونها في الجملة, والمتأخّرون منهم يفوّضونها, أو يؤوّلونها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (أهل الإثبات للصفات لهم فيما زاد على الثمانية ثلاثة أقوال معروفة:

أحدها: إثبات صفات أخرى كالرضى, والغضب, والوجه, واليدين, والاستواء، وهذا قول ابن كلاب والحارث المحاسبي, وأبي العباس القلانسي, والأشعري, وقدماء أصحابه كأبي عبد الله بن مجاهد, وأبي الحسن بن مهدي الطبري[4], والقاضي أبي بكر بن الطيب وأمثالهم, وهو قول أبي بكر بن فورك وقد حكى إجماع أصحابه على إثبات الصفات الخبرية كالوجه واليد, وهو قول أبي القاسم القشيري[5], وأبي بكر البيهقي،

---

1 () مجموع الفتاوى (5/411).

2 () انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (3/1049).

3 () رسالة إلى أهل الثغر (ص121).

4 () هو علي بن محمد بن مهدي أبو الحسن الطبري المتكلم الأصولي, تلميذ الشيخ أبى الحسن الأشعري, له كتاب تأويل الأحاديث المشكلات الواردات في الصفات, مات بين سنة ثلاثمائة وسبعين إلى ثلاثمائة وثمانين. انظر: تاريخ الإسلام (8/492), وطبقات الشافعية للسبكي (3/466).

5 () هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك أبو القاسم القشيري،

كما هو قول القاضي أبي يعلى, وابن عقيل, والشريف أبي علي[1], وابن الزاغوني, وأبي الحسن التميمي[2] وأهل بيته, كابنه أبي الفضل[3], ورزق الله[4], وغيرهم، كما هو قول سائر المنتسبين إلى أهل السنة والحديث, وليس للأشعري نفسه في إثبات صفة الوجه واليد والاستواء وتأويل نصوصها قولان، بل لم يختلف قوله أنه يثبتها ولا يقف فيها، بل يبطل تأويلات من ينفيها, ولكن أبو المعالي وأتباعه ينفونها، ثم لهم في التأويل والتفويض قولان:

فأوّل قولي أبي المعالي التأويل...

وآخرهما التفويض..., وذكر إجماع السلف على المنع من التأويل وأنه محرم. وأما أبو الحسن وقدماء أصحابه فهم من المثبتين لها.

وقد عدّ القاضي أبو بكر في التمهيد والإبانة له الصفات القديمة خمس عشرة صفة, ويسمّون هذه الصّفات الزائدة

الخراساني، النيسابوري، الشافعي، الصوفي، المفسر، صاحب "الرسالة القشيرية", مات سنة خمس وستين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (18/227), وطبقات الشافعية الكبرى (5/153).

[1] () هو محمد بن أحمد بن أبي موسى، الشريف أبو علي الهاشمي البغدادي, الحنبلي، وصاحب التصانيف منها كتاب الإرشاد, مات سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. انظر: تاريخ الإسلام (9/450), طبقات الحنابلة (2/182).

[2] () هو عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الحسن التميمي أحد الفقهاء الحنابلة, له تصنيف في الفرائض والأصول, مات سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة. انظر: تاريخ بغداد (12/233), وطبقات الحنابلة (2/139).

[3] () هو عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد أبو الفضل التميمي البغدادي, الفقيه, الحنبلي, مات سنة عشر وأربع مائة. انظر تاريخ بغداد (12/265), وتاريخ الإسلام (9/152), وطبقات الحنابلة (2/177).

[4] () هو رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز، الإمام أبو محمد بن أبي الفرج التميمي البغدادي, رئيس الحنابلة ببغداد, مات سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. انظر: تاريخ الإسلام (10/595), وسير أعلام النبلاء (18/609), وطبقات الحنابلة (2/250).

على الثمانية الصفات الخبرية, وكذلك غيرهم من أهل العلم والسنة مثل: محمد بن جرير الطبري, وأمثاله, وهو قول أهل السنة والحديث من السلف, وأتباعهم, وهو قول الكرامية والسالمية وغيرهم.

وهذا القول هو القول المعروف عند متكلّمة الصّفاتية لم يكن يظهر بينهم غيره حتى جاء من وافق المعتزلة على نفيها، وفارق طريقة هؤلاء, وأصل هؤلاء أنّهم يثبتون الصّفات بالسّمع والعقل بخلاف من اقتصر على الثّمانية فإنّه لم يثبت صفة إلا بالعقل)[1].

6- منهج الماتريدية:

الماتريدية: فرقة كلامية بدعيّة، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية[2].

وأبو منصور الماتريدي هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من أئمة علماء الكلام, نسبته إلى ماتريد محَلّة بسمرقند, كان يلقَّب بإمام الهدى, وُلد بها ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ مولده، بل لم يذكر من ترجم له كثيراً عن حياته، أو كيف نشأ وتعلّم، أو بمن تأثّر, من كتبه التوحيد, وأوهام المعتزلة, والردّ على القرامطة، وكتاب الجدل, وتأويلات القرآن، وشرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة, مات بسمرقند سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[3].

أما عن منهج الماتريدية في أسماء الله تعالى وصفاته, فالماتريدية يثبتون أسماء الله تعالى, ويقولون: إن الدليل عليها هو ما جاء عن رسل الله تعالى, وأن العقل لا يمنع ذلك, ولا يردّونها, كما ردّها قوم بزعمهم أنّ في إثباتها تشبيه الله بخلقه.

يقول الماتريدي: (الأصل عندنا أنّ لله أسماء ذاتية يسمّى

---

1 () درء تعارض العقل والنقل (3/380-382)

2 () الموسوعة الميسرة (1/95).

3 () انظر ترجمته في: تاج التراجم في طبقات الحنفية (ص249), والأعلام (7/19), والموسوعة الميسرة (1/95).

بها نحو قوله: الرحمن, وصفات ذاتية بهـا يوصـف نحـو: العلم بالأشياء والقدرة عليها, لكن الوصف له منا, والاسم إنمـا هـو بما يحتمله وُسْعُنا وتبلغه عبارتنا بالضرورة...

ثمّ الدليل على ما قلنـا مجيء الرّسـل والكتب السـماوية بها, ولو كان في التسمية بما جاءت به الرسـل تشـبيه لكـانوا سبب نقض التوحيد, وهم جميعا دعوا إلى عبادة الواحد, وإلى معرفة وحدانية الباري لم يجز أن يكون ذلك ممّا يحقّق العـدد ويثبت الموافقة للخلـق ولا قـوة إلا باللـه, ولكن لمـا احتملت تلـك الأسـماء خـروج المسـمّى بهـا عن المعـروفين من المسمين بها جاز مجيئهم بها مع قوله: ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ [الشورى: ١١] لينفي به شيئية الأشياء)[1].

ويقول أيضا: (ثمّ الوصف للـه بأنّـه قـادر عـالم حي كـريم جواد, والتسمية بها حق من السمع والعقـل جميعـا, فالسـمع ما جـاء بـه القـرآن وسـائر كتب اللـه, وسـمى بالـذي ذكـرت الرسل والخلائق كل منهم, إلا أنّ قومـا وجهـوا تلـك الأسـماء إلى غيره ظنا منهم أن في إثبات الاسم تشابها بينه وبين كـل مسمى, ولو كان بـه ذلـك لكـان بنفي التعطيـل ذلـك, وبنفيـه أيضا تشـابه بينـه وبين مـا لا يـدخل تحت اسـم وهـو مـا ليس كذلك, ولكن قد بينا بعد التشابه لموافقة الاسم فهـو مسـمى بما سمى به نفسه, موصوف بمـا وصـف بـه نفسـه, والعقـل يـوجب ذلـك؛ لأنّ اللـه سـبحانه إذ ثبت عنـه مختلـف الخلـق بجوهره وصفاته)[2].

وهم لا يختلفون عن متـأخّري الأشـاعرة في صـفات اللـه تعالى, فهم أيضا متفقون على إثبات سبع صفات للـه تعـالى, وهي: الحيـاة, والقـدرة, والعلم, والسـمع, والبصـر, والإرادة, والكلام, وطريقة إثباتهم لهـذه الصـفات هي العقـل لا النقـل, وزادوا على الأشاعرة بصفة واحدة وهي: صفة التكـوين الـتي ترجع إليها كل الصفات الفعليـة وداخلـة فيهـا مثـل: الـترزيق, والتخليـق, والإماتـة, والإحيـاء, وغـير ذلـك, ويـرون أن هـذه الصفات الفعلية ليست من صفات الله تعالى ولا قائمة بذاتـه

---

1 () انظر: التوحيد للماتريدي (ص93).
2 () المصدر نفسه (ص44).

تعالى؛ لأنها حادثة, والله تعالى ليس محلا لحلول الحوادث, ويرون أنها - أي صفة التكوين - صفة قديمة أزلية[1].

يقول النسفي[2]: (التكوين, والتخليق, والخلق, والإيجاد, والإحداث, والاختراع, والإبداع أسماء مترادفة يراد بها كلها معنى واحد وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود, فنخصّ لفظة التكوين بالذكر لجريان المتعارف بين أئمتنا الماضين...في استعمالها...

التكوين صفة الله تعالى أزلية قائمة بذاته كالحياة والعلم والقدرة...وهو تكوين العالم والكل جزء من أجزاءه لوقت وجوده)[3].

والصفات الخبرية مثل: صفة الوجه, واليدين, والقَدَم, والعين أوّلوها بتأويلات باطلة[4], فهم ينكرون الصفات الخبرية موافقين بذلك متأخري الأشاعرة, ويزعمون أنّ الطريق الأسلم والأحكم تجاه تلك النصوص هو: تفويض معناها, أو تأويلها تأويلا مناسبا للأدلة العقلية.

وقد ذكر التفتازاني[5] طريقة الماتريدية مع آيات الصفات, بعدما سرد عددا من آيات الصفات, ثم ذكر طريقة التعامل معها فقال: (والجواب أنّها ظنيات سمعية في

---

[1] () انظر: التمهيد لقواعد التوحيد (ص25), ورسالة الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات لشمس السلفي الأفغاني (2/480).

[2] () هو ميمون بن محمد بن محمد أبو المعين النسفي الحنفي عالم بالأصول والكلام, من كتبه: تبصرة الأدلة في الكلام، والتمهيد لقواعد التوحيد وغيرها, مات سنة ثمان وخمسمائة. انظر: تاج التراجم (2/116), والأعلام (7/341).

[3] () التمهيد لقواعد التوحيد (ص31), وانظر: شرح العقائد النسفية لسعد الدين التفتازاني, المطبع القيومي كانفور طبعة 1347ه (ص51-52).

[4] () الماتريدية (2/493-498).

[5] () هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين الشافعي, من أئمة العربية والبيان والمنطق من كتبه :تهذيب المنطق, وشرح العقائد النسفية, وحاشية الكشاف, وغيرها, مات سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة. انظر: بغية الوعاة (2/275), والأعلام (7/219).

معارضة قطعيات عقلية, فيقطع بأنّها ليست على ظاهرها, ويفوض العلم بمعانيها إلى الله تعالى مع اعتقاد حقيتها جريا على الطريق الأسلم..., أوتؤوّل تأويلات مناسبة موافقة لما عليه الأدلة العقلية على ما ذكر في كتب التفاسير وشروح الأحاديث, سلوكا للطريق الأحكم)[1].

فهذا مجمل اعتقاد الماتريدية في أسماء الله وصفاته.

---

1 () شرح المقاصد للتفتازاني نقلا عن الماتريدية للأفغاني (2/10), وانظر الماتريدية للأفغاني (10/2-12)

المطلب الثاني:
منهج أهل التّشبيه:

التّشبيه في اللغة:

الشين والباء والهاء أصل واحـد يـدل على تشـابه الشـيء وتشاكله لونا ووصفا, يقال شَبَه وشبْه وشبيه[1].

الشبه بالكسر والتحريك: "شِبْه" و "شَبَه" لغتـان بمعـنى, يقال: هذا شبهه, أي: شبيهه وبينهما "شبه" بالتحريك والجمـع "مشابه"[2], وشابهه وأشْبَهَه: ماثَلَه.

وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا.

وشبَّههُ إياه وبه تشبيها: مثله[3].

ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها له[4].

التشبيه في الاصطلاح:

التشبيه الذي يُنفى عن الله تعالى, ويُذمّ أصحابه القـائلين به عند أهل السنة والجماعة: هو أن يثبت لله تعـالى في ذاتـه أو أسـمائه أو صـفاته أو أفعالـه من الخصـائص مثـل مـا يثبت للمخلوق من تلك الخصائص, وذلك كأن يقول القائل: إن بصر اللـه تعـالى مثـل بصـر المخلـوقين, أو يـده تعـالى مثـل يـد المخلوقين, واستواءه على عرشه كاستوائهم، ونحو ذلك[5].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (التشبيه الـذي يجب نفيـه عن الرب تعالى اتِّصَافُه بشيء من خصائص المخلوقين, كمـا أن المخلوق لا يتَّصف بشيء من خصـائص الخـالق, وأن يثبت للعبد شيء يماثل فيه الرب, وأما إذا قيـل: حي وحي, وعـالم وعالم, وقادر وقادر, وقيل: لهذا قدرة ولهذا قدرة, ولهذا علم ولهذا علم: كان نفس علم الرب لم يَشْركْهُ فيه العبد, ونفس

---

1 () مقاييس اللغة (3/243).

2 () انظر: مختار الصحاح (ص161).

3 () القاموس المحيط (ص1019).

4 () تهذيب اللغة (15/72).

5 () انظر: فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص21).

علم العبد لا يتصف به الربُّ تعالى عن ذلك, وكذلك في سائر الصفات)[1].

قال الإمام أحمد رحمه الله: (المشبهة تقول: بصر كبصري ويد كيدي, ومن قال هذا فقد شبه الله تعالى بخلقه)[2].

قال ابن قدامة[3] رحمه الله: (وإنّما يحصل التشبيه والتجسيم ممن حمل صفات الله سبحانه وتعالى على صفات المخلوقين في المعنى, ونحن لا نعتقد ذلك, ولا ندين به, بل نعلم أن الله تبارك وتعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الشورى: ١١], وأن صفاته لا تشبه صفات المحدثين, وكل ما خطر بقلب أو وهم, فالله عز وجل بخلافه, لا شبيه له, ولا نظير, ولا عدل, ولا ظهير)[4].

قال ابن البنا الحنبلي[5] رحمه الله: (المشبهة والمجسمة هم الذين يجعلون صفات الله - عز وجل - مثل صفات المخلوقين,....الذين يشبهون الخالق بالمخلوق يقولون: إن لله يدا كيدي واستواء كاستوائي، والمجسمة الذين يقولون إن الله جسم مثل أجسام المخلوق) [6].

فـ(من قال له علم كعلمي، أو قوة كقوّتي، أو حب كحبّي، أو رضا كرضاي، أو يدان كيدَيّ، أو استواء كاستوائي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات، بل لا بد من إثبات بلا تمثيل،

---

1 () بيان تلبيس الجهمية (1/588).

2 () مجموع الفتاوى (6/35).

3 () هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة موفق الدين أبو محمّد المقدسي، الجماعيلي, ثمّ الدمشقي، الصالحي الحنبلي الفقيه، الزاهد الإمام، شيخ الإسلام، وأحد الأعلام، صاحب المغني, والكافي , وذو التأويل وغيرها, مات سنة عشرين وست مائة. انظر: سير اعلام النبلاء (22/166), وذيل طبقات الحنابلة (3/292).

4 () تحريم النظر في كتب الكلام (ص58/59).

5 () هو الحسن بن أحمد بن عبد الله أبو علي المعروف بابن البنا البغدادي, الحنبلي, المحدث, مات سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. انظر: طبقات الحنابلة (2/243), وسير أعلام النبلاء (18/380).

6 () المختار في أصول السنة لابن البنا الحنبلي (ص180).

وتنزيه بلا تعطيل)[1].

وممّن عرف عنهم القول بمقالة التشبيه غلاة الصوفية من أهل الحلول والاتحاد, وقدماء الرّافضة, وفرقة الشيبانية من الخوارج.

أ- غلاة الصوفية من أهل الحلول والاتحاد[2]:

يقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله وهو يحكي

---

[1] () التدمرية (ص30), ومجموع الفتاوى (3/16).

[2] () الحلول والاتحاد عقيدتان كفريتان، **أمّا الحلول فمعناه أن الله يحلّ في بعض مخلوقاته، ويتحدّ معها،** كاعتقاد النصارى حلوله في المسيح عيسى عليه السّلام، واعتقاد الصوفية حلوله في الحلاج، وفي بعض مشايخهم, وكلّ من الحلول والاتحاد على قسمين: معيّن ومطلق.
يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فإنّ كلُّ واحد من الاتحاد والحلول: إمّا معيّن في شخص, وإما مطلق, أما الاتحاد والحلول المعيّن: كقول النّصارى, والغالية في الأئمة من الرافضة, وفي المشايخ من جهّال الفقراء والصوفية, فإنّهم يقولون به في معيّن؛ إمّا بالاتحاد, كاتحاد الماء واللبن, وهو قول اليعقوبية وهم السودان ومن الحبشة والقبط؛ وإمّا بالحلول وهو قول النسطورية, وإمّا بالاتحاد من وجه دون وجه, وهو قول الملكانية, وأما الحلول المطلق, وهو أن الله تعالى بذاته حالٌّ في كل شيء, فهذا تحكيه أهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية, وكانوا يكفرونهم بذلك, وأما ما جاء به هؤلاء من الاتحاد العام, فما علمت أحدا سبقهم إليه, إلا من أنكر وجود الصانع مثل فرعون والقرامطة, وذلك أن حقيقة أمرهم, أنّهم يرون أنّ عين وجود الحقّ هو عين وجود الخلق, وأن وجود ذات الله خالق السموات والأرض هي نفس وجود المخلوقات, فلا يتصور عندهم أن يكون الله تعالى خلق غيره, ولا أنه ربّ العالمين, ولا أنّه غني وما سواه فقير...). مجموع الفتاوى (2/465).
وأما الاتحاد فمعناه: أنّ عين المخلوقات هو عين الله تعالى, وهو ما سبق تسميته في كلام شيخ الإسلام الاتحاد العام.
وقال أيضا وهو يتكلّم عن ابن عربي والتلمساني وابن سبعين وأتباعهم: (مذهبهم الذي هم عليه: أنّ الوجود واحد, ويسمّون أهل وحدة الوجود, ويدّعون التّحقيق والعرفان, وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات, فكلّ ما يتّصف به المخلوقات من حسن وقبيح ومدح وذمّ, إنمّا المتّصف به عندهم: عين الخالق,

مقالتهم: (وفي الأمّة قوم ينتحلون النُّسُك يزعمون أنّه جائز على الله سبحانه الحلولُ في الأجسام, وإذا رأوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري لعله ربنا.

ومنهم من يقول: إنّه يرَى الله سبحانه في الدنيا على قدر الأعمال, فمن كان عمله أحسن رأى معبوده أحسن)[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله معلقا على كلام الأشعري بعدما أورده بتمامه: (قلت: هذه المقالات التي حكاها الأشعري - وذكروا أعظم منها - موجودة في الناس قبل هذا الزمان, وفي هذا الزمان, منهم من يقول بحلوله في الصور الجميلة، ويقول: إنه بمشاهدة الأمرد يشاهد معبوده أو صفات معبوده أو مظاهر جماله، ومن هؤلاء من يسجد للأمرد, ثم من هؤلاء من يقول بالحلول والاتحاد العام، لكنه يتعبّد بمظاهر الجمال، لما في ذلك من اللّذة له، فيتخذ إلهه هواه، وهذا موجود في كثير من المنتسبين إلى الفقر والتصوف.

ومنهم من يقول: إنّه يرى الله مطلقا ولا يعين الصورة الجميلة, بل يقولون: إنّهم يرونه في صور مختلفة.

ومنهم من يقول: إنّ المواضع المخضرة خطا عليها، وإنّما اخضرت من وطئه عليها، وفي ذلك حكايات متعددة يطول وصفها،...

ففي الجملة هذه مقالات منكرة باتفاق علماء السنة والجماعة,...

وكثير من النُّسَّاك يظنّون أنّهم يرون الله في الدنيا بأعينهم، وسبب ذلك أنّه يحصل لأحدهم في قلبه بسبب ذكر الله تعالى وعبادته من الأنوار ما يغيب به عن حسه الظاهر، حتى يظنّ أنّ ذلك هو شيء يراه بعينه الظاهرة، وإنّما هو موجود في قلبه.

وليس للخالق عندهم وجود مباين لوجود المخلوقات منفصل عنها أصلا؛ بل عندهم ما ثمّ غيرٌ أصلا للخالق ولا سواه, ومن كلماتهم: ليس إلا الله, فعبّاد الأصنام لم يعبدوا غيره عندهم؛ لأنّه ما عندهم له غير...). مجموع الفتاوى (2/123-124).

[1] () مقالات الإسلاميين (1/225).

ومن هؤلاء من تخاطبه تلك الصورة التي يراها خطابّ الربوبية ويخاطبها أيضا بذلك، ويظنُّ أنّ ذلك كله موجود في الخارج عنه، وإنّما هو موجود في نفسه، كما يحصل للنائم إذا رأى ربّه في صورة بحسب حاله, فهذه الأمور تقع كثيرا في زماننا وقبله، ويقع الغلط منهم حيث يظنُّون أنّ ذلك موجود في الخارج.

وكثير من هؤلاء يتمثل له الشيطان، ويرى نورا, أو عرشا, أو نورا على العرش ويقول: أنا ربك, ومنهم من يقول: أنا نبيك، وهذا قد وقع لغير واحد.

ومن هؤلاء من تخاطبه الهواتف بخطاب على لسان الإلهية, أو غير ذلك، ويكون المخاطب له جنيًّا، كما قد وقع لغير واحد,....

وكثير من الجهال أهل الحال وغيرهم يقولون: إنهم يرون الله عيانا في الدنيا، وأنّه يخطوا خطوات)[1].

ومن أقوال غلاة الصوفية ما قاله ابن عربي: (إنّ الحق يتصف بجميع صفات العبد المحدثات, وإنّ المحدث يتصف بجميع صفات الرب), مع أنّه يقول: إنّهما شيء واحد إذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت)[2].

فهؤلاء الصوفية الغلاة يعدُّون من جملة (المثبتة أدخلوا في ذلك من الأمور ما نفاه الله ورسوله،...والله سبحانه منزَّهٌ عن أن يوصف بشيء من الصفات المختصة بالمخلوقين، وكل ما اختص بالمخلوق فهو صفة نقص، والله تعالى منزه عن كل نقص, ومستحق لغاية الكمال، وليس له مثل في شيء من صفات الكمال، فهو منزَّهٌ عن النقص مطلقا، ومنزه في الكمال أن يكون له مثل، كما قال تعالى: ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، فبين أنه أحد صمد، واسمه الأحد يتضمن نفي المثل، واسمه الصمد يتضمن جميع صفات الكمال)[3].

---

[1] () منهاج السنة النبوية (2/622-625).
[2] () انظر: بغية المرتاد (ص397-398).
[3] () انظر: المصدر نفسه (2/528-530).

ب- قدماء الرافضة:

فقدماء الرافضة هم الذين نقلت عنهم مقالات التشبيه, أمّا متأخِّروهم فهم على قول المعتزلة في أسماء الله تعالى وصفاته كما تقدم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وكان متكلِّمو الشيعة كهشام بن الحكم[1]، وهشام بن الجواليقي[2]، ويونس بن عبد الرحمن القُمِّي[3]، وأمثالهُم يزيدون في إثبات الصفات على مذهب أهل السنة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السنة والجماعة من أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة، وغير ذلك من مقالات أهل السنة، والحديث حتى يبتدعون في الغلو في الإثبات، والتجسيم، والتبعيض، والتمثيل ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها الناس, ولكن في أواخر المائة الثالثة دخل من دخل من الشيعة في أقوال المعتزلة كابن النوبختي[4] صاحب كتاب "الآراء والديانات" ، وأمثاله، وجاء بعد هؤلاء المفيد بن النعمان[5]،

1 () هو هشام بن الحكم الكوفي، الرافضي، رئيس الطائفة الهشامية, المشبه، له نظر، وجدل، وله كتب في الرد على المعتزلة وفي التوحيد, توفي في حدود الثلاثين والمائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (10/543), والوافي بالوفيات (27/203).

2 () هشام بن سالم رأس الفرقة الهشامية, لأنّ الفرقة الهشامية فرقتان الأولى تنسب إلى هشام بن الحكم السابق, والثانية تنسب إلى هشام بن سالم الجواليقي, وهو من الرافضة وكان مع رفضه مفرطا في التجسيم والتشبيه. انظر: الوافي بالوفيات (27/203).

3 () هو يونس بن عبد الرحمن القمي رئيس الطائفة اليونسية من الإمامية كان على مذهب القطعية في الإمامة ثم إنه أفرط في التشبيه. انظر: الوافي بالوفيات (29/183), وتوضيح المشتبه (9/264).

4 () هو الحسن بن موسى أبو محمد النوبختي, كان متكلما فيلسوفا على مذهب التشيع, له مصنفات في الكلام والفلسفة منها كتاب: الآراء والديانات, والرد على أصحاب التناسخ, وغيرها, مات سنة عشر وثلاثمائة. انظر: الوافي بالوفيات (12/175), والأعلام (2/224).

5 () هو محمد بن محمد بن النعمان البغدادي، الشيعي، ويعرف بابن المعلّم, الشيخ المفيد, عالم الرافضة, صاحب التصانيف، منها

وأتباعه؛ ولهذا تجد المصنفين في المقالات - كالأشعري - لا يذكرون عن أحد من الشيعة أنه وافق المعتزلة في توحيدهم، وعدلهم إلا عن بعض متأخريهم، وإنما يذكرون عن بعض قدمائهم التجسيم، وإثبات القدر، وغيره، وأوّل من عرف عنه في الإسلام أنّه قال: إنّ الله جسم هو هشام بن الحكم, بل قال الجاحظ[1] في كتابه "الحجج في النبوة ": ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثلُه، وأن البدوات تعرض له، وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه، وقد كان ابن الراوندي[2]، وأمثاله من المعروفين بالزندقة، والإلحاد صنفوا لهم كتبا أيضا على أصولهم)[3].

يقول ابن خزيمة[4] رحمه الله: (نزَّه الله نفسه وقدس عن صفات المخلوقين فقال: ﱡﭑ ﭒ ﭓﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﱠ [الشورى: ١١], وهو كما وصف نفسه في كتابه على لسان نبيه, لا كصفات المخلوقين من الحيوان, ولا من الموتان, كما شبَّه الجهمية معبودهم بالموتان, ولا كما شبه الغالية من الروافض معبودَهم ببني آدم, قبَّح الله هذين القولين وقائلهما)[5].

ويقول أبو الحسن الأشعري رحمه الله وهو يذكر أقوال طوائف الرافضة في التشبيه: (والفرقة الرابعة من الرافضة: الهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي, يزعمون أنّ

الإرشاد والإفصاح وغيرها, مات سنة ثلاث عشرة وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (17/344), والأعلام (7/21).

[1] () هو عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان الجاحظ البصري، أحد شيوخ المعتزلة، أخذ عن النظام, من كتبه: كتاب الحيوان وغيرها مات سنة خمس وخمسين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (14/124), وسير أعلام النبلاء (11/526).

[2] () هو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسن الراوندي, الملحد، عدوّ الدين, صاحب التصانيف في الحط على الملة, منها كتاب الزمردة، وكتاب الدامغ, وغيرها, هلك سنة ثمان وتسعين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (14/95), والوافي بالوفيات (8/151).

[3] () منهاج السنة النبوية (1/71-73).

[4] () هو محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، الشافعي, الحافظ، الحجة, له مصنفات كثيرة منها: الصحيح المشهور, وكتاب التوحيد, وغيرها, مات سنة إحدى عشر وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (14/365), وديوان الإسلام (2/240).

[5] () كتاب التوحيد (1/63).

ربهم على صورة الإنسان وينكرون أن يكون لحماً ودماً, ويقولون: هو نور ساطع يتلألأ بياضاً وأنّه ذو حواس خمس كحواس الإنسان له يد ورجل وأنف وأذن وعين وفم, وأنه يسمع بغير ما يبصر به, وكذلك سائر حواسه متغايرة عندهم.

وحكى أبو عيسى الورّاق[1] أن هشام بن سالم كان يزعم أنّ لربِّه وفرة سوداء, وأن ذلك نور أسود.

والفرقة الخامسة من الرافضة: يزعمون أن رب العالمين ضياء خالص ونور بحت, وهو كالمصباح الذي من حيث ما جئته يلقاك بأمر واحد, وليس بذي صورة ولا أعضاء ولا اختلاف في الأجزاء, وأنكروا أن يكون على صورة الإنسان أو على صورة شيء من الحيوان.

والفرقة السادسة من الرافضة: يزعمون أنّ ربهم ليس بجسم ولا بصورة ولا يشبه الأشياء ولا يتحرك ولا يسكن ولا يماس....

وهؤلاء قوم من متأخريهم فأما أوائلهم فإنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه)[2].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله معلِّقا على كلام أبي الحسن الأشعري: (وهذا الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن قدماء الشيعة من القول بالتجسيم قد اتّفق على نقله عنهم أرباب المقالات، حتى نفس الشيعة كابن النوبختي وغيره ذكر ذلك عن هؤلاء الشيعة)[3].

ويقول أيضا: (فإن الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية، بل كانوا مثبتة للصفات وغالبهم يصرح بلفظ الجسم[4] وغير ذلك، كما قد ذكر الناس مقالاتهم، كما ذكره أبو الحسن الأشعري وغيره في كتاب المقالات والجهمية لم يكونوا رافضة، بل كان الاعتزال فاشيا فيهم والمعتزلة كانوا ضدّ الرافضة وهم إلى النّصب أقرب، فإنّ الاعتزال حدث من

---

1 () هو محمد بن هارون، أبو عيسى الوراق, معتزلي, من أهل بغداد، له تصانيف، منها :المقالات في الإمامة, وكتاب المجالس, مات سنة سبع وأربعين ومائتين. انظر: تاريخ الإسلام (5/1249), والأعلام (7/128).

2 () مقالات الإسلاميين (1/46).

3 () منهاج السنة النبوية (2/220).

4 () الجسم هو: المقدار ذو الثلاثة الأبعاد التي هي الطول والعرض والعمق ونهاياته بسائط. انظر: مفاتيح العلوم لأبي عبد الله الكاتب الخوارزمي (ص226).

البصرة, والرفض حدث من الكوفيين، والتشيع كثر في الكوفة وأهل البصرة كانوا بالضد.

فلما كان بعد زمن البخاري من عهد بني بويه الديلم[1] فشا في الرافضة التجهم وأكثر أصول المعتزلة)[2].

ويقول أيضا: (والإثبات في الجملة مذهب الصفاتية من الكلابية والأشعرية والكرَّامية وأهل الحديث وجمهور الصوفية؛...لكن الزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه هو: قول الغالية من الرافضة ومن جُهَّال أهل الحديث[3], وبعض المنحرفين)[4].

---

[1] () يقال في أصل الديلم: إن باسل بن ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان خرج مغاضبا لأبيه، فوقع في أرض الديلم، فتزوج امرأة من العجم، فولدت له ديلم بن باسل, فهو أبو الديلم كلهم, وهم أفخاذ وعشائر، ومنهم ملوك بني بويه الذين حكموا في عهد الدولة العباسية, ويسمّى عصرهم بعصر بني بويه, أو البوهيين, وكان سبب ظهروهم أن الحسن بن علي بن الحسن الزيدي الأطروش دخل الديلم، وأقام نحو أربع عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام، ويدافع عنهم، فأسلم منهم خلق كثير، وتلقب بالناصر للحق، واجتمعوا عليه. انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك (1/129).

[2] () الفتاوى (6/469)

[3] () لعلّ شيخ الإسلام رحمه الله يقصد فرقة منهم تسمى الحشوية غير التي ينبِز بها أهل البدع أهل السنة, وهذه الفرقة ذكرها السكسكي رحمه الله فقال: (وأما الحشوية فهم المجسمة يقولون بأن الله تعالى الله عن قولهم على صورة شاب أمرد له شعر قطط في رجله نعل من ذهب ينزل يوم عرفة على جمل أحمر وينزل في كل ليلة جمعة....ويقولون لعنهم الله إذا لم يكن له عين ولا يد ولا أذن ولا رجل مرئيات فما نعبد بطيخة ؟, ويحتجون بأن الله تعالى في القرآن ذم ما ليس له جوارح وهي الأصنام التي كانت تعبدها الكفار فقال تعالى: ﮋ ... ﮊ [الأعراف: ١٩٥], ولعمري إن الله سميع بصير له البطش والقدرة يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد موجود الذات والصفات متصف بما وصف به نفسه من غير تمثيل ولا تكييف ﮋ ... ﮊ [الشورى: ١١]). انظر: البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان (ص38-39), واستفدت هذه الفائدة من رسالة مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها (1/344-345).

[4] () مجموع الفتاوى (6/51).

ج- فرقة الشّيبانية من الخوارج:

ومن القائلين أيضا بالتشبيه طائفة الشيبانية من الخوارج, أتباع شيبان بن سلمة الخارجي[1], الذى خرج في أيام أبى مسلم الخرساني[2] صاحب دولة بنى العباس, وأعان أبا مسلم على أعدائه في حروبه, وكان مع ذلك يقول بتشبيه الله سبحانه لخلقه, فأكفره سائر الثعالبة[3] مع أهل السنة في قوله بالتشبيه, وأكفرته الخوارج كلها في معاونته أبا مسلم[4].

ممن نسب إليه القول أيضا بمقالة التشبيه حسبما نقلته إلينا المصادر, مقاتل بن سليمان البلخي[5].

قال أبو حنيفة رحمه الله أتانا من المشرق رأيان خبيثان جهم معطِّل, ومقاتل مشبِّه[6].

وقال أيضا: أفرط جهم في النفي حتى قال: أنه ليس بشيء, وأفرط مقاتل في الاثبات حتى جعل الله تعالى مثل خلقه[7].

وقال ابن حبّان[8] رحمه الله كان يأخذ عن اليهود

---

1 () هو شيبان بن سلمة السدوسي الحروري, وإليه تنسب الشيبانية وهي فرقة من النواصب, كان يقول بتشبيه الله بخلقه، وأنه صورة ذات أعضاء, تعالى الله عن ذلك, قتل سنة ثلاثين ومائة. انظر: الوافي بالوفيات (11/11), والأعلام (3/180).

2 () عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، أبو مسلم الخراساني, الأمير، صاحب الدعوة، وهازم جيوش الدولة الأموية, القائم بالدعوة العباسية, قتله المنصور سنة سبع وثلاثين ومائة. انظر: تاريخ بغداد (11/465), ووفيات الأعيان (3/145).

3 () فرقة من فرق الخوارج أتباع ثعلبة بن مشكان وقيل بن عامر, والثعالبة تدّعي إمامته بعد عبد الكريم بن عجرد, قيل أن ثعلبة خالفه في حكم الاطفال, فلما اختلفا في ذلك كفّر بن عجرد وصار ثعلبة إماما. انظر: الفرق بين الفرق (1/42), والملل والنحل (1/70).

4 () مقالات الإسلاميين (1/92-93), والفرق بين الفرق (ص81).

5 () هو مقاتل بن سليمان بن بشر أبو الحسن البلخي, الأزدي, الخرساني كبير المفسرين, مجمع على تركه, يروي عن مجاهد, والضحاك, وعطاء, وعدّة, مات سنة نيف وخمسين ومائة. انظر: وفيات الأعيان (5/255), وسير أعلام النبلاء (7/201).

6 () تهذيب التهذيب (10/180).

7 () المصدر نفسه (10/181).

8 () هو محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي الدارمي البستي

والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم, وكان مشبها يشبه الرب سبحانه وتعالى بالمخلوقين, وكان يكذب مع ذلك في الحديث[1].

وبعض المؤلفين في الفرق برّأ مقاتلاً من هذه التُّهمة, مثل الشهرستاني حيث عدّ مقاتلاً من أئمة السّلف الذين سلكوا مذهب السّلامة في باب الأسماء والصّفات, وذكره مقرونا مع الإمام مالك رحمه الله.

قال الشهرستاني رحمه الله: (اعلم أنّ السلف من أصحاب الحديث لما رأوا توغل المعتزلة في علم الكلام, ومخالفة السنة التي عهدوها من الأئمة الراشدين, ونصرهم جماعة من أمراء بني أمية على قولهم بالقدر، وجماعة من خلفاء بني العباس على قولهم بنفي الصفات, وخلق القرآن، تحبروا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة في متشابهات آيات الكتاب الحكيم، وأخبار النبي الأمين صلى الله عليه وسلم, فأما أحمد بن حنبل, وداود بن علي الأصفهاني[2], وجماعة من أئمة السلف, فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث, مثل: مالك بن أنس، ومقاتل بن سليمان، وسلكوا طريق السلامة, فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن علم قطعاً أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات)[3].

وتوقّف شيخ الإسلام رحمه الله في نسبة التشبيه إلى مقاتل بن سليمان حيث قال: (وأمّا مقاتل فالله أعلم بحقيقة حاله, والأشعري ينقل هذه المقالات من كتب المعتزلة، وفيهم انحراف على مقاتل بن سليمان، فلعلّهم زادوا في النقل عنه، أو نقلوا عنه، أو نقلوا عن غير ثقة، وإلا فما أظنّه يصل إلى هذا الحدّ, وقد قال الشافعي: من أراد التفسير فهو

شيخ خراسان صاحب الكتب المشهورة, مثل: الأنواع والتقاسيم، والتاريخ، والضعفاء, وغيرها, مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (16/92), وطبقات الشافعية للسبكي (3/131).

[1] () تهذيب التهذيب (10/180-184).

[2] () هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر بصير بالفقه له من الكتب: الإيضاح، والإفصاح، والأصول وغيرها, مات سنة سبعين ومائتين. انظر: طبقات الفقهاء (ص92), وسير أعلام النبلاء (13/102-108).

[3] () الملل والنحل (1/103-104).

عيال على مقاتل، ومن أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة, ومقاتل بن سليمان، وإن لم يكن ممن يُحتجُّ به في الحديث - بخلاف مقاتل بن حيان[1] فإنه ثقة -, لكن لا ريب في علمه بالتفسير وغيره واطلاعه، كما أن أبا حنيفة وإن كان الناس خالفوه في أشياء وأنكروها عليه فلا يستريب أحد في فقهه وفهمه وعلمه، وقد نقلوا عنه أشياء يقصدون بها الشناعة عليه، وهي كذب عليه قطعا، مثل مسألة الخنزير البري ونحوها، وما يبعد أن يكون النقل عن مقاتل من هذا الباب)[2].

ورجّح الدكتور جابر بن إدريس علي أمير براءة مقاتل بن سليمان مما نسب إليه من القول بالتشبيه في رسالته الدكتوراه بعنوان: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها, وذكر الأدلة على ذلك[3].

---

1 () هو مقاتل بن حيّان النّبطيّ، أبو بسطام البلخي الخراز مولى بكر بن وائل ثقة روى له الجماعة سوى البخاري, مات في حدود الخمسين ومائة. انظر: الجرح والتعديل (8/353), وتهذيب الكمال (28/430), وسير أعلام النبلاء (6/340).

2 () منهاج السنة النبوية (2/618-620).

3 () انظر: مقالة التشبيه (1/323-340).

المطلب الثالث:
الإلحــاد و أنـواعـه.

الإلحاد لغة:

أصل الإلحاد في اللغة: الميل والعدول عن الشيء[1].

ويطلق على معان منها:

العدول والحيـاد يقـال: ألحـد في دين اللـه، أي: حـاد عنـه وعدل.

والظلم يقال: أَلحَد الرجل: ظلم في الحرم.

والميـل عن الشـيء, وسـمِّي اللَّحـد لحـدا؛ لأنّـه في أحـد جانبي القبر.

والـمُلْتَحَد: الملجأ, وسمِّي بذلك؛ لأنّ اللّاجئ يميل إليه[2].

الإلحاد في الاصطلاح:

الإلحاد في أسماء الله وصفاته هو العـدول بهـا وبحقائقهـا ومعانيها عن الحق الثابت لها[3].

قال ابن القيم رحمه الله: (وحقيقـة الإلحـاد فيهـا العـدول بهـا عن الصـواب فيهـا، وإدخـال مـا ليس من معانيهـا فيهـا، وإخراج حقائق معانيها عنهـا، هـذا حقيقـة الإلحـاد، ومن فعـل ذلك فقد كذب على الله)[4].

والإلحاد في أسماء الله تعالى أنواع:

أحــدها: أن يســمّي الأصــنام بهــا؛ كتســميتهم اللات من الإلهية والعزّى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها, وهـذا إلحـاد حقيقة, فإنَّهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علةً فاعلةً بالطبع، ونحـو

---

1 () النهاية (4/236).

2 () الصحاح (2/534), ومجمل اللغة (1/578).

3 () بدائع الفوائد (1/169).

4 () المدارج (1/54).

ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالى عنه ويتقدّس من النقائص, كقول أخبث اليهود: إنَّه فقير، وقولهم: إنَّه استراح بعد أن خلَق خلْقَه، وقولهم: يد الله مغلولة، وأمثال ذلك مما هو إلحادٌ في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنَّها ألفاظٌ مجردةٌ لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلاً وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإنَّ أولئك أعطوا أسمائه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحدٌ في أسمائه.

ثم الجهمية وفروخُهُم متفاوتون في هذا الإلحاد, فمنهم الغالي, والمتوسط, والمنكوب, وكلّ من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه, تعالى الله عما يقول المشبهون علوًا كبيرًا، فهذا الإلحاد في مقابله إلحاد المعطلة, فإنَّ أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها, وهؤلاء شبّهوها بصفات خلقه, فجمعهم الإلحاد وتفرّقت بهم طرقه, وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته عن ذلك كلّه, فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ووصفه به نبيه صلى الله عليه وسلم, ولم يجحدوا صفاته، ولم يشبهوها بصفات خلقه، ولم يعدلوا بها عما أنزلت عليه لفظًا ولا معنى، بل أثبتوا له الأسماء والصفات, ونفوا عنه مشابهة المخلوقات, فكان إثباتهم بريًا من التشبيه، وتنزيههم خليًا من التعطيل، لا كمن شبه حتى كأنَّه يعبد صنمًا, أو عطل حتى كأنَّه لا يعبد إلا عدمًا[1].

وقال ابن القيم رحمه الله في النونية:

---

[1] () انظر: بدائع الفوائد (1/169).

أسماؤه أوصاف مدح كلها ... مشتقة قد حملت لمعان

إيّاك والإلحاد فيها إنّه ... كفر معاذ الله من كفران

وحقيقة الإلحاد فيها الميـ ... ـل بالإشراك والتعطيل والنكران

فالملحدون إذا ثلاث طوائف ... فعليهم غضب من الرحمن

المشركون لأنّهم سمّوا بها ... أوثانهم قالوا إله ثان

هم شبهوا المخلوق بالخلاق عكـ ... ـس مشبه الخلاق بالإنسان

وكذلك أهل الاتحاد فإنهم ... إخوانهم من أقرب الإخوان

والملحد الثاني فذو التعطيل إذ ... ينفي حقائقها بلا برهان

هذا وثالثهم فنافيها ونا ... في ما تدل عليه بالبهتان

ذا جاحد الرحمن رأسا لم يقر ... بخالق أبدا ولا رحمن

هذا هو الإلحاد فاحذره لعـ ... ـل الله أن ينجيك مـن نيران

وتفوز بالزلفى لديه وجنّة المـ ... ـأوى مع الغفران والرضوان[2]

---

[2] () النونية (ص216-218).

الباب الأول:

إثبات اسم الله العزيز وصفة العزّة لله تعالى
وما يتعلق بهما من مسائل

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: إثبات اسم الله العزيز وما يتعلق به من مسائل

الفصل الثاني: إثبات صفة العزّة.

الفصل الثالث: الآثار الإيمانية للإيمان بصفة العزّة لله تعالى.

الفصل الأول:
إثبات اسم الله العزيز وما يتعلّق به من مسائل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات اسم الله العزيز

المبحث الثاني: المسائل العقدية المتعلّقة باسم الله العزيز.

المبحث الثالث: اقتران اسم الله العزيز بغيره من الأسماء الأخرى ودلالة ذلك.

المبحث الأول:
إثبات اسم الله العزيز

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان معناه في اللّغة والمعنى المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: الأدلّة على ثبوته.

المطلب الثالث: مقتضى اسم الله العزيز وأثره.

المطلب الأول:
بيان معناه في اللغة والمعنى المضاف إلى الله تعالى.

العزيز لغة:

ترجع معاني العزيز في اللغة إلى القوّة والشّدة والامتناع, وما في معناها من الغلبة والقهر.

قال ابن فارس[1] رحمه الله: العين والزاء أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على شدّة وقوّة وما ضاهاهما، من غلبة وقهر[2].

وقال الأزهري رحمه الله: (العزيز من صفات الله جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى, وقال أبو إسحاق بن السريّ[3]: العزيز في صفة الله تعالى: الممتنع، فلا يغلبه شيء, وقال غيره: هو الذي ليس كمثله شيء.

ويقال: ملك أعزّ وعزيز بمعنى واحد.

وقال الله جل وعزّ: ﴿ﮝ ﮞ﴾ [ص: ٢٣], معناه غلبني, وقرأ بعضهم وعازّني في الخطاب, أي: غالبني.

يقال عزّه يُعزُّه إذا غلبه وقهره, وأنشد في صفة جمل:

يعُزُّ على الطريق بمنكبيه كما ابترك الخليع على القداح

---

[1] () هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، المحدث ,اللغوي , كان إماماً في علوم شتى، وخصوصاً اللغة، ألف كتابه المجمل في اللغة، وحلية الفقهاء وغيرها , مات بالري في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مائة. انظر: وفيات الأعيان (1/118), وسير أعلام النبلاء (17/103-105), وإنباه الرواة (1/127).

[2] () معجم مقاييس اللغة (4/38), وانظر: اشتقاق أسماء الله الحسنى للزجاجي (ص237-239).

[3] () هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج؛ من أكابر أهل العربية، وكان حسن العقيدة, من كتبه المعاني في القرآن، وكتاب الفرق بين المؤنث والمذكر وغيرها, مات سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص184), ومعجم الأدباء (1/60).

يقول: يغلب هذا الجمل الإبل على لزوم الطريق، فشبّه حرصه على لزوم الطريق وإلحاحه على السير، بحرص هذا الخليع على الضّرب بالقداح، لعلّه أن يسترجع بعض ما ذهب من ماله, والخليع: المخلوع المقمور ماله.

وقول الله عزّ وجلّ: ﴿ﭫ ﭬ ﭭ﴾ [يس: ١٤] فمعناه: قوّيناه وشدّدناه.

وقال جلّ وعزّ: ﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ﴾ [المائدة: ٥٤] يقول: يتذللون للمؤمنين وإن كانوا أعزّة، ويتعزّزون على الكافرين إن كانوا في شرف الأحساب دونهم.

والعرب تقول: (إذا عزّ أخوك فهن), المعنى: إذا غلبك وقهرك فلم تقاومه فتواضع له؛ فأن اضطرابك عليه يزيدك ذلاّ.

ومن كلام العرب: (من عَزّ بَزّ), ومعناه: من غلب سَلب.

والعَزَاز: الأرض الصّلبة....

ومِعزازُ المرض، إذا كان شديد المرض....

والعِزُّ المطر الشديد الوابل...

وتعزّز لحم الناقة، إذا اشتد وصلُب...

والعُزّي: تأنيث الأعزّ، مثل الكبرى والأكبر, والأعزّ بمعنى العزيز، والعُزّى بمعنى العزيزة)[1].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والعرب تقول: عزّ يعَزّ بالفتح إذا قوي وصلب، وعزّ يعِزّ بالكسر إذا امتنع، وعزّ يعُزّ بالضّمّ إذا غلب، فإذا قويت الحركة قوي المعنى، والضّمّ أقوى من الكسر، والكسر أقوى من الفتح)[2].

---

1 () تهذيب اللغة (1/10)

2 () منهاج السنة النبوية (3\325), وقال ابن القيم رحمه الله: (ثم ذكر لي فصلا عظيم النفع في التناسب بين اللفظ والمعنى, ومناسبة الحركات لمعنى اللفظ, وأنّهم في الغالب يجعلون الضمة التي هي أقوى الحركات للمعنى الأقوى, والفتحة خفيفة للمعنى الخفيف, والمتوسطة للمتوسط, فيقولون: عزَّ يعَزُّ بفتح العين إذا صلب, وأرض عزاز صلبة، ويقولون: عزَّ يعِزُّ بكسرها إذا امتنع, والممتنع فوق الصلب, فقد يكون الشيء صلبا ولا يمتنع على

وقال الزجاجي[1] رحمه الله: (العزيز في كلام العرب على أربعة أوجه:

العزيز: الغالب القاهر, والعزة الغلبة, والمعازّة المغالبة, ومنه قوله تعالى: ﮋﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [ص: ٢٣], أي: غلبني في محاورة الكلام,....

والعزيز: الجليل الشريف, ومنه قولهم إذا عزّ أخوك فهن, وقولهم فلان يعتزّ بفلان: أي يتجالل به ويتشرف ويتكبر, وكذلك قوله تعالى: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [المنافقون: ٨], أي: ليخرجن الجليل الشريف منها الذليل...

والوجه الثالث: أن يكون العزيز بمعنى القويّ, يقال: عزّ فلان بعد ضعف, أي: قوي يعز عزا, وأعزّه الله بولده, أي: قوّاه بهم...

والوجه الرابع: أن يكون العزيز بمعنى الشيء القليل الوجود المنقطع النظير, يقال: عزّ الشيء عزّة فهو عزيز: غير موجود,....

وأصل هذا كله في اللّغة راجع إلى الشِّدة والامتناع لا يخرج شيء منه عن ذلك, وهو مأخوذ من قولك أرض عزاز إذا كانت صلبة لا يعلوها الماء)[2].

وأما ورود لفظ العزيز في القرآن الكريم, فـ(ذكر أهل التّفسير أنّ العزيز في القرآن على ثلاثة أوجه:

كاسره, ثم يقولون: عزَّه يعُزُّه إذا غلبه, قال الله تعالى في قصة داود: ﮋﭠ ﭡ ﮊ [ص: ٢٣], والغلبة أقوى من الامتناع, إذ قد يكون الشيء ممتنعا في نفسه, متحصنا عن عدوه, ولا يغلب غيره, فالغالب أقوى من الممتنع فأعطوه أقوى الحركات, والصلب أضعف من الممتنع فأعطوه أقوى الحركات, والصلب أضعف من الممتنع فأعطوه أضعف الحركات, والممتنع المتوسط بين المرتبتين فأعطوه حركة الوسط). جلاء الأفهام (147-148).

[1] () هو عبد الرحمن بن إسحاق أبو القاسم الزجاجي، من أفاضل أهل النحو، من كتبه كتاب الجمل المشهور في أيدي الناس، وكتاب الإيضاح وغيرها، مات بطبريّة في شهر رمضان سنة أربعين وثلاثمائة. انظر: نزهة الألباء (ص227), وإنباه الرواة (2/160).

[2] () اشتقاق أسماء الله الحسنى (ص237-239).

أحدها: القويّ الممتنع, ومنه قوله تعالى في الفتح: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ [الفتح: ١٩]، وفي المنافقين: ﮋﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [المنافقون: ٨].

والثّاني: العظيم, ومنه قوله تعالى في هـود: ﮋﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [هود: ٩١] ، وفي يوسف: ﮋﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ [يوسف: ٥١]، وفيها: ﮋﮰ ﮱﮊ [يوسف: ٧٨]، وفي النّمل: ﮋﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [النمل: ٣٤].

والثّالث: الشّديد, ومنه قوله تعالى في إبراهيم: ﮋﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [إبراهيم: ٢٠]، قوله بعزيز أي: شديد أو شاق، وفي براءة: ﮋﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮊ [التوبة: ١٢٨][1].

معناه المضاف إلى الله عز وجل:

أسـماء اللـه الدالـة على صـفاته هي: أحسـن الأسـماء وأكملهـا, فليس في الأسـماء أحسـن منهـا, ولا يقـوم غيرهـا مقامهـا, ولا يـؤدّي معناهـا, وتفسـير الاسـم منهـا بغـيره ليس تفسـيرا بمـرادف محض, بـل هـو على سـبيل التقـريب والتفهيم[2], ومـا يـذكره البـاحث من أقـوال لأهـل العلم في معـنى العزيـز في حـقّ اللـه تعـالى إنّمـا هـو أيضـا للتقـريب والتفهيم, وليس هو معناه المـرادف المحض لـه, ومن أقـوال العلماء في بيان معنى العزيز في حق الله تعالى:

ما قال الزجاجي رحمه الله: (...فهـذه أربعـة أوجـه يجـوز وصف الله بها, يقال: الله العزيز بمعنى الغالب القاهر, واللـه العزيـز, أي: هـو الجليـل العظيم, واللـه العزيـز بمعـنى: القوي....والله العزيز, أي: هو غير موجود النظير والمثل جـلّ وتعالى عن ذلك علوا كبيرا)[3].

قال أبو سليمان[4] رحمه الله: (العزيز هو المـنيع الـذي لا

---

[1] () نزهـة الأعين النـواظر في علم الوجـوه والنظـائر لابن الجـوزي (ص436).

[2] () انظر: بدائع الفوائد (1/168).

[3] () اشتقاق أسماء الله الحسنى (ص237-239).

[4] () هو أحمد بن محمد بن إبـراهيم أبـو سـليمان الخطـابي البسـتي من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب, من مشهور كتبه: غريب الحديث، ومعالم السّنن في شرح سـنن أبى داود، وغيرهـا, مات سنة ست وثمـانين وثلاثمائـة. انظـر: يتمـة الـدهر (4/383), ومعجم الأدباء (2/286), وإنباء الرواة (1/160).

يغلب، والعزّ قد يكون بمعنى الغلبة، يقال منه: عز يعـز بضـم العين من يعز وقد يكون بمعنى الشدة والقوة، يقال منه: عـز يعز بفتح العين، وقد يكون بمعنى نفاسة القدر، يقال منه: عز الشيء يعز بكسر العين، فيتأوّل معنى العزيز على هذا أنّـه لا يعادله شيء، وأنّه لا مثل له والله أعلم)[1].

وقـال الزجـاج رحمـه اللـه: (العزيـز هـو الـذي لا يعجـزه شيء)[2].

وقال الماوردي[3] رحمه اللـه: (العزيـز هـو القـاهر, وفيـه وجهان:

أحدهما: العزيز في امتناعه.

الثاني: في انتقامه)[4].

وقال البغوي رحمه الله: (العزيز، هو الغالب)[5].

وقال ابن كثير رحمـه اللـه: (العزيـز هـو: المـنيع الجنـاب، الذي لا يُغالب ولا يُمَانَع، بل قد قهر كل شيء)[6].

وقـال ابن عرفة[7] رحمـه اللـه: (العزيـز هـو الـذي ينفـذ مراده, ولا ينفُذ فيه مراد أحد)[8].

---

1. () شأن الدعاء (ص48-49), وانظر: الأسماء والصفات للـبيهقي (1\60).
2. () معاني القرآن (1/424).
3. () هو علي بن محمد بن حـبيب أبـو الحسـن البصـري، المـاوردي، الشـافعي، صـاحب التصـانيف منهـا تفسـير القـرآن سـماه النكت وتفسيره عظيم الضرر, وأدب الدنيا والدين و الأحكـام السـلطانية وغيرها, قال أبو عمرو بن الصلاح: هـو متهم بـالاعتزال, مـات في ربيع الأول سـنة خمسـين وأربـع مائـة. انظـر: سـير أعلام النبلاء (18/64/67), والأعلام (4/327).
4. () النكت والعيون للماوردي (5/514).
5. () معالم التنزيل (4/334).
6. () تفسير القرآن العظيم (6/496).
7. () هو محمـد بن محمـد بن عرفـة أبـو عبـد اللـه الـورغمي نسـبا، التونسي بلدا, صنّف مجموعا في الفقه جمع فيه أحكـام المـذهب سمّاه المبسوط, والتفسير , وغيرهـا, مـات سـنة ثلاث وثمانمائـة. انظر: البدر الطالع (2/255), والديباج المذهب (ص10).
8. () تفسير ابن عرفة (1/420).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (العزّة تتضمن القدرة والشدة والامتناع والغلبة, تقول العرب: عزّ يعَز بفتح العين إذا صلب, وعزّ يعِز بكسرها إذا امتنع, وعز يعُز بضمها إذا غلب, فهو سبحانه في نفسه قوي متين, وهو منيع لا ينال, وهو غالب لا يغلب)[1].

وذكر ابن القيّم رحمه الله أنّ لاسم الله العزيز ثلاثة معان حيث قال في النّونية:

وهو العزيز فلن يُرَامَ جنابُه	أنَّى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاَّب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعزُّ حينئذ ثلاث معان[2]

وقال السعدي رحمه الله:("العزيز- القوي- المتين- القدير":

هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة فهو تعالى كامل القوة عظيم القدرة شامل العزة: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [يونس: ٦٥].

العزيز الذي له العزة كلها عزة القوة، وعزة الغلبة وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته.

فمعاني العزَّة الثلاث كلُّها كاملة لله العظيم, عزّة القوة الدال عليها من أسمائه القوي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تنسب إليه قوة المخلوقات وإن عظمت، وعزّة الامتناع فإنه هو الغني بذاته فلا يحتاج إلى أحد، ولا يبلغ العباد ضرة فيضرونه، ولا نفعه فينفعونه, بل هو الضّار النّافع المعطي المانع، وعزّة القهر والغلبة لكل الكائنات, فهي كلها

---

[1] () مجموع الفتاوى (14/180).

[2] () النونية (121).

مقصورة لله, خاضعة لعظمته, منقادة لإرادته)[1].

قال الشيخ الغنيمان حفظه الله: (العزيز هو الذي له العزة التامة، والقوة الكاملة، فلا يعجزه شيء، القاهر لكل شيء فلا يمتنع من قوته شيء، المنيع الذي لا ينال ولا يغالَب)[2].

من خلال استعراض كلام أهل العلم رحمهم الله تعالى في معنى اسم الله العزيز في حقّ الله تعالى, يظهر أن لاسم الله العزيز أكثر من معنى, وكلُّها ترجع إلى القوة, والغلبة, والقهر, والعظمة, وأنه سبحانه لا ينال جنابه, وأنه الممتنع فلا ينال بسوء سبحانه, وأنه لا نظير له سبحانه, فتكون معاني العزيز هي:

1-القويّ المتين.

2-القادر على كل شيء, الذي لا يعجزه شيء.

3-القاهر الغالب.

4-الممتنع والمنيع الذي لا ينال جنابه.

5-الجليل الشريف العظيم القدر.

6-المنعدم النظير الذي ليس كمثله شيء.

7-الجبار المتكبر[3].

فهذه المعاني كُلُّها يدل عليها ويتضمَّنُها اسم الله العزيز.

---

1 () تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص214).

2 () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/145).

3 () يقول ابن القيم رحمه الله: (فالجبار المتكبر يجريان مجرى التفصيل لمعنى اسم العزيز, كما أن البارئ المصور تفصيل لمعنى اسم الخالق...). شفاء العليل (1/121).

المطلب الثاني:
الأدلــة على ثبـوتـه.

دلت الأدلــة من الكتــاب والســنة على ثبــوت اســم اللــه العزيز لله تعالى.

الأدلة من القرآن:

ورد اسم الله العزيز في كتاب الله تعالى ثمانيـاً وثمـانين مرَّة على أنّه اسـم للـه تعـالى[1] مقترنـا بغـيره من الأسـماء الأخرى, فذكر مقترنـا باسـم اللـه الحكيم في سـبعة وأربعين موضعًا.

منهــا بــالتعريف مرفوعــا "العزيــزُ الحكيمُ" في تســعة وعشرين موضعاً:

أوّلها في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [البقرة: ١٢٩].

وآخرها في سورة التغابن عند قوله تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [التغابن: ١٨].

وبالتنكير مرفوعاً "عزيزٌ حكيمٌ"، في ثلاثة عشر موضعاً:

أوّلها في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [البقرة: ٢٠٩].

وآخرها في سورة لقمان: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﮊ [لقمان: ٢٧].

وورد بالتنكير منصوبا "عزيزاً حكيماً" في خمسة مواضع:

أوّلها في سورة النساء: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [النساء: ٥٦].

وآخرها في سورة الفتح: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الفتح: ١٩].

وورد مقترناً باسم الله الرحيم في ثلاث عشرة موضعا:

---

[1] () ورد لفظ العزيز في القرآن في عشـرة مواضـع أخـرى ليسـت اسما لله تعالى هي:
خمسا بالتنكير وهي قوله تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [هود: ٩١].
وقوله: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ في موضعين: [إبراهيم: ٢٠], و[فاطر: ١٧].
وقوله تعالى واصفا لكتابه: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [فصلت: ٤١].
وقوله تعالى واصفا به رسوله: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [التوبة: ١٢٨].
وواحدة بالتعريف وهي قوله تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮊ [الدخان: ٤٩].
وأربعة وصفا لملك مصر في سورة يوسـف الآيـات: [٣٠, ٥١, ٧٨, ٨٨], منها قوله تعالى: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ [يوسف: ٧٨].

تسعة منها في سورة الشعراء ثمانية بلفظ: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [الشعراء: ٩:, ٦٨, ١٠٤, ١٢٢, ١٤٠, ١٥٩, ١٧٥, ١٩١], والتاسعة بلفظ: ﮋﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [الشعراء: ٢١٧], والأربع الأخر هن:

قوله تعالى: ﮋ ﮊ [الروم: ٥].

وقوله: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ [السجدة: ٦.].

وقوله: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [يس: ٥].

وقوله: ﮋﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [الدخان: ٤٢].

وورد مقترناً باسم الله العليم في ستة مواضع منها قوله تعالى: ﮋﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [الأنعام: ٩٦].

وورد مقترناً باسم الله القوي في سبعة مواضع:

في آيتين بالتعريف والرفع "القويُ العزيزُ" منها قوله تعالى: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [هود: ٦٦].

وقوله: ﮋﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [الشورى: ١٩].

وفي أربع آيات بلفظ "قوي عزيز" بالتنكير ثنتان متصلتان باللام وهما في سورة الحج منها قوله تعالى: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [الحج: ٤٠].

والأخرى هي قوله سبحانه: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [الحج: ٧٤].

وثنتين غير متصلتين باللام منها قوله تعالى: ﮋﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﮊ [الحديد: ٢٥].

وآية واحدة على النّصب "قوياً عزيزاً" وهي قوله تعالى: ﮋﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الأحزاب: ٢٥].

وورد مقترناً باسم الله الحميد في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﮋﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [إبراهيم: ١].

وورد مقترناً باسم الله الغفار في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﮋﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [ص: ٦٦].

وورد مقترناً باسم الله الغفور في موضعين منه قوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [الملك: ٢].

وورد مقترناً باسم الله الوهاب في موضع واحد هو قوله تعالى: ﮋﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [ص: ٩].

وورد مقترناً باسم الله المقتدر في موضع واحد هو قوله تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [القمر: ٤٢].

وورد في سياق عدة أسماء لله تعالى مقترنا[1] بالجبار والمتكبر في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﮋﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [الحشر: ٢٣].

---

[1] () يقول شيخ الإسلام: (ومقرونا كمفرد العزيز الجبار المتكبر...). المستدرك على مجموع الفتاوى (1/56).

واقترن بوصفه سبحانه بأنه ذو انتقام في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ [آل عمران: ٤].

وقوله: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [المائدة: ٩٥].

وقوله: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [إبراهيم: ٤٧].

وقوله: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [الزمر: ٣٧].

فورود اسم الله تعالى العزيز بهذه الكثرة في كتاب الله تعالى يدلّ على عظم هذا الاسم لله تعالى.

الأدلة من السنة النبوية على ثبوت اسم الله العزيز:

ورد اسم الله العزيز في السنة النبوية من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تضور[1] من الليل قال: "لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار"[2].

وأيضا ثبت من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ [الزمر: ٦٧], ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده ويحركها، يقْبل بها ويدْبر: " يمجّد الرب نفسه: أنا الجبّار، أنا المتكبّر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم " فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتّى قلنا: ليخرنّ به[3].

---

1. () أي يتلوّى ويضج ويتقلب ظهرا لبطن. انظر: لسان العرب (4/494).
2. () أخرجه النسائي في الكبرى, كتاب النعوت, قول الله جل ثناؤه: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [الأعراف: ١٨٠]، ذكر أسماء الله تعالى وتبارك (7/135), رقم: 7641, وفي اليوم والليلة (ص494), رقم 864, وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص683), وابن منده في التوحيد (2/156), وابن حبان في صحيحه, باب آداب النوم, ذكر ما يهلل المرء به ربه جل وعلا إذا تعار من الليل (12/340), رقم: 5530, والحاكم في المستدرك (1/742), رقم: 1980, والبيهقي في الأسماء والصفات, باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات وحدانيته عزّ اسمه (1/48) رقم:20, والحديث صححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع برقم: 4693, وفي الصحيحة برقم: (2066)
3. () أخرجه أحمد في المسند (9/304), رقم: 5414, والنسائي في الكبرى, كتاب النعوت, قول الله جل ثناؤه: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭼ [الأعراف: ١٨٠]، ذكر أسماء الله تعالى وتبارك (7/139), رقم:

الأدلة الشرعية العقلية:

من الأدلة العقلية الشرعية على ثبوت اسم الله العزيز؛ أن الله الذي جعل خلقه أعزاء هو أولى أن يتصف ويتسمى بهذا الاسم؛ لأنّ واهب الكمال أولى بالكمال.

قال ابن القيم رحمه الله: (وقال: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ [البلد: ٨ - ١٠], نبهك بهذا الدليل العقلي القاطع أنّ الذي جعلك تبصر وتتكلم وتعلم أولى أن يكون بصيرا متكلما عالما, فأيُّ دليل عقلي قطعي أقوى من هذا وأبين وأقرب إلى المعقول)[1].

ومن الأدلة الشرعية العقلية التي تدلّ على ثبوت اسم الله العزيز لله تعالى, ما أرشدنا الله إليه في عدّة آيات من كتابه, وهو أنّ هذا النِّظام البديع للشمس والقمر, ومسير هذه النجوم وهذه الأفلاك سيرا منتظما لا خلل فيه ولا زلل, كل هذا يدل على أن الفاعل لهذه الأمور عزيز قوي قادر على كل شيء, قال تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الأنعام: ٩٦], وقال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [يس: ٣٨], وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [فصلت: ١٢].

فـ(قوله: ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ في عدة مواضع من القرآن, يذكر ذلك عقيب ذكره الأجرام العلوية وما تضمنه من فلق الإصباح, وجعل الليل سكنا, وإجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه, وتزيّين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها, وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزّته وعلمه ليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله, ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية)[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: (واقتضى هذا التدبير المحكم أن وقع مقدار الليل والنّهار على أربعة وعشرين ساعة, ويأخذ كل منهما من صاحبه, ومنتهى كلّ منها إذا امتد خمسة عشر ساعة, فلو زاد مقدار النهار على ذلك إلى خمسين ساعة مثلاً, أو أكثر, لاختل نظام العالم, وفسد أكثر الحيوان والنبات, ولو نقص مقداره عن ذلك, لاختل النظام أيضاً, وتعطلت المصالح, ولو استويا دائماً لما اختلفت فصول السنة

7648, وابن حبان في صحيحة بترتيب ابن بلبان, ذكر الإخبار عن تمجيد الله جل وعلا نفسه يوم القيامة (16/322), رقم: 7327, والحديث صحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 3196.

[1] () الصواعق المرسلة (3/914).

[2] () شفاء العليل (1/323).

التي باختلافها مصالح العباد والحيوان؛ فكان في هـذا التقـدير والتدبير المحكم من الآيات والمصالح والمنافع ما يشـهد بـأن ذلك تقـدير العزيـز العليم؛ ولهـذا يـذكر سـبحانه هـذا التقـدير ويضيفه إلى عزته وعلمه كما قال تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [يس: ٣٧ - ٣٨], وقال تعالى: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [فصلت: ٩ - ١٢], وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأنعام: ٩٦], فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيهـا أن تقـدير حركـات الشمس والقمر, والأجرام العلويـة, ومـا ينشـأ عنهـا كـان من مقتضى عزَّته وعلمه, وأنه قـدَّره بهـاتين الصـفتين, وفي هـذا تكذيب لأعـداء اللـه الملاحـدة الـذين ينفـون قدرتـه واختيـاره وعلمه بالمغيَّبات)[1].

أيضا من الأدلّـة الشّـرعية العقليـة الـتي تـدلّ على ثبـوت اسم الله العزيز, ما قصّه الله علينا من إهلاكه لأعدائه ونصره لأوليائه بقوّته وعزّته, كـلّ هـذه الأفعـال تـدلّ على أنّ فاعلهـا عزيز نافذ سلطانه, وأنّه لا ينال جنابه, ولا يردّ أمره, ولا غالب له.

يقول البقاعي[2] رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [المنافقون: ٨].

(ولما كانت الدلائل على عزّة الله لا تخفى على أحد؛ لمـا تحقَّقَ من قهره للملوك وغيرهم بالموت الـذي لم يقـدر أحـد على الخلاص منــه ولا المنازعــة فيــه، ومن المنــع من أكــثر المرادات, ومن نصر الرسول وأتباعهم بإهلاك أعدائهم بأنواع الهلاك، وبأنه سبحانه مـا قـال شـيئاً إلا تم, ولا قـالت الرسـل شيئاً إلا صدَّقهم فيه)[3].

إجماع السلف:

اسم الله تعالى العزيز من الأسماء التي اتّفق السلف على إثباته من المتقدمين والمتـأخرين, فكـلّ من جمـع أسـماء اللـه

---

1 () التبيان في أقسـام القـرآن (ص181/182), وانظـر: الصـواعق المرسلة (1574/4-1575).

2 () هو إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الشافعي، برهان الدين أبو الحسن، من تصـانيفه الجـواهر والـدرر في مناسـبة الآي والسـور والنكت على شـرح العقائـد وغيرهـا, مـات سـنة خمس وثمـانين وثمانمائـة. انظـر: نظم العقيـان في أعيـان الأعيـان (ص 1/24), والأعلام (1/56).

3 () نظم الدرر (20/90).

تعالى وحاول إحصاءها, ذكر اسم الله العزيز فيها, فورد هذا الاسم في جمع كثير من العلماء لأسماء الله الحسنى، مثل جمع جعفر الصادق[1] المذكور في فتح الباري[2]، وجمع أبي زيد اللغوي[3] الذي أقرّه عليه سفيان بن عيينة المذكور أيضا في فتح الباري[4]، وأبو اسحاق الزجاج في شرح أسماء الله الحسنى[5], وابن حزم في المحلى[6], وقوام السنة الأصبهاني[7] في الحجة [8]، وابن منده[9] في التوحيد[10], والخطابي في شأن الدعاء[11]، والحليمي[12] في المنهاج[13]،

---

1. () هو جعفر بن محمد بن علي أبو عبد الله القرشي الهاشمي العلوي النبوي المدني الإمام الصادق, أحد الأعلام, مات سنة ثمان وأربعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (6/269), والوافي بالوفيات (11/98).
2. () فتح الباري (11/218).
3. () هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري صاحب النحو واللغة, البصري كان ثقة ثبتا, لكنه من أهل العدل والتشيع, مات بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (10/109), وإنباه الرواة (2/30), ووفيات الأعيان (2/379).
4. () فتح الباري (11/216).
5. () شرح أسماء الله الحسنى (ص27).
6. () المحلى (6/282).
7. () هو إسماعيل بن محمد بن الفضل أبو القاسم القرشي، التيمي، ثم الطلحي، الأصبهاني، الملقب: بقوام السنة، إمام في التفسير والحديث واللغة والأدب, له كتاب الترغيب والترهيب, وكتاب السنة, وكتاب دلائل النبوة, وغيرها, مات سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (20/80), طبقات المفسرين للسيوطي (ص37).
8. () الحجة في بيان المحجة (1/130).
9. () هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده أبو عبد الله العبدي، الأصبهاني، الحافظ، صاحب التصانيف مثل كتاب الإيمان، معرفة الصحابة وغيرها, مات سنة خمس وتسعين وثلاث مائة. انظر سير أعلام النبلاء (17/28-38), وميزان الاعتدال (3/479).
10. () التوحيد (2/178).
11. () شأن الدعاء (ص47-49).
12. () هو الحسين بن الحسن بن محمد, أبو عبد الله البخاري، الشافعي, رئيس المحدثين والمتكلمين بما وراء النهر, صاحب المصنفات, مات سنة ثلاث وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (

والـبيهقي في الأسـماء والصـفات[1]، والغـزالي في المقصـد الأسـنى[2]، وابن القيم في النونية[3]، وابن الـوزير في إيثـار الحق[4]، وابن حجر في فتح البـاري [5]، والسـعدي في تيسـير الكـريم الـرحمن، وفي فتح الـرحيم الملـك العلام[6], والشـيخ ابن عـثيمين في القواعـد المثلى[7]، والشـيخ عبـد المحسـن العباد في قطف الجـنى الـداني[8], ومحمـد الحمـود في النهج الأسمى[9]، وغير هؤلاء من العلماء, والباحثين المعاصرين[10].

ومن أقوال السلف في إثبات اسم العزيز لله تعالى:

قول ابن منده رحمه اللـه: (ومن أسـماء اللـه عـز وجـل: العزيز قال أهل التأويل: قوله: ﮋﮒ ﮓﮊ [المنـافقون: ٨], وهو ربُّ العزّة يعز من يشاء ويذل من يشاء, والله العزيز المعزُّ الـذي يملك العـزّة، وهـو من الأسـماء المعـارة لخلقه[11], قـال اللـه تعالى: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮊ [آل عمران: ٢٦])[12].

قال قوام السـنَّة الأصـبهاني رحمـه اللـه: (ومن أسـمائه: العزيز: العزَّة الكاملة لله، وقد خلق العزّة فأعز بهـا من شـاء من المدة، ثم أعقبهم الذّلـة, وأعقب الـذّليل عـزّة, فهـو كمـا

17/234), والأعلام (2/271).

13 () المنهاج في شعب الإيمان (1/195).

1 () الأسماء والصفات (1/211).

2 () المقصد الأسنى (ص89).

3 () النونية (2/16).

4 () إيثار الحق على الخلق (ص159).

5 () فتح الباري لابن حجر (11/219).

6 () تيسير الكـريم الـرحمن (ص946), وفتح الـرحيم الملـك العلام (ص25).

7 () القواعد المثلى (ص15-16).

8 () قطف الجنى الداني (ص85-92).

9 () النهج الأسنى (1/135).

10 () من هـؤلاء البـاحثين: عبـد اللـه الغصـن في كتابـه أسـماء اللـه الحسـنى (ص180), وحصـة بنت عبـد العزيـز الصـغير في كتابهـا شـرح أسـماء اللـه تعـالى الحسـنى (ص171), وسـعيد بن وهـف القحطـاني في كتابـه شـرح الأسـماء الحسـنى في ضـوء الكتـاب والسنة (ص97).

11 () أي هو من الأسـماء الـتي يجـوز أن يتسـمى بهـا المخلـوق مـع اعتقاد عدم التماثل بينه وبين اسم الله تعالى.

12 () التوحيد لابن منده (ص71).

قال: ﭽ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [آل عمران: ٢٦] بينا هو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، فيرزقه الله العقل فتراه عزيزاً منيعاً آمراً ناهياً، ثمّ تراه وضيعاً خاملاً، والله تعالى لم يزل عزيزاً ولا يزال عزيزاً لا تنقص عزّته ولا تفنى ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [الشورى: ١١])[1].

[1] () الحجة في بيان المحجة (1/130).

المطلب الثالث:
مقتضى اسم الله العزيز وأثره

من معتقد أهل السنّة والجماعة في أسماء الله تعالى, أنّهم يعتقدون أنّ أسماءه (الحسنى تقتضي آثارها وتستلزمها استلزام المقتضى الموجب لموجبه ومقتضاه, فلا بدّ من ظهور آثارها في الوجود, فإن من أسمائه الخلاق المقتضي لوجود الخلق, ومن أسمائه الرزاق المقتضي لوجود الرزق والمرزوق, وكذلك الغفار والتواب والحكيم والعفو, وكذلك الرحمن الرحيم, وكذلك الحكم العدل إلى سائر الأسماء)[1].

وظهور آثار أسماء الله تعالى ومقتضياتها وأحكامها في الخلق من مظاهر كمالها.

قال ابن القيم رحمه الله: (فإنّ لكلّ صفة من الصفات العليا حكمًا ومقتضيات وأثراً, هو مظهر كمالها, وإن كانت كاملة في نفسها, لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها, فلا يجوز تعطيله, فإن صفة القادر تستدعي مقدورا, وصفة الخالق تستدعي مخلوقا, وصفة الوهاب الرازق المعطي المانع, الضّار النّافع, المقدِّم المؤخِّر, المعزّ المذل, العفو الرؤوف تستدعي آثارها وأحكامها, فلو عطلت تلك الصفات عن المخلوق المرزوق المغفور له المرحوم المعفو عنه لم يظهر كمالها, وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها)[2].

بل لا يتم الإيمان بها حقَّ الإيمان حتى يؤمن العبد بها, وبأحكامها, وآثارها, إذ من آمن بها ولم يؤمن بآثارها وأحكامها لم يكن مؤمنا بها حقَّ الإيمان, فلا يتم الإيمان باسم من أسماء الله تعالى حتى يؤمن بالاسم وما دلّ عليه من صفة, وأيضا ما ترتب عليه من أثر وحُكم, وهذه الثلاثة هي أركان الإيمان باسم من أسماء الله تعالى.

يقول السعدي رحمه الله: (واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دل عليه الكتاب والسنة من

---

1 () الصواعق المرسلة (4/1564).

2 () شفاء العليل (ص219).

الإيمان بأسماء الله كلها، وصفاته جميعها، وبأحكام تلك الصفات, فيؤمنون - مثلا - بأنه رحمن رحيم: ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنِّعم كلُّها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى؛ فيقال عليم: ذو علم عظيم، يعلم به كل شيء، قدير: ذو قدرة يقدر على كل شيء، فإن الله قد أثبت لنفسه الأسماء الحسنى، والصفات العليا، وأحكامَ تلك الصفات، فمن أثبت شيئا منها ونفى الآخر كان مع مخالفته للنقل والعقل متناقضا مبطلا)[1].

إلا أنّ أهل العلم فرَّقوا بين أسماء الله تعالى بين ما كان متعديا من الأسماء وما كان لازما.

فإذا كان متعديا: يؤمنون بأنّها أسماء تسمّى الله بها فيدعون الله بها.

ثانياً: يؤمنون بما تضمّنه الاسم من الصفة؛ لأنّ جميع أسماء الله مشتقة، والمشتق يكون دالا على المعنى الذي اشتق منه.

ثالثاً: يؤمنون بما تضمنه الاسم من الأثر كالعليم، والرحيم، والسميع، والبصير, ومثال ذلك الرحمن فلا يتم الإيمان به حتى تؤمن بإثباته اسما من أسماء الله دالاًّ على ذاته تعالى, وعلى ما تضمنه من الصفة, وهي الرحمة, وعلى ما ترتب عليه من أثر, وهو أنَّه يرحم من يشاء.

أما إذا كان الاسم مشتقاً من مصدر لازم فإنّه لا يتعدى مسمّاه مثل: الحي, فالله تعالى من أسمائه الحي، والحي دلّ على صفة الحياة، والحياة وصف للحي نفسه لا يتعدى إلى غيره.

ومثل العظيم فهذا الاسم والعظمة هي الوصف، والعظمة وصف للعظيم نفسه لا تتعدى إلى غيره, فعلى هذا تكون الأسماء على قسمين: متعدي ولازم, والمتعدي لا يتم الإيمان به إلا بالأمور الثلاثة:

الإيمان بالاسم، ثم بالصفة ثم بالأثر.

وأما اللازم فإنه لا يتم الإيمان إلا بإثبات أمرين:

---

[1] () تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص9-10).

أحدهما: الاسم, والثاني: الصفة[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: (إنّ الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه المصدر والفعل, فيخبر به عنه فعلا ومصدرا, نحو: السميع البصير القدير يطلق عليه منه السمع والبصر والقدرة, ويخبر عنه بالأفعال من ذلك نحو: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﮊ [المجادلة: ١], ﮋ ﯹ ﯺ ﮊ [المرسلات: ٢٣], هذا إن كان الفعل متعديا, فإن كان لازما لم يخبر عنه به نحو: الحي بل يطلق عليه الاسم والمصدر دون الفعل, فلا يقال حيي)[2].

واسم الله العزيز من النوع الثاني الذي اشتُقَّ من مصدر لازم, فمن تمام الإيمان به, الإيمان باسم الله العزيز وما تضمّنه من صفه العزة, إلا أن علم العبد بعزة الله وغلبته وقدرته لها أثرٌ في نفس العبد هي من آثار الإيمان باسم الله العزيز.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إذ كل اسم فله تعبُّد مختصٌّ به، علما ومعرفة وحالا)[3].

علما ومعرفة: أي أن من علم أن الله مسمّى بهذا الاسم، وعرف ما يتضمنه من الصفة, ثم اعتقد ذلك: فهذه عبادة.

وحالا: أي إنّ لكلّ اسم من أسماء الله مدلولا خاصا, وتأثيرا معينا في القلب والسُّلوك, فإذا أدرك القلب معنى الاسم وما يتضمنه واستشعر ذلك، تجاوب مع هذه المعاني، وانعكست هذه المعرفة على تفكيره وسلوكه[4].

ومن هذه الآثار التي تنتج من معرفة اسم الله العزيز والعلم به ما قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (إذا علمنا أن الله عزيز، فإننا لا يمكن أن نفعل فعلاً نحارب الله فيه.

---

[1] () انظر: القول المفيد (2/260), وأسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها (ص14), وتعليق مختصر على كتاب لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (ص23), والكواشف الجلية للسلمان (ص317).

[2] () بدائع الفوائد (1/162).

[3] () مدارج السالكين (1/420).

[4] () انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (456).

مثلاً: الإنسان المرابي معاملته مع الله المحاربة: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [البقرة: ٢٧٩], إذا علمنا أن الله ذو عزة لا يغلب، فإنه لا يمكننا أن نقدم على محاربة الله عز وجل.

قطع الطريق محاربة: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [المائدة: ٣٣], فإذا علمنا أن قطع الطريق محاربة لله، وأنّ العزّة لله، امتنعنا عن العمل، الله هو الغالب.

ويمكن أن نقول فيها فائدة من النّاحية المسلكية أيضاً، وهي أنّ الإنسان المؤمن ينبغي له أن يكون عزيزاً في دينه، بحيث لا يذل أمام أحد من النّاس، كائناً من كان، فيكون عزيزاً على الكافرين، ذليلاً على المؤمنين [1].

وسيأتي مزيد كلام في أثر الإيمان بصفة العزة في تقرير توحيد الربوبية, وتوحيد الأسماء والصفات, وتوحيد الألوهية, وأثرها في سلوك العبد.

---

[1] () شرح العقيدة الواسطية (ص348-349).

المبحث الثاني:
المسائل العقدية المتعلقة باسم الله العزيز

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: دعاء الله عز وجل باسمه العزيز والأدلة على ذلك.

المطلب الثاني: إضافة التعبيد له.

المطلب الثالث: التوسل إلى الله تعالى به والأدلة على ذلك.

المطلب الرابع: ما جاء في تسمية الله بالأعز.

المطلب الخامس: ما جاء في تسمية الله بالمعز.

المطلب السادس: ما جاء في تسمية الله برب العزّة.

المطلب السابع: ما جاء في الأسماء المقاربة له في المعنى.

المطلب الثامن: حكم تسمية المخلوق بالعزيز.

المطلب الأول:
دعاء الله عز وجل باسمه العزيز والأدلة على ذلك.

أمر الله تبارك وتعالى في كتاب العزيز عبـاده أن يعلمـوا ويتعلموا أسماءه الحسنى في عدة آيات

فقال تعالى: ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [البقرة: ٢٦٠], وقال أيضا: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [المائدة: ٣٤], وقال أيضا: ﮋ ﮊ [محمد: ١٩], وقال أيضا: ﮋﮩ ﮊ [البقرة: ٢٦٧].

والله تعـالى مـا أمـر عبـاده بـالعلم بأسـمائه الحسـنى إلا لعبادته بها, يقول شيخ الإسلام رحمه اللـه: (ولهـذا كـان أهـل الإسلام والسنة الذين يذكرون أسماء اللـه يعرفونـه ويعبدونـه ويحبونه ويذكرونه ويظهرون ذكره)[1].

فـإن معرفـة اللـه تعـالى بأسـمائه وصـفاته (أصـل الـدين وأساس الهداية وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلـوب وحصـلته النفوس وأدركته العقول)[2].

ومن جملة عبادة الله تعالى بأسمائه الحسنى, دعاؤه بهـا سبحانه وتعالى, قال تعالى: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [الأعراف: ١٨٠], وقال تعالى: ﮋﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ [الإسراء: ١١٠], بل من تمام الإيمان وكمال التوحيد ألا يدعو العبد ربه إلا بها, والدعاء نوعان:

دعاء طلب ومسألة: وهو طلب مـا ينفـع الـداعي, وطلب كشف ما يضره, أو دفعه[3].

ودعاء ثناء وعبادة: وهـو الثنـاء على اللـه تعـالى بأسـمائه الحسنى, والتعبد لله تعالى بها, بما يقتضيه كل اسم منها.

فدعاء المسألة في أسماء الله الحسنى هو: سـؤال العبـد ربّه بأسمائه الحسنى في كلّ مطلوب بما يناسب ذلك الاسم,

---

1 () مجموع الفتاوى (6/209).

2 () المصدر نفسه (5/6).

3 () انظر: بدائع الفوائد (3/2).

وفي كلّ مقام ومسألة يتخيّر له الاسم اللائق بها, فيقول مثلا: في مقام طلب الرحمة من الله تعالى, وسؤاله الرحمة: يا رحيم ارحمني, وفي مقام طلب الرزق: يا رازق ارزقني, وغير ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ومن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها، وسرّ ارتباطها بالخلق والأمر، وبمطالب العبد وحاجاته عرف ذلك وتحققه، فإنّ كل مطلوب يسأل بالمناسب له، فتأمّل أدعية القرآن والأحاديث النبوية تجدها كذلك)[1].

وقال القرطبي رحمه الله: (قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﮊ [الأعراف: ١٨٠], أي: اطلبوا منه بأسمائه, فيطلب بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، يا حكيم احكم لي، يا رازق ارزقني، يا هادي اهدني، يا فتاح افتح لي، يا تواب تب علي هكذا, فإن دعوت باسم عامّ قلت: يا مالك ارحمني، يا عزيز احكم لي، يا لطيف ارزقني, وإن دعوت بالأعمّ الأعظم فقلت: يا الله فهو متضمّن لكلّ اسم, ولا تقول: يا رزاق اهدني؛ إلا أن تريد يا رزاق ارزقني الخير, قال ابن العربي[2]: وهكذا رتب دعاءك تكن من المخلصين)[3].

وقال ابن القيم رحمه الله: (بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة, وهذا هو: قطب السعادة, ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [الأعراف: ١٨٠], وهو مرتبتان:

---

1 () مدارج السالكين (1/447).

2 () هو محمد بن عبد الله بن أحمد أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الإشبيلي الحافظ المشهور, أخذ الأصلين عن أبي بكر الشاشي، والغزالي, من كتبه التفسير, وأحكام القرآن, وتحفة الأحوذي شرح الترمذي, وغير ذلك, مات سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. انظر: وفيات الأعيان (4/296), وطبقات المفسرين (ص105).

3 () تفسير القرطبي (7/327).

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة, فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى, وكذلك لا يسأل إلا بها, فلا يقال: يا موجود, أو يا شيء, أو يا ذات اغفر لي وارحمني, بل يسأل في كلّ مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب, فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم, ومن تأمّل أدعية الرسل ولا سيما خاتمهم وإمامهم وجدها مطابقة لهذا)[1].

فيدعو العبدُ ربّه بأسمائه الحسنى بحسب ما يليق بحاله، وأيضا يُرتِّب دعاءه بما يناسب حاجته من ضعف, أو فقر، أو طلب إعانة وغوث، أو طلب علم, أو غير ذلك من الأحوال والمطالب، فلكلّ وضع وحال ما يناسبه من الأسماء الحسنى[2].

ومن جملة الأسماء التي ورد دعاء الله بها في الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة على وجه الخصوص اسم الله تعالى العزيز, وإن كان قد دلّ عموم قوله تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [الأعراف: ١٨٠] على استحباب الدعاء بكل الأسماء الثابتة لله تعالى.

فمن الأدلّة من القرآن الكريم على دعاء الله باسمه العزيز:

ما ثبت في دعاء إبراهيم عليه السلام الذي ورد في قوله تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [البقرة: ١٢٩], وقوله: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [الممتحنة: ٥].

وفي دعاء عيسي عليه السلام: ﮋ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [المائدة: ١١٨], وفي دعاء حملة العرش للمؤمنين: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [غافر: ٨].

ومن الأدلّة الثابتة من السنة النبوية:

ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه كان إذا تقلّب من الليل دعا بهذا الدعاء لا إله إلا الله الواحد القهار، ربُّ السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار.

فقد ورد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تضور من الليل قال: "لا

---

1 () بدائع الفوائد (1/164).

2 () انظر: تفسير القرطبي (7/327).

إله إلا الله الواحد القهار، رب السـماوات والأرض ومـا بينهمـا العزيز الغفار"[1].

فيستحب للعبد أن يدعو ربّه باسمه العزيز دعـاء مسـألة, فيقول مثلا: يا عزيز أعـزّني بطاعتـك, وأيضـا مـا نسـمعه من دعـــاء المســـلمين بعضـــهم لبعض: اللهمّ أعـــزّ الإســـلام والمسلمين, وأذلّ الشرك والمشركين, ويـدعوه دعـاء عبـادة وثناء, فيثني على الله تعـالى لكونـه عزيـزا, ولاتصـافه بصـفة العزّة, ويتعبّد لله تعالى بمقتضى اسمه العزيـز ليورّثـه أنواعـا من التعبُّدات.

---

[1] () تقدم تخريجه.

المطلب الثاني:
إضـــافة التعبيد له.

أعلى ما يوصف به العبد, وأشرف ما ينسب إليـه, هـو أن يوصف بالعبودية, وينسب بأنّه عبـد للـه تعـالى؛ ولهـذا وصـف الله تعالى نبيّه محمّدا صلى الله عليه وسـلم بــ(العبوديـة في أعلى مقاماته، فقال في مقام التحدّي والدّفاع عنه: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [البقرة: ٢٣]، وقال في مقام إثبات نبوّته ورسالته إلى الخلق: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [الفرقان: ١]، وقال في مقام الإسراء والمعراج: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [الإسراء: ١]، وقال في مقام الوحي: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [النجم: ١٠])[1].

بل إنّ النَّبي صلى الله عليه وسـلم نهى عن المبالغـة في حقّـه وإطرائـه, ولم يـرض لنفسـه إلاَّ هـذا الوصـف الكـريم والشريف (كما قال صلى الله عليه وسـلم: "لا تطـروني كمـا أطـرت النّصـارى ابن مـريم, إنمـا أنـا عبـد فقولـوا عبـد اللـه ورسوله"[2], وقوله صلى الله عليه وسلم لما قيل له يا سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال: "يا أيها النّاس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينّكم الشيطان, أنا محمد عبد الله ورسـوله, مـا أحبّ أن ترفعـوني فـوق منزلـتي الـتي أنزلـني اللـه عـز وجل"[3], وإنّما كـره ذلـك صـلى اللـه عليـه وسـلم خشـية أن يستجرينهم الشيطان في المبالغة في المدح والثنـاء, فيخـرج بهم إلى حدّ الإطراء, فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى الأدب في الألفاظ, وعلّمهم كيفية الثناء عليه بأن يقولـوا: عبـد اللـه

---

[1] () القول المفيد (2/33).

[2] () أخرجه البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء ,باب قول الله: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [مريم: ١٦] (4/167), رقم: 3445.

[3] () أخرجـه أحمـد في المسـند (20/23) ,رقم 12550, والنسـائي في الكبرى, كتـاب عمـل اليـوم والليلـة, ذكـر اختلاف الأخبـار في قـول القـائـل: سـيدنا وسـيدي (9/103) رقم 10006، وفي عمـل اليوم والليلـة (ص249) , وقـال محققـو المسـند: إسـناده صـحيح على شرط مسـلم، رجالـه ثقـات رجـال الشـيخين غـير حمـاد بن سلمة، فمن رجال مسـلم, وقـال الألبـاني في الصـحيحة: إسـناده صحيح على شرط مسلم (رقم 1097).

ورسوله.

فتبيّن من هذا الحديث أنّ أشرف مقامات النّبي صلى الله عليه وسلم مقام العبوديّة والرّسالة)[1].

ولهذا كان الأولى بالمسلمين اتّباع النّبي عليه الصلاة والسلام, وأن يعبِّدوا أنفسهم لله تعالى, ومن بين تلك الأسماء الحسنى التي ينسب إليها العبد, اسم الله العزيز, فيقال: عبد العزيز, فيظفر المسلم بهذا الشّرف العظيم الذي رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه, فيكون بذلك متبعًا للنَّبي صلى الله عليه وسلم, ومخالفا لما كان عليه المشركون من تعبيد أنفسهم وأولادهم لغير الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (كان المشركون يعبِّدون أنفسهم وأولادهم لغير الله؛ فيسمّون بعضهم عبد الكعبة كما كان اسم عبد الرحمن بن عوف[2], وبعضهم عبد شمس كما كان اسم أبي هريرة واسم عبد شمس بن عبد مناف, وبعضهم عبد اللاّت, وبعضهم عبد العزّى, وبعضهم عبد مناة, وغير ذلك ممّا يضيفون فيه التّعبيد إلى غير الله من: شمس, أو وثن, أو بشر, أو غير ذلك, مما قد يشرك بالله, ونظير تسمية النّصارى عبد المسيح, فغيّر النّبي صلى الله عليه وسلم ذلك, وعبّدهم لله وحده فسمّى جماعات من أصحابه: عبد الله, وعبد الرحمن كما سمى عبد الرحمن بن عوف, ونحو هذا, وكما سمّى أبا معاوية وكان اسمه عبد العزّى فسمّاه عبد الرحمن, وكان اسم مولاه قيّوم فسمّاه عبد القيّوم)[3].

وقال أيضا: (وشريعة الإسلام الذي هو الدّين الخالص لله

---

[1] () الصواعق المرسلة الشهابية لابن سحمان (ص30).

[2] () هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشيّ الزهري, كان من المهاجرين الأولين، جمع الهجرتين جميعا: هاجر إلى أرض الحبشة، ثم قدم قبل الهجرة، وهاجر إلى المدينة، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع، وشهد بدرا والمشاهد كلها, مات سنة إحدى وثلاثين. وقيل سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن خمس وسبعين سنة بالمدينة. انظر: الاستيعاب (2/822), أسد الغابة (3/475).

[3] () مجموع الفتاوى (1/387).

وحده: تعبيد الخلق لربِّهم كما سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتغيير الأسماء الشّركية إلى الأسماء الإسلامية, والأسماء الكفرية إلى الأسماء الإيمانية, وعامة ما سمّى به النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وعبد الرحمن, كما قال تعالى: ﮋﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ [الإسراء: ١١٠], فإنّ هذين الاسمين هما أصل بقية أسماء الله تعالى, وكان شيخ الإسلام الهروي[1] قد سمّى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى, وكذلك أهل بيتنا غلب على أسمائهم التعبيد لله كعبد الله؛ وعبد الرحمن؛ وعبد الغني؛ والسلام؛ والقاهر؛ واللطيف؛ والحكيم؛ والعزيز؛ والرحيم, والمحسن؛ والأحد؛ والواحد؛ والقادر؛ والكريم؛ والملك؛ والحق, وقد ثبت في صحيح مسلم عن نافع[2] عن عبد الله بن عمر: أنّ النّبي صلى الله عليه وسلم قال: أحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرّة[3], وكان من شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معه في الحروب: يا بني عبد الرحمن يا بني عبد الله يا بني عبيد الله كما قالوا ذلك يوم بدر, وحنين, والفتح, والطائف, فكان شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن, وشعار الخزرج يا بني عبد الله, وشعار الأوس يا بني عبيد الله)[4].

قال أبو محمّد بن حزم: (اتّفقوا على استحسان الأسماء المضافة إلى الله كعبد الله وعبد الرّحمن وما أشبه ذلك)[5].

---

1 () هو عبد الله بن محمد بن علي أبو إسماعيل الأنصاري, الهروي، شيخ الإسلام، إمام في التفسير، والحديث، والوعظ، له مؤلفات كثيرة منها ذم الكلام, مات سنة واحد وثمانين وأربعمائة. انظر: سير أعلام النبلاء (18/503), والوافي بالوفيات (17/307).

2 () هو نافع أبو عبد الله مولى ابن عمر من أئمة التابعين من أهل المدينة, إمام في العلم, متفق عليه, صحيح الرواية, منهم من يقدمه على سالم بن عبد الله بن عمر, ومنهم من يقارنه به, مات بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة. انظر: الإرشاد في معرفة علماء الحديث (1/205), وتاريخ دمشق (61/442).

3 () أخرجه مسلم, كتاب الآداب, باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (3/1682) رقم 2132.

4 () مجموع الفتاوى (1/379_380).

5 () مراتب الإجماع (ص154), وانظر: تحفة المودود (ص112).

ويقول ابن القيم رحمه الله: (فأشرف صفات العبد صـفة العبودية, وأحب أسمائه إلى الله اسم العبودية)[6].

[6] () روضة المحبين (ص53).

المطلب الثالث:
التوسل إلى الله باسمه العزيز والأدلة على ذلك.

معنى التوسل لغة وشرعا:

التوسل في اللغة:

الواو والسين واللام: مما يدل على الرغبة والطلب, يقال: وسل إذا رغب, والواسل: الراغب إلى الله عز وجل، وهو في قول لبيد[1]: بلى كل ذي دين إلى الله واسل[2].

والوسيلة ما يتقرب به إلى الغير والجمع الوسيل والوسائل, والتوسيل والتوسُّل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة بالتشديد، وتوسَّل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل[3].

وأيضا الوسيلة: الوصلة والقربى، وجمعها الوسائل، قال الله: ﴿...﴾ [الإسراء: ٥٧]، ويقال: توسل فلان إلى فلان بوسيلة، أي: تسبب إليه بسبب، وتقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه[4].

التوسل شرعا: هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله, وبكل عمل يحبه الله ويرضاه[5].

والتوسل المشروع الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، وجرى عليه عمل السلف الصالح، وأجمع عليه المسلمون هو:

---

[1] () هو لبيد بن ربيعة بن عامر الشاعر أبو عقيل، قدم على النبي صلى الله عليه وسلم سنة وفد قومه فأسلم وحسن إسلامه, وصدقه النبي صلى الله عليه وسلم في بيت قاله, مات سنة إحدى وأربعين وكان من المعمرين. انظر: معرفة الصحابة (5/2421), والاستيعاب (3/1335).

[2] () مقاييس اللغة (6/110).

[3] () مختار الصحاح (ص338).

[4] () تهذيب اللغة (13/48), لسان العرب (11/724).

[5] () التوصل إلى حقيقة التوسل (ص13).

1 - التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعـالى أو صـفة من صفاته.

2 - التوسل بعمل صالح قام به الداعي.

3 - التوسل بدعاء رجل صالح[1].

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب[2] رحمه الله: (التوسل المشـروع الـذي جـاء بـه الكتـاب والسـنة هـو: التوسـل إلى اللـه سـبحانه وتعـالى بالأعمـال الصـالحات، والأسماء والصفات اللائقة بجلال رب البريـات، كقولـه تعـالى حاكيا عن عباده المؤمنين أنّهم توسّلوا إليـه بصـالح أعمـالهم: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [آل عمران: ١٩٣].

وكما ثبت في الصّحيحين من قصّة الثّلاثـة الـذين أَوَوْا إلى الغـار، فـانطبقت عليهم الصّـخرة، فتوسّـلوا إلى اللـه بصـالح أعمـالهم، الحـديث[3]، وكقولـه صـلّى اللـه عليـه وسـلّم في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن حبان في صحيحه وغيره: "أسألك بكلّ اسم هو لك سـمّيت بـه نفسـك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك".

وفي الحـديث الـذي رواه التّرمـذي وغـيره: "اللّهم إنّي أسألك بأنّ لك الحمد، لا إله إلاّ أنت، المنان، بـديع السّـماوات والأرض، يـا ذا الجلال والإكـرام، يـا حيّ يـا قيّـوم"[4]، وفي

---

[1] () انظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص29)

[2] () هو سليمان بن عبد الله، من آل الشيخ فقيه من أهل نجـد، من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لـه تيسـير العزيـز الحميـد في شرح كتاب التوحيد, وغيره, قتله إبـراهيم باشـا سـنة ثلاث وثلاثين ومـائتين وألـف. انظـر: الأعلام (3/129), ومشـاهير علمـاء نجـد وغيرهم (ص30).

[3] () أخرجه البخاري, كتاب الإجـارة, بـاب من اسـتأجر أجـيرا فـترك الأجير أجـره، فعمـل فيـه المسـتأجر فـزاد، أو من عمـل في مـال غـيره فاستفضـل (3/91), رقم: 2272, ومسـلم, كتـاب الرقـاق, بـاب قصـة أصـحاب الغـار الثلاثـة والتوسـل بصـالح الأعمـال (4/2099), رقم: 2743.

[4] () الحديث الذي أشـار إليـه المؤلـف أخرجـه أحمـد في المسـند (20/61), رقم: 12611, وأبي داود في سـننه, أبـواب قـراءة

الحديث الذي رواه الترمذي وحسّنه: "أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك" الحديث[1]، وأمثال ذلك.

فهذا كلُّه أمرٌ مشروع، لا نزاع فيه، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [المائدة: ٣٥].

وكذلك التّوسل إلى الله بدعاء النّبي صلّى الله عليه وسلّم وشفاعته في حياته، وبدعاء غيره من الأنبياء والصّالحين في حياتهم، فهذا كلّه مستحب)[2].

وأعلى أنواع التّوسّل إلى الله تعالى وأقربها إجابة, التّوسّل إليه عزّ وجلّ بذاته العليّة, وأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ لأنّه تمجيد وتقديس وثناء على الله تعالى, وهو كما أثنى على نفسه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (حتّى إنّ الصّلاة لا تنعقد إلاّ بذكر أسمائه وصفاته, فذكر أسمائه وصفاته روحها وسرّها يصحبها من أوّلها إلى آخرها؛ وإنّما أمر بإقامتها ليذكر بأسمائه وصفاته, وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته, ففتح لهم

القرآن وتحزيبه وترتيله, باب الدعاء (2/79), رقم: 1495, والنسائي في الكبرى, كتاب السهو, الدعاء بعد الذكر (2/72), رقم: 1224, والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم: 1342, أما لفظ الترمذي فهو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء، فقال: "سبحان الله العظيم"، وإذا اجتهد في الدعاء قال: "يا حي يا قيوم", أخرجه الترمذي في سننه, أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ما جاء ما يقول عند الكرب (5/373), رقم: 3436, وقال الترمذي: هذا حديث غريب, وقال الألباني: ضعيف جدا في السلسلة الضعيفة برقم 6345.

[1] () أخرجه الترمذي في الجامع, أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب في دعاء الحفظ (5/465), رقم: 3570, وقال الترمذي: (هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم), والحاكم في المستدرك, كتاب صلاة التطوع (1/461), رقم: 1190, والطبراني في المعجم الكبير (11/367), رقم: 12036, وابن السني في اليوم والليلة (ص528), رقم: 579, والحديث حكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة برقم: 3374, وضعيف الترغيب والترهيب برقم: 874.

[2] () الدرر السنية (2/161).

باب الـدّعاء رغبـا ورهبـا؛ ليـذكره الـدّاعي بأسـمائه وصـفاته, فيتوسّل إليه بها؛ ولهذا كان أفضل الـدّعاء وأجوبـه مـا توسّـل فيه الدّاعي إليه بأسمائه وصفاته, قال الله تعالى: ﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﴾ [الأعـراف: ١٨٠])[1], واسـم اللـه العزيـز من جملـة تلـك الأسماء.

الأدلّة على ذلك:

دلّت الأدلّة من كتاب الله العزيز على اسـتحباب التّوسّـل باسم الله العزيز ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﴾ [البقرة: ١٢٩].

قال ابن جرير الطّـبري رحمـه اللـه: (يعـني تعـالى ذكـره بذلك: إنّـك يـا رب أنت العزيـز القـويّ الـذي لا يعجـزه شـيء أراده، فافعل بنا وبـذريّتنا مـا سـألناه وطلبنـاه منـك, والحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلَلٌ ولا زلَـلٌ، فأعطنـا مـا ينفعنـا وينفـع ذريّتنا، ولا ينقصك ولا ينقص خزائنك)[2].

فقوله (﴿ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﴾ [البقرة: ١٢٩], أي: إنّك أنت القوي الذي لا يغْلب ولا ينال بضـيم من توكّـل عليـك، الحكيم في أفعالـك في عبادك، فلا تفعل إلاّ ما تقتضيه الحكمـة والمصـلحة، وقـد ختم إبراهيم دعواته بالثّناء على ربّه، وذكر له من الأوصاف ما يشاكل مطالبه، فوصفه بأنّه العزيز الذي لا يردّ له أمـر، وأنّـه الحكيم الذي لا معقّب لحكمه)[3].

وقال تعالى: ﴿ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﴾ [غافر: ٨].

قال الطّاهر بن عاشور[4] رحمه الله: (وجملة ﴿ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﴾

[1] () الصـواعق المرسـلة (3/911), وانظـر: مـدارج السـالكين (1/447).

[2] () جامع البيان (3/88).

[3] () تفسير المراغي (1/217).

[4] () هو محمد الطّاهر بن عاشور رئيس المفـتين المـالكيّين بتـونس وشـيخ جـامع الزّيتونـة, وهـو من أعضـاء المجمعين العربـيين في دمشـق والقـاهرة, لـه مصـنفات من أشـهرها مقاصـد الشّـريعة الإسـلامية, والتّحريـر والتّنـوير وغيرهـا, مـات سـنة ثلاث وتسـعين

[غـافر: ٨] اعتراض بين الدّعوات استقصـاء للرّغبـة في الإجابـة بداعي محبة الملائكة لأهل الصّلاح لما بين نفوسهم والنّفوس الملكيّة من التّناسـب, واقـتران هـذه الجملـة بحـرف التّأكيـد للاهتمـام بهـا, و"إنّ" في مثـل هـذا المقـام تُغـني غَنـاء فـاء السّببيّة، أي: فعزّتك وحكمتك هما اللّتان جرأتانـا على سـؤال ذلك من جلالك، فالعزّة تقتضي الاستغناء عن الانتفاع بالأشياء النّفيسـة, فلمّـا وعـد الصّـالحين الجنّـة لم يكن للـه مـا يضـنّه بذلك, فلا يصدر منه مطل، والحكمة تقتضي معاملة المحسن بالإحسان)[1].

وقال الرّازي: (ثم قالوا: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [غافر: ٨] وإنّما ذكروا في دعائهم هذين الوصفين؛ لأنّـه لـو لم يكن عزيـزا بـل كـان بحيث يغلب ويمنع لما صحّ وقوع المطلوب منـه، ولـو لم يكن حكيما لما حصل هذا المطلوب على وفق الحكمة والمصلحة)[2].

وقال تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [الممتحنة: ٥].

فقوله: ﮋ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [الممتحنة: ٥] مبنى على قوله: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [الممتحنة: ٥], فإنّ المراد لا تظهرهم علينا فيظنّوا أنّهم على الحق, فيكون سبب فتنتهم, فلا تفعل ذلـك بنـا, فـأنت القـادر على كفهم ونصرنا عليهم؛ فإنّك العزيـز الـذي لا معـارض لمـا تريده ولا مانع مما تشاؤه لما كـان المؤمنـون يعلمـون أنّ مـا يصـيبهم من مصـيبة إنّمـا هي بمـا كسـبت أيـديهم, سـألوا المغفرة من مجترحاتهم وأورد سؤالهم مورد جمل الاعـتراض فقدّم وهو قوله: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الممتحنة: ٥] فإنّ الكلام في تقدير التّقديم والتّأخير: ربّنـا لا تجعلنـا فتنـة للـذين كفـروا إنّـك أنت العزيـز الحكيم واغفـر لنـا ربنـا، فقـد قولـه: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [الممتحنة: ٥] أثناء الكلام إحرازا لآدابهم ومعتقدهم الإيماني[3].

ومن السّنّة ما ثبت من حديث عن عائشـة أنّ النّـبيّ كـان

وثلاثمائة وألف. انظر: الأعلام (6/174).

[1] () التّحرير والتّنوير (24/93).

[2] () مفاتيح الغيب (27/493).

[3] () انظر: ملاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيـل لأبي جعفـر الغرناطي (ص138).

إذا تضوّر من اللّيل قال: "لا إله إلاّ الله الواحد القهّار ربّ السّماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفّار"[1].

[1] () تقدّم تخريجه.

المطلب الرّابع:
ما جاء في تسمية الله بالأعز.

يقرر أهل العلم أنّ أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين, وما ثبت عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "إنّ لله تسعة وتسعين اسما مائة إلاّ واحدا، من أحصاها دخل الجنّة"[1] لا يدل على حصر أسماء الله تعالى في هذا العدد, (فالكلام جملة واحدة وقوله: "ومن أحصاها دخل الجنّة " صفة لا خبر مستقبل, والمعنى له أسماء متعدّدة من شأنها أنّ من أحصاها دخل الجنّة, وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها, وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك وقد أعدَّهم للجهاد, فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد, وهذا لا خلاف بين العلماء فيه)[2].

قال النّووي[3] رحمه الله: (اتّفق العلماء على أنّ هذا الحديث ليس فيه حصر لأسمائه سبحانه وتعالى, فليس معناه أنّه ليس له أسماء غير هذه التّسعة والتّسعين؛ وإنّما مقصود الحديث أنّ هذه التّسعة والتّسعين من أحصاها دخل الجنّة, فالمراد الإخبار عن دخول الجنّة بإحصائها لا الإخبار بحصر

---

1 () أخرجه البخاري, كتاب الشروط, باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم، وإذا قال: مائة إلا واحدة أو ثنتين (9/118), رقم: 7392, وفي كتاب التوحيد, باب إنّ لله مائة اسم إلا واحدا (9/118), رقم: 7392, ومسلم بزيادة: "إنّه وتر يحب الوتر", كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (4/2063), رقم: 2677.

2 () بدائع الفوائد (2/281).

3 () هو يحيى بن شرف بن مري محيي الدين، أبو زكريا النووي، الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد, صاحب المصنّفات النافعة في شتى الفنون مثل: المنهاج في شرح مسلم, ورياض الصالحين, والتقريب والتيسير, والتبيان في آداب حملة القرآن وغيرها, مات سنة ست وسبعين وستمائة. انظر: طبقات الشافعية الكبرى (8/395), وتاريخ الإسلام (15/324)

الأسماء)[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (وأيضا فقوله: "إنّ لله تسعة وتسعين" تقييده بهذا العدد بمنزلة قوله تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮊ [المدثر: ٣٠] فلمّا استقلّوهم قال: ﮋ ﯗ ﯘ   ﮊ [المدثر: ٣١], فأن لا يعلم أسماءه إلا هو أولى)[2].

وممّا يدلّ على أنّ أسماء الله تعالى ليست محصورة بعدد معين حديث النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "ما أصاب أحدا قط همّ ولا حزن، فقال: اللّهم إنّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك، أو علّمته أحدا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"...الحديث[3]

فالحديث يدلّ على أنّ لله تعالى أسماء فوق التّسعة والتّسعين استأثر بها في علم الغيب عنده, وكذلك (يدلّ على أنّ لله أسماء فوق تسعة وتسعين يحصيها بعض المؤمنين)[4].

وأيضا ممّا يدلّ على أنّ أسماء الله تعالى ليست محصورة, حديث النّبي صلى الله عليه وسلّم أنّه كان يقول: "اللّهم أعوذ برضاك من سخطك, وبمعافاتك من عقوبتك, وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[5].

فأخبر أنّه صلّى الله عليه و سلّم لا يحصى ثناء عليه, ولو أحصى جميع أسمائه لأحصى صفاته كلّها, فكان يحصي الثّناء عليه؛ لأنّ صفاته إنّما يعبّر عنها بأسمائه[6].

أمّا عن الرّوايات في تعيين هذه الأسماء عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم, (فتعيينها ليس من كلام النّبيّ صلّى الله

---

1 () شرح النووي على مسلم (17/5).
2 () مجموع الفتاوى (6/381).
3 () تقدم تخريجه (ص22).
4 () مجموع الفتاوى (6/381).
5 () تقدم تخريجه.
6 () انظر: درء تعارض العقل والنقل (3/332-333).

عليه وسلّم باتّفاق أهل المعرفة بحديثه)[1].

ولهذا اجتهد أهل العلم في إحصاء أسماء الله تعالى, ومن الأسـماء الـتي ذكرهـا بعض أهـل العلم زيـادة عن التّسـعة والتّسعين, والتي لم يَرِدْ ذكرها في القرآن الكريم, اسم اللـه تعالى "الأعزّ", واسـم اللـه الأعـزّ ورد في دعـاء السّـعي بين الصّفا والمـروة "ربّ اغفـر وارحم, إنّـك أنت الأعـزّ الأكـرم " عن جمع من السّلف[2]منهم:

عبد الله بن مسعود فقد ثبت أنّه كان إذا سـعى في بطن الوادي قال: "ربّ اغفر وارحم إنّك أنت الأعزّ الأكرم"[3].

وعمـر رضـي اللـه عنـه كـان إذا مـرّ بـالوادي بين الصّـفا

---

1 () مجموع الفتاوى (6/382).

2 () مناسك الحج والعمرة للألباني (ص28).

3 () أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف, كتاب الحج, ما يقول الرجل في المسعى (4/68), رقم: 15565, والطبراني في الدعاء, بـاب القـول في السـعي بين الصـفا والمـروة (ص272), رقم: 870, والـبيهقي في السـنن الكـبرى, جمـاع أبـواب دخـول مكـة, بـاب الخـروج إلى الصـفا والمـروة, والسـعي بينهمـا, والـذكر عليهمـا (5/145), والأثـر صـحيح قـال الألبـاني رحمـه اللـه: (رواه ابن أبي شـيبة عن ابن مسـعود وابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا بإسـنادين صحيحين, أما المرفوع منه فهـو ضـعيف). مناسـك الحج والعمـرة (ص 28).
كما رواه الطبراني في المعجم (3/147), وفي الـدعاء (ص271) عن ابن مسعود، أنّ النّبي صلّى اللـه عليـه وسـلّم كـان إذا سـعى في بطن المسيل قال: "اللّهم اغفر وارحم، وأنت الأعزّ الأكرم "
قال العراقي رحمه اللـه: (وللطـبراني في الـدّعاء من حـديث ابن مسعود "أنّه صلى الله عليه و سلم كان يقول إذا سـعى في بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم", وفيـه ليث بن أبي سليم مختلف فيه, ورواه موقوفا عليه بسند صحيح). انظر: تخريج أحاديث الإحياء (ص382).
وقال ابن حجر رحمه الله: (وقد رواه البيهقي موقوفـا من حـديث ابن مسعود: "أنه لما هبط إلى الـوادي سـعى"، فقـال - فـذكره - وقال: هـذا أصـح الروايـات في ذلـك عن ابن مسـعود، يشـير إلى تضعيف المرفوع). انظر: تلخيص الحبير (2/480).
قال الألباني رحمه الله: (ورواه الطـبراني مرفوعـا بسـند ضـعيف كما في المجمع). مناسك الحج والعمرة (27)

والمروة يسعى فيه ويقول: "ربّ اغفر وارحم، وأنت الأعزّ الأكرم"[1].

وعبد الله بن عمر أنّه كان يقول: "ربّ اغفر وارحم وأنت الأعزّ الأكرم"[2].

وثبت أيضا عن المسيب بن رافع الكاهلي[3] أنّه كان إذا مرّ بالوادي بين الصّفا والمروة سعى فيه حتى يجاوزه ويقول: "ربّ اغفر وارحم وأنت الأعزّ الأكرم"[4].

وأسماء الله تعالى من الأمور الغيبيّة التي لا تقال, ولا تثبت بالرّأي, فلهذا يكون حكم هذه الآثار الواردة عن هؤلاء الصّحابة الكرام الرفع.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ومثال المرفوع من القول حكما لا تصريحا: أن يقول الصّحابي الذي لم يأخذ عن الإسرائيليّات ما لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلّقٌ ببيان لغة, أو شرح غريب، كالإخبار عن الأمور الماضية من بدء الخلق وأخبار الأنبياء، أو الآتية كالملاحم والفتن وأحوال يوم القيامة، وكذا الإخبار عمّا يحصل بفعله ثواب مخصوص, أو عقاب مخصوص, وإنّما كان إخباره له حكم المرفوع؛ لأنّ إخباره بذلك يقتضي مخبرا له، وما لا مجال للاجتهاد فيه يقتضي مُوقِفًا للقائل به، ولا مُوقِفَ للصّحابة إلاّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم, أو بعض من يخبر عن الكتب القديمة، فلهذا وقع الاحتراز عن القسم الثّاني, وإذا كان كذلك فله حكم ما لو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم, فهو مرفوع

---

1 () أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف, كتاب الدّعاء, ما يدعو به الرجل وهو يسعى بين الصفا والمروة (10/371).

2 () أخرجه ابن أبي شيبة في المصنّف, كتاب الحج, ما يقول الرجل في المسعى (4/69), رقم: 15570.

3 () هو المسيب بن رافع، أبو العلاء الأسدي، الكاهلي، الفقيه الكبير, كوفي، ثبت, حدث عن البراء بن عازب وغيره, مات سنة خمس ومائة. انظر: الجرح والتعديل (2/737), سير أعلام النبلاء (3/167).

4 () أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف, كتاب الحج, ما يدعو به الرجل وهو يسعى بين الصفا والمروة (4/69), رقم: 15567.

سواء كان ما سمعه منه, أو عنه بواسطة)[1].

فهذه الآثار الموقوفة ثبتت عن صحابة معروفين بعدم الأخذ من كتب وصحائف أهل الكتاب, وبعدم الإخبار والتّحديث بالإسرائيليّات, وخاصة من أمثال الصّحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان ينهى عن الأخذ من كتب وصحائف أهل الكتاب[2], مع ما انضاف إليه من ثبوت مثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المعروف بتحري سنّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم, وأنّ هذا الذي نقلوه ممّا لا مجال للاجتهاد فيه، ولا له تعلق ببيان لغة, أو شرح غريب, (فيكون بذلك الأعزّ من أسماء الله تعالى الثّابتة بالسّنّة)[3].

وأيضا بالنّظر إلى الضّوابط المستنبطة من كلام أهل العلم في معرفة أسماء الله الحسنى من غيرها, يتبين تحقق هذه الضّوابط في اسم الأعزّ لله تعالى.

ومن أجمع الضوابط في تعريف أسماء الله الحسنى قول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأمّا تسميته سبحانه بأنّه مريد وأنّه متكلّم فإنّ هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة ومعناهما حقّ, ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي: التي يدعى الله بها, وهي التي جاءت في الكتاب والسّنّة, وهي التي تقتضي المدح والثّناء بنفسها) [4].

وقد تضمّن كلام شيخ الإسلام رحمه الله ضوابط للأسماء الحسنى وهي:

أولا: ورود النّص من القرآن أو السّنّة بذلك الاسم, وهذا الضابط مأخوذ من قوله: ﮋﭿ ﮊ [الأعراف: ١٨٠] فالألف واللام هنا للعهد، فالأسماء بذلك، تكون معهودة ولا معروف في ذلك إلاّ ما نصّ الله عليه في كتابه أوسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم[5], ولمّا كانت هذه الأسماء من الله تعالى صحّ دعاء

---

1 () نزهة النظر (ص235).
2 () انظر: فتح المغيث (1/161).
3 () صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (249).
4 () شرح العقيدة الأصفهانية (ص5).
5 () انظر: المحلى (1/29).

الله بها؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ثانيا: أن يكون الاسم من أسماء الله تعالى دالاًّ على ذاته سبحانه, ودالاًّ على الصّفة العظيمة التي تضمَّنها ذلك الاسم، لأنّ أسماءه تعالى أعلام وأوصاف قال تعالى: ﴿ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﴾ [الإسراء: ١١٠] فكلُّها تدلّ على مسمّى واحد، وقال في كونها أوصاف: ﴿ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الشيخ السّعدي رحمه الله محددا هذا الضّابط: (وضابطه: أنّه كلّ اسم دالّ على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنّها لو دلّت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلّت على صفة ليست بصفة كمال، بل إمّا صفة نقص, أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكلّ اسم من أسمائه دالّ على جميع الصّفة التي اشتقّ منها، مستغرق لجميع معناها)[1].

ولهذا الضّابط لم يكن الدّهر من أسماء الله تعالى, لعدم تضمّنه لصفة عظيمة, ولكونه علما جامدا.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (إنّ أسماءه سبحانه وتعالى حسنى، أي: بالغة في الحسن أكمله، فلابد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة؛ ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى اسما جامداً, والدّهر اسم جامد لا يحمل معنى إلاّ أنّه اسم للأوقات)[2].

ثالثا: أن يقتضي الاسم من أسماء الله تعالى المدح والثّناء بنفسه بدون متعلق أو قيد, وهذا الشّرط هو الذي يميّز باب الأسماء عن باب الصّفات, فـ(ما ورد مضافا أو مقيدا من الأسماء في القرآن والسّنّة, فلا يكون اسما بهذا الورود, مثل اسم المنتقم, فلم يرد إلاّ مقيدا في قوله تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﴾ [السجدة: ٢٢], وفي قوله تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﴾ [إبراهيم: ٤٧], وما ورد مضافا مثل قوله تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﴾ [الرعد: ٩], وقوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﴾ [البقرة: ٢٥٧], فلا يؤخذ الاسم من هذا الورود المضاف, لكن يؤخذ من آيات أخر, فيؤخذ اسم

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (ص309).

2 () المجموع الثمين (2/72).

العالم من قوله تعالى: ﮋ   ﮊ [الأنبياء: ٨١].

وإذا ورد في الكتاب والسّنّة اسم فاعل يدلّ على نوع من الأفعال ليس بعام شامل, فهذا لا يكون من الأسماء الحسنى؛ لأنّ الأسماء الحسنى معانيها كاملة الحسن تدلّ على الذّات, ولا تدلّ على معنى خاص, مثل: مجري السّحاب, هازم الأحزاب, الزّارع, الذّارئ, المسعّر)[1].

رابعا: أن يكون الاسم دالّا على وصف الكمال المطلق، فلا يكون الوصف عند التّجرد منقسما إلى كمال ونقص وخير وشر, أو يحتمل وجها من أوجه النّقص.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأمّا تسميّته سبحانه بأنّه مريد, وأنّه متكلّم فإنّ هذين الاسمين لم يردا في القرآن ولا في الأسماء الحسنى المعروفة, ومعناهما حق, ولكنّ الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها, وهي التي جاءت في الكتاب والسّنّة, وهي التي تقتضي المدح والثّناء بنفسها, والعلم والقدرة والرّحمة ونحو ذلك وهي في نفسها صفات مدح, والأسماء الدّالة عليها أسماء مدح.

وأمّا الكلام والإرادة: فلمّا كان جنسه ينقسم إلى محمود كالصّدق والعدل, وإلى مذموم كالظّلم والكذب, والله تعالى لا يوصف إلاّ بالمحمود دون المذموم, جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخصّ المحمود كاسمه الحكيم والرّحيم والصّادق والمؤمن والشّهيد والرّؤوف والحليم والفتّاح ونحو ذلك)[2].

وقال أيضا رحمه الله: (والله له الأسماء الحسنى ليس له مثل السّوء قط, فكذلك أيضا الأسماء التي فيها عموم وإطلاق لمّا يحمد ويذم لا توجد في أسماء الله تعالى الحسنى)[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وما كان مسمّاه منقسما لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى، كالشّيء والمعلوم، ولذلك لم يسمّ بالمريد، ولا بالمتكلّم، وإن كان له الإرادة والكلام، لانقسام مسمّى المريد والمتكلّم، وأمّا الموجد فقد سمّى نفسه بأكمل أنواعه، وهو الخالق، البارئ، المصوّر,

---

[1] () أسماء الله الحسنى للغصن (ص136-137).

[2] () شرح العقيدة الأصفهانية (ص5).

[3] () بيان تلبيس الجهمية (3/300).

فالموجد كالمحدث والفاعل والصّانع, وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنى، فتأمّله، وبالله التوفيق)[1].

وممّن نصّ على هذا الاسم ابن الوزير رحمه الله في عدّه حيث قال: (وفيها اسم واحد بالمفهوم المعلوم وهو الأعزّ, ذكره ابن حجر في تلخيصه, ولم أجده بنصّه فذكرته فيها, ولم أحسبه في العدد المذكور, وهو أخذه من قوله تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [المنافقون: ٨] جوابا على قول المنافقين ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ, وهي هذه, وهي الاعتقاد متى سأل عنه سائل.

هو الله الذي لا إله إلاّ هو الصّمد الواحد الأحد الرّحمن الرّحيم.... **العزيز الأعزّ** الشّاكر الشّكور قابل التّوب التّواب المجيب القريب)[2].

وممّن نصّ عليه أيضا ابن حزم رحمه الله حيث قال: (وممّا صحّ عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر, وهي: الله، الرّحمن، الرّحيم،....الأكبر، **الأعزّ**)[3].

أما عن معنى الأعزّ في حق الله تعالى فهو بمعنى العزيز[4].

وفيه أيضا زيادة معنى, وهو أنّ الله تعالى أعزّ عزيز, فلا أعز من الله عز وجلّ.

قال الأزهري رحمه الله: (الله الأعزّ أي: أعزُّ عزيزٍ, قال الفرزدق[5]:

إنّ الّذي سمك السماءَ بنى لنا ... بيتا دعائمه أعزُّ وأطولُ

معناه: أعَزُّ عزيزٍ, وأطول طَويل) [6].

وأيضا اسمه الأعز يدل على الحصر فلا أحد أعز مثل الله

---

1 () مدارج السالكين (3/384).

2 () إيثار الحق على الخلق (ص159).

3 () المحلى بالآثار (6/282).

4 () انظر تهذيب اللغة (1/10), والأسماء والصفات (1/147).

5 () هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي البصري أبو فراس الشاعر الفرزدق, وسمّي بذلك لأنّه شبه وجهه, وكان مدوراً جهيماً بالخبزة وهي الفرزدقة, لأبيه رؤية ولجده صحبة, وهو ضعيف الحديث, وكان قذافا للمحصنات, مات سنة عشر ومائة. انظر: معجم الشعراء (ص486), وسير أعلام النبلاء (4/590).

6 () تهذيب اللغة (10/122).

ومع الله, فهو متصف بغاية العز الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه, فهو سبحانه الأعز مطلقا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وهو سبحانه أخبر أنّه الأكرم بصيغة التفضيل والتعريف لها, فدل على أنّه الأكرم وحده بخلاف ما لو قال: "وربك أكرم", فإنه لا يدل على الحصر وقوله: ﮋ ﮌ ﮍ [العلق: ٣] يدل على الحصر, ولم يقل: "الأكرم من كذا" بل أطلق الاسم ليبين أنّه الأكرم مطلقا غير مقيد, فدلّ على أنّه متصف بغاية الكرم الذي لا شيء فوقه ولا نقص فيه)[1].

[1] () مجموع الفتاوى (16/295).

المطلب الخامس:
ما جاء في تسميّة الله بالمعزّ المذلّ[1].

من الأسـماء الـتي ذكرهـا أهـل العلم في مبحث الأسـماء والصّفات, الأسماء المزدوجة, أو الأسماء المقترنة, وهي التي ترد مع بعض, ولا يفصل بعضها عن بعض, فهي بمثابـة الاسـم الواحد, والكمال لا يظهر فيها إلاّ إذا ذكرت مقترنة مع بعضـها البعض, فلا يطلق على الله بفرده, بل مقرونا بمقابلـه, مثـل: القابض والباسط, والمعطي والمـانع, والضّـار والنّـافع, وغـير ذلك, وقد نصّ بعض العلماء على هذا النّوع من الأسماء:

يقول شـيخ الاسـلام رحمـه اللـه: (ولهـذا إذا ذكـر باسـمه الخـاص قـرن بـالخير: كقولـه في أسـمائه الحسـنى: الضّـار النّافع, المعطي المانع, الخافض الرّافع, المعزّ المـذلّ, فجمـع بين الاسـمين لمـا فيـه من العمـوم والشّـمول الـدالّ على وحدانيته, وأنّه وحده يفعل جميع هذه الأشياء, ولهـذا لا يـدعى بأحد الاسمين كالضّار والنّافع, والخافض والرّافع, بل يــذكران جميعا, ولهذا كان كلّ نعمة منه فضلا, وكلّ نقمة منه عدلا)[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (السّـابع عشـر: أنّ أسـماءه تعالى منها ما يطلق عليه مفـردا ومقترنـا بغـيره, وهـو غـالب الأسـماء كالقـدير والسّـميع والبصـير والعزيـز والحكيم, وهـذا يسوّغ أن يدعى به مفردا ومقترنا بغـيره فتقـول: يـا عزيـز يـا حليم يا غفور يا رحيم, وأن يفرد كلّ اسـم, وكـذلك في الثّنـاء عليه والخبر عنه بما يسوغ لك الإفراد والجمع.

ومنهـا مـا لا يطلـق عليـه بمفـرده, بـل مقرونـا بمقابلـه كالمانع والضّار والمنتقم, فلا يجوز أن يفـرد هـذا عن مقابلـه, فإنّه مقرون بالمعطي والنّـافع والعفـو, فهـو المعطي المـانع, الضّار النّـافع, المنتقم العفـو, المعـزّ المـذلّ؛ لأنّ الكمـال في اقتران كل اسم من هذه بما يقابله؛ لأنّه يراد بـه أنّـه المنفـرد

---

1 () عبّر الباحث عن هذا الاسم بهذا التركيب؛ لأنّ هذه الاسماء كمـا ذكر أهل العلم تجري مجرى الاسم الواحد فمن شرطها أن تذكرة مقترنة مع بعضها البعض, كما سيبنه الباحث في هذا المطلب.

2 () منهاج السنة النبوية (5/283).

بالرّبوبيّة وتدبير الخلـق والتّصـرف فيهم عطـاء ومنعـا, ونفعـا وضـرا, وعفـوا وانتقامـا, وأمّـا أن يثـنى عليـه بمجـرد المنـع والانتقام والإضرار فلا يسوغ, فهذه الأسماء المزدوجـة تجـري الأسماء منها مجـرى الاسـم الواحـد الـذي يمتنـع فصـل بعض حروفـه عن بعض, فهي وإن تعـدّدت جاريـة مجـرى الاسـم الواحـد؛ ولـذلك لم تجئ مفـردة ولم تطلـق عليـه إلاّ مقترنـة فاعلمه, فلو قلت: يا مذلّ يا ضار يا مانع, وأخـبرت بـذلك, لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتّى تذكر مقابلها)[1].

وقال أيضا في النّونية:

هذا ومن أسمائه ما ليس يفـ	ـرد بل يقال إذا أتى بقران
وهي التي تدعى بمزدوجاتها	أفرادها خطر على الانسان
إذْ ذاكَ موهمٌ نوعَ نقصٍ جلّ ربّ	العرش عن عيب وعن نقصان
كالمانع المعطي وكالضار الذي	هو نافع وكماله الأمران
ونظير هذا القابض المقرون با	سم الباسط اللفظان مقترنان
وكذا المعز مع المذل وخافض	مع رافع لفظان مزدوجان[2]

وقال السّعدي رحمـه اللـه: (القـابض الباسـط، الخـافض الرّافـع، المعـزّ المـذلّ، المـانع المعطي، الضّـار النّـافع, هـذه الأسـماء الكريمـة من الأسـماء المتقـابلات الـتي لا ينبغي أن

[1] () بدائع الفوائد (1/167).
[2] () النونية (2/16).

يُثنى على الله بها إلاّ كل واحد مع الآخر؛ لأنّ الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنّفوس، والباسط للأرزاق والرّحمة والقلوب، وهو الرّافع للأقوام القائمين بالعلم والإيمان الخافض لأعدائه، وهو المعزّ لأهل طاعته، وهذا عزّ حقيقي، فإنّ المطيع لله عزيز وإن كان فقيراً ليس له أعوان، المذلّ لأهل معصيته وأعدائه ذلاّ في الدّنيا والآخرة, فالعاصي وإن ظهر بمظاهر العزّ فقلبه حشوه الذّل, وإن لم يشعر به لانغماسه في الشّهوات, فإنّ العزّ كلّ العزّ بطاعة الله، والذّل بمعصيته: ﮋﮑ ﮑ ﮐ ﮐ ﮒ ﮒ ﮓ ﮒ ﮌ [الحج: ١٨], ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮌ [فاطر: ١٠], ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮌ [المنافقون: ٨], وهو تعالى المانع المعطي فلا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى, وهو تعالى النّافع لمن شاء من عباده بالمنافع الدّينيّة والدّنيويّة، الضّار لمن فعل الأسباب التي توجب ذلك)[1].

ومن الأسماء التي ذكرها بعض أهل العلم, وهي داخلة في هذا النّوع من الأسماء المزدوجة, التي لا تذكر إلاّ مقترنة مع بعضها البعض اسم "المعزّ المذلّ".

سبب الخلاف في كون "المعزّ المذل" من أسماء الله تعالى أو ليس كذلك

وقد اختلف أهل العلم في عدّ اسم "المعزّ المذلّ" من أسماء الله الحسنى، على قولين, وقبل ذكر القولين يذكر الباحث أولاً سبب الخلاف في كون "المعزّ المذل" من أسماء الله تعالى أو ليس كذلك, فمن تلك الأسباب:

1- اختلاف مناهج العادِّين لأسماء الله تعالى على أربعة مناهج وهي:

المنهج الأوّل:

الاعتماد على العدّ الوارد في روايات حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبالأخصّ طريق الوليد بن مسلم، عند التّرمذي وغيره، وذلك (لاعتقادهم بصحّة حديث الأسماء, وتعدادها على مذهب المتساهلين في التّصحيح, وعدم النّظر في العلل الواردة فيه)[2].

فمن سار على هذا المنهج أثبت اسم "المعز المذل"

---

[1] () تفسير أسماء الله الحسنى (ص171-172).

[2] () العواصم والقواصم لابن الوزير (7/207).

لثبوته في بعض تلك الروايات.

المنهج الثّاني:

الاقتصار على ما ورد من الأسـماء بصـورة الاسـم فقـط، أي: ما ورد إطلاقه, وهذا منهج ابن حـزم رحمـه اللـه في عـدّ الأسماء.

قـال عنـه ابن حجـر رحمـه اللـه: (فإنّـه- أي ابن حـزم - اقتصــر على مــا ورد فيــه بصــورة الاســم لا مــا يؤخــذ من الاشتقاق كالباقي من قوله: ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮊ [الرحمن: ٢٧], ولا ما ورد مضافا كالبديع من قوله: ﮋﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [البقرة: ١١٧])[1].

فعلى هذا المنهج لا يثبت اسم "المعز المذل" لله تعــالى؛ لأنّه لم يرد بصورة الاسم.

المنهج الثّالث:

منهج المتوسعين الذين اشتقّوا من كلّ صفة وفعل اســما ولم يفرقوا بين البابين- أي باب الأسماء وباب الصـفات-, بـل إنّهم يدخلون ما يتعلّق بباب الإخبار أحيانا.

ومن هـؤلاء ابن العـربي المـالكي, وابن الـوزير اليمـاني, والشّرباصي.

ومثال توسّع بعضهم في ضوابط الاسم لله تعالى ما قالـه ابن الوزير رحمه الله: (وميزان الأسـماء الحسـنى يـدور على المدح بالملك والاستقلال, وما يعـود إلى هـذا المعـنى, وعلى المدح بالحمد والثّناء, وما يعود إلى ذلك, وكل اسم دلّ هـذين الأمرين فهو صالح دخوله فيها, والضّار النّافع يرجـع إلى ذلـك مع الجمع وعدم الفرق, ومع القصد, فيلـزم من أطلقـه قصـد ذلك مع الجمع)[2].

فبهذا الضّابط يدخل اسم "المعـز المـذل", وتـدخل أيضـا كثير من الأسماء في أسماء الله الحسنى.

المنهج الرّابع:

---

[1] () فتح البـاري (11/217), وانظـر: أحكـام القـرآن لابن العـربي (2/338).

[2] () إيثار الحق على الخلق (ص187).

منهج المتوسّطين الذين توسّطوا بين أصحاب المنهج الثّاني والمنهج الثّالث، فلا هم الذين اقتصروا على ما ورد من الأسماء بصورة الاسم فقط كابن حزم رحمه الله، ولا هم الذين توسّعوا توسّع ابن العربي رحمه الله وأمثاله.

وهذا المنهج هو الأشهر والأكثر تطبيقا عند أهل العلم، فهم حافظوا على خاصيّة هذا الباب، وبالتّالي جعلوا شروطا لاشتقاق الاسم من الصّفة[1].

وشرط هؤلاء في اشتقاق الاسم من الصّفة, أن تكون الصّفة في حال إطلاقها غير منقسمة إلى كمال ونقص, ومدح وذمّ, أو خير وشرّ, فلابدّ في حال إطلاقها أن تكون مدحا مطلقا.

فليس كلّ الصّفات تدلّ في حال إطلاقها على ما يُحمَدُ به الرّبّ ويُمدَحُ, فالكلام, والإرادة, والاستواء, والنّزول صفات, ولكن لا يشتقّ منها الأسماء لعدم اقتضائها المدح والثّناء في حال إطلاقها.

قال ابن القيم رحمه الله: (إنّ الصّفة إذا كانت منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في أسمائه، بل يطلق عليه منها كمالها، وهذا كالمريد والفاعل والصّانع، فإنّ هذه الألفاظ لا تدخل في أسمائه، ولهذا غلط من سمّاه بالصّانع عند الإطلاق، بل هو الفعّال لما يريد، فإنّ الإرادة والفعل والصّنع منقسمة، ولهذا إنّما أطلق على نفسه من ذلك أكمله فعلا وخبرا)[2].

2- أيضا من أسباب الاختلاف, اختلافهم في ثبوت الرّوايات التي جاء فيها عدّ أسماء الله تعالى كرواية الوليد بن مسلم عند التّرمذي, وغيرها فمن رأى ثبوتها أثبت اسم "المعزّ المذلّ" لله تعالى, ومن رأى عدم ثبوتها لم يثبت اسم "المعزّ المذلّ" لله تعالى.

3- من أسباب الاختلاف أيضا, اختلافهم بم تثبت أسماء الله تعالى, هل تثبت بالتّتبع والإحصاء فقط, أم تثبت أيضا

---

[1] () انظر هذه المناهج في: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص35-36).

[2] () بدائع الفوائد (1/161).

بالاشتقاق من الأفعال, فقد ذكر الحافظ في الفتح سبعة وعشرين اسما لم ترد في القرآن بصيغة الاسم, وإنّما وردت بصيغة الفعل فقال رحمه الله: (والأسماء التي تقابل هذه مما وقع في رواية التّرمذي ممّا لم تقع في القرآن بصيغة الاسم, وهي سبعة وعشرون اسما: القابض الباسط, الخافض الرّافع, المعزّ المذلّ, العدل, الجليل, الباعث, المحصي, المبدئ المعيد, المميت, الواجد, الماجد, المقدّم المؤخّر, الوالي, ذو الجلال والإكرام, المقسط, المغني, المانع, الضّار النّافع, الباقي, الرّشيد, الصّبور, فإذا اقتصر من رواية التّرمذي على ما عدا هذه الأسماء وأبدلت بالسّبعة والعشرين التي ذكرتها خرج من ذلك تسعة وتسعون اسما, وكلّها في القرآن واردة بصيغة الاسم)[1].

فلهذه الأسباب اختلف أهل العلم في ثبوت اسم "المعزّ المذلّ" لله تعالى على قولين:

القول الأوّل:

أنّ اسم "المعزّ المذل" من أسماء الله عزّ وجلّ، وقد ورد هذا الاسم في جمع أسماء الله الحسنى الذي قام به بعض أهل العلم كابن منده[2], وأبو إسحاق الزّجاج[3], والخطّابي[4]، والحليمي[5]، والبيهقي[6]، والغزالي[7]، والقرطبي[8], وابن تيميّة[9], وابن القيم[10]، وغيرهم.

ويستدل لهذا القول بالأدلة الآتية:

الدّليل الأوّل: أنّهما اسمان مشتقّان من الفعلين "تعزّ

---

1 () فتح الباري (11/219).
2 () انظر: التوحيد (2/178).
3 () انظر: شرح أسماء الله الحسنى (ص27).
4 () انظر: شأن الدعاء (ص58-59).
5 () انظر: المنهاج (1/208).
6 () انظر: الأسماء والصفات (1/211).
7 () انظر: المقصد الأسنى (ص89).
8 () انظر: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/370).
9 () انظر: منهاج السنة النبوية (5/283).
10 () انظر: بدائع الفوائد (1/167), والنونية (2/16).

وتذلّ" من قوله تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [آل عمران: ٢٦][1].

يقول القرطبي رحمه الله: (ومنها المعزّ المذلّ جلّ جلاله وتقدّستْ أسماؤه, وهما يتبعان الخافض الرّافع, ولم يـردا في القرآن اسما, وإنّما وردا فعلا, قال الله تعالى: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﮊ [آل عمـران: ٢٦], ووردت بهمـا السّـنّة من حـديث أبي هريـرة, وأجمعت عليهمـا الأمّة[2], فكـلّ من رفعـه اللـه فقـد أعزّه, وكل من خفضه الله فقد أضلّه)[3].

ويقول ابن الـوزير رحمـه اللـه: (إنّ اسـم الضّـار لا يجـوز إفراده عن النّـافع, فحين لم يجـز إفـراده لم يكن مفـردا من أسماء الله تعالى, وإذا وجب ضمّه إلى النّافع كانا معا كالاسم الواحـد المـركب من كلمـتين, مثـل: عبـد اللـه, وبعلبـك, فلـو نطقت بالضّار وحده لم يكن اسما لذلك المسـمّى بـه, ومـتى كان الاسم هو الضّار النّافع معا, كـان في معـنى مالـك الضّـر والنّفع, وذلك في معنى مالك الأمر كلّه, ومالك الملـك, وهـذا المعنى من الأسماء الحسنى, وهو في معنى قوله تعالى: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [آل عمران: ٢٦] الآية, وهو في معنى القدير على كلّ شيء)[4].

وممّن انتصـــر للقـــول بالاشـــتقاق وشـــنّع على من ردَّه القاضي أبو بكر ابن العربيّ رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الأعـراف: ١٨٠] من كتابه أحكام القـرآن وممّـا قـال: (والذي يعضد ذلـك أنّ الصّـحابة وعلمـاء الإسـلام حين عـدّدوا الأسـماء ذكـروا المشـتقّ, والمضـاف, والمطلـق في مسـاق واحد, إجراء على الأصل)[5].

---

1 () انظـر إيثـار الحـق على الخلـق (187), ومعتقـد أهـل السـنة والجماعة (268).

2 () دعوى الإجماع إذا كان المقصود منها الإجماع على أنّهما اسمان فمنتقضة؛ لأنّه لم يرد في جمـع من سـبقه مثـل: جعفـر الصـادق, وأبي زيد اللغوي الذي أقره عليـه سـفيان بن عيينـة, وغـيرهم من العلماء, وإذا كان المقصود أنّهما صفتان فصحيح, والله أعلم.

3 () الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/370).

4 () إيثار الحق على الخلق (ص174).

5 () أحكام القرآن (2/338).

ونقل عنه القرطبي رحمه الله في الأسنى أنّه قال: (لتعلموا أنّ السّلف كانوا يشتقّون الأفعال من الأسماء, والأسماء من الأفعال, فاقتدوا بهم ترشدوا)[1].

الدّليل الثّاني: بعض روايات حديث أبي هريرة رضي الله عنه المشهور: "إنّ لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنّة"[2].

فهذا القدر من الحديث متّفق على صحته، غير أنّ الحديث جاء من طرق أخرى عند أصحاب السّنن والمسانيد، وهذه الطّرق تشتمل على سرد لأسماء الله الحسنى التّسعة والتّسعين، وبينها اختلاف كثير في السّرد تبعا لاختلاف الرّواة, وقد ورد اسم "المعزّ المذلّ" في طريق الوليد بن مسلم، كما عند التّرمذي وغيره, كما ورد هذا الاسم أيضا في طريق عبد الملك بن محمّد الصّنعاني عند ابن ماجه, وتقدّم الكلام على هذه الزيادة المدرجة في تعيين الأسماء, وبيان ضعف طرقها.

الدّليل الثّالث: ما ذكره الشّيخ محمد أمان الجامي رحمه الله بقوله: (ومن أسماء الله تعالى التي لا تطلق إلاّ متقابلة: "المعطي المانع"، "النّافع الضّار"، "المعزّ لمذلّ"، "القابض الباسط"، "العفو المنتقم", وهو لم يرد إلاّ مقيدا مثل قوله تعالى: ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [الزخرف: ٤١]، ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [السجدة: ٢٢].

ويشهد لما ذكرنا قوله عليه الصّلاة والسّلام وهو يثني على الله تعالى دبر كلّ صلاة: "اللّهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ)[3].

فخلاصة هذا القول إثبات اسم "المعز المذل" لله تعالى.

القول الثّاني:

أنّ "المعزّ المذل" ليس من أسماء الله تعالى، وإنّما هو وصف له سبحانه بأنّه يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء.

ولذلك لم يذكر هذا الاسم في جمع كثير من العلماء

---

[1] () الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (1/377).
[2] () تقدم تخريجه.
[3] () الصفات الإلهية (348).

لأسماء الله الحسنى، مثل جمع جعفـر الصّـادق المـذكور في فتح الباري[1]، وجمع أبي زيد اللغوي الذي أقرّه عليـه سـفيان بن عيينة[2]، وابن حـزم [3]، وقـوام السّـنّة الأصـبهاني[4]، وابن الوزير[5]، وابن حجر[6]، والشيخ السّـعدي[7]، وابن عـثيمين في القواعد المثلى[8]، والشيخ عبد المحسن العباد [9]، وغير هؤلاء من العلماء والباحثين المعاصرين[10].

ودليلهم هـو تمسّـكهم بالقاعـدة في هـذا البـاب، وهـو أنّ أسماء الله تعالى توقيفيّة، تؤخذ بـالنّصّ من الكتـاب والسّـنّة، ولا تؤخذ بالقياس والاشتقاق.

أمّا ما يخصّ القاعدة أنّ أسماء الله تعالى توقيفيّـة، فهـذا حق وقد أشار الباحث إليها في التّمهيد في المطلب الأوّل.

وأمّا كونهـا لا تؤخـذ بالقيـاس والاشـتقاق، فقـد نصّ أهـل العلم: أنّ أسماء الله تعالى لا تؤخذ بالاشتقاق[11] من الأفعـال

---

1 () انظر: فتح الباري (11/218).

2 () انظر: المصدر نفسه (11/216).

3 () انظر: المحلى (6/282).

4 () انظر: الحجة في بيان المحجة (1/114-166).

5 () انظر: إيثار الحق على الخلق (ص159).

6 () انظر: فتح الباري (11/219).

7 () انظـر: تيسـير الكـريم الـرّحمن (ص946)، وفي فتح الـرّحيم الملك العلاّم.

8 () انظر: القواعد المثلى (ص15-16).

9 () انظر: قطف الجنى الداني (ص85-92).

10 () من هـؤلاء البـاحثين: محمـد الحمـود النجـدي في كتابـه النهج الأسـمى، وعبـد اللـه الغصـن في كتابـه أسـماء اللـه الحسـنى لم يذكره في جمعه (175-186)، وصرح بعدم ثبوته (ص199-200)، وحصة بنت عبد العزيز الصغير في كتابها شرح أسماء اللـه تعـالى الحسنى، وصرحت بعدم ثبوتهما (ص235).

11 () الاشتقاق الذي ينكره أهل السـنة في بـاب الأسـماء، هـو كونهـا مستمدة من أصل آخر، وأنها متولدة منه تولـد الفـرع من الأصـل، والاشـتقاق الـذي يثبتونـه بقـولهم أسـماء اللـه تعـالى مشـتقة، فيقصدون بذلك أنها ضمنت معاني، وهذه المعاني هي صفات الله تعالى، حيث إنها مع كونها أعلاما، فهي كذلك دالة على صفات.
يقول ابن القيم رحمه الله في معرض رده على من زعم أن اسم

خلافا للمعتزلة والكرّامية.

وقال ابن حزم رحمه الله: (لا يجوز أن يسمّى الله تعالى, ولا أن يخبر عنه إلاّ بما سمّى به نفسه, أو أخبر به عن نفسه في كتابه, أو على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم, أو صحّ به إجماع جميع أهل الإسلام المتيقّن ولا مزيد, وحتى وإن كان المعنى صحيحا فلا يجوز أن يطلق عليه تعالى اللّفظ, وقد علمنا يقينا أنّ الله عزّ وجلّ بنى السّماء قال تعالى: ﮋ   ﮊ [الذاريات: ٤٧], ولا يجوز أن يسمّى بنّاء, وأنّه تعالى خلق أصباغ النّبات والحيوان, وأنّه تعالى قال: ﮋﮖ ﮗ ﮊ [البقرة: ١٣٨], ولا يجوز أن يسمّى صباغا, وهكذا كلّ شيء لم يسمّ به نفسه)[1].

قال ابن الوزير اليماني رحمه الله: (وثبت أنّ حصر الأسماء التّسعة والتّسعين لا ينال إلاّ بتوفيق الله تعالى كساعة الإجابة يوم الجمعة؛ لأنّها مجملة في أسماء الله, فلنذكر هنا ما وجدناه منصوصا من الأسماء في كتاب الله باليقين من غير تقليد, فإنّها أصحّ الأسماء, وأحبّها إلى الله تعالى, حيث اختارها في أفضل كتبه لأفضل أنبيائه, والذي عرفت منها إلى الآن بالنّصّ صريحا دون الاشتقاق في القرآن

الله تعالى غير مشتق: (زعم أبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي: أن اسم الله غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق, ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى, وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل, ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى, ولا ألم بقلوبهم, وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى, وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى, كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير, فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله, ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى, لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر؛ وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة). بدائع الفوائد (1/22).

[1] () الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/108).

مائة وخمسة وخمسون)[1].

وقال الحافظ بن حجر رحمه الله: (واختلف في الأسماء الحسنى هل هي توقيفية؟, بمعنى أنّه لا يجوز لأحد أن يشتق من الأفعال الثابتة لله أسماء إلا إذا ورد نص إما في الكتاب أو السنة؟.

فقال الفخر[2]: المشهور عن أصحابنا أنها توقيفية.

وقالت المعتزلة والكرامية: إذا دلّ العقل على أنّ معنى اللفظ ثابت في حق الله جاز إطلاقه على الله.

وقال القاضي أبو بكر والغزالي: الأسماء توقيفية دون الصفات, قال: وهذا هو المختار, واحتج الغزالي بالاتفاق على أنّه لا يجوز لنا أن نسمّي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم لم يسمّه به أبوه ولا سمّى به نفسه, وكذا كل كبير من الخلق, قال: فإذا امتنع ذلك في حق المخلوقين فامتناعه في حقّ الله أولى.

واتفقوا على أنّه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصا, ولو ورد ذلك نصا, فلا يقال: ماهد ولا زارع ولا فالق ولا نحو ذلك, وإن ثبت في قوله: ﴿ ﴾ [الذاريات: ٤٨], ﴿ ﴾ [الواقعة: ٦٤], ﴿ ﴾ [الأنعام: ٩٥] ونحوها, ولا يقال له: ماكر ولا بناء وإن ورد ﴿ ﴾ [الأنفال: ٣٠], ﴿ ﴾ [الذاريات: ٤٧].

وقال أبو القاسم القشيري: الأسماء تؤخذ توقيفا من الكتاب والسنة والإجماع, فكل اسم ورد فيها وجب إطلاقه في وصفه, وما لم يرد لا يجوز, ولو صح معناه)[3].

وقد عدّ ابن القيم رحمه الله اشتقاق الأسماء من كلّ فعل من أقبح الخطأ حيث قال: (الفعل أوسع من الاسم؛ ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسمّ منها بأسماء الفاعل كأراد وشاء وأحدث, ولم يسمّ بالمريد والشّائي والمحدث, كما لم يسمّ نفسه بالصّانع والفاعل والمتقن, وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه, فباب

---

1 () إيثار الحق على الخلق (ص159).
2 () أي: الفخر الرازي.
3 () فتح الباري (11/223).

الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ أقبح خطـأ من اشـتقّ لـه من كـلّ فعـل اسـما, وبلغ بأسمائه زيـادة على الألـف فسـمّاه: المـاكر, والمخـادع, والفاتن, والكائد, ونحو ذلك, وكذلك باب الإخبـار عنـه بالاسـم أوسـع من تسـميّته بـه؛ فإنّـه يخـبر عنـه بأنّـه شـيء وموجـود ومذكور ومعلوم ومراد, ولا يسمّى بذلك)[1].

إذن فمن قواعـد أهـل السّـنّة والجماعـة أنّ أسـماء اللـه توقيفيّة, فلا مجال للعقل فيهـا باشـتقاقها أو إدراكهـا بالعقـل, بل هم في ذلك وقّافون عند نصوص الكتاب والسّنّة.

وقد سئلت اللّجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء بشــأن الاستفسار حـول اسـم "الفضـيل", هـل هـو من أسـماء اللـه الحسنى؟, وماذا يعمل مع من اسمه عبد الفضيل؟, هل يعدَّل الاسـم أم يُبْقى على حالتـه؟, وحيث إنّ الاستفسـار قـد بـدأ يتكرر من كثـير من الجهـات حـول الأسـماء الحسـنى, نتيجـة لوجود عدد من المتعاقـدين يحملـون من الأسـماء مـالا يقـرّه الشّرع، مثل عبدالنّبي, وعبـد الإمـام, وعبـد الزّهـراء, وغيرهـا من الأسماء, آمل موافاتنا ببيان تحدّد فيه الأسماء التي تجــوز إضافة الـــ(عبـد) إليهـا، والتّسـمّي بهـا، خاصـة وأنّ كثـيرا من الكتب تشير إلى أنّ أسماء الله تعـالى لا تنحصـر في التّسـعة والتّسعين اسما، بل إنّ الرّوايات تختلف حتّى في تعـداد هـذه الأسماء التّسعة والتّسعين، ويتّجه بعض العلماء إلى أنّ أسماء الله فوق الحصـر، مستشـهدين بالحـديث: "اللّهم إنّي أسـألك بكلّ اسم هو لك سمّيت به نفسك..." [2] الحديث.

فكان من جملة ما أجابت به اللّجنة أن قالت:

د – ومنها: أنّ أسماء الله توقيفيّة، فلا يسمّى سـبحانه إلاّ بما سمّى به نفسه، أو سمّاه به رسوله، ولا يجـوز أن يسـمّى باسم عن طريق القياس أو الاشتقاق من فعل ونحوه، خلافــاً للمعتزلـة والكراميّـة، فلا يجـوز تسـميّته بنَّاء، ولا مـاكرا، ولا مستهزئا؛ أخذا من قوله تعالى: ﮋ ... ﮊ [الذاريات: ٤٧]، وقوله: ﮋ ... ﮊ [آل عمران: ٥٤]، وقوله: ﮋ ... ﮊ [البقرة: ١٥], ولا يجوز

[1] () مدارج السالكين (3/415).
[2] () تقدم تخريجه ص(21).

تسميّته: زارعا ولا ماهدا، ولا فالقا، ولا منشئا، ولا قابلا، ولا شديدا، ونحو ذلك, أخذا من قوله تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [الواقعة: ٦٤]، وقوله: ﮋ ﮊ [الذاريات: ٤٨], وقوله: ﮋ ﮊ [الواقعة: ٧٢]، وقوله تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﮊ [الأنعام: ٩٥]، وقوله: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [غافر: ٣]؛ لأنّها لم تستعمل في هذه النّصوص إلاّ مضافة، وفي إخبار على غير طريق التّسمّي، لا مطلقة، فلا يجوز استعمالها إلاّ على الصّفة الّتي وردت عليها في النّصوص الشّرعيّة, فيجب ألاّ يعبَّد في التّسميّة إلاّ لاسم من الأسماء التي سمّى بها نفسه صريحاً في القرآن، أو سمّاه بها رسوله فيما ثبت عنه من الأحاديث، كأسمائه التي في آخر سورة الحشر، والمذكورة أوّل سورة الحديد، والمذكورة في سور أخرى من القرآن[1].

أمّا استدلالهم بالآية الكريمة, وهي قوله تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [آل عمران: ٢٦].

فالله عزّ وجلّ أخبر أنّه يؤتي ويشاء وينزِع ويعزّ ويذلّ، ولم يذكر في الآية بعد مالك الملك واسمه القدير سوى صفات الأفعال، والذين تمسّكوا بتسميّة الله بالمعزّ المذلّ, واشتقّوا له باجتهادهم اسمين من هذين الفعلين, يلزمهم على قياسهم ثلاثة أسماء أخرى وهى: المؤْتِي والمشِيء وَالمنْزِعُ, طالما أنّ المرجعيّة في علميّة الاسم إلى الرّأي والاشتقاق دون التّتبع والإحصاء[2].

وأيضا فإنّ اسم المعزّ لم يذكر مطلقا اسما لله تعالى, بل ذكر مقرونا بغيره, وما كان كذلك لم يدخل في أسماء الله الحسنى, لكن يثبت مضمونه, وهو أنّ الله يعزّ من يشاء, ويذلّ من يشاء, ويذكر في حقّ الله تعالى بما يقتضي المدح والثّناء.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد قال من

---

[1] () فتاوى اللّجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء, فتوى رقم (3862).

[2] () انظر: أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة لمحمود عبد الرزاق الرضواني (1/26).

العلماء: إنّ مثل أسمائه الخافض الرّافع, والمعزّ المذلّ, والمعطي المانع, والضّار النّافع, لا يذكر ولا يدعى بأحد الاسمين الذي هو مثل: الضّار والنّافع والخافض؛ لأنّ الاسمين إذا ذكرا معا دلّ ذلك على عموم قدرته وتدبيره, وأنّه لا ربّ غيره, وعموم خلقه وأمره فيه مدح له, وتنبيه على أنّ ما فعله من ضرر خاص, ومنع خاص, فيه حكمة ورحمة بالعموم, وإذا ذكر أحدهما لم يكن فيه هذا المدح, والله له الأسماء الحسنى ليس له مثل السّوء قط, فكذلك أيضا الأسماء التي فيها عموم وإطلاق لما يحمد ويذم لا توجد في أسماء الله تعالى الحسنى؛ لأنّها لا تدلّ على ما يحمد الربّ به ويمدح, لكن مثل هذه الأسماء, ومثل تلك, ليس لأحد أن ينفي مضمونها أيضا, فيقول: ليس بضار ولا خافض, أو يقول: ليس بمريد, ولا متكلّم, ولا بائن عن العالم, ولا متحيّز عنه, ونحو ذلك؛ لأنّ نفي ذلك باطل, وإن كان إثباته يثبت على الوجه المتضمّن مدح الله وحمده, وإذا نفاها ناف فقد تقابل ذلك النّفي بالإثبات ردّا لنفيه, وإن لم تذكر مطلقة في الثّناء والدّعاء والخبر المطلق, فإنّ هذا نوع تقييد يقصد به الرّدّ على النّافي المعطل, وهذا في الإثبات والنّفي جميعا, فمن العيوب والنّقائص ما لا يحسن أن يثنى على الله به ابتداء, لكن إذا وصفه به بعض المشركين نفي ذلك ردّا لقولهم, كمن يقول: إنّ الله فقير ووالد ومولود, أو ينام ونحو ذلك, فينفى عن الله الفقر والولادة والنّوم, وغير ذلك, فهذا أصل في التّفريق بين ما ذكر من أسماء الله وصفاته مطلقا, وما لا يذكر إلاّ مقيدا, إمّا مقرونا بغيره, وإمّا لمعارضة مبطل وصف الله بالباطل فـ ﴿ ... ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢])[1].

وأيضا (فالمتأمّل في نصوص الكتاب والسّنّة في هذا الشّأن يجد ما يلي:

1- أنّ الله أطلق على نفسه أسماء كالسّميع والبصير، وأوصافا كالسّمع والبصر، وهكذا أخبر عن نفسه بأفعالها فقال: ﴿ ... ﴾ [المجادلة: ١], وقال تعالى: ﴿ ... ﴾

[1] () بيان تلبيس الجهمية (3/300-302).

[آل عمران: ١٥] فاستعملها في تصاريفها المتنوّعة ممّا يدلّ على أنّ مثل ذلك يجوز إطلاقه عليه على أيّ صورة.

2- وأطلق على نفسه أفعالا كـالصّنع، والصّبغة، والفعل ونحوها، لكنّه لم يتسمّ ولم يصف نفسه بها, لكنّه أخبر بها عن نفسه ممّا يدلّ على أنّها تخالف الأوّل في الحكم, فوجب الوقوف فيها على ما ورد.

3- ووصف نفسه بأفعال في سياق المدح "يريد"، و"يشاء", فقال جلّ شأنه: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ﴾ [الأنعام: ١٢٥], وقال تعالى: ﴿ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ﴾ [التكوير: ٢٩], إلاّ أنّه لم يشتق له منها أسماء، فدلّ على أنّ هذا النّوع مخالف للقسمين الأوّلين، فوجب ردّه إلى الكتاب والسّنّة, وذلك بالوقوف حيث وقف الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم.

4- ووصف نفسه بأفعال أخرى على سبيل المقابلة بالعقاب والجزاء فقال تعالى: ﴿ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ﴾ [إبراهيم: ٤٧], وقال: ﴿ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ﴾ [الأنفال: ٣٠], ولم يشتق منها أسماء له تعالى، فدلّ ذلك على أنّ مثل هذه الأفعال لها حكم خاص, فوجب الوقوف على ما ورد)[1].

وأمّا استدلالهم بالأحاديث التي ذكرت عدّ أسماء الله الحسنى, ومن بينها اسم الله "المعزّ المذلّ", فقد تقدّم الكلام عليها, وبيان ضعف طرقها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد اتّفق أهل المعرفة بالحديث على أنّ هاتين الرّوايتين ليستا من كلام النّبي صلّى الله عليه وسلّم, وإنّما كلّ منهما من كلام بعض السّلف, فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشّاميين, كما جاء مفسَّراً في بعض طرق حديثه)[2].

وأيضا بالنّظر إلى الضّوابط التي وضعها أهل العلم في معرفة أسماء الله تعالى من غيرها, يتبيّن أنّ اسم "المعزّ المذلّ" لم تتحقّق فيه هذه الضّوابط.

---

[1] () معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته (ص123-124), وانظر: القواعد الكلية للأسماء والصفات (ص88).

[2] () مجموع الفتاوى (6/379).

ولعلّ الباحث يختم هذا المطلب بجوابٍ لسؤال وجّـه إلى اللّجنة الدّائمـة ونصُّ السّـؤال: تكـثر الأسـئلة الـتي تردنـا عن إحصاء أسماء اللـه الحسـنى، خاصـة مـا ورد من سـردها في بعض ألفاظ حـديث أبي هريـرة رضـي اللـه عنـه، من طريـق الوليد بن مسلم وعبد العزيز بن الحصين وغيرهما، وهل يصحّ الجزم بتلك الأسماء أنّها من أسمائه تعالى، وأكثرها إشكالا ما يلي: "الأبد، البديع، الباقي، البـاعث، البـار، البرهـان، الجليـل، الحنان، الدّائم، الرّفيـع، الشّـديد، الرّشـيد، الصّـادق، الصّـبور، العـدل، العلاّم، الفـاطر، الفـرد، القـديم، الكـافي، الكفيـل، المغـــني، المحصـــي، المنتقم، المبـــدئ، المعيـــد، المغيث، المحـيي، المميت، المالـك، المـدبّر، النّـور، الـوالي، الـوفي، الـواقي، الخـافض، الرّافـع، المعطي، المـانع، النّـافع، **المعزّ المذلّ**", وهـذه الأسـماء توجـد في كثـير من الكتب، وتـتردّد على كثـير من الألسـنة، بـل وتطبـع على بطاقـات صـغيرة يقرؤها بعض النّاس دبر الصّلوات.

فآمل من سماحتكم إفادتنا بما يكون شافيا كافيا في بيان الحق في هذه الأسماء، وهل يجوز التّعبيد بهـا، كعبـد البـاقي, وعبد الدّائم, وعبد البديع, وعبد الجليل ونحوها؟ وجزاكم اللـه خيرا.

فأجابت بقولها: أسماء الله سبحانه وتعـالى كلّهـا حسـنى، وقد صحّ عن النّبي صـلّى اللـه عليـه وسـلّم: "أنّ للـه تسـعة وتسعين اسما من أحصـاها دخـل الجنّـة "، ومعـنى إحصـاؤها: معرفتها ومعرفة معانيها والإيمان بهـا والتّعبـد للـه بمقتضـاها، ولم يصح في تعيينها حديث, وبناء على ذلـك, فإنّهـا تؤخـذ من القرآن الكريم, ومما صـحّ عن رسـول اللـه صـلّى اللـه عليـه وسـلّم في الأحـاديث؛ لأنّهـا توقيفيّـة فلا يثبت منهـا شـيء إلاّ بدليل صحيح من الكتاب والسّـنّة الصّـحيحة, وباللـه التوفيـق، وصلّى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم[1].

ومما سبق يتجلى للقارئ أنّ اسـم "المعـز المـذل" ليس من أسماء الله الحسـنى الـواردة في الكتـاب والسـنة, وإنّمـا يوصف الله تعالى بأنّه يعزّ ويذل لما يلي:

---

[1] () فتاوى اللجنة الدائمة رقم 19110 (2/251).

1- أنّ أسماء الله تعالى توقيفيـة, فلا تثبت إلا بـالنصّ من الكتاب العزيز أو السنة المطهرة.

2- ضعف الروايات التي فيها ورد فيهـا عـدّ اسـم "المعـز المذل" من أسماء الله تعالى الحسنى كما سبق بيانه.

3- عدم تحقق الضوابط التي ذكرها أهل العلم في تميـيز اسم الله تعالى عن غيره في اسم "المعز المذل".

4- أنّ أسماء الله الحسنى لا تثبت بالاشتقاق من الأفعـال كمـا هـو مـذهب المعتزلـة والكراميـة وغـيرهم كـابن العـربي والقرطبي وكثيرا من المؤلفين في الأسماء والصـفات, واللـه تعالى أعلم.

المطلب السّادس:
ما جاء في تسميّة الله تعالى بربّ العزّة.

من الأسماء الـتي أثبتهـا أهـل العلم للـه تعـالى, الأسـماء المضـافة مثـل أرحم الـرّاحمين, وربّ العـالمين, ومالـك يـوم الـدّين, وغـير ذلـك من جنس هـذه الأسـماء الـتي ثبتت في الكتـاب العزيـز والسّـنّة المطهّـرة, وهـذا النّـوع من الأسـماء حصل فيه الخلاف أيضـا بين أهـل العلم بين مثبت ونـاف لـه, وممّن ذكـر هـذا النّـوع من الأسـماء على سـبيل المثـال لا الحصر:

قـوام السّـنّة الأصـبهاني رحمـه اللـه حيث قـال: (ومن الأسـماء المضـافة ذو الجلال والإكـرام...ومن أسـمائه: خـير الفاتحين، وخير الرّاحمين، وخير الغـافرين، وأرحم الـرّاحمين, كلّ هذه الأسماء ممنوعة لا تكون إلاّ لله عزّ وجلّ)[1].

وشيخ الإسـلام رحمـه اللـه حيث قـال: (وكـذلك أسـماؤه المضــافة، مثــل: أرحم الــرّاحمين، وخــير الغــافرين، وربّ العالمين، ومالك يوم الدّين، وأحسن الخالقين، وجامع النّـاس ليـوم لا ريب فيـه، ومقلّب القلـوب، وغـير ذلـك ممّـا ثبت في الكتـاب والسّـنّة، وثبت في الـدّعاء بهـا بإجمـاع المسـلمين، وليست من هذه التّسعة والتّسعين)[2].

وابن عـثيمين رحمـه اللـه حيث قـال: (ومن أسـماء اللـه تعــالى مــا يكــون مضــافا مثــل: مالــك الملــك، ذي الجلال والإكرام)[3], وغيرهم من أهل العلم.

ومن الأسماء المضافة التي ذكرها بعض أهـل العلم اسـم "ربّ العزّة" فقد ثبت في الكتاب العزيز في قوله تعـالى: ﰡ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﰀ [الصافات: ١٨٠].

ومعنى قوله: ﰁﯩ ﯪ ﰀ , أي: ذي العزّة[4].

وقوله تعالى: ﰁﯩ ﯪ ﰀ , هذه من باب إضافة الموصـوف إلى الصّفة, وهو بدل من الرّبّ قبله, وعلى هذا، فـ ﰁﯩ ﯪ ﰀ

[1] () الحجة في بيان المحجة (1/150-153).
[2] () الفتاوى الكبرى (2/383).
[3] () القواعد المثلى (ص16).
[4] () نقض الإمام الدارمي على المريسي (1/553).

هنا معناها: صاحب العزّة، كما يقال: ربّ الدّار، أي: صاحب الدّار[1].

وأيضا ثبت هذا الاسم في بعض الأحاديث عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم فمن ذلك:

ما ثبت من حديث عبد الله بن مسعود الطويل رضي الله عنه، عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم وفيه: "...فيقول: أي عبدي ألم تعاهدني أنّك لا تسألني غيرها؟ فيقول: يا ربّ أدخلني الجنّة، قال: فيقول عزّ وجلّ: ما يَصْرِينِي منك، أي عبدي؟ أيرضيك أن أعطيك من الجنّة الدّنيا ومثلها معها؟ قال: فيقول: أتهزأ بي، أي ربّي وأنت **ربّ العزّة**؟ قال: فضحك عبد الله، حتى بدت نواجذه، ثم قال: ألاّ تسألوني لم ضحكت؟ قالوا له: لم ضحكت؟ قال: لضحك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم قال لنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ألا تسألوني لم ضحكت؟ قالوا: لم ضحكت يا رسول الله؟ قال: لضحك الرّبّ، حين قال: أتهزأ بي، وأنت **ربّ العزّة**؟!"[2].

وما ثبت في حديث الإسراء الطّويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه: "حتّى جاء سدرة المنتهى, ودنا للجبّار **ربّ العزّة** فتدلى حتّى كان منه قاب قوسين أو أدنى, فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمّتك كلّ يوم وليلة,...الحديث"[3].

وأيضا حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: "لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتّى يضع **ربّ العزّة** فيها قدمه، فتقول: قط قط, وعزّتك، ويزوي بعضها إلى بعض "[4], ولمسلم بلفظ: " لا تزال جهنّم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتّى يضع **ربّ العزّة** فيها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط، بعزّتك

---

1 () انظر: شرح الواسطية للهرّاس (ص76), شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص140).

2 () أخرجه أحمد في المسند (6/253), وقال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم, رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

3 () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب قوله: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [النساء: ١٦٤] (9/149), رقم: (7517).

4 () أخرجه البخاري, كتاب الأيمان والنذور, باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته (8/134), رقم: (6661).

وكرمك، ولا يزال في الجنّة فضل حتّى ينشئ الله لها خلقا، فيسكنهم فضل الجنّة "[1].

وثبت عن بعض الصّحابة التّصريح باسم الله تعالى ربّ العزّة من ذلك:

قول أم سلمة رضي الله عنها: "نعم اليوم يوم عرفة، ينزل فيه **ربّ العزّة** إلى السّماء الدّنيا" [2].

وأيضا في رجال الحديث من تكنّى بأبي عبد ربّ العزّة منهم عبد الجبّار الدّمشقي[3].

فقد ذكر الدّولابي[4] رحمه الله فصل من كنيته أبو عبد ربّ, أبو عبد ربّ الزّاهد واسمه عبد الرّحمن, وأبو عبد ربّ العزّة واسمه عبد الجبّار, وأبو عبد ربّ الوضوء[5] واسمه عبد الرّحمن بن نافع.

وأورد حديثا بسنده فيه أبو عبد ربّ العزّة عبد الجبّار الدّمشقي[6].

وأيضا أورد القضاعي[7] رحمه الله حديثا بسنده فيه أبو

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها, باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (4/2188), رقم: (2848).

[2] () الرد على الجهمية للدارمي (ص85).

[3] () هو عبد الجبار أبو عبد رب العزة الدمشقي التابعي، سمع معاوية رضى الله عنه، وروى عنه ابن جابر، ذكره ابن حبان في الثقات, مات سنة اثنتي عشرة ومائة. انظر: التاريخ الكبير (6/108), والثقات (5/130), والتهذيب (12/152).

[4] () هو محمد بن أحمد بن حماد أبو بشر الأنصاري، الدولابي، الرازي، الوراق, الإمام الحافظ البارع، سمع من محمد بن بشار، ومحمد بن المثنى, وحدث عنه: ابن أبي حاتم، وابن عدي, كان صلبا على أهل الرأي, مات سنة عشر وثلاث مائة. وفيات الأعيان (4/352), وسير أعلام النبلاء (14/309-310).

[5] () لا شك أنّ التعبيد لمثل هذا لا يجوز كما سيأتي مع الباحث في حكم التعبيد لاسم الله "العزيز".

[6] () انظر: الكنى والأسماء (2/863-864).

[7] () هو محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي المصري الفقيه الشافعي، قال السلفي:(كان من الثقات الأثبات، شافعي المذهب والاعتقاد، مرضي الجملة), صاحب كتاب الشهاب, وأخبار الشافعي, والتاريخ, وغيرها, مات بمصر في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وأربع مائة. انظر: تاريخ دمشق (53/167), ووفيات الأعيان (4/212), وسير أعلام النبلاء (18/92).

عبد ربّ العزّة[1].

وممّن ذكر اسم "ربّ العزّة" ممّن جمع أسماء الله تعالى الشّرباصي[2].

1 () انظر: مسند الشهاب (2/197).

2 () انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص198).

المطلب السّابع:
ما جاء في الأسماء المقاربة له في المعنى.

أسماء الله تعالى كلّها تدلّ على ذاته سبحانه وتعالى, وإنّما تتباين أسماء الله تعالى باعتبار دلالتها على المعاني والصّفات, فكلّ اسم من أسماء الله تعالى يدلّ على صفة غير الصّفة التي دلّ عليها الاسم الآخر؛ لذا ذكر العلماء قاعدة مهمة, وهي: أنّ أسماء الله تعالى مترادفة باعتبار دلالتها على ذات الله تعالى ومتباينة باعتبار دلالتها على الصّفات, مثل اسم الله الرّحيم يدلّ على ذات الله تعالى, ويدلّ على صفة الرّحمة, واسم الله الودود يدلّ على ذات الله تعالى, وعلى صفة الود, فاسما الله الرّحيم والودود متفقان في الدّلالة على ذاته سبحانه, ومتباينان في الدّلالة على الصّفات, فصفة الرّحمة غير صفة الود.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إنّ أسماءه الحسنى لها اعتباران: اعتبار من حيث الذّات, واعتبار من حيث الصّفات, فهي بالاعتبار الأوّل مترادفة, وبالاعتبار الثّاني متباينة)[1].

إلاّ أنّ بعض أسماء الله الحسنى تتقارب في المعاني, فهناك مجموعة من الأسماء تدلّ على الرّحمة, والرّأفة, وما في معناها, مثل أسماء الله: الرّحيم, والرّؤوف, والودود, والغفور, والحليم, وهناك مجموعة من الأسماء تدلّ على القوّة, والعظمة, والجبروت, مثل أسماء الله تعالى: الجبّار, والعظيم, والقهّار وغيرها.

واسم الله العزيز من مجموعة هذه الأسماء التي تدلّ على القدرة, والعظمة, والجبروت.

قال السّعدي رحمه الله تعالى عن هذه الأسماء (العزيز- القويّ-المتين- القدير): (هذه الأسماء العظيمة معانيها متقاربة فهو تعالى كامل القوّة عظيم القدرة)[2].

وبالنّظر في معاني أسماء الله تعالى يجد الباحث أنّ

---

1 () بدائع الفوائد (1/162).

2 () تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص60).

الأسماء التي تقارب معنى اسم الله "العزيز" في المعنى حسب اطلاعه هي: الله, والرّبّ, والملك, والعظيم, والقويّ, والمتين, والقادر, والقدير, والمقتدر, والقاهر, والقهّار, والجبّار, والمتكبّر, والكبير, والأعلى, والعليّ, والمتعالي.

وسيحاول الباحث بيان معاني هذه الأسماء في اللّغة, ثم بيان معناها في حقّ الله تعالى, ثمّ يذكر وجه المقاربة بينها وبين اسم الله العزيز.

اسم الله جلّ جلاله:

ورد اسم لفظ الجلالة الله في كثير من الآيات من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: ﭐﭑ ﭒ ﭓ ﭔ [الفاتحة: ٢].

وقوله: ﭐﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ [البقرة: ٢٥٥].

معناه في اللّغة:

قال أبو الهيثم[1] رحمه الله: فالله أصله إله، قال الله جلّ وعزّ: ﭐﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ [المؤمنون: ٩١], قال: ولا يكون إلها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعابده خالقا، ورازقا، ومدبرا، وعليه مقتدرا، فمن لم يكن كذلك، فليس بإله، وإن عبد ظلما، بل هو مخلوق ومتعبّد.

قال: وأصل إله ولاه, فقلبت الواو همزة كما قالوا: للوشاح إشاح، وللوجاج إجاج, ومعنى ولاه أن الخلق إليه يولهون في حوائجهم، ويفزعون إليه فيما يصيبهم, ويفزعون إليه في كلّ ما ينوبهم كما يوله كلّ طفل إلى أمّه, وقد سمّت العرب الشّمس لما عبدوها: إلاهة[2].

قال ابن الأثير[3] رحمه الله: (هو مأخوذ من إلاه، وتقديرها

---

[1] () هو أبو الهيثم الرازي النحوي, كان عالماً بالعربية، عذب العبارة، دقيق النظر, عالماً ورعاً, كثير الصلاة، صاحب سنة، ولم يكن ضنيناً بعلمه وأدبه, مات سنة ست وعشرين ومائتين. انظر: نزهة الألباء (ص118), وإنباء الرواة (4/188).

[2] () تهذيب اللغة (6/222).

[3] () هو المبارك بن محمد بن محمد مجد الدين، أبو السعادات ابن الأثير الشيباني، الجزري، ثم الموصلي، القاضي، صاحب جامع الأصول، والنهاية وغيرها، وأخوه عز الدين، صاحب التاريخ،

فعلانية بالضّم: يقول: إلاه بين الإلاهيّة والألهانيّة, وأصله من أله يأله إذا تحير, يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الرّبوبيّة، وصرف همّه إليها أبغض النّاس حتى لا يميل قلبه إلى أحد)[1].

معناه في حق الله تعالى:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والإله هو المألوه, أي: المستحق لأنّ يؤله, أي: يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلاّ الله وحده, وكلّ معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل)[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (فإنّ الإله هو الذي تألهه القلوب: محبّة، وإنابة، وإجلالا، وإكراما، وتعظيما، وذلّا، وخضوعا، وخوفا ورجاء، وتوكلا)[3].

ويقول السّعدي رحمه الله: (الله: هو المألوه المعبود، ذو الألوهيّة والعبوديّة على خلقه أجمعين، لما اتّصف به من صفات الألوهيّة التي هي صفات الكمال)[4].

وجه المقاربة:

اسم الله تعالى يقارب اسم الله العزيز في كونه دالاّ عليه ومتضمّناً له, فاسم الله العزيز من معاني اسم الله, إذ اسم الله تعالى "الله" دالّ على جميع الأسماء الحسنى لله تعالى, واسمُ الله تعالى "العزيز", وغيره من الأسماء الحسنى الأخرى تفصيل لهذا الاسم العظيم.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فاسم الله دالّ على جميع الأسماء الحسنى، والصّفات العليا بالدّلالات الثّلاث، فإنّه دالّ على إلهيته المتضمّنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه.

وأخوهما ضياء الدين، صاحب المثل السائر مات بالموصل سنة ست وست مائة. انظر: معجم الأدباء (5/2268), وسير أعلام النبلاء (21/488-491).

[1] () النهاية (1/62).

[2] () مجموع الفتاوى (13/202).

[3] () إغاثة اللهفان (1/27).

[4] () تيسير الكريم الرحمن (ص945).

وصفات الإلهية: هي صفات الكمال، المنزّهة عن التّشبيه والمثال، وعن العيوب والنّقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [الأعراف: ١٨٠], ويقال: الرّحمن والرّحيم، والقدوس، والسّلام، والعزيز، والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرّحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعُلِم أنّ اسمه "الله" مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دالّ عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم "الله"، واسم "الله" دالّ على كونه مألوها معبودا، تؤلهه الخلائق محبة وتعظيما وخضوعا، وفزعا إليه في الحوائج والنّوائب، وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته، المتضمنين لكمال الملك والحمد، وإلهيته وربوبيته ورحمانيته وملكه مستلزمٌ لجميع صفات كماله، إذ يستحيل ثبوت ذلك لمن ليس بحي، ولا سميع، ولا بصير، ولا قادر، ولا متكلّم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله.

وصفات الجلال والجمال: أخصّ باسم الله.

وصفات الفعل والقدرة، والتّفرّد بالضّر والنّفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوّة، وتدبير أمر الخليقة أخصّ باسم الرّبّ.

وصفات الإحسان، والجود والبرّ، والحنان والمنّة، والرّأفة واللّطف أخصّ باسم الرّحمن، وكرَّرَ إيذانا بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلّقه بمتعلقاته)[1].

وأيضا فإنّ صفة العزّة لله تعالى من أوصاف الألوهيّة, ومن الصّفات التي استحقّ الله لأجلها أن يعبد ويؤله.

يقول السّعدي رحمه الله: **(**وأوصاف الألوهية هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرّحمة والبرِّ والكرم والامتنان.

فإنَّ هذه الصّفات هي التي يستحقّ أن يُؤله ويُعبد لأجلها، فيؤله لأنَّ له أوصافَ العظمة والكبرياء، ويؤله لأنّه المتفرِّد

[1] () مدارج السالكين (1/33).

بالقيُّومية والرّبوبيّة والملك والسّلطان، ويؤله لأنّه المتفرِّد بالرّحمة وإيصال النّعم الظّاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنّه المحيط بكلّ شيء علما وحكما وحكمة وإحسانا ورحمة وقدرة وعزّة وقهرا، ويؤله لأنّه المتفرِّد بالغنى المطلق التّام من جميع الوجوه، كما أنَّ ما سواه مفتقر إليه على الدّوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلِّها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشدّ الضّرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتّأله له وحده.

فالألوهيّة تتضمّن جميع الأسماء الحسنى والصّفات العليا)[1].

اسم الله تعالى الرّبّ:

ورد اسم الرّبّ لله تعالى في عدّة آيات من كتاب الله تعالى, منها قوله تعالى: ﴿پ پ پ ﴾ [الفاتحة: ٢].

وقوله: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﴾ [المائدة: ٢٨].

معناه في اللّغة:

قال ابن الأنباري[2] رحمه الله: (الرّبّ ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون "الرّب": المالك؛ ويكون "الرّب" السّيّد المطاع، فقال الله تعالى: ﴿ﮠ ﮡ ﮢ ﴾ [يوسف: ٤١], أي: سيّده؛ ويكون "الرّبّ" المصلح, ربّ الشّيء، أي: أصلحه)[3].

وقال ابن الأثير رحمه الله: (الرّبّ يطلق في اللّغة على المالك، والسّيّد، والمدبّر، والمربي، والقيّم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلاَّ على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال ربّ كذا, وقد جاء في الشّعر مطلقا على غير

---

[1] () فتح الرحيم الملك العلام (ص12).

[2] () هو محمد بن القاسم بن بشار أبو بكر بن الأنباري، الحافظ اللغوي ,له كتاب الوقف والابتداء، وغريب الغريب النبوي وغير ذلك، وكان أبوه القاسم بن محمد الأنباري محدثا إخباريا علامة من أئمة الأدب, مات ببغداد سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (15/274-277).

[3] () تهذيب اللغة (15/128)

الله تعالى، وليس بالكثير)[1].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال ابن كثير رحمه الله: (والرّبّ هو المالك المتصرّف، ويطلق في اللّغة على السّيّد، وعلى المتصرّف للإصلاح، وكلّ ذلك صحيح في حقّ الله تعالى, ولا يستعمل الرّبّ لغير الله، بل بالإضافة تقول: ربّ الدّار ربّ كذا، وأمّا الرّبّ فلا يقال إلاّ لله عزّ وجلّ، وقد قيل: إنّه الاسم الأعظم)[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (قوله: ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ [الفاتحة: ٢], وربوبيّته للعالم تتضمّن تصرّفه فيه, وتدبيره له, ونفاذ أمره كلّ وقت فيه, وكونه معه كلّ ساعة في شأن يخلق ويرزق, ويميت ويحيي, ويخفض ويرفع, ويعطي ويمنع, ويعزّ ويذلّ, ويصرّف الأمور بمشيئته وإرادته, وإنكار ذلك إنكار لربوبيّته وإلهيّته وملكه)[3].

فالرّبّ (هو المربّي جميع عباده بالتّدبير وأصناف النّعم, وأخصّ من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم؛ ولهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنّهم يطلبون منه هذه التّربية الخاصة)[4].

وجه المقاربة:

فوجه التّقارب بين اسم الله العزيز واسم الله الرّب, هو أنّ اسم الله "العزيز" من معاني ربوبية الله تعالى التي يدلّ عليها اسم الله "الرّب", (فإنّ الرّب هو: القادر, الخالق, البارئ, المصوّر, الحيّ, القيّوم, العليم, السّميع, البصير, المحسن المنعم الجواد, المعطي المانع, الضّار النّافع, المقدّم المؤخّر, الذي يضلّ من يشاء, ويهدي من يشاء, ويسعد من يشاء, ويشقي, ويعزّ من يشاء, ويذلّ من يشاء, إلى غير ذلك من معاني ربوبيّته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى)[5].

---

1 () النهاية (2/179).
2 () تفسير القرآن العظيم (1/131).
3 () الصواعق المرسلة (4/1223).
4 () تيسير الكريم الرحمن (ص945).
5 () بدائع الفوائد (2/249).

ولأنّ اسم الله العزيز من صفات الفعل والقدرة وكمال القوّة, وهذه الصّفات من معاني ربوبيّة الله تعالى, وأخصّ باسم الله الرّب.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وصفات الفعل والقدرة، والتفرّد بالضّر والنّفع، والعطاء والمنع، ونفوذ المشيئة وكمال القوّة، وتدبير أمر الخليقة أخصّ باسم الرّب.

وصفات الإحسان، والجود والبرّ، والحنان والمنّة، والرّأفة واللّطف أخصّ باسم الرّحمن، وكرّر إيذانا بثبوت الوصف، وحصول أثره، وتعلّقه بمتعلقاته)[1].

اسم الله الملك:

ورد اسم الملك لله تعالى أربع مرّات في كتاب الله تعالى, منها قوله سبحانه: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [المؤمنون: ١١٦].

معناه في اللّغة:

الميم واللام والكاف أصل صحيح يدلّ على قوّة في الشّيء وصحة, يقال: أملَك عجِينَه: قوَّى عَجِنَه وشدَّه, وملّكتُ الشّيء: قوّيتُه, وفيه لغتان يقال منه: أمْلَكْت العجين إِمْلاكاً ومَلكْتُه أمْلُكُه مُلْكاً)[2].

والأصل هذا, ثم قيل مَلَكَ الإنسان الشّيء يملِكُه مَلْكا, والاسم المِلْك؛ لأنّ يده فيه قويّة صحيحة, فالمِلْك: ما مُلِك من مال, والمملوك: العبْد, وفلانٌ حَسن المَلَكة، أي: حسن الصّنيع إلى مماليكه[3].

والملك: هو المتصرّف بالأمر والنّهي.

والملك ضربان: ملك هو التّملك والتّولي، وملك هو القوّة على ذلك، تولى أو لم يتول, فمن الأوّل قوله: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮊ [النمل: ٣٤]، ومن الثّاني قوله: ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [المائدة: ٢٠],

---

[1] مدارج السالكين (1/33).

[2] انظر: مقاييس اللغة (5/281), وغريب الحديث لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (3/329).

[3] مقاييس اللغة (5/281).

فجعل النّبوة مخصوصة والملك عاما، فإنّ معنى الملك هاهنا هو القوّة

قال بعضهم: الملك اسم لكلّ من يملك السّياسة، إمّا في نفسه وذلك بالتّمكين من زمام قواه وصرفها عن هواها، وإمّا في غيره سواء تولى ذلك أو لم يتول.

فالـمُلْكُ ضبط الشّيء المتصرّف فيه بالحكم، والملك كالجنس للمِلْك، فكلّ مُلْكٍ مِلْكٌ، وليس كلّ مِلْكٍ مُلْكًا.

والملكوت: مختصّ بملك الله تعالى، وهو مصدر ملك أدخلت فيه التّاء, نحو: رحموت ورهبوت[1].

وقيل الملكوت: اسم مبني من الملك، كالجبروت والرّهبوت، من الجبر والرّهبة[2].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال ابن جرير رحمه الله: (الملك الذي لا ملك فوقه، ولا شيء إلاّ دونه)[3].

وقال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﭽﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ [البقرة: ١٠٧].

(أي: هو المالك لجميع ذلك، الحاكم فيه، الذي لا معقّب لحكمه، وهو الفعّال لما يريد ﭽﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ [المائدة: ٤٠]) [4].

وقال أيضا عند قوله سبحانه: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ [الحشر: ٢٣]: (أي: المالك لجميع الأشياء المتصرّف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة)[5].

ويبيّن ابن القيم رحمه الله حقيقة ملك الله تعالى فيقول: (فإنّ حقيقة الملك إنّما تتمّ بالعطاء والمنع, والإكرام والإهانة, والإثابة والعقوبة, والغضب والرّضا, والتّولية والعزل, وإعزاز من يليق به العزّ, وإذلال من يليق به الذّلّ, قال تعالى: ﭽﮁ ﮂ ﮃ

1 () المفردات في غريب القرآن (ص774-775).
2 () النهاية (4/358).
3 () جامع البيان (23/302).
4 () تفسير القرآن العظيم (3/112).
5 () المصدر السابق (8/79).

ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ آل عمران: ٢٦ - ٢٧]، وقال تعالى: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبا، ويفرج كربا، ويكشف غمّا، وينصر مظلوما، ويأخذ ظالما، ويفكّ عانيا، ويغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويشفي مريضا، ويقيل عثرة، ويستر عورة، ويعزّ ذليلا، ويذلّ عزيزا، ويعطي سائلا، ويذهب بدولة، ويأتي بأخرى، ويداول الأيام بين النّاس، ويرفع أقواما ويضع آخرين، يسوق المقادير التي قدّرها قبل خلق السّموات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها، فلا يتقدّم شيء منها عن وقته ولا يتأخّر، بل كلّ منها قد أحصاه، كما أحصاه كتابه، وجرى به قلمه، ونفذ فيه حكمه، وسبق به علمه، فهو المتصرّف في الممالك كلّها وحده، تصرّف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك، لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرّفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان، والحكمة والمصلحة والرّحمة، فلا يخرج تصرّفه عن ذلك)[1].

وجه المقاربة:

وجه المقاربة أنّ اسم الله العزيز من معاني اسم الله الملك، ولا يتمّ المعنى الحقيقي لاسم الله الملك إلاّ بالأسماء التي يستحقها مثل: اسم الله العزيز، والجبّار، والقدير، والحكم، والعدل، وغير ذلك من الأسماء التي لا تتمّ حقيقة الملك إلاّ بها.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إنّ من أسمائه الملك، ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكلّ وجه، وهذه الصفة تستلزم سائر صفات الكمال، إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التام لمن ليس له حياة، ولا قدرة، ولا إرادة، ولا سمع، ولا بصر، ولا كلام، ولا فعل اختياري يقوم به، وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى، ولا يثيب ولا يعاقب، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يعزّ ويذلّ، ويهين ويكرم، وينعم وينتقم، ويخفض ويرفع، ويرسل الرّسل إلى أقطار مملكته، ويتقدّم إلى عبيده بأوامره ونواهيه، فأيّ ملك في الحقيقة لمن عدم

---

[1] () طريق الهجرتين (ص206).

ذلــك؟, وهــذا يــبيّن أنّ المعطّلين لأســمائه وصــفاته جعلــوا مماليكه أكمل منه, ويأنف أحدهم أن يقال في أمره وملكه ما يقوله هو في ربّه, فصفة ملكيّة الحقّ مستلزمة لوجـود مـا لا يتمّ التّصـرّف إلاّ بـه, والكـلّ منـه سـبحانه فلم يتوقّـف كمـال ملكه على غيره, فإنّ كلّ ما سـواه مسـند إليـه, متوقّـف في وجوده على مشيئته وخلقه)[1].

ويقول أيضا: (وأمّا الملك فهو الآمر النّاهي, المعزّ المذلّ, الذي يصرّف أمور عباده كمـا يحبّ, ويقلّبهم كمـا يشـاء, ولـه من معنى الملك ما يستحقّه من الأسـماء الحسـنى, كـالعزيز الجبّار الحكم العدل, الخافض الرّافـع, المعـزّ المـذلّ, العظيم الجليل الكبير الحسيب المجيد الوالي المتعالي, مالك الملـك, المقسـط الجـامع, إلى غـير ذلـك من الأسـماء العائـدة إلى الملك)[2].

وقال ابن الوزير رحمـه اللـه: (وقـد أجمعت الأمّـة, وعلم من الدّين ضرورة أنّ اللـه تعـالى تمـدح بأنّـه الملـك الحميـد, وإلى هــذين الاســمين الشّــريفين ترجــع متفرقــات أســمائه الحســنى, فمــا كــان منهــا يقتضــي كمــال العــزّة والقــدرة والجـبروت والاسـتقلال والجلال دخـل في اسـم الملـك وعـاد إليه, وما كان منها يقتضي الجود والرّحمـة واللّطـف والصّـدق والعـدل وكشـف الضّـر, وأمثـال ذلـك من الممـادح دخـل في اسم الحميد)[3].

اسم الله العظيم:

ورد اسـم اللـه العظيم في سـتّة مواضـع من كتـاب اللـه تعالى, منها قوله سبحانه: ﭽ   ى ى ﭼ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [الواقعة: ٩٦].

معناه في اللّغة:

قال الأزهريّ رحمه الله: ومن صفات الله عزّ وجلّ العليّ العظيم، ويسبّح العبد ربّـه فيقـول: سـبحان ربّي العظيم, أي:

1 () شفاء العليل (ص220).
2 () بدائع الفوائد (2/249).
3 () إيثار الحق على الخلق (ص186).

اجعلوه في أنفسكم ذا عظمة.

وإنّ لفلان عظمة عند النّاس, أي: حرمة يعظّم لها, وإنّه لعظيم المعاظم, أي: عظيم الحرمة.

ويقال: عظُم يعظُم عظما فهو عظيم, وأما عظْم اللّحم فبتسكين الظّاء، يجمع عظاما وعظامة.

وقال اللّيث[1]: العظمة: التّعظم والنّخوة والزّهو.

قلت: أمّا عظمة الله فلا توصف بما وصفها به اللّيث, وإذا وصف العبد بالعظمة فهو ذم؛ لأنّ العظمة في الحقيقة لله عزّ وجلّ، وأمّا عظمة العبد فهو كبره المذموم وتجبّره.

وعظم الشّيء ومعظمه: جله وأكبره.

والعظمية: الملمّة إذا أعضلت.

يقال: أصابنا مطر لا يتعاظمه شيء, أي: لا يعظم عنده شيء.

وقال اللّحياني[2]: يقال: أعظمني ما قلت لي, أي: هالني وعظم علي, ويقال: ما يعظمني أن أفعل ذاك, أي: ما يهولني، ورماه بمعظم, أي: بعظيم، وقد أعظم الأمر فهو معظم[3].

معناه في حقّ الله تعالى:

قال قوام السنّة الأصبهاني رحمه الله: (ومن أسمائه تعالى العظيم: العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق, والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظّم بها بعضهم

---

1 () هو الليث بن نصر بن يسار, وقيل: الليث بن المظفر، وقيل: الليث بن رافع بن نصر الكناني, حفيد نصر بن سيار الكناني آخر ولاة خراسان للدولة الأموية, وصاحب الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو الذي أكمل كتاب معجم العين ونشره. انظر: معجم الأدباء (5/2253), والوافي بالوفيات (24/313).

2 () هو علي بن حازم, وقيل علي بن المبارك أبو الحسن اللحياني, سمِّي اللحياني لعظم لحيته, وقيل بل لأنّه من بني لحيان, من أكابر أهل اللغة, وله كتاب النوادر, وهو ممن عاصر الفرّاء. انظر: إنباء الرواة (2/255), والوافي بالوفيات (21/265).

3 () انظر: تهذيب اللغة (2/182).

بعضا، فمن النّاس من يعظّم لمال، ومنهم من يعظّم لفضل، ومنهم من يعظّم لعلم، ومنهم من يعظّم لسلطان، ومنهم من يعظّم لجاه, وكلّ واحد من الخلق إنّما يعظّم لمعنى دون معنى، والله عزّ وجلّ يعظّم في الأحوال كلّها، فينبغي لمن عرف حقّ عظمة الله أن لا يتكلّم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كلّ نفس بما كسبت)[1].

يقول السّعدي رحمه الله: (العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء، والمجد والبهاء، الذي تحبّه القلوب، وتعظّمه الأرواح، ويعرف العارفون أنّ عظمة كلّ شيء، وإن جلّت عن الصّفة، فإنّها مضمحلّة في جانب عظمة العليّ العظيم, والله تعالى عظيم له كلّ وصف ومعنى يوجب التّعظيم, فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يثنى عليه عباده, واعلم أنّ معاني التّعظيم الثّابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنّه موصوف بكلّ صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسعه، فله العلم المحيط، والقدرة النّافذة، والكبرياء، والعظمة، ومن عظمته أنّ السّماوات والأرض في كفّ الرّحمن أصغر من الخردلة كما قال ذلك ابن عباس وغيره, وقال تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ [الزمر: ٦٧].

وقال: ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [فاطر: ٤١].

وقال تعالى: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [الشورى: ٤ - ٥] الآية.

وفي الصّحيح عنه صلّى الله عليه وسلّم: إنّ الله يقول: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما

[1] () الحجة في بيان المحجة (1/141).

عذبته"[1], فللّه تعالى الكبرياء والعظمة، والوصفان اللّذان لا يقدر قدرهما ولا يبلغ كنههما.

النّوع الثّاني: من معاني عظمته تعالى أنّه لا يستحقّ أحد من الخلق أن يعظّم كما يعظّم الله, فيستحقّ جلّ جلاله من عباده أن يعظّموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبّته، والذّل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه, وإعمال اللّسان بالثّناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يتّقى حقّ تقاته فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، ومن تعظيمه تعظيم ما حرّمه وشرّعه من زمان ومكان وأعمال ﮋ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [الحج: ٣٢], و ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [الحج: ٣٠], ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء ممّا خلقه أو شرّعه)[2].

وجه المقاربة:

وجه المقاربة في المعنى بين العزيز والعظيم من وجهين:

أحدهما: أنّ كلا الاسمين يدلّان على تمام القدرة, وأنّه جلّ شأنه لا أحد قادر على مقاومته لعزته وعظمته, وأيضا كلا الاسمين يتضمّنان عدم عجز الله تعالى, وأيضا يدلّان على تمام قهره.

الثّاني: أنّ العظمة والعزّة من الصّفات المتقاربة التي

---

1 () الحديث بهذا اللفظ أخرجه أحمد في المسند (14/473), رقم: 8894, وابن ماجة في سننه, كتاب الزهد, باب البراءة من الكبر والتواضع (2/1397), رقم: 4174, وأبو داود, كتاب اللباس, باب ما جاء في الكبر (4/59), رقم:4090, والحديث صححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم: 4174, وفي المشكاة برقم: 5110, أما ما ورد في الصحيح فهو بلفظ: "العزّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته", أخرجه مسلم, كتاب البر والصلة والآداب, باب تحريم الكبر (4/2023), رقم: 2620.

2 () شرح أسماء الله الحسنى للسعدي (ص216-218), وانظر: تيسير الكريم الرحمن (ص954).

تشترك في جعل العبد ذليلا, وخاضعا, وخاشعا لله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله وهو يتكلّم عن الصّلاة وخاصة الرّكوع: (ثمّ يرجع جاثيًا له ظهرَه خضوعاً لعظمته, وتذلّلا لعزّته, واستكانة لجبروته, مسبّحا له بذكر اسمه العظيم, فنزّه عظمته عن حال العبد وذُلّه وخضوعه, وقابل تلك العظمَة بهذا الذّل والانحناء والخضوع قد تطامن, وطأطأ رأسه, وطوى ظهره, وربّه فوقه يرى خضوعه وذلّه, ويسمع كلامه, فهو ركن تعظيم وإجلال, كما قال صلّى الله عليه و سلّم: "أمّا الرّكوع فعظّموا فيه الرّب"[1])[2].

اسم الله القويّ:

ورد اسم الله القويّ سبع مرات في كتاب الله تعالى, منها قوله: ﴿ ﴾ [الشورى: ١٩].

وقوله: ﴿ ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

وقوله: ﴿ ﴾ [الأنفال: ٥٢].

معناه في اللّغة:

القوّة: خلاف الضّعف, والقوة: الطّاقة من الحبل، وجمعها قوى.

ورجل شديد القوى، أي: شديد أسر الخلق[3].

والفرق بين القدرة والقوّة هو أن (القوّة: صفة يتمكّن الفاعل بها من الفعل بدون ضعف، والدّليل عليه قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الروم: ٥٤]، وليست القوّة هي القدرة، لقوله تعالى: ﴿ ﴾ [فاطر: ٤٤]، فالقدرة يقابلها العجز، والقوّة يقابلها الضّعف، والفرق بينهما: أنّ القدرة يوصف بها ذو الشّعور، والقوّة يوصف بها ذو الشّعور وغيره.

ثانيا: أنّ القوّة أخصّ, فكلّ قويّ من ذي الشّعور قادر،

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الصلاة, باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (1/348), رقم: 479.

[2] () شفاء العليل (ص228).

[3] () انظر: الصحاح تاج اللغة (6/2469).

وتقول: الحديد قويّ، ولا تقول: قادر، لكن ذو الشّعور تقول: إنّه قويّ، وإنّه قادر)[1].

معناه في حقّ الله تعالى:

قال الزّجاج رحمه الله: (القويّ: هو الكامل القدرة على الشّيء, تقول: هو قادر على حمله فإذا زدته وصفا قلت: هو قويّ على حمله, وقد وصف نفسه بالقوّة فقال عزّ قائلا: ﴿ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ﴾ [الذاريات: ٥٨])[2].

وقال ابن جرير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﴾ [الأنفال: ٥٢]: (لا يغلبه غالب، ولا يردّ قضاءه رادّ، ينفذّ أمره، ويمضي قضاءه في خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه)[3].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﴾ [غافر: ٢٢]: (إنّ الله ذو قوّة, لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده)[4].

وقال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﴾ [الأنفال: ٥٢] (أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب)[5].

وجه المقاربة:

ووجه المقاربة بين اسم الله العزيز واسم الله القويّ, أنّ اسم الله القويّ من معاني اسم الله العزيز, فكلّ المعاني الموجودة في اسم الله القويّ من الغلبة والقهر, وأنّه لا يعجزه شيء, ولا يفوته هارب موجودة في اسم الله العزيز؛ ولهذا قال السّعدي رحمه الله في تفسير القويّ المتين: (هو في معنى العزيز)[6].

وقال قبل ذلك أيضا: (العزيز الذي له العزّة كلّها: عزّة القوة، وعزّة الغلبة، وعزّة الامتناع, فامتنع أن يناله أحد من

---

1 () شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص204-205).
2 () تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص54).
3 () جامع البيان (13/19).
4 () المصدر السابق (21/372).
5 () تفسير القرآن العظيم (4/78).
6 () تيسير الكريم الرحمن (ص946).

المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة وخضعت لعظمته)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيّته مشيرا إلى هذه المعاني التي يدلّ عليها اسم الله العزيز مع ذكر اسمه القويّ:

وهو القويّ له القوى جمعا تعا	لى الله ذو الأكوان والسّلطان

ثمّ قال:

وهو العزيز فلن يرام جنابه	أنّى يرام جناب ذي السلطان
وهو العزيز القاهر الغلاب لم	يغلبه شيء هذه صفتان
وهو العزيز بقوة هي وصفه	فالعزّ حينئذ ثلاث معان
وهي التي كملت له سبحانه	من كل وجه عادم النّقصان[2]

اسم الله المتين:

ورد اسمه سبحانه "المتين" مرّة واحدة في القرآن الكريم, وذلك في قوله تعالى: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ [الذاريات: ٥٨].

ومعناه في اللّغة:

المتين في اللّغة: هو الشّديد القوّة, يقال: (مَتَنْتُه مَتْناً بالتاء لا بالثّاء مأخوذ من الشّيء المتين، وهو القويّ

[1] () المصدر السابق (ص946).
[2] () النونية (ص205).

الشّديد..)[1].

معناه في حق الله تعالى:

عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [الذاريات: ٥٨], يقول: الشّديد[2].

(وهو يفيد في الله سبحانه التّناهي في القوّة والقدرة)[3].

قال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى "المتين" هو القويّ الشّديد الذي لا يلحقه في أفعاله مشقّة ولا كلفة ولا تعب، والمتانة: الشّدة والقوّة، فهو من حيث إنّه بالغُ القدرة تامُّها قويٌّ، ومن حيث إنّه شديد القوّة متين)[4].

فمعنى اسم الله تعالى المتين هو: شديد القوّة.

وجه المقاربة:

فاسم الله تعالى العزيز يشترك مع اسم الله تعالى المتين ويقاربه في كونهما يدلّان على القوّة.

ويقال في اسم الله المتين مثل ما قيل في اسم الله القويّ.

قال السّعدي رحمه الله في تفسير القويّ المتين: (هو في معنى العزيز)[5].

اسم الله القدير والمقتدر والقادر:

ورد اسم الله القدير في ستّة مواضع من كتاب الله, منها قوله: ﮋﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏﮊ [الروم: ٥٤].

وقوله: ﮋ ﯕ   ﮊ [الفتح: ٢١].

وأما القادر فذكر في قوله: ﮋ   ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ   ﮊ [الأنعام: ٦٥].

---

[1] () تهذيب اللغة (5/17),ـ وانظر: لسان العرب (8/293), وتاج العروس (36/146).

[2] () جامع البيان (22/447).

[3] () تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص55).

[4] () النهاية (4/293).

[5] () تيسير الكريم الرحمن (ص946).

وورد المقتدر في قوله: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮊ [القمر: ٥٥].

معانيها في اللّغة:

(القدير والقادر من صفات الله جلّ وعزّ، يكونان في القدرة، ويكونان من التّقدير.

قال اللّيث: القدرة: مصدر قدر على الشّيء قدرة، أي: ملكه فهو قادر قدير.

والتّقدير على وجوه من المعاني:

أحدهما: التّروية والتّفكير في تسوية أمر وتهيئته.

والثّاني: تقديره بعلامات تقطعه عليها.

والثّالث: أن تنوي أمرا بعقدك تقول: قدرت أمر كذا وكذا، أي: نويته وعقدت عليه[1].

قال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى: القادر والمقتدر والقدير, فالقادر: اسم فاعل من قدر يقدر, والقدير: فعيل منه وهو للمبالغة, والمقتدر: مفتعل من اقتدر وهو أبلغ)[2].

فـ(القادر الله, القادر على ما يشاء لا يعجزه شيء, ولا يفوته مطلوب, والقادر منّا وإن استحقّ هذا الوصف فإنّ قدرته مستعارة, وهي عنده وديعة من الله تعالى, ويجوز عليه العجز في حال, والقدرة في أخرى, والله تعالى هو القادر, فلا يتطرّق عليه العجز, ولا يفوته شيء.

المقتدر مبالغة في الوصف بالقدرة, والأصل في العربيّة أنّ زيادة اللّفظ زيادة المعنى, فلّما قلت: اقتدر أفاد زيادة اللّفظ زيادة المعنى)[3].

معناه في حقّ الله تعالى:

يقول الرّاغب الأصفهاني[4] رحمه الله: (القدرة إذا وصف

---

1 () تهذيب اللغة (9/40-41).
2 () النهاية (4/41).
3 () تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص59).
4 () هو الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم الأصبهاني, الملقب بالراغب, كان من أذكياء المتكلمين, له كتاب مفردات

بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكن من فعل شيء مـا، وإذا وصف الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه، ومحال أن يوصـف غير الله بالقدرة المطلقة معنى, وإن أطلـق عليـه لفظـا، بـل حقّه أن يقـال: قـادر على كـذا، ومـتى قيـل: هـو قـادر، فعلى سبيل معنى التّقييد؛ ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلاّ و يصحّ أن يوصف بـالعجز من وجـه، واللـه تعـالى هـو الذي ينتفي عنه العجز من كلّ وجه.

والقـدير: هـو الفاعـل لمـا يشـاء على قـدر مـا تقتضـي الحكمـة، لا زائـدا عليـه ولا ناقصـا عنـه؛ ولـذلك لا يصـحّ أن يوصف به إلاّ الله تعالى، قال: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ [البقرة: ٢٠].

والمقتدر يقاربه نحو: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [القمر: ٥٥]، لكن قد يوصف به البشر، وإذا اسـتعمل في اللـه تعـالى فمعنـاه القـدير، وإذا استعمل في البشر فمعناه: المتكلّف والمكتسب للقدرة)[1] .

ويوضّح ابن القيم رحمه الله معنى القدير فيقول: (القدير الذى لكمال قدرته يهدى من يشاء, ويضلّ من يشـاء, ويجعـل المؤمن مؤمنا, والكافر كافرا, والبرّ برّا, والفاجر فاجرا، وهــو الذي جعـل إِبـراهيم وآلـه أئمّـة يـدعون إليـه ويهـدون بـأمره، وجعل فرعون وقومه أئمّة يدعون إِلى النّار, ولكمال قدرته لا يحيط أحد بشيء من علمه إلاّ بما شاء سبحانه أن يعلّمه إيّاه, ولكمال قدرته خلـق السّـموات والأرض ومـا بينهمـا في سـتّة أيّام وما مسّه من لغوب, ولا يعجزه أحد من خلقه، ولا يفوته، بـل هـو في قبضـته أين كـان، فـإن فـرّ منـه, فإِنّمـا يطـوي المراحل في يديه كما قيل:

وكيف يفرّ المرءُ عنك بذنبه ... إذا كان يطوى في يديك المراحلا)[2]

وقال في النونية:

القرآن, والذريعة إلى أسـرار الشـريعة, وغيرهـا, مـات سـنة نيـف وخمســمائة. انظــر: ســير أعلام النبلاء (18/120), والبلغــة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص122).

[1] () المفردات في غريب القرآن (ص657-658).

[2] () طريق الهجرتين (ص212).

وهو القدير وليس يعجزه إذا ما رام شيئا قط ذو سلطان[3]

ويقول السّعدي رحمه الله: (القدير كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبَّرها، وبقدرته سواها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلّب القلوب، ويصرّفها على ما يشاء ويريد)[2].

وأيضا يأتي معنى القدير بمعنى القويّ كما في قوله تعالى: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [البقرة: ١٠٦].

قال ابن جرير رحمه الله: (ومعنى قوله: قدير في هذا الموضع: قويّ, يقال منه: قد قدرت على كذا وكذا، إذا قويت عليه, أقدر عليه, وأقدر عليه قدرة وقدرانا ومقدرة)[3].

وجه المقاربة:

ووجه المقاربة بين اسم الله تعالى العزيز, واسم الله تعالى القدير من وجهين:

أحدهما: دلالة كلا الاسمين على صفة القدرة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته, وأنّ الله تعالى لا يعجزه شيء, كما قال ابن القيم رحمه الله في النّونيّة:

وهو القدير وليس يعجزه إذا ما رام شيئا قط ذو سلطان[4].

الثّاني: دلالة كلا الاسمين على اتّصاف الله تعالى بالقوّة كما يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

اسم الله القاهر والقهّار:

ورد اسم الله القاهر مرّتين في كتاب الله تعالى منها عند

---

3 () النونية (ص205).
2 () تيسير الكريم الرحمن (ص947).
3 () جامع البيان (2/484).
4 () النّونيّة (ص205).

قوله سبحانه: ﮋ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [الأنعام: ١٨].

وعند قوله: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [الأنعام: ٦١].

وأمّا القهّار فقد ورد في ستّة مواضع من كتاب الله تعالى كلّها مقترنا باسم الله الواحد, منها قوله تعالى: ﮋ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [الرعد: ١٦].

وقوله عزّ وجلّ: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [إبراهيم: ٤٨].

معناهما في اللّغة:

القهْر في وضع العربيّة: الرّياضة والتّذليل, يقال: قهر فلان النّاقة إذا راضها وذللها.... والله تعالى قهر المعاندين بما أقام من الآيات والدّلالات على وحدانيته, وقهر جبابرة خلقه بعزّ سلطانه, وقهر الخلق كلّهم بالموت[1].

والقهر: الغلبة والأخذ من فوق, والقهّار: من صفات الله عزّ وجلّ, قال الأزهريّ: والله القاهر القهّار، قهر خلقه بسلطانه وقدرته, وصرّفهم على ما أراد طوعا وكرها، والقهّار للمبالغة[2].

وقال ابن الأثير رحمه الله: (القاهر هو الغالب جميع الخلق, وقهره يقهره قهرا غلبه, وتقول: أخذتهم قهرا, أي: من غير رضاهم, وأقهر الرّجل: صار أصحابه مقهورين)[3].

والقهّار فعّال مبالغة من القاهر فيقتضي تكثير القهر.

معناهما في حقّ الله تعالى:

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮊ [الأنعام: ٦١]: (أي: هو الذي خضعت له الرقاب، وذلّت له الجبابرة، وعنت له الوجوه، وقهر كلّ شيء ودانت له الخلائق، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره)[4].

---

1 () تفسير أسماء الله الحسنى (ص38).
2 () تهذيب اللّغة (5/257).
3 () لسان العرب (17/236).
4 () تفسير القرآن العظيم (3/244).

وقال السّعدي رحمه الله: (القهّار لجميع العالم العلويّ، والسفليّ، القهّار لكلّ شيء الذي خضعت له المخلوقات وذلك لعزّته وقوّته، وكمال اقتداره.

وهو الذي قهر جميع الكائنات، وذلّت له جميع المخلوقات أو دانت لقدرته، ومشيئته مواد وعناصر العالم العلويّ والسفلىّ، فلا يحدث حادث، ولا يسكن ساكن إلاّ بإذنه، وما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وجميع الخلق فقراء إلى الله عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعا، ولا ضرّا، ولا خيرا، ولا شرّا, ثم إنّ قهره مستلزم لحياته وعزّته وقدرته، فلا يتمّ قهره للخليقة إلاّ بتمام حياته، وقوّة عزّته، واقتداره)[1].

وجه المقاربة:

يتبيَّن وجه المقاربة بين اسم الله العزيز واسم الله القهّار من وجوه:

أحدها: أنّ اسم الله القهّار من معاني اسم الله العزيز.

يقول ابن القيم رحمه الله: (والعزّة يراد بها ثلاث معان: عزّة القوة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر, والرّبّ تبارك وتعالى له العزّة التّامّة بالاعتبارات الثّلاث)[2].

وقال السّعدي رحمه الله: (العزّة بمعنى القهر هي أحد معاني الجبّار)[3]

الثّاني: أنّهما يشتركان في دلالتهما وتضمنهما صفة الغلبة لله تعالى.

قال السّعدي رحمه الله: (العزيز الذي له العزّة كلّها: عزّة القوّة، وعزّة الغلبة, وعزّة الامتناع)[4].

والله تعالى يقهر خلقه بعزّته سبحانه, (فإنّه الواحد القهّار الذي قهر بعزّته وعلوّه الخلق كلّهم، فنواصيهم بيده، وما شاء كان لا يمانعه فيه ممانع، وما لم يشأ لم يكن, فلو اجتمع

[1] () تيسير الكريم الرحمن (ص947), وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص223).
[2] () مدارج السالكين (2/257).
[3] () فتح الرحيم الملك (ص53).
[4] () تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص214).

الخلق على إيجاد ما لم يشـأه اللـه لم يقـدروا، ولـو اجتمعـوا على منـع مـا حكمت بـه مشـيئته لم يمنعـوه، وذلـك لكمـال اقتداره، ونفوذ مشيئته, وشـدّة افتقـار المخلوقـات كلّهـا إليـه من كلّ وجه)[1].

الثّالث: يشتركان في دلالة كـلّ من صـفة العـزّة والقهـر على وحدانية الله تعالى, فـ(القهر المطلق مع الوحدة فإنّهمـا متلازمان, فلا يكون القهّار إلاّ واحدا, إذ لو كان معـه كفـؤ لـه, فإن لم يقهره لم يكن قهّارا على الإطلاق, وإن قهـره لم يكن كفؤا, وكان القهّار واحدا)[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: (وقال تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الرعد: ١٦], فاحتجّ على تفرّده بالإلهيّة بتفرّده بالخلق, وعلى بطلان إلهيّة ما سـواه بعجـزهم عن الخلق, وعلى أنّه واحد بأنّه قهّـار, والقهـر التّـام يسـتلزم الوحدة, فإنّ الشّركة تنافي تمام القهر)[3].

وكـذلك صـفة العـزّة (مسـتلزمةٌ للوحدانيّـة؛ إذ الشّـركة تُنقص العِزّة، ومستلزمة لصفات الكمال؛ لأنّ الشّـركة تُنـافي كمـال العِـزّة، ومسـتلزمة لنفي أضـدادها، ومسـتلزمة لنفي مماثلة غيره له في شيء منها، فالرّوح تُعـاين بقـوّة معرفتهـا وإيمانهـا: بهـاء العِـزّة وجلالهـا وعظمتهـا، وهـذه المعاينـة هي نتيجـة العقيـدة الصّـحيحة المطابقـة للحـقّ في نفس الأمـر؛ المتلقاة من مشكاة الوحي، فلا يطمع فيها واقف مـع أقيسـة المتفلسفين, وجدل المتكلّمين, وخيالات المتصوّفين)[4].

الرّابع: أنّـه سـبحانه وتعـالى لـو لم يكن عزيـزا لم يكن قاهرا لخلقه, وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله:

وكذلك القهّار من أوصافه	فالخلق مقهورون بالسّلطان

---

1 () المصدر نفسه (ص19).
2 () الصواعق المرسلة (3/1032).
3 () المصدر السابق (2/265-266).
4 () مدارج السالكين (3/257).

لو لم يكن حيا عزيزا قادرا ما كان من قهر ومن سلطان [1]

الخامس: دلالة كلّ من اسم الله العزيز, واسم الله القهّار على كمال قدرته سبحانه, وتمام قوّته عزّ وجلّ.

اسم الله الجبّار:

ورد اسم الله "الجبّار" في موضع واحد في كتاب الله, وهو قوله تعالى: ﮋﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [الحشر: ٢٣].

معناه في اللّغة:

قال أبو الحسن اللّحياني عن الجبّار: الطُّول والقوة والعِظَم، والله أعلم بذلك.

وقال الأزهريّ رحمه الله: كأنّه ذهب به إلى الجبّار من النّخيل، وهو الطّويل الذي فات يد المتناول.

يقال: رجل جبّار إذا كان طويلا عظيما قويّا، تشببها بالجبّار من النّخيل...

وجائز أن يكون الجبّار في صفة الله، من جبره الفقير بالغنى، وهو تبارك وتعالى جابر كلّ كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه[2].

وقال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى الجبّار ومعناه الذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي, يقال: جبر الخلق وأجبرهم وأجبر أكثر, وقيل هو العالي فوق خلقه, وفَعَل من أبنية المبالغة ومنه قولهم: نخلة جبّارة, وهي العظيمة التي تفوت يد المتناول)[3].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

الجبّار في حقّ الله تعالى له ثلاثة معان:

---

1 () متن القصيدة النونية (209).

2 () تهذيب اللغة (11/43-41).

3 () النهاية (1/671).

الأوّل: جبر القوّة، فهو سبحانه وتعالى الجبّار، الـذي يقهـر الجبابرة، ويغلبهم بجبروته وعظمته، فكلّ جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عزّ وجلّ وجبروته في يده وقبضته.

الثّاني: جبر الرّحمة، فإنّه سـبحانه يجبُـر الضّـعيف بـالغنى والقوّة، ويجبر الكسـير بالسّـلامة، ويجـبر المنكسـرة قلـوبهم بإزالة كسْرِها، وإحلال الفرَج والطّمأنينة فيها, وما يحصل لهم من الثّواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله.

الثّالث: جبر العلو فإنّـه سـبحانه فـوق خلقـه عـالٍ عليهم، وهو مـع علـوه قـريب منهم يسـمع أقـوالهم، ويـرى أفعـالهم، ويعلم ما توسوس به نفوسهم[1].

ونظم ابن القيم رحمـه اللـه في النّونيّـة هـذه المعـاني فقال:

كـذلك الجـبّار فـي أوصـافـه	والجبر في أوصافه قسمـان
جبر الضّعيف وكلّ قلب قد غدا	ذا كسرة فالجبر منـه دان
والثّاني جبـر القهر بالعـز الـذي	لا ينبغي لسواه من إنسان
ولـه مسمّى ثالـث وهـو العلـوّ	فـليس يـدنو منـه إنسـان
من قـولهم جبـارة للنّخلـة العلـ	يـا التي فـاقت كـلّ بنـان[2]

وجه المقاربة:

وجه المقاربة بين اسم الله "العزيز", واسم الله "الجبار" يظهر من وجوه:

أحدها: أن اسم الله الجبّار من معاني اسـم اللـه العزيـز,

---

1 () انظر: فتاوى ابن عثيمين في العقيدة (1/277).

2 () النونية (ص210).

فكلّ المعاني الموجودة في اسم الله الجبّار موجودة في اسم الله العزيز.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فالجبّار المتكبّر يجريان مجرى التّفصيل لمعنى اسم العزيز, كما أنّ البارئ المصوّر تفصيل لمعنى اسم الخالق, فالجبّار من أوصافه يرجع إلى كمال القدرة والعزّة والملك؛ ولهذا كان من أسمائه الحسنى, وأمّا المخلوق فاتّصافه بالجبّار ذمّ له ونقص كما قال تعالى: ﮋ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [غافر: ٣٥], وقال تعالى لرسوله صلّى الله عليه وسلّم: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [ق: ٤٥], أي: مسلّط تقهرهم وتكرههم على الإيمان)[1].

الثّاني: دلالة كلا الاسمين, العزيز, والجبّار على كمال القدرة, وتمام القوّة لله تعالى.

الثّالث: دلالة كلا الاسمين لله تعالى على قهره سبحانه لمخلوقاته, وغلبته لهم.

اسم الله المتكبّر, والكبير:

ورد اسم الله المتكبّر في كتاب الله تعالى مرّة واحدة وذلك عند قوله تعالى: ﮋ ﮬ   ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯡ ﯢ ﮊ [الحشر: ٢٣].

وأمّا الكبير فقد ورد في خمسة مواضع منها قوله تعالى: ﮋ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [لقمان: ٣٠].

معناهما في اللّغة:

الكِبَر بالكسر وهو العظمة, ويقال كبُر بالضّم يكبُر, أي: عظم، فهو كبير.

قال ابن سيده[2]: الكِبَر نقيض الصِّغَر، كَبُرَ كِبَراً، وكُبْرا،

---

1 () شفاء العليل (1/121).

2 () هو علي بن أحمد بن سيده أبو الحسن الضرير اللغوي الأندلسي, إمام في اللغة والعربية حافظ لهما, من مصنفاته: المحكم, والمحيط الأعظم, والمخصص, وإصلاح المنطق وغيرها, مات سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: معجم الأدباء (4/1648), ووفيات الأعيان (3/330).

فَهُوَ كَبِير وكُبَار وكُبَّار[1].

قال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى المتكبّر والكبير، أي: العظيم ذو الكبرياء.

وقيل: المتعالي عن صفات الخلق.

وقيل: المتكبّر على عتاة خلقه.

والتّاء فيه للتفرّد والتّخصص لا تاء التّعاطي والتّكلف.

والكبرياء: العظمة والملك, وقيل: هي عبارة عن كمال الذّات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلاّ الله تعالى.

...ولله أكبر معناه: الله الكبير[2].

معناهما في حقّ الله تعالى:

الكبير في صفة الله تعالى: العظيم الجليل, والمتكبّر الذي تكبّر عن ظلم عباده، والكبرياء عظمة الله[3].

قال قتادة: المتكبّر تكبّر عن كلّ شر[4], أي: عن السّوء والنّقص والعيوب، لعظمته وكبريائه[5].

وقال الشّوكاني رحمه الله: (المتكبّر أي: الذي تكبّر عن كل نقص، وتعظم عما لا يليق به، وأصل التّكبّر الامتناع وعدم الانقياد، ومنه قول حميد بن ثور[6]:

عفت مثل ما يعفو الفصيل فأصبحت ... بها كبرياء الصّعب وهي ذلول

---

1 () لسان العرب (17/247).
2 () النهاية في غريب الحديث (4/139-140).
3 () لسان العرب (17/247).
4 () جامع البيان (23/304).
5 () تيسير الكريم الرحمن (ص946).
6 () هو حميد بن ثور بن عبد الله، وقيل ابن حزن الهلالي, كنيته أبو المثنى، وقيل: أبو الأخضر، وقيل: أبو خالد, أحد المخضرمين من الشعراء، أدرك الجاهلية والاسلام، وقيل إنه رأى النبي صلّى الله عليه وسلم. انظر: تاريخ دمشق (15/269), وأسد الغابة (2/76), ومعجم الأدباء (3/1222).

والكبر في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم.

قال قتادة: هو الذي تكبّر عن كل سوء.

قال ابن الأنباري: المتكبر: ذو الكبرياء، وهو الملك)[1].

وقال الخطابي رحمه الله: (الكبير هو الموصوف بالجلال وكبر الشأن, فصغر دون جلاله كل كبير, ويقال: هو الذي كبر عن شبه خلقه)[2].

وجه المقاربة:

وجه المقاربة بين واسم الله المتكبّر اسم الله العزيز من وجهين:

أحدهما: أن اسم الله المتكبّر من معاني اسم الله العزيز, فكلّ المعاني الموجودة في اسم الله المتكبّر موجودة في اسم الله العزيز.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فالجبّار المتكبّر يجريان مجرى التّفصيل لمعنى اسم العزيز, كما أنّ البارئ المصوّر تفصيل لمعنى اسم الخالق)[3].

الثّاني: اتّفاقهما على امتناعه وتكبّره سبحانه عن جميع النّقائص والعيوب.

يقول السّعدي رحمه الله وهو يتكلّم عن معاني العزيز: (وعزّة الامتناع عن مغالبة أحد، وعن أن يقدر عليه أحد، أو يبلغ العباد ضرّه فيضرّوه، أو نفعه فينفعوه، وامتناعه وتكبّره عن جميع ما لا يليق بعظمته وجلاله من العيوب والنّقائص، وعن كلّ ما ينافي كماله، ويرجع إليها معنى المتكبّر مع أنَّ المتكبّر اسم دال على كمال العظمة ونهاية الكبرياء، مع دلالته على المعنى المذكور وهو تكبّره وتنزّهه عمّا لا يليق بعظمته ومجده وجلاله)[4].

---

1 () فتح القدير (5/247).
2 () شأن الدعاء (ص66).
3 () شفاء العليل (1/121).
4 () فتح الرحيم الملك العلام (ص25).

اسم الله العليّ والأعلى والمتعال:

ورد اسم الله العليّ في ثمانية مواضع من كتاب الله تعالى, منها قوله سبحانه: ﭐ   ﭑ ﭒ﴿ [الشورى: ٥١].

وقوله: ﭐﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﴿ [النساء: ٣٤].

وقوله: ﭐ   ﯼ ﯽ ﴿ [البقرة: ٢٥٥].

وأما الأعلى فورد مرّتين في كتاب الله منها قوله سبحانه: ﭐﮞ ﮟ ﮠ ﮡ﴿ [الأعلى: ١].

وأما المتعال فقد ورد مرّة واحدة في قوله تعالى: ﭐﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﴿ [الرعد: ٩].

معناها في اللّغة:

العين واللام والحرف المعتل ياءً كان أو واواً أو ألفاً، أصلٌ واحد يدلّ على السّمو والارتفاع، لا يشذّ عنه شيء, ومن ذلك العلاء والعلو, ويقولون: تعالى النّهار، أي: ارتفع, والعلاء: الرّفعة.

ويقال لكلّ شيء يعلو: علا يعلو, فإن كان في الرّفعة والشّرف قيل: علِي يعلى, يقال: رجل علي, أي: شريف، وجمعه عِلْيَة, وفلان من عِلْيَة النّاس, أي: من أشرافهم, وفلان عالي الكعب إذا كان ثابت الشّرف، وعالي الذّكر[1].

و(العُلو: ضدّ السّفل، مصدر عَلاَ يعْلُو عُلُوًّا, وتسمّي العرب العَاليَة عَلْوًا، فيقولون: جاء من عَلْو يا هذا، ومن عُلْويّ[2].

والعلو أيضا العظمة والتّجبُّر, والتّكبُّر في الأرض, قال الله جلّ وعزّ: ﭐ   ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴿ [القصص: ٤], جاء في التّفسير أنّ معناه: طغى في الأرض, وقوله جلّ وعزّ: ﭐﮊ ﮋ ﮌ ﴿ [الإسراء: ٤], معناه: لتبغن ولتتعظمن، يقال لكلّ متجبّر: قد علا وتعظّم.

قال اللّيث: الله تبارك وتعالى هو العليّ المتعالي العالي الأعلى, ذو العلاء والعلا والمعالي، تعالى عمّا يقول الظّالمون علوا كبيرا, وهو الأعلى سبحانه بمعنى العالي, قال: وتفسير

---

[1] () انظر: تهذيب اللغة (3/117-119), ومقاييس اللغة (4/113).

[2] () جمهرة اللغة (2/950).

تعالى: جلّ عن كلّ ثناء، فهـو أعظم وأجـل وأعلى ممّـا يثـنى عليه، لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له.

قلت-أي الأزهـري-: وتفسـير هـذه الصّـفات للـه يقـرب بعضها من بعض، فـالعليّ الشّـريف فعيـل من علا يعلـو، وهـو بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء, ويقـال: هـو الـذي علا الخلق فقهرهم بقدرته, وأمّا المتعالي فهو الـذي جـلّ عن إفك المفـترين، وتـنزّه عن وسـاوس المتحيّـرين, وقـد يكـون المتعالي بمعنى العالي, والأعلى هو اللـه الـذي هـو أعلى من كلّ عـال, واسـمه الأعلى, أي: صـفته أعلى الصّـفات, والعلاء الشّرف, وذو العلاء صاحب الصّفات العلا, والعلا جمـع العليـا, أي: جمع الصّفة العليا والكلمة العليا, ويكون العلا جمع الاسم الأعلى[1].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهو سبحانه وصـف نفسـه بالعلو, وهـو من صـفات المـدح لـه بـذلك والتّعظيم؛ لأنّـه من صفات الكمال كما مـدح نفسـه بأنّـه العظيم والعليم والقـدير والعزيز والحليم ونحو ذلك, وأنّه الحيّ القيّوم ونحـو ذلـك من معاني أسمائه الحسنى, فلا يجوز أن يتّصف بأضـداد هـذه, فلا يجوز أن يوصف بضدّ الحياة والقيّوميّة والعلم والقدرة, مثـل: الموت والنّوم والجهل والعجز واللّغوب, ولا بضـد العـزّة وهـو الذّلّ, ولا بضدّ الحكمـة وهـو السّـفه, فكـذلك لا يوصـف بضـدّ العلـوّ وهـو السّـفول, ولا بضـدّ العظيم وهـو الحقـير, بـل هـو سـبحانه مـنزّه عن هـذه النّقـائص المنافيـة لصـفات الكمـال الثّابتة له, فثبوت صـفات الكمـال لـه ينفي اتّصـافه بأضـدادها وهي النّقائص)[2].

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله: ﮋ ﮛ ﮜ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [الحج: ٦٢]، كما قال: ﮋ ﯨ ﯩ ﮊ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﮋ ﮏ ﮐ ﮊ [الرعد: ٩], فكلّ شيء تحت قهـره وسـلطانه وعظمتـه، لا إلـه إلاّ هـو، ولا ربّ سواه؛ لأنّـه العظيم الـذي لا أعظم منـه، العليّ الـذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدّس وتنزّه، وعزّ وجـلّ

---

[1] () انظر: تهذيب اللغة (3/117-119).

[2] () مجموع الفتاوى (16/97).

عمّا يقول الظّالمون المعتدون عُلُوًّا كبيرا)[1].

وقال السّعدي رحمه الله: ("العليّ الأعلى" وهو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه، علوّ الذات، وعلوّ القدر والصّفات، وعلوّ القهر, فهو الذي على العرش استوى، وعلى الملك احتوى, وبجميع صفات العظمة والكبرياء والجلال والجمال وغاية الكمال اتّصف، وإليه فيها المنتهى)[2].

وقال أيضا: (ﮋ ﯜ ﯝ ﮊ [البقرة: ٢٥٥] بذاته، على جميع مخلوقاته، وهو العليّ بعظمة صفاته، وهو العليّ الذي قهر المخلوقات، ودانت له الموجودات، وخضعت له الصّعاب، وذلّت له الرّقاب)[3].

وقال ابن القيم رحمه الله ناظما معاني العلو في نونيّته:

هذا ومن توحيدهم إثبات أو ... صاف الكمال لربّنا الرّحمن

كعلوّه سبحانه فوق السّماوات ... العلى بل فوق كلّ مكان

فهو العليّ بذاته سبحانه ... إذ يستحيل خلاف ذا ببيان

وهو الذي حقّا على العرش استو ... ى قد قام بالتّدبير للأكوان

حيّ مريد قادر متكلّم ... ذو رحمة وإرادة وحنان

هو أوّل هو آخر هو ظاهر ... هو باطن هي أربع بوزان

ما قبله شيء كذا وما بعده ... شيء تعالى الله ذو السّلطان

---

[1] () تفسير القرآن العظيم (5/449).

[2] () تيسير الكريم الرحمن (ص946).

[3] () المصدر السابق (ص954).

ما فوقه شيء كـذا مـا دونـه ... شيء وذا تفسير ذي البرهـان

فانظـر إلـى تفسيره بتدبـر ... وتبصُّر وتعقُّـل لمعـان

وانظر إلى مـا فيه من أنواع معـ ... ـرفة لخالقنا العظيم الشّـان

وهو العليّ فكـلّ أنـواع العلـ ... ـلو لـه فثابتة بلا نكران[1]

وجه المقاربة:

وجه المقاربة بين اسم الله العزيز واسـم اللـه العليّ من وجهين:

أحدهما: كلا الاسمين يدلاّن على أنّ الله تعـالى لا نـدّ لـه, ولا كفؤ, ولا نظير, وأنّه لا يساويه شيء.

يقول الرّازي: (يرجع حاصل هذا العلو إلى أحد أمور ثلاثة:

إلى أنّـه لا يسـاويه شـيء في الشّـرف والمجـد والعـزّة, فحينئذ يكون هذا من أسماء التّنزيه.

أو أنّه قادر على الكلّ, والكلّ تحت قدرته وقهره, فيكـون هذا الاسم من أسماء الصّفات المعنويّة.

أو أنّه متصرّف في الكلّ, فيكون من أسماء الأفعال)[2].

ولا شكّ أنّ هذه المعاني صحيحة إلاّ أنّه قصّر في المـراد, فلم يذكر علو الله تعالى الذّاتي إذ كان هذا عنـده محـالا, بـل صـرح بنفي ذلـك فقـال: (ولمـا تقـدّس الحـقّ عن الجسـمية, تقدّس علوّه عن أن يكون بهذا المعنى)[3].

الثّاني: دلالة كلا الاسمين على تمام القدرة, وعلى القهر,

---

[1] () النونية (ص203).

[2] () شرح أسماء الله الحسنى للرازي (ص266-267).

[3] () انظر: منهج أهل السنة والجماعـة ومنهج الأشـاعرة في توحيـد الله تعالى (2/479).

والغلبة.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (واسـمه العليّ يفسّـر بهذين المعنيين: يفسّر بأنّـه أعلى من غـيره قـدرا, فهـو أحـقّ بصـفات الكمـال, ويفسّـر بأنّـه العـالي عليهم بـالقهر والغلبـة فيعود إلى أنّـه القـادر عليهم وهم المقـدورون, وهـذا يتضـمّن كونه خالقا لهم وربّا لهم, وكلاهما يتضمّن أنّه نفسه فـوق كـلّ شيء, فلا شيء فوقه كما قال النّبي صلّى الله عليـه وسـلّم: "أنت الأوّل فليس قبلــك شــيء, وأنت الآخــر فليس بعــدك شيء, وأنت الظّاهر فليس فوقك شيء, وأنت الباطن فليس دونك شيء"[1], فلا يكـون شـيء قبلـه ولا بعـده ولا فوقـه ولا دونه كما أخبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم وأثنى به على ربّه, وإلاّ فلو قدر أنّه تحت بعض المخلوقات كان ذلك نقصا, وكـان ذلك أعلى منه, وإن قيل: إنّه لا داخل العـالم ولا خارجـه كـان ذلك تعطيلا له, فهو منزّه عن هذا, وهذا هو العليّ الأعلى مــع أنّ لفظ العليّ والعلو لم يستعمل في القرآن عند الإطلاق إلاّ في هذا, وهو مستلزم لذَيْنِك لم يسـتعمل في مجـرّد القـدرة, ولا في مجرّد الفضيلة, ولفظ العلـوّ يتضـمّن الاسـتعلاء, وغـير ذلك من الأفعال)[2].

---

1 () أخرجه مسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب مـا يقول عند النوم وأخذ المضجع (4/2084), رقم: 2713.

2 () مجموع الفتاوى (16/358-359).

المطلب الثامن:
حكم تسمية المخلوق بالعزيز.

قبل الشّروع في بيان جواز تسمّي المخلوق بالعزيز, وذلك لمناسبة كلامنا على اسم الله تعالى العزيز, يحسن بنا أن ننبّه على أمور:

أوّلا: أنّ أسماء الله تعالى بالغة في الحسن كماله, وأنّ الله تعالى لا يشاركه أحد في هذا الكمال في حسن أسمائه تبارك وتعالى, ولا يشبهه[1] أحد من خلقه؛ لأنّه سبحانه ليس كمثله شيء فيما يوصف به من صفات الكمال, وهو معنى قوله سبحانه في سورة الإخلاص: ﴿ ﴾ [الإخلاص: ١], فقوله: ﴿ ﴾ يقتضي أنّه لا مثل له ولا نظير[2], إذ هو المنفرد بالكمال من كلّ وجه لا يشاركه أحد في كماله في أسماءه وصفاته وأفعاله.

وأيضا قوله تعالى: ﴿ ﴾ [مريم: ٦٥][3].

فمعنى قوله: ﴿ ﴾ [مريم: ٦٥], أي: نظيرا يستحقّ مثل اسمه، ويقال: مساميا يُسامِيه, وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس رضي الله عنه: هل تعلم له مثلا أو شبيها, أي: نظيرا يستحقّ مثل اسمه[4].

---

[1] () يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (التشبيه الذي يجب نفيه عن الربّ تعالى اتصافه بشيء من خصائص المخلوقين, كما أن المخلوق لا يتصف بشيء من خصائص الخالق, وأن يثبت للعبد شيء يماثل فيه الرب, وأما إذا قيل: حي وحي, وعالم وعالم, وقادر وقادر, وقيل: لهذا قدرة ولهذا قدرة, ولهذا علم ولهذا علم, كان نفس علم الرب لم يشركه فيه العبد, ونفس علم العبد لا يتصف به الرب تعالى عن ذلك, وكذلك في سائر الصفات). انظر: بيان تلبيس الجهمية (1/588).

[2] () مجموع الفتاوى (16/99).

[3]

[4] () المصدر السابق (3/4).

ثانيا: أنّ الاشتراك في الأسماء لا يلزم منه الاشتراك في المسمَّيات والحقائق؛ لأنّ الله تعالى إذا سمّى نفسه بأسماء وسمّى بعض خلقه بتلك الأسماء لا يدلّ على التّماثل والتّشابه بينهما, وإنّما غاية الاشتراك بينهما هو القدر المشترك الموجود في الذّهن, فإذا اختصّت تلك الأسماء بالله تعالى كانت لائقة بجلاله وعظمته, وإذا اختصّت بالمخلوق كانت لائقة بضعفه وعجزه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فإذا وصف نفسه بأنّه حيّ عليم سميع بصير قدير, لم يلزم أن يكون مماثلا لخلقه, إذ كان بعدها عن مماثلة خلقه أعظم من بعد مماثلة كلّ مخلوق لكلّ مخلوق, وكلّ واحد من صغار الحيوان لها حياة وقوّة وعمل وليست مماثلة للملائكة المخلوقين, فكيف يماثل ربّ العالمين شيئا من المخلوقين, والله سبحانه وتعالى سمّى نفسه وصفاته بأسماء وسمّى بها بعض المخلوقات, فسمّى نفسه حيّا عليما سميعا بصيرا عزيزا جبّارا متكبّرا, ملكا رؤوفا رحيما, وسمّى بعض عباده عليما, وبعضهم حليما, وبعضهم رؤوفا رحيما, وبعضهم سميعا بصيرا, وبعضهم ملكا, وبعضهم عزيزا, وبعضهم جبّارا متكبّرا, ومعلوم أنّه ليس العليم كالعليم, ولا الحليم كالحليم, ولا السميع كالسميع, وهكذا في سائر الأسماء, قال سبحانه وتعالى: [illegible] [النساء: ١١], وقال: [illegible] [الذاريات: ٢٨], وقال: [illegible] [فاطر: ٤١], وقال: [illegible] [الصافات: ١٠١] , وقال: [illegible] [البقرة: ١٤٣], وقال: [illegible] [التوبة: ١٢٨], وقال: [illegible] [النساء: ٥٨], وقال تعالى: [illegible] [الإنسان: ٢], وكذلك سائر ما ذكر)[1].

ثالثا: أنّ أسماء الله تعالى على قسمين:

الأوّل: أسماء مخصوصة بالله تعالى, لا تصحّ إلاّ له, ولا يصحّ إطلاقها إلاّ عليه, مثل اسم الله الرّبّ, والله, والرّحمن, ومالك الملك, والصّمد, والخالق, والرّزاق, والبارئ, وعالم الغيب والشّهادة, وغير ذلك من الأسماء التي لا يليق معناها إلاّ بالله العظيم, وهي لا تقبل الشركة.

الثّاني: أسماء تطلق على الله تعالى وعلى غيره, مثل:

---

1 () مجموع الفتاوى (9/296-297).

اسم الرّحيم, والعزيز, والرّؤوف, والبصير, والسّميع, والعليم, إلى غير ذلك من الأسماء التي يصحّ إطلاق معناها على الله تعالى وعلى خلقه, فما أطلق على الله تعالى يليق بجلاله وعظمته, وما أطلق منها على المخلوق يليق بضعفه وعجزه, وهذه الأسماء تتفاوت أفرادها؛ ولذلك صحّ إطلاقها على غير الله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ومما يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرّبّ تبارك وتعالى, فلا يجوز التّسمية بالأحد والصّمد ولا بالخالق ولا بالرّازق, وكذلك سائر الأسماء المختصّة بالرّب تبارك وتعالى, ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظّاهر, كما لا يجوز تسميتهم بالجبّار والمتكبّر والأوّل والآخر والباطن وعلاّم الغيوب...

والمقصود أنّه لا يجوز لأحد أن يتسمّى بأسماء الله المختصّة به, وأمّا الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسّميع, والبصير, والرّؤوف, والرّحيم فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق, ولا يجوز أن يتسمّى بها على الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرّبّ تعالى)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لسورة الفاتحة: (والحاصل أنّ من أسمائه تعالى ما يسمّى به غيره, ومنها مالا يسمّى به غيره. كاسم الله والرّحمن والخالق والرّازق, ونحو ذلك, فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرّحمن؛ لأنّه أخصّ وأعرف من الرّحيم؛ لأنّ التّسمية أوّلا إنّما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخصّ فالأخصّ)[2].

فالنّوع الثّاني من الأسماء يجوز إطلاقها على الله تعالى وعلى خلقه, إلاّ إذا قصد بها من إطلاقها على المخلوق مثل الصّفة التي للخالق جلّ وعلا فهذا لا يجوز, بل هو محرّم, ومخالف لتعظيم الله تعالى واحترام اسمائه وصفاته.

وقد سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: عن حكم التّسمّي بأسماء الله مثل كريم, وعزيز, و نحوهما؟.

---

1 () تحفة المودود بأحكام المولود (ص125).

2 () تفسير القرآن العظيم (1/126).

فأجاب بقوله: (التّسمّي بأسماء الله عزّ وجلّ يكـون على وجهين:

الوجه الأوّل: وهو على قسمين:

القسم الأوّل: أن يحل بـ(ال) ففي هـذه الحـال لا يسـمّى به غير الله عزّ وجلّ كمـا لـو سـميت أحـدا بـالعزيز، والسـيّد، والحكيم، وما أشبه ذلك, فإنّ هذا لا يسمى بـه غـير اللـه؛ لأنّ (ال) هذه تدلّ على لمح الأصل, وهو المعنى الذي تضمّنه هذا الاسم.

القسم الثّاني: إذا قصد بالاسم معنى الصّفة وليس محلى بـ(ال) فإنّـه لا يسـمّى بـه, ولهـذا غيَّر النّـبي صـلّى اللـه عليـه وسـلّم كنيـة أبي الحكم[1] الـتي تكـنى بهـا؛ لأنّ أصـحابه يتحاكمون إليه فقال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الله هو الحكم وإليه الحكم"[2], ثم كنَّاه بأكبر أولاده شريح, فدلّ ذلـك على أنّه إذا تسمّى أحد باسم من أسـماء اللـه ملاحظـا بـذلك معنى الصّفة الـتي تضـمّنها هـذا الاسـم فإنّـه يمنـع؛ لأنّ هـذه التّسمية تكون مطابقـة تمامـا لأسـماء اللـه سـبحانه وتعـالى, فإنّ أسماء الله تعـالى أعلام وأوصـاف لـدلالتها على المعـنى الذي تضمّنه الاسم.

الوجـه الثّـاني: أن يتسـمّى غـير محلّى بـ(ال) وليس المقصود به معـنى الصّـفة فهـذا لا بـأس بـه مثـل حكيم ومن أسماء بعض الصّحابة حكيم ابن حزام[3] الـذي قـال لـه النّـبي

---

[1] () هو هـانئ بن يزيـد بن نهيـك النخعي الكـوفي, ويقـال هـانئ بن كعب المذحجي, ويقال الحارثي، ويقـال الضـبي، لـه صـحبة، كنـاه النبي صلى الله عليه وسلم أبا شريح, وهـو مشـهور بكنيتـه, شـهد المشـاهد كلهـا, روى عنـه ابنـه شـريح بن هـانئ. انظـر: معرفـة الصحابة لأبي نعيم (5/2747), والاستيعاب (4/1535).

[2] () أخرجـه البخـاري في الأدب المفـرد, بـاب كنيـة أبي الحكم (ص 435), رقم: 811, وأبـو داود في سـننه, كتـاب الأدب, بـاب في تغيير الاسم القبيح (4/289), رقم: 4955, والنسائي في الكبرى, كتاب القضـاء, إذا حكمـوا رجلا ورضـوا بـه فحكم بينهم (5/403), رقم: 5907, والحـديث صـحّحه الألبـاني في الصـحيحة بـرقم: 1939.

[3] () هـو حكيم بن حـزام بن خويلـد القرشـي الأسـدي, أسـلم يـوم

صلّى الله عليه وسلّم: "لا تبع ما ليس عندك"[1], وهذا دليل على أنّه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصّفة فإنّه لا بأس به.

لكن في مثل (جبّار) لا ينبغي أن يتسمّى, وإن كان لم يلاحظ الصّفة؛ وذلك لأنّه لا يؤثر في نفس المسمّى, فيكون معه جبروت وغلو واستكبار على الخلق, فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي للإنسان أن يتجنبها, والله أعلم)[2].

فضابط الشيخ رحمه الله في المنع هو عدم ملاحظة معنى الصّفة, سواء كان محلا بأل التي هي للمح الأصل, وهو المعنى الذي تضمّنه الاسم, أو لم يحلّ بـ(أل) لكن قصد منه معنى الصّفة, فهذا لا يجوز؛ لأنّ هذه التّسمية تكون مطابقة تماما لأسماء الله تعالى؛ لأنّ أسماء الله سبحانه أعلام وأوصاف؛ لدلالتها على المعنى الذي تضمّنه الاسم, وهذا خاص فقط بأسماء الله تعالى, بخلاف أسماء المخلوقين فهي أعلام محضة.

أمّا إذا لم يلاحظ معنى الصّفة, فيجوز في الحالين سواء حُلِّي بـ(أل) فلا تكون حينئذ للمح الأصل, أو لم يحلّ بـ(أل), ويدلّ لهذا جواب آخر لسؤال وجِّه للشّيخ رحمه الله, وهذا

الفتح، وكان من أشراف قريش ووجوهها في الجاهلية والإسلام، وكان من المؤلّفة قلوبهم، ثم حسن إسلامه, عاش مائة وعشرين سنة، ستين سنة في الجاهلية، وستين سنة في الإسلام، توفي سنة أربع وخمسين أيام معاوية، وقيل: سنة ثمان وخمسين. انظر: الاستيعاب (1/362), وأسد الغابة (2/58).

[1] () أخرجه أحمد في المسند (24/26), رقم: 15311, وأبو داود في سننه, أبواب الإجارة, باب في الرجل يبيع ما ليس عنده (3/283), رقم: 3503, والنسائي في الكبرى, كتاب البيوع, بيع ما ليس عند البائع (6/59), رقم: 6162, وابن ماجه, كتاب البيوع, باب النهي عن بيع ما ليس عندك، وعن ربح ما لم يضمن (2/737), رقم: 2187, والترمذي في سننه, أبواب البيوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ما جاء في كراهية بيع ما ليس عندك (2/525), رقم: 1232, والحديث صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم: 2867, وفي صحيح الجامع الصغير برقم: 7206.

[2] () فتاوى ابن عثيمين في العقيدة (2/1470-1471).

نصُّه وجوابه.

سئل الشّيخ أيضا: ما حكم التّسمّي بأسماء الله تعالى مثل الرّحيم والحكيم؟

فأجاب بقوله: يجوز أن يسمّى الإنسان بهذه الأسماء بشرط: ألاّ يلاحظ فيها المعنى الذي اشتقّت منه بأن تكون مجرّد علم فقط, ومن أسماء أصحابه الحكم وحكيم بن حزام، وكذلك اشتهر بين النّاس اسم عادل وليس بمنكر, وأمّا إذا لوحظ فيه المعنى الذي اشتقّت منه هذه الأسماء, فإنّ الظّاهر أنّه لا يجوز؛ لأنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم غيّر اسم أبي الحكم الذي تكنّي به لكون قومه يتحاكمون إليه، وقال النّبي صلّى الله عليه وسلّم عن الله: "هو الحكم وإليه الحكم"، ثم كنّاه بأكبر أولاده شريح وقال له: "أنت أبو شريح"[1], وذلك أنّ هذه الكنية التي تكنّى بها هذا الرّجل لوحظ فيها معنى الاسم, فكان هذا مماثلا لأسماء الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ أسماء الله عزّ وجلّ ليست مجرّد أعلام, بل هي أعلام من حيث دلالتها على ذات الله سبحانه وتعالى, وأوصاف من حيث دلالتها على المعنى الذي تتضمّنه, وأمّا أسماء غيره سبحانه وتعالى فإنّها مجرّد أعلام إلاّ أسماء النّبي صلّى الله عليه وسلّم, فإنّها أعلام وأوصاف, وكذلك أسماء كتب الله عزّ وجلّ, فهي أعلام وأوصاف أيضا[2].

وأيضا سئلت اللّجنة الدّائمة: هل يصحّ ما يأتي دليلا على تحريم تسمية الخلق بأسماء الخالق؟

أ- حيث إنّ تسمية المخلوق بالاسم العلم "الله" ممنوعة، كانت تسمية المخلوق بأسماء الخالق الأخرى أيضا ممنوعة إذ لا وجه للتّفرقة بين أسماء الله تعالى؟

ب- من المعلوم في اللّغة أنّ الجار والمجرور إذا سبق المعرفة أفاد القصر, فملاحظ ذلك في قوله تعالى: ﴿ﭽ ﭾ﴾ [الأعراف: ١٨٠], فتفيد تسميةُ الآية قصر الأسماء الحسنى على الله وعدم جواز تسمية الخلق بها، فهل يصحّ هذا دليلا؟.

---

1 () تقدّم تخريجه.

2 () فتاوى ابن عثيمين في العقيدة (2/1471-1472).

الجواب:

ما كان من أسماء الله تعالى علم شخص كلفظ "الله" امتنع تسمية غير الله به؛ لأنّ مسمّاه معيَّنٌ لا يقبل الشّركة, وكذا ما كان من أسمائه في معناه في عدم قبول الشّركة كالخالق, والبارئ, فإنّ الخالق من يوجد الشّيء على غير مثال سابق, والبارئ من يوجد الشيء بريئا من العيب، وذلك لا يكون إلاّ من الله وحده, فلا يسمّى به إلاّ الله تعالى، أمّا ما كان له معنى كلي تتفاوت فيه أفراده من الأسماء والصّفات كالملك، والعزيز، والجبّار، والمتكبّر، فيجوز تسمية غيره بها, فقد سمّى الله نفسه بهذه الأسماء وسمّى بعض عباده بها مثال: قول تعالى: ﴿ ﴾ [يوسف: ٥١], وقال: ﴿ ﴾ [غافر: ٣٥] إلى أمثال ذلك، ولا يلزم التّماثل، لاختصاص كلّ مسمّى بسمات تميّزه عن غيره, وبهذا يعرف الفرق بين تسمية الله بلفظ الجلالة وتسميته بأسماء لها معان كلية تشترك أفرادها فيها, فلا تقاس على لفظ الجلالة, أمّا الآية ﴿ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] فالمراد منها قصر كمال الحسن في أسمائه تعالى؛ لأنّ كلمة الحسنى اسم تفضيل, وهي صفة للأسماء لا قصر مطلق أسمائه عليه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [فاطر: ١٥], فالمراد قصر كمال الغنى والحمد عليه تعالى لا قصر اسم الغني والحميد عليه, فإنّ غير الله يسمّى غنيا وحميدا [1].

وقد أفتت اللّجنة الدّائمة أيضا على جواز التّسمّي بعزيز, سواء تسمّى به شخص[2], أو مؤسّسة[3].

وبهذا يعلم جواز التّسمّي بـ(العزيز), و(عزيز), سواء حلِّي بـ(أل) أو لم يُحَلَّ بها, بشرط ألاّ يقصد بتلك التّسمية الوصف, وذلك في حال تحليته بـ(أل) التي هي لِلَمْح الأصل, المستغرقة للوصف والجنس؛ لأنّ الإطلاق لله وحده, فلا يجوز أن يتسمّى بها المخلوق على الإطلاق, بحيث تطلق عليه كما تطلق على الله تبارك وتعالى, وألاّ يلاحظ معنى

---

1 () فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ,فتوى رقم:. 11856

2 () المصدر نفسه, فتوى رقم: 20644.

3 () المصدر نفسه, فتوى رقم: 12800.

الصّفة إذا لم تحلّ بـ(أل)؛ لأنّ هذا خاص بأسـماء اللـه تعـالى, فهي أعلام وأوصــاف, بخلاف أســماء المخلــوقين فهي أعلام محضة, وممّا يدلّ أيضا على جواز تسمية المخلوق بــ(عزيــز) ورود تسمية المخلـوق بـه في كتـاب اللـه تعـالى, مثـل قولـه تعالى: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ [يوسف: ٧٨].

وقوله تعالى: ﮋ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [يوسف: ٨٨], والله أعلم.

المبحث الثّالث:
اقتران اسم الله العزيز بغيره من الأسماء الأخرى
ودلالة ذلك

وفيه تسعة مطالب.

المطلب الأوّل: اقترانه باسم الله الحكيم.

المطلب الثّاني: اقترانه باسمي الله الغفور والغفّار.

المطلب الثّالث: اقترانه باسم الله الحميد.

المطلب الرّابع: اقترانه باسم الله الوهاب.

المطلب الخامس: اقترانه باسم الله الرحيم.

المطلب السّادس: اقترانه باسم الله القويّ.

المطلب السّابع: اقترانه باسم الله العليم.

المطلب الثّامن: اقترانه باسم الله المقتدر.

المطلب التّاسع: اقترانه باسمي الله تعالى الجبّار والمتكبّر.

تمهيد

أسماء الله تعالى كلّها أسماء حسنى؛ وذلك لتضمّنها لمعانٍ عظيمة, وهذه المعاني هي صفات الله تعالى, والحسن في أسماء الله تعالى كما يكون باعتبار كل اسم على انفراده, يكون أيضا باعتبار جمع اسم مع اسم آخر, وذلك مثل الأسماء المقترنة في كتاب الله تعالى, فيحصل بذلك حسن آخر وكمال آخر[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: (السادس: صفة تحصل من اقتران أحد الاسمين والوصفين بالآخر, وذلك قدر زائد على مفرديهما, نحو: الغني الحميد, العفو القدير, الحميد المجيد, وهكذا عامّة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن, فإنّ الغنى صفة كمال والحمد كذلك, واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر, فله ثناء من غناه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما, وكذلك العفو القدير, والحميد المجيد, والعزيز الحكيم, فتأمله فإنّه من أشرف المعارف) [2].

قال الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله: (والحُسْنُ في أسماء الله تعالى يكون باعتبار كلّ اسم على انفراده، ويكون باعتبار جمعه إلى غيره، فيحصل بجمع الاسم إلى الآخر كمال فوق كمال, مثال ذلك: "العزيز الحكيم" فإنّ الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيرًا, فيكون كلّ منهما دالًّا على الكمال الخاص الذي يقتضيه، وهو العزّة في العزيز، والحكم والحكمة في الحكيم, والجمع بينهما دالّ على كمال آخر، وهو أنّ عزّته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزّته لا تقتضي ظلما وجورًا وسوء فعل، كما قد يكون من أعزّاء المخلوقين، فإنّ العزيز منهم قد تأخذه العزّة بالإثم فيظلم ويجور ويسيء التّصرف, وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعزّ الكامل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنّهما يعتريهما الذّلّ)[3].

وسيتناول الباحث فوائد اقتران اسم الله "العزيز" بغيره

---

1 () انظر: (ص26).
2 () بدائع الفوائد (1/161).
3 () القواعد المثلى (ص8).

من الأسماء الأخـرى, ومـا في ذلـك من الطـائف والـدرر في المطالب الآتية.

المطلب الأوّل:
اقترانه باسم الله الحكيم.

معنى الحكيم لغة:

قال ابن فارس رحمه الله: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع, وأوّل ذلك الحكم، وهو المنع من الظّلم, وسميت حكمة الدّابة لأنّها تمنعها، يقال: حكمت الدّابة وأحكمتها, ويقال: حكمت السّفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه, قال جرير[1]:

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا

والحكمة هذا قياسها، لأنّها تمنع من الجهل.

وتقول: حكَّمت فلانا تحكيما منعته عما يريد[2].

وقال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى الحكم والحكيم هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي, والحكيم فعيل بمعنى فاعل، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيل بمعنى مفعل, وقيل: الحكيم: ذو الحكمة, والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم, ويقال لمن يحسن دقائق الصّناعات ويتقنها: حكيم)[3].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال ابن جرير رحمه الله: (الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خللٌ ولا زللٌ)[4].

---

[1] () هو جرير بن عطيّة بن الخطفى، واسمه حذيفة بن بدر بن سلمة, أبو حزرة البصري التميمي, كان من فحول شعراء الإسلام، وكانت بينه وبين الفرزدق مهاجاة ونقائض، وهو أشعر من الفرزدق عند أكثر أهل العلم بهذا الشأن, مات سنة إحدى عشرة ومائة. انظر: تاريخ دمشق (72/86), ووفيات الأعيان (1/321).

[2] () مقاييس اللغة (2/91).

[3] () النهاية (1/418).

[4] () جامع البيان (3/88).

قال الحليمي رحمه الله: (الحكيم الذي لا يقول ولا يفعل إلاّ الصّواب, وإنّما ينبغي أن يوصف بذلك لأنّ أفعاله سديدة, وصنعه متقن, ولا يظهر الفعل المتقن السّديد إلاّ من حكيم, كما لا يظهر الفعل على وجه الاختيار إلاّ من حي عالم قدير)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: (الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ بحكمته وعدله)[2].

وقال السّعدي رحمه الله: (الحكيم: وهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كلّ شيء خلقه ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﮊ [المائدة: ٥٠], فلا يخلق شيئا عبثا، ولا يشرع شيئا سدى، الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثّلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده، في شرعه، وفي قدره وجزائه, والحكمة: وضع الأشياء مواضعها، وتنزيلها منازلها)[3].

والله تعالى حكيم في كلّ أفعاله سبحانه وتعالى, وفي كلّ أحكامه, سواءً في ذلك الحكم الشّرعي الدّيني, أو حكمه الكوني القدريّ, وإلى هذا أشار ابن القيم رحمه الله في النّونيّة فقال:

وهو الحكيم وذاك من أوصافه	نوعان أيضا ما هما عدمان
حكم وإحكام فكل منهما	نوعان أيضا ثابتا البرهان
والحكم شرعي وكوني ولا	يتلازمان وما هما سِيِّان[4]

وقد تكرّر اقتران اسم الله العزيز باسم الله الحكيم في

---

[1] () الأسماء والصفات للبيهقي (1/66).
[2] () تفسير القرآن العظيم (1/445).
[3] () تيسير الكريم الرحمن (ص945-946).
[4] () النّونيّة (ص205-206).

سبعة وأربعين موضعًا.

منها بالتّعريف ﮋﮡ ﮢ ﮋ في تسعة وعشرين موضعاً:

أوّلها في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮋ [البقرة: ١٢٩]

.

وآخرها في سورة التّغابن عند قوله تعالى: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮋ [التغابن: ١٨].

وبالتّنكير مرفوعاً ﮋ ﯤ ﯦ ﮋ في ثلاثة عشر موضعاً:

أوّلها في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮋ [البقرة: ٢٠٩]

.

وآخرها في سورة لقمان: ﮋ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮋ [لقمان: ٢٧].

وبالتنكير منصوبا ﮋ ﮳ ﮴ ﮋ في خمسة مواضع:

أوّلها في سورة النساء: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮋ [النساء: ٥٦]

.

وآخرها في سورة الفتح: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮋ [الفتح: ١٩]....

وفوائد ولطائف اقتران هـذين الاسـمين الكـريمين تظهـر في الأمور الآتية:

1- أن غـالب مـا يـأتي (وصـفه سـبحانه بـالعزّة والملكيـة والحكمـة, فإنّمـا يـرد حيث يـراد معـنى الاقتـدار والاسـتيلاء, والقهـر, وإحاطـة العلم, وإفـراده سـبحانه بـالخلق, والأمـر والرّبوبيّة والتّعالي, وما يرجع إلى هذا, كقوله تعـالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮋ [آل عمران: ٦٢].

وقوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﮋ

ثم قال تعالى: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮋ [الروم: ٢٧]

.

وقوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ , ثم قال: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الفتح: ٧].

وقوله تعالى: ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ, ثم قال: ﮋ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [الحديد: ١], وهذا كثير مطّرد حيث يراد معنى القهر والملكية والإحاطة والاقتدار[1].

2- ومن لطائف اقتران اسم الله العزيز باسم الله الحكيم, أنّ العزّة والحكمة هما مصدرا الخلق والأمر, وفي هذا يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (فإنّ العزّة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وبهاتين الصّفتين يقضي سبحانه وتعالى ما يشاء، ويأمر وينهى، ويثني، ويعاقب، فهاتان الصّفتان: مصدر الخلق والأمر)[2].

3- في ختم بعض الآيات بهذين الاسمين العظيمين مثل قوله تعالى: ﮋ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [المائدة: ١١٨] ما يفيد أنّ الله تعالى يغفر لعباده ذنوبهم وخطاياهم تفضلا منه عليهم لا عجزا عن الانتقام منهم, وكذلك انتقامه منهم, وتعذيبهم صادر عن حكمة وغاية عظيمة, وذلك لكمال علمه وحكمته سبحانه, وهذا خلاف ما نجده في المخلوقين, فإنّه قد يعفو لعجزه عن الانتقام, وإذا قدر على الانتقام فينقم بجهل؛ لعدم علمه بمقدار الجريمة وكيفية جزائها.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وإذا تأمّلت ختم الآيات بالأسماء والصّفات, وجدت كلامه مختتما بذكر الصّفة التي يقتضيها ذلك المقام, حتّى كأنّها ذكرت دليلا عليه, وموجبة له, وهذا كقوله: ﮋ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ [المائدة: ١١٨], أي: فإنّ مغفرتك لهم مصدر عن عزّة هي: كمال القدرة, لا عن عجز وجهل)[3].

وختم سبحانه الآية بقوله تعالى: ﮋ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ [المائدة: ١١٨] ولم يقل الغفور الرّحيم, وهذا من أبلغ الأدب مع الله تعالى, فإنّه قاله في وقت غضب الرّبّ عليهم والأمر بهم إلى النّار, فليس هو مقام استعطاف ولا شفاعة, بل مقام براءة منهم فلو قال: فإنّك أنت الغفور الرّحيم, لأشعر باستعطافه

[1] () انظر: ملاك التأويل (ص138).
[2] () الجواب الكافي (ص81).
[3] () شفاء العليل (1/323).

ربّه على أعدائه الذين قد اشتدّ غضبه عليهم, فالمقام مقام موافقة للرّبّ في غضبه على من غضب الرّبّ عليهم, فعدل عن ذكر الصّفتين اللّتين يسأل بهما عطفه ورحمته ومغفرته إلى ذكر العزّة والحكمة المتضمّنتين لكمال القدرة وكمال العلم.

والمعنى: إن غفرت لهم فمغفرتك تكون عن كمال القدرة والعلم, ليست عن عجز عن الانتقام منهم, ولا عن خفاء عليك بمقدار جرائمهم, وهذا لأنّ العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه ولجهله بمقدار إساءته إليه والكمال: هو مغفرة القادر العالم, وهو العزيز الحكيم, وكان ذكر هاتين الصّفتين في هذا المقام عين الأدب في الخطاب)[1].

ويقول أيضا: (ومن هاهنا كان قول المسيح عليه السّلام: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ [المائدة: ١١٨] أحسن من أن يقول: وإن تغفر لهم فإنّك أنت الغفور الرّحيم، أي: إن غفرت لهم كان مصدر مغفرتك عن عزّة، وهي كمال القدرة، وعن حكمة، وهي كمال العلم، فمن غفر عن عجز وجهل بجرُم الجاني، فأنت لا تغفر إلاّ عن قدرة تامّة، وعلم تام، وحكمة تضع بها الأشياء مواضعها، فهذا أحسن من ذكر الغفور الرّحيم في هذا الموضع، الدّال ذكره على التّعريض بطلب المغفرة في غير حينها، وقد فاتت، فإنّه لو قال: وإن تغفر لهم فإنّك أنت الغفور الرّحيم، كان في هذا من الاستعطاف, والتّعريض بطلب المغفرة لمن لا يستحقّها ما ينزّه عنه منصب المسيح عليه السّلام، لا سيما والموقف موقف عظمة وجلال، وموقف انتقام ممن جعل لله ولدا، واتّخذه إلها من دونه، فذكر العزّة والحكمة فيه أليق من ذكر الرّحمة والمغفرة، وهذا بخلاف قول الخليل عليه السّلام: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [إبراهيم: ٣٥ - ٣٦], ولم يقل: فإنّك عزيز حكيم، لأنّ المقام مقام استعطاف, وتعريض بالدّعاء، أي: إن تغفر لهم وترحمهم، بأن توفقهم للرّجوع من الشّرك إلى التّوحيد، ومن المعصية إلى الطّاعة، كما في الحديث: "اللّهم اغفر لقومي فإنّهم لا يعلمون"[2].

---

[1] () مدارج السالكين (2/379).

[2] () أخرجه البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء, باب حديث الغار (

وفي هـذا أظهـر الدّلالـة على أنّ أسـماء الـرّب تعـالى مشتقة من أوصاف ومعان قامت به، وأنّ كلّ اسم يناسب ما ذكر معه، واقترن به من فعله وأمره، والله الموفق للصّواب)[1].

4- أيضا من لطائف اقتران هـذين الاسـمين أنّ كثـيرا مـا يقرن لله تعالى بينهمـا في آيـات التّشـريع والتّكـوين والجـزاء (ليدلّ عباده على أنّ مصدر ذلك كلّه عن حكمة بالغـة, وعـزّة قاهرة, ففهم الموفقون عن اللـه عـزّ وجـلّ مـراده وحكمتـه, وانتهوا إلى ما وقفوا عليه ووصـلت إليـه أفهـامهم وعلـومهم, وردّوا علم ما غاب عنهم إلى أحكم الحـاكمين, ومن هـو بكـلّ شـيء عليم, وتحقّقـوا بمـا عملـوه من حكمتـه الـتي بهـرت عقولهم, أنّ للـه في كـلّ مـا خلـق وأمـر وأثـاب وعـاقب من الحكم البوالغ ما تقتصر عقولهم عن إدراكـه, وأنّـه تعـالى هـو الغـنى الحميـد العليم الحكيم, فمصـدر خلقـه وأمـره وثوابـه وعقابه غنـاه وحمـده وعلمـه وحكمتـه, ليس مصـدره مشـيئة مجـرّدة, وقـدرة خاليـة من الحكمـة والرّحمـة والمصـلحة والغايات المحمودة المطلوبة له خلقا وأمـرا, وأنّـه سـبحانه لا يسأل عمّا يفعل لكمال عزّته وحكمته)[2].

5- ومن لطائف اقتران هذين الاسمين الكريمين مـا يـبين أنّه سبحانه وتعالى عزيز في انتقامـه, لا يـردّه رادٌّ ولا يمانعـه مـانع, ومـع ذلـك فهـو حكيم فيمـا يفعلـه, ويشـرعه لعبـاده سبحانه.

ذكر الفخر الرّازي في تفسير قوله تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [المائدة: ٣٨]، قال: (أما قوله: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [المائـدة: ٣٨], ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ [آل عمـران: ٣١], فـالمعنى: عزيـز في انتقامه، حكيم في شرائعه وتكاليفه, قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابي, فقرأت هذه الآيـة فقلت: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ ﯧ سهوًا، فقال الأعرابي: كلام من هذا؟ فقلت كلام الله، قال أعد! فأعدت: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﮊ ﯧ ثمّ تنبّهت فقلت: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ

4/185), رقم: 3477.

[1] () مدارج السالكين (1/59-60).

[2] () مفتاح دار السعادة (2/78-79).

[المائـــدة: ٣٨], فقـــال الأعـــرابي: الآن أصـــبت, فقلت: كيـــف عرفت؟! قال: يا هذا عزيز حكيم فأمر بالقطع)[1].

6- أيضا من لطائف اقتران هذين الاسمين: أنّ فيـه تنبيـه الله تعالى عباده عن أحكـام وجـزاء اسـميه العزيـز والحكيم, فإنّه سبحانه لـمّا عزّ حكم, فلمّـا عـزّ سـبحانه وتعـالى عـاقب المعتدين بأنواع العقوبات, ومنها قطـع يـد السّـارق كمـا قـال تعالى: ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [المائدة: ٣٨], فختم الآية الكريمة بقوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﮊ.

قال السّعدي رحمه الله: (وقد يكتفي اللـه بـذكر أسـمائه الحسنى عن التّصريح بذكر أحكامها وجزائها، لينبّه عباده أنّهم إذا عرفوا الله بذكر الاسم العظيم، عرفوا ما يترتب عليه من الأحكام، مثل قوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [البقرة: ٢٠٩]

, لم يقل: فلكم من العقوبة كذا، بـل قـال: ﮋ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [البقرة: ٢٠٩], أي: فإذا عرفتم عزّته, وهي قهـره وغلبتـه وقوتـه وامتناعـه، وعـرفتم حكمتـه - وهي وضـعه الأشـياء موضـعها، وتنزيلهـا محالّــها - أوجب لكم ذلـك الخـوف من البقـاء على ذنوبكم وزللكم؛ لأنّ من حكمته معاقبة من يسـتحقّ العقوبـة: وهو المصرّ على الذّنب مع علمه، وأنّه ليس لكم امتناع عليه، ولا خروج عن حكمه وجزائه، لكمال قهره وعزته.

وكذلك لـمّا قال في سورة المائدة: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ [المائـدة: ٣٤], لم يقـل: فـاعفوا عنهم أو اتركـوهم ونحوهـا، بـل قـال: ﮋ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [المائـدة: ٣٤], يعـني: فـإذا عـرفتم ذلـك وعلمتمـوه، عـرفتم أنّ من تـاب وأنـاب فـإنّ اللـه يغفـر لـه ويرحمه، فيدفع عنه العقوبة.

ولـمّا ذكر عقوبة السّارق قال في آخرها: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [المائدة: ٣٨], أي: عزّ وحكم, فقطع يد السّارق، وعزّ وحكم, فعاقب المعتدي شرعا وقدرا وجزاء)[2].

7- أيضا في اقتران اسم اللـه العزيـز باسـم اللـه الحكيم يدلّ على كمال آخر, فإنّ الله تعالى يجمع بينهمـا في القـرآن

---

[1] () مفاتيح الغيب (11/181).

[2] () القواعد الحسان (ص56).

كثـيرا, فيكــون كــلّ منهمــا دالّا على الكمــال الخــاص الــذي يقتضيه، وهو العزّة في العزيز، والحكم والحكمـة في الحكيم, والجمـع بينهمــا دالّ على كمـال آخــر، وهــو أنّ عزّتــه تعـالى مقرونة بالحكمة، فعزّته لا تقتضي ظلما وجـورا وسـوء فعـل، كما قـد يكـون من أعـزاء المخلـوقين، فـإنّ العزيـز منهم قـد تأخذه العـزّة بـالإثم فيظلم ويجـور ويسـئ التّصـرف, وكـذلك حكمـه تعـالى وحكمتـه مقرونـان بـالعزّ الكامـل، بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنّهما يعتريهما الذّلّ[1].

يقـول ابن القيم رحمـه اللـه: (فـالعزّة من جنس القـدرة والقـوّة,...فالقـدرة إن لم يكن معهـا حكمـة, بـل كـان القـادر يفعل ما يريده بلا نظر في العاقبة, ولا حكمة محمودة يطلبها بإرادته, ويقصدها بفعله كان فعلها فسـادا, كصـاحب شـهوات الغيّ والظّلم, الذي يفعل بقوّتـه مـا يريـده من شـهوات الغيّ في بطنه وفرجـه, ومن ظلم النّـاس, فـإنّ هـذا وإن كـان لـه بقوّة وعزّة لكن لـمّا لم يقترن بهـا حكمـة, كـان ذلـك معونـة على شرّه وفساده)[2].

وأيضــا في اقترانهمــا إشــارة إلى أنّ هــذه الصّــفة, وهي اجتماع العزّة مع الحكمة عزيزة في المخلوقين.

قـال ابن الـوزير اليمـني رحمـه اللـه: (وفي هـذه الآيـات وأمثالها نكتة لطيفة في جمعه بين العزّة والحكمـة, وذلـك أنّ اجتماعهما عزيز في المخلوقين؛ فـإنّ أهـل العـزّة من ملـوك الـدّنيا يغلب عليهم العسـف في الأحكـام, فـبيّن مخالفتـه لهم في ذلك؛ فإنّ عظيم عزّته لم يبطل لطيـف حكمتـه ورحمتـه, سبحان من له الكمال المطلق والمجد المحقّق)[3].

بل هذا الوصف لا يكون إلاّ لله تعالى وحده لا شريك له.

8- أيضا من لطائف الاقتران عنـد قولـه تعـالى في دعـاء إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السّلام: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ [البقرة: ١٢٩].

---

1 () انظر: القواعد المثلى (ص8).

2 () طريق الهجرتين (1/187-188).

3 () إيثار الحق على الخلق (1/200).

فمناسبة قوله: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ لهذا الدّعاء هو أنّ العزيز هو القادر، والحكيم هو العالم بوضع الأشياء في مواضعها، ومن كان عالما قادرا, فهو قادر على أن يبعث فيهم رسولا يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم[1].

يقول السّعدي رحمه الله: (وأمّا ختم قوله: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮋ [البقرة: ١٢٩]

, بقوله ﮋ ﭼ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [البقرة: ١٢٩], فمعناه: كما أنّ بعثك لهذا الرّسول فيه الرّحمة السّابغة، ففيه تمام عزّة الله وكمال حكمته؛ فإنّه ليس من حكمة أحكم الحاكمين أن يترك الخلق سدى عبثا، لا يرسل إليهم رسولا، فحقّق الله حكمته ببعثه، كما حقّق حكمته لئلا يكون للنّاس على الله حجّة، والأمور كلّها: قدريها وشرعيها، لا تقوم إلاّ بعزّة الله، ونفوذ حكمه)[2].

9- قوله سبحانه: ﮋ   ﮊ [المائدة: ١١٨], آية المائدة مبنية على التّسليم لله سبحانه, وأنّه المالك للكلّ يفعل فيهم ما يشاء, فلو ورد هنا عقب آية المائدة: وإن تغفر لهم فأنت الغفور الرّحيم, لكان تعريضا بطلب المغفرة, ولم يقصد ذلك بالآية, وإنّما قيل ذلك على لسان عيسى عليه السّلام تبريا وتسليما لله سبحانه, وليس موضع طلب مغفرة لهم؛ وإنّما هو تنصل من حالهم وتسليم لله فيهم.

قال القرطبيّ رحمه الله: لم يقل الغفور الرّحيم؛ لأنّ مخرجه على التّسليم؛ ولأنّ في ذكر الغفور تعريضا للسّائل والكلام لتسليم الأمرين والحكمة تقتضيهما, وكأنّه قال: فالمغفرة لا تنقص من عزّك ولا تخرج عن حكمتك[3])[4].

10- قوله سبحانه في سورة الممتحنة: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ   ﮊ [الممتحنة: ٥], فقوله: ﮋ   ﮊ , مبني على قوله: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ فإنّ المراد لا تظهرهم علينا فيظنّوا أنّهم على الحقّ فيكون سبب فتنتهم, فلا تفعل ذلك بنا, فأنت القادر على كفهم ونصرنا عليهم, فإنّك العزيز الذي لا معارض

---

1 () اللباب في علوم الكتاب (2/494).
2 () القواعد الحسان (ص55).
3 () انظر: تفسير القرطبي (6/378).
4 () ملاك التأويل (ص137-138).

لما تريده, ولا مانع ممّا تشاؤه, لما كان المؤمنون يعلمون أنّ ما يصيبهم من مصيبة إنّما هي بما كسبت أيديهم سألوا المغفرة من مجترحاتهم, وأورد سؤالهم مورد جمل الاعتراض, فقدّم وهو قوله: ﴿ ﴾ فإنّ الكلام في تقدير التّقديم والتّأخير: ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا إنّك أنت العزيز الحكيم واغفر لنا ربنا، فقوله: ﴿ ﴾ أثناء الكلام إحرازا لآدابهم ومعتقدهم الإيماني[1].

11- من فوائد اقتران العزيز بالحكيم بعد إخباره سبحانه بتنزيل الكتاب من عنده سبحانه كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الزمر: ١]

, [الجاثية: ٢], [الأحقاف: ٢].

فالفائدة المستفادة من ذكره سبحانه وصف العزيز الحكيم, بعد إخباره بإنزال الكتاب من عنده سبحانه هو: (للإيماء إلى أنّ ما ينزل منه يأتي على ما يناسب الصّفتين، فيكون عزيزا قال تعالى: ﴿ ﴾ [فصلت: ٤١]، أي: القرآن عزيزٌ غالبٌ بالحجة لمن كذَّب به، وغالب بالفضل لما سواه من الكتب من حيث إنّ الغلبة تستلزم التفضُّل والتفوُّق، وغالب لبلغاء العرب إذ أعجزهم عن معارضة سورة منه، ويكون حكيما مثل صفة منزله, والحكيم: إمّا بمعنى الحاكم، فالقرآن أيضا حاكم عن معارضيه بالحجة، وحاكم على غيره من الكتب السّماوية بما فيه من التّفصيل والبيان, قال تعالى: ﴿ ﴾ [المائدة: ٤٨], وإمّا بمعنى: المحكم المتقن، فالقرآن مشتمل على البيان الذي لا يحتمل الخطأ، وإمّا بمعنى الموصوف بالحكمة، فالقرآن مشتمل على الحكمة كاتّصاف منزله بها)[2].

وفي وصف الحكيم إيماء إلى أنّه أنزله بالحكمة وهي الشّريعة ﴿ ﴾ [البقرة: ٢٦٩])[3].

وأيضا في (إيثار وصْفَي العزيز الحكيم بالذّكر دون غيرهما من الأسماء الحسنى؛ لإشعار وصف العزيز بأنّ ما

---

1 () انظر: ملاك التأويل (ص137-138).
2 () التحرير والتنوير (23/314).
3 () المصدر نفسه (23/314).

نزل منه مناسب لعزّته, فهو كتاب عزيز كما وصفه تعالى بقوله: ﭽ ﮐ ﮑ ﭼ [فصلت: ٤١]، أي: هو غالب لمعانديه، وذلك لأنّه أعجزهم عن معارضته، ولإشعار وصف الحكيم بأنّ ما نزل من عنده مناسب لحكمته، فهو مشتمل على دلائل اليقين والحقيقة، ففي ذلك إيماء إلى أنّ إعجازه من جانب بلاغته, إذ غلبت بلاغة بُلغَائِهم، ومن جانب معانيه, إذ أعجزت حكمته حكمة الحكماء)[1].

12- وعن وجه تقديم اسمه سبحانه "العزيز" على "الحكيم" في جميع الآيات يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (وجه التّقديم: أنّ العزّة: كمال القدرة، والحكمة: كمال العلم، وهو سبحانه الموصوف من كلّ صفة كمال بأكملها وأعظمها وغايتها، فتقدّم وصف القدرة؛ لأنّ متعلقه أقرب إلى مشاهدة الخلق, وهو مفعولاته تعالى وآياته، وأمّا الحكمة فمتعلّقها بالنّظر والفكر والاعتبار غالبا؛ وكانت متأخّرة عن متعلّق القدرة.

وجهٌ ثانٍ: أنّ النّظر في الحكمة بعد النّظر في المفعول والعلم به، سينتقل منه إلى النّظر فيما أودعه من الحكم والمعاني.

وجهٌ ثالثٌ: أنّ الحكمة غاية الفعل، فهي متأخّرة عنه تأخّر الغايات عن وسائلها، فالقدرة تتعلّق بإيجاده، والحكمة تتعلّق بغايته، فقدّم الوسيلة على الغاية؛ لأنّها أسبق في التّرتيب الخارجي)[2].

---

1 () المصدر نفسه (25/325).

2 () بدائع الفوائد (1/63-64).

المطلب الثّاني:
اقترانه باسم الله الغفّار والغفور.

معنى الغفّار والغفور لغة:

أصل الغَفْر: السّتر والتّغطية، وغفر الله ذنوبه أي: سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ, وكلّ شيء سترته فقد غفرته، ومنه قيل للذي يكون تحت بيضة الحديد على الرّأس مِغْفَر[1].

قال ابن فارس رحمه الله: الغين والفاء والرّاء عُظْمٌ بابه السّتر، ثم يشذّ عنه ما يذكر, فالغفر: السّتر, والغفران والغفر بمعنى, يقال: غفر الله ذنبه غفرا ومغفرة وغفرانا, قال في الغفر:

في ظل من عنت الوجوه له ملك الملوك ومالك الغفر

ويقال: غفر الثوب، إذا ثار زئبره, وهو من الباب، لأنّ الزّئبر يغطي وجه الثّوب, والمغفر معروف, والغفّارة: خرقة يضعها المدهن على هامته, ويقال لغفير: الشّعر السّائل في القفا, وذكر عن امرأة من العرب أنّها قالت لابنتها: اغفري غفيرك، تريد: غطّيه[2].

معناهما المضاف إلى الله تعالى:

قال الحليمي رحمه الله: (الغافر: وهو الذي يستر على المذنب ولا يؤاخذه به, فيشهره ويفضحه.

الغفّار: وهو المبالغ في السّتر, فلا يشهر الذّنب لا في الدّنيا ولا في الآخرة.

الغفور: وهو الذي يكثر منه السّتر على المذنبين من

---

1 () تهذيب اللغة (8/112).
2 () مقاييس اللغة (4/385).

عباده, ويزيد عفوه على مؤاخذته)[1].

ويبين شيخ الإسلام رحمه الله أن تفسير اسم الغفور بمعنى الستر فيه قصور فيقول: (ومن الناس من يقول الغفر الستر، ويقول: إنما سمي المغفرة والغفار لما فيه من معنى الستر، وتفسير اسم الله الغفار بأنه الستار وهذا تقصير في معنى الغفر؛ فإن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب على الذنب فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه, وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنا أو ظاهرا فلم يغفر له، وإنما يكون غفران الذنب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب)[2].

وقال السّعدي رحمه الله: (العفوّ، الغفور، الغفّار, الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفا، وبالغفران والصّفح عن عباده موصوفا، كلّ أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ﴾ [طه: ٨٢])[3].

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيّته:

وهو الغفور فلو أتى بقرابها	من غير شرك بل من العصيان
لاقاه بالغفران ملء قرابها	سبحانه هو واسع الغفران[4]

ورد هذا الاقتران بين اسم الله العزيز واسمي الله تعالى الغفور, والغفّار في عدّة آيات من القرآن الكريم.

فأمّا الاقتران باسمه سبحانه "الغفور" فقد ورد في القرآن مرّتين, كما في قوله تعالى: ﴿ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ﴾ [الملك: ٢].

---

[1] () الأسماء والصفات للبيهقي (1/148-150-152).
[2] () مجموع الفتاوى (10/317).
[3] () تيسير الكريم الرحمن (ص946).
[4] () النونية (ص209).

وأمّا الاقتران باسمه سبحانه "الغفّار" فقد ورد ثلاث مرّات في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [ص: ٦٦].

وقوله تعالى: ﮋ   ﮊ [الزمر: ٥].

وقوله تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ [غافر: ٤٢].

من فوائد اقتران اسم الله العزيز باسمي الله تعالى الغفور والغفّار ما يلي:

1- أنّ في اقتران اسم الله العزيز باسم الله الغفور كما في قول تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [الملك: ٢], دلالة على صفات كمال أخرى, مع أنّ كلاًّ من اسم العزيز والغفور دالّ على صفة كمال لله تعالى تليق بجلاله وعظمته, إلاّ أنّ اجتماعهما, واقترانهما دالّ على مزيد كمال لله تعالى, وهذه الصّفة هي كونه سبحانه عزيزاً مع معفرته لعباده, وغفوراً مع كونه عزيزًا قويّاً, فالله تعالى (هو العزيز العظيم المنيع الجناب، وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعدما عصاه وخالف أمره، وإن كان تعالى عزيزا، هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز)[1], وهذا خلاف المخلوق؛ لأنّه (لمّا كان العزيز منّا يُهلِك كلَّ من خالفه إذا علم مخالفته، قال سبحانه مبينا إمهاله للعصاة مرغِّبا للمسيء في التّوبة، بعد ترهيبه من الإصرار على الحوبة الغفور, أي: أنّه مع كونه عزيزاً, فهو يمحو الذّنوب, ويتلقى من أقبل إليه أحسنَ تلق)[2], والله تعالى مغفرته (تكون عن كمال القدرة والعلم ليست عن عجز عن الانتقام منهم, ولا عن خفاء عليه بمقدار جرائمهم, وهذا خلاف المخلوق؛ (لأنّ العبد قد يغفر لغيره لعجزه عن الانتقام منه, ولجهله بمقدار إساءته إليه, والكمال هو مغفرة القادر العالم)[3].

وفي تذييل قوله تعالى: ﮋ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ بجملة: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ, (إشارة إلى أنّ صفاته تعالى تقتضي تعلُّقا بمتعلقاتها؛ لئلا تكون معطَّلة في بعض الأحوال والأزمان, فيفضي ذلك إلى

---

1 () تفسير القرآن العظيم (8/176).
2 () انظر: نظم الدرر (20/222) بتصرف يسير.
3 () مدارج السالكين (2/379) بتصرف.

نقائضها، فأمّا العزيز فهو الغالب الذي لا يعجز عن شيء، وذكره مناسب للجزاء المستفاد من قوله: ﮋﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ كما تقدّم آنفا، أي: ليجزيكم جزاء العزيز، فعلم أنّ المراد الجزاء على المخالفات والنّكول عن الطّاعة, وهذا حظ المشركين الذين شملهم ضمير الخطاب في قوله: ﮋﭥ ﭨ ﮊ, وأمّا الغفور فهو الذي يكرم أولياءه ويصفح عن فلتاتهم, فهو مناسب للجزاء على الطّاعات وكناية عنه، قال تعالى: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [طه: ٨٢], فهو إشارة إلى حظّ أهل الصّلاح من المخاطبين)[1].

2- أيضا من فوائد اقتران اسم الله العزيز باسم الله الغفور, أنّه في الجمع بينهما معنى التّرغيب والتّرهيب, فاسمه العزيز فيه معنى التّرهيب؛ لأنّه القويّ الشّديد, الفعّال لما يريد, الذي لا غالب له إذا أراد أن ينتقم ممّن عصاه وخالف أمره, وفي اسمه الغفور معنى التّرغيب؛ لأنّه الغفور لمن تاب من عباده, الذي يقبل التّوبة من كلّ تائب.

فقوله: (ﮋﭪ ﭫ ﭬ ﮊ أي: وهو القويّ الشّديد الانتقام ممّن عصاه وخالف أمره، الغفور لذنوب من أناب إليه وأقلع عنها, وقد قرن سبحانه التّرهيب بالتّرغيب في مواضع كثيرة من كتابه كقوله تعالى: ﮋﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

وإثبات العزّة والغفران له يتضمّن كونَه قادرا على كلّ المقدورات، عالما بكلّ المعلومات؛ ليجازي المحسن والمسيء بالثّواب والعقاب، ويعلمَ المطيع من العاصي، فلا يقع خطأ في إيصال الحقّ إلى من يستحقه، ثوابا كان أو عقابا)[2].

3- في ذكره سبحانه اسميه العزيز والغفور مقترنان بعد ذكره للخشية, كما في قوله تعالى: ﮋﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [فاطر: ٢٨] (تعليلٌ لوجوب الخشية؛ لدلالته على أنّه معاقِبٌ للمصرّ على طغيانه, غفور للتّائب عن عصيانه)[3].

---

1 () التحرير والتنوير (29/15-16).
2 () انظر: تفسير المراغي (29/6).
3 () انظر: المصدر نفسه (29/6).

وأيضا فإنّ (مناسبة ذكر العزّة والمغفرة هنا بعد ذكر الخشية, الإشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى أهل لأن يخشى؛ لأنّه عزيز, وأنّه إذا نقص شيء من الخشية فإنّه يقابَل بالمغفرة, فهو عزيز, فبذلك كان أهلا للخشية, وهو غفور إذا نقص شيء ممّا يجب له من خشيته سبحانه وتعالى)[1].

4- من فوائد اقتران اسم الله العزيز باسم الله الغفّار: بيان أنّ من بيده الضّرّ والنّفع, القادر على الانتقام من أعدائه, والغفّار لذنوب عباده إذا أنابوا إليه هو المستحقّ للعبادة, لا مَن لا يملك ضرّا ولا نفعا.

قال ابن جرير رحمه الله: (في قوله: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [غافر: ٤٢], يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممّن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوٍّ له شيءٌ، الغفّار لمن تاب إليه بعد معصيته إيّاه، لعفوه عنه، فلا يضرّه شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصّفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضرّ عنده ولا نفع)[2].

فعدل سبحانه (عن اسم الجلالة إلى الصّفتين العزيز الغفّار؛ لإدماج الاستدلال على استحقاقه الإفراد بالإلهيّة والعبادة بوصفه العزيز؛ لأنّه لا تناله النّاس بخلاف أصنامهم فإنّها ذليلة توضع على الأرض, ويلتصق بها القتام, وتلوّثها الطّيور بذرقها، ولإدماج ترغيبهم في الإقلاع عن الشّرك بأنّ الموحّد بالإلهيّة يغفر لهم ما سلف من شركهم به, حتّى لا ييأسوا من عفوه بعد أن أساءوا إليه)[3].

وقال الألوسي[4] رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ

---

1 () التفسير الثمين للعلامة ابن عثيمين (11/104).

2 () جامع البيان (21/391).

3 () التحرير والتنوير (24/145).

4 () هو محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسّر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، من مصنفاته: روح المعاني في التفسير، ونشوة المدام في العود إلى دار السلام، وغرائب الاغتراب, وغيرها, مات سنة سبعين ومائتين وألف للهجرة. انظر: الأعلام (7/176), ومعجم المؤلفين (12/175).

ﭬ ﭭ [غافر: ٤٢], (المستجمع لصفات الألوهيّة من: كمال القدرة والغلبـة, ومـا يتوقّـف عليـه من العلم والإرادة, والتّمكّن من المجـازاة, والقـدرة على التّعـذيب والغفـران, وخُصَّ هـذان الوصـفان بالـذّكر, وإن كانـا كنايـة عن جميـع الصّـفات؛ لاستلزامهما ذلك, كما أشير إليه؛ لما فيهما من الدّلالـة على الخوف والرّجاء المناسب لحاله وحالهم)[1].

5- أيضا من فوائد اقتران العزيز بالغفّـار أنّـه فيـه (معـنى الوعيد والوعد، فإنّ وصف العزيز كناية عن أنّه يفعل ما يشاء لا غـالب لـه, فلا تجـدي المشـركين عبـادة أوليـائهم، ووصـف الغفّـار مُـؤْذِنٌ باسـتدعائهم إلى التّوبـة باتّبـاع الإسـلام, وفي وصف الغفّار مناسبةٌ لذكر الأجـل؛ لأنّ المغفـرة يظهـر أثرهـا بعد البعث, الذي يكـون بعـد المـوت وانتهـاء الأجـل, تحريضـا على البدار بالتّوبـة قبـل المـوت حين يفـوت التّـدارك[2], فهـو سبحانه (العزيز في نقمته من أهل الكفـر بـه، المـدّعين معـه إلهاً غيره، الغفَّار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه، فأنـاب إلى الإيمـان بـه، والطّاعـة لـه بالانتهـاء إلى أمره ونهيه)[3].

وفي ختم هـذه الأفعـال من خلـق السّـماوات والأرض, وتكوير اللّيل والنّهار, وتسخير الشّمس والقمر كما في قولـه تعالى: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ [الزمر: ٥], بقوله تعالى: ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ , تنبيه لعباده إلى (أنّ الله الذي فعل هذه الأفعال, وأنعم على خلقه هـذه النّعم هـو العزيز في انتقامه ممّن عاداه، الغفّار لـذنوب عبـاده التّـائبين إليه منها بعفوه لهم عنها[4], ولا يخفى ما في هـذا من الدّلالـة على كمـال قدرتـه، وكمـال رحمتـه, فهـو القهّـار ذو القـوّة المتين، الغفّار لذنوب التّائبين)[5].

---

1 () روح المعاني (12/224).
2 () انظر: التحرير والتنوير (23/330).
3 () جامع البيان (21/235).
4 () المصدر السابق (21/254).
5 () تفسير المراغي (23/146).

المطلب الثّالث:
اقترانه باسم الله الحميد.

معنى الحميد لغة:

الحاء والميم والدّال كلمة واحدة وأصل واحد يدلّ على خلاف الذّم, يقال حمدت فلانا أحمده, ورجل محمود ومحمد، إذا كثرت خصاله المحمودة غير المذمومة...

ولهذا الذي ذكرناه سمي نبيّنا "محمّدا" صلّى الله عليه وآله وسلّم, ويقول العرب: حماداك أن تفعل كذا، أي غايتك وفعلك المحمود منك غير المذموم, ويقال أحمدت فلانا، إذا وجدته محمودا[1].

قال الأخفش[2]: الحمد لله: الشّكر لله، قال: والحمد أيضا: الثّناء، قلت: الشّكر لا يكون إلاّ ثناءً ليدٍ أولَيْتَها، والحمد قد يكون شكرا للصّنيعة, ويكون ابتداء للثّناء على الرّجل، فحمد الله الثّناء عليه، ويكون شكرا لنعمه التي شملت الكلّ.

وقال اللّيث: التّحميد: كثرة حمد الله بالمحامد الحسنة, قال: وأحمد الرّجل إذ فعل ما يحمد عليه.

وقول العرب: أحمد إليك الله, قال اللّيث: معناه أحمد معك الله، وقال غيره: أشكر إليك أياديه ونعمه.

ويقال: هل تحمد لي هذا الأمر, أي: هل ترضاه لي.

والحميد من صفات الله بمعنى المحمود، ورجل حمدة: كثير الحمد, ورجل حماد مثله[3].

---

[1] () مقاييس اللغة (2/100).

[2] () هو علي بن سليمان بن الفضل أبو الحسن المعروف بالأخفش الصغير البغدادي النحوي سمع ثعلبا، والمبرد، وكان ثقة, والأخفش: هو الضعف في البصر مع صغر العينين, مات سنة خمس عشرة وثلاث مائة, وهناك الأخفش الأكبر وهو: أبو الخطاب عبد الحميد، والأوسط وهو: أبو الحسن سعيد بن مسعدة. انظر: تاريخ بغداد (13/388), وتاريخ دمشق (41/518). معجم الأدباء (4/1770).

[3] () تهذيب اللغة (4/252).

وقال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى الحميد أي: المحمود على كلّ حال، فعيل بمعنى مفعول, والحمد والشّكر متقاربان, والحمد أعمهما؛ لأنّك تحمد الإنسان على صفاته الذّاتية وعلى عطائه, ولا تشكره على صفاته)[1].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [البقرة: ٢٦٧]

: (حميد، أنّه محمود عند خلقه بما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله)[2].

وقال أيضا في قوله تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [النساء: ١٣١]: (الحميد الذي استوجب عليكم أيّها الخلق الحمد بصنائعه الحميدة إليكم، وآلائه الجميلة لديكم, فاستديموا ذلك أيّها النّاس باتّقائه، والمسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به وينهاكم عنه)[3].

ويقول ابن كثير رحمه الله: (الحميد أي: المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره، لا إله إلاّ هو، ولا ربّ سواه)[4].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وأمّا الحميد فلم يأت إلاّ بمعنى المحمود, وهو أبلغ من المحمود؛ فإنّ فعيلا إذا عدل به عن مفعول دلّ على أنّ تلك الصّفة قد صارت مثل السجيَّة والغريزة والخلُق اللازم, إذا قلت فلان ظريف, وشريف, وكريم؛ ولهذا يكون هذا البناء غالبا من فعل بوزن شرف, هذا البناء من أبنية الغرائز والسّجايا اللازمة, ككبر وصغر وحسن, ولطف ونحو ذلك.

ولهذا كان حبيب أبلغ من محبوب؛ لأنّ الحبيب الذي حصلت فيه الصّفات والأفعال التي يُحَبُّ لأجلها, فهو حبيب في نفسه وإن قُدِّر أنّ غيره لا يحبّه لعدم شعوره به, أو لمانع

---

[1] () النهاية (1/436).
[2] () جامع البيان (5/570).
[3] () المصدر نفسه (9/295).
[4] () تفسير القرآن العظيم (1/699).

منعه من حبّه, وأمّا المحبوب فهو الذي تعلّـق بـه حبّ المحبّ فصار محبوبا بحبّ الغير لـه, وأمّـا الحـبيب فهـو حـبيبٌ بذاتـه وصـفاته, تعلّق بـه حبّ الغـير, أو لم يتعلّـق, وهكـذا الحميـد والمحمود.

فالحميـد هـو الـذي لـه من الصّـفات وأسـباب الحمـد مـا يقتضي أن يكون محمودا, وإن لم يحمده غيره, فهو حميد في نفسه, والمحمود من تعلّق به حمْدُ الحامدين)[1].

ورد اقـتران اسـم العزيـز باسـم الحميـد ثلاث مـرّات في كتاب الله تعالى: في قوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [البروج: ٨].

وقوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [إبراهيم: ١].

وقوله تعالى: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ [سبأ: ٦].

وعن سرّ ولطائف هذا الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين يمكن القول:

1-بأنّ (العزّة صفة كمال لله عزّ جلّ والحمد صـفة كمـال أخرى، واقتران العزّة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تعالى, فلـه الحمـد على عزّتـه وغلبتـه، وعلى إعـزازه لأوليائـه، ونصـره لحزبه وجنده)[2].

2-والله تعالى محمود في عزّتـه؛ لأنّهـا جاريـة على سـنن الرّحمــة، وســنن الحكمــة، وســنن المغفــرة والتّجــاوز عن الذّنوب، وسعة المـواهب والعطايـا، فاللـه تعـالى كمـا وصـف نفسه هو: ﮋ ﮱ ﯓ ﮊ ، وهو: ﮋ ﯔ ﯕ ﮊ ، وهو: ﮋ ﭙ ﭚ ﮊ ، وهو: ﮋ ﭾ ﭿ ﮊ ، وهـو: ﮋ ﮊ ، ولا كـذلك العزيـز من العبـاد الـذي يتجبّـر، ويطغى، ويبطش فيخــاف إفســاده وبغيــه وبطشــه, وتُعَــدُّ السّلامة من أذاه غاية المطلوب[3].

فالله تعـالى محمـود على عزّتـه سـبحانه؛ لأنّهـا عـزّة مـع

---

[1] () جلاء الأفهام (ص315).

[2] () مطابقة أسماء الله الحسنى مقتضى المقام في القرآن الكريم د نجلاء الكردي (ص208).

[3] () انظر: ولله الأسماء الحسنى لناصر الجليل (ص383-384).

حكمــة, وعلم, ورحمــة, ومغفــرة, وهبــة وإنعــام على خلقــه, وليست مثل عزّة المخلوقين التي يصحبها الظّلم, والطّغيــان, والجور, والسّفه.

3- قوله تعالى: ﮋﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [إبراهيم: ١], وفي ذكر العزيز الحميد بعد ذكر الصّراط المتّصــل إليه إشارة إلى أنّ من سلكه فهو عزيز بعزّة اللـه، قـويّ ولـو لم يكن له أنصار إلاّ الله، محمود في أمـوره، حسـن العاقبـة، وليدلّ ذلك على أنّ صراط الله من أكـبر الأدلّـة على مـا للـه من صفات الكمـال، ونعـوت الجلال، وأنّ الـذي نصـبه لعبـاده عزيـز السّـلطان، حميـدٌ في أقوالـه وأفعالـه وأحكامـه، وأنّـه مألوه معبود بالعبادات التي هي منازل الصّراط المستقيم[1].

---

1 () انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص421).

المطلب الرّابع:
اقترانه باسم الله الوهّاب.

معنى الوهّاب لغة:

الهبـة: العطيـة الخاليـة عن الأعـواض والأغـراض، فـإذا كثرت سمي صاحبها وهَّاباً، وهو من أبنية المبالغة.

وأصله: أوتهب، فقلبت الواو تاءً وأدغمت في تاء الافتعال، مثل اتّـزن واتّعـد, من الـوزن والوعـد, يقـال: وهبت لـه شـيئا وهْبـاً، ووَهَبـاً، وهِبَـةً، إذا أعطيتــه، واتّهبت منــه، أي: قبلت, والاسم: الموهب والموهبة بالكسر.

والاســتيهاب: ســؤال الهبــة, وتــواهب القــوم، إذا وهب بعضهم بعضا[1].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال ابن جرير رحمه الله عند قوله تعالى: ژ [illegible] ژ [آل عمران: ٨]: (يعني: إنّك أنت المعطي عبادك التّوفيق والسّداد للثّبـات على دينـك، وتصـديق كتابـك ورسلك)[2].

وقال في موضع آخر: (إنّـك وهـاب مـا تشـاء لمن تشـاء, بيدك خزائن كلّ شيء, تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت)[3].

وقال الحليمي رحمه الله: (إنّه المتفضِّل بالعطايا, المنعم بها لا عن استحقاق عليـه, وقـال أبـو سـليمان: لا يسـتحقّ أن يســمّى وهابــا إلاّ من تصــرّفت مواهبــه في أنــواع العطايــا, فكثرت نوافله ودامت, والمخلوقون إنّما يملكون أن يهبوا مالا ونَوَالاً في حال دون حال, ولا يملكون أن يهبوا شفاء لســقيم, ولا ولـدا لعقيم, ولا هـدى لضـال, ولا عافيـة لـذي بلاء, واللــه الوهّاب سبحانه يملك جميع ذلك, وسع الخلق جوده ورحمتــه,

---

[1] () انظر: تهـذيب اللغـة (6/242), والنهايـة في غـريب الحـديث (5/231).

[2] () جامع البيان (6/212).

[3] () المصدر نفسه (21/201).

فدامت مواهبه, واتّصلت مننه وعوائده)[1].

وقال ابن القيّم رحمه الله:

وكذلك الوهّاب من أسمائـه	فانظر مواهبه مدى الأزمان
أهل السّموات العلى والأرض عن	تلك المواهب ليس ينفكان[2]

ورد اقتران اسم الله العزيز باسمه الوهّاب في آية واحدة من كتاب الله تعالى، وذلك في قوله تعالى: ﰡ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﰠ [ص: ٩].

1-من فوائد اقتران هـذين الاسـمين بيـان أنّ اللـه تعـالى عزيز في هبته يهبها لمن يشاء من خلقه تفضلا منه وإحسـانا, لا لحاجتـه إليهم, ولا خوفـا منهم كمـا يكـون ذلـك من المخلـوقين, لأنّ المخلـوق يهب مـا يهبـه من الهبـات جلبـا لمنفعـة, أو دفعـا لضـرّ, وأيضـا فـإنّ اللـه عنـدما يهب لعبـاده العطايا والنّعم لا يمنعه مـانع, وذلـك لكمـال عزّتـه المتضـمّنة المنعـة والقـوّة والقهـر, فلا مـانع لمـا أعطى, ولا معطي لمـا منع, بخلاف المخلوق, فإنّه يهب الهبة وهو ذليـل, وقـد يمنعـه بُخْلُـه أو غضـبه عن إهـداء الهبـات, فاللـه تعـالى لـه الكمـال المطلق فمع كونه عزيزا فهو وهّاب, يهب الهبـة حتّى لأعدائـه لكمال ربوبيّته, ومع كونه وهّاباً فهو عزيز, يتصـرّف في ملكـه وهباته كيف يشاء[3].

قال الواحدي[4] رحمه الله عند قوله تعالى: ﰡ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﰠ

---

[1] () الأسماء والصفات للبيهقي (1/190).

[2] () النونية (ص210).

[3] () انظر: أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها في ضوء لكتاب والسنة (ص261) بتصرف.

[4] () هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحـدي، النيسـابوري، الشـافعي، صـاحب التفسـير، وإمـام علمـاء التأويـل, حقيـق بكـل احترام وإعظام، من كتبه: أسـباب الـنزول، والتحبـير في الأسـماء الحسنى، وشرح ديوان المتنبي, وغيرها, مات سـنة ثمـان وسـتين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النّبلاء (18/339), طبقات الشّـافعيّة

[ص: ٩]: (يقـول: أبأيـديهم مفـاتيح النّبـوّة والرّسـالة فيضـعونها حيث شاءوا؟, أي: أنّها ليست بأيديهم، ولكنّها بيــد العزيــز في ملكه، الوهّاب وهب النّبوّة لمحمد صلّى الله عليه وسلّم)[1].

2-أيضا من المعاني المستفادة من اقتران هذين الاسمين (كونه سبحانه العزيز الوهّاب يقتضي تصرُّفُه التّام في صنوف العطاء المادي منها والمعنوي, لا ينازعه فيها منازع, ولا يغالبه فيها مغالب؛ لأنّه العزيز الـذي لا مـانع لمـا أعطى, ولا معطي لما منع, ولا ينوب عنـه نـائب، ولا يصـل عطـاءٌ من معـط إلى مُعْطى إلاّ بإذنه سـبحانه، فعزّتُـه متضـمّنةٌ الإنعـام على خلقـه والتّفضّل عليهم، وتفضّله وإنعامه سـبحانه صـادران عن عـزّة وقدرة وغنى وتفضّل, لا لجلب نفع أو دفع ضرّ)[2].

الكبرى (5/240).

[1] () الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي (3/540).

[2] () ولله الأسماء الحسنى (ص411-412).

المطلب الخامس:
اقترانه باسم الله الرحيم.

معنى الرحيم لغة:

الرّاء والحاء والميم أصل واحد يدلّ على الرِّقة والعطف والرّأفة, يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رَقَّ له وتعطّف عليه, والرَّحم والمرحمة والرّحمة بمعنى, والرّحم: علاقة القرابة، ثمّ سمّيت رحم الأنثى رحماً من هذا، لأنّ منها ما يكون ممّا يرحم ويرِقّ له من ولد[1].

الرّحمن الرّحيم اسمان مشتقّان من الرّحمة، مثل ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة, ورحمان أبلغ من رحيم, والرّحمن خاص لله لا يسمّى به غيره ولا يوصف, والرّحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال رحمن[2].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

اسما الله الرّحمن الرّحيم, اسمان دالّان على اتّصاف الله تعالى بصفة الرّحمة على ما يليق بجلاله وعظمته ورحمن أبلغ من رحيم.

قال ابن جرير رحمه الله: (وأمّا الرّحمن، فهو فعلان، من رحم، والرّحيم فعيل منه)[3].

واختلف العلماء في الفرق بينهما على أقوال منها:

القول الأوّل: إنّ الرّحمن دالّ على شمول رحمته لجميع الخلائق في الدّنيا كما قال تعالى: ﮋ ﮈ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ [طه: ٥], ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [الفرقان: ٥٩], فذكر الاستواء باسمه الرّحمن ليعمّ جميع خلقه برحمته, ورحيم ذو الرّحمة الخاصة بالمؤمنين يوم القيامة كما قال تعالى: ﮋ ﰈ ﰉ ﰊ ﮊ [الأحزاب: ٤٣], فخصّ المؤمنين

---

1 () مقاييس اللغة (2/498).
2 () انظر: النهاية (2/210).
3 () جامع البيان (1/136).

باسمه الرّحيم[1].

والقول الثّاني: أنّ اسم الله الرّحمن دالّ على أنّه متّصف بالرّحمة, وأنّها وصفه, ورحيم دالّ على أنّه يرحم من يشاء.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إنّ الرّحمن دالّ على الصّفة القائمة به سبحانه, والرّحيم دالّ على تعلقها بالمرحوم, فكان الأوّل للوصف, والثّاني للفعل, فالأوّل دالّ أنّ الرّحمة صفته, والثّاني دالّ على أنّه يرحم خلقه برحمته, وإذا أردت فَهْمَ هذا فتأمّل قوله: ﮋ   ﮊ [الأحزاب: ٤٣], ﮋ   ﮊ [التوبة: ١١٧], ولم يَجِئْ قط رحمن بهم, فَعُلِم أنّ الرّحمن هو الموصوف بالرّحمة, ورحيم هو الرّاحم برحمته, وهذه نكتة لا تكاد تجدها في كتاب, وإن تنفّست عندها مرآة قلبك لم تنْجَلِ لك صورتها)[2].

واقترن اسم الله العزيز باسم الله الرّحيم في ثلاثة عشر موضعا وهو أكثر الأسماء اقترانا باسم الله العزيز بعد اسمه الحكيم:

تسعة منها في سورة الشّعراء ثمانية بلفظ: ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [الشعراء: ٩:, ٦٨, ١٠٤, ١٢٢, ١٤٠, ١٥٩, ١٧٥, ١٩١], والتّاسعة بلفظ: ﮋﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [الشعراء: ٢١٧], والأربع الأخر هن:

قوله تعالى: ﮋ   ﮊ [الروم: ٥].

وقوله: ﮋﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [السجدة: ٦].…

وقوله: ﮋﭼ ﭽ ﭾ ﮊ [يس: ٥].

وقوله: ﮋﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [الدخان: ٤٢].

ولطائف اقتران هذين الاسمين العزيز والرّحيم تظهر فيما يلي:

1- أن هذه الصّفة وهي: اقتران العزيز بالرّحيم, عزيزة في المخلوق, فإنّ المخلوق قد تكون فيه رحمة لكن بدون عزّة, وقد تكون فيه عزّة بدون رحمة, إلاّ الله تبارك وتعالى

---

[1] () انظر: جامع البيان (1/128) فما بعدها, فقد ذكر هذه الأقوال وغيرها.

[2] () بدائع الفوائد (1/24).

عزّته مقرونة برحمة, ورحمته مقرونة بعزّة, وهذا هو الكمــال اللّائق به سبحانه.

يقول شيخ الإسلام رحمـه اللـه: (وهـو العزيـز الـرّحيم، إذ كان المخلوق كثيرا ما يتّصـف بـالعزّة دون الرّحمـة، أو تكـون فيه رحمة بلا عـزّة, وهـو سـبحانه: العزيـز، الـرّحيم، الغفـور، الودود، المجيد)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله: (ﮋﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [السجدة: ٦], أي: المدبّر لهذه الأمور الذي هو شـهيد على أعمـال عبـاده، يرفـع إليه جليلها وحقيرها، وصغيرها وكبيرها هو العزيز الذي قد عزّ كلّ شيء فقهره وغلبـه، ودانت لـه العبـاد والرّقـاب، الـرّحيم بعباده المؤمنين, فهو عزيز في رحمته، رحيم في عزّته, وهذا هو الكمال: العزّة مع الرّحمة، والرّحمة مع العـزّة، فهـو رحيم بلا ذلّ)[2].

2- أيضا من فوائد اقتران هـذين الاسـمين بيـان أنّ إهلاك أعداء الله تعالى, وإنجاء رسل الله تعالى هو مقتضـى اسـمي الله تعالى العزيـز والـرّحيم (وهـذا كثـير في الكتـاب العزيـز: يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخـالفين للرّسـل ونجـاة أتبـاع المرسـلين؛ ولهـذا يـذكر سـبحانه في سـورة الشّـعراء قصـة موسى, وإبراهيم, ونوح, وعاد, وثمود, ولوط, وشعيب, ويذكر لكلّ نبيّ إهلاكـه لمكـذّبيهم, والنّجـاة لهم ولأتبـاعهم, ثم يختم القصّة بقوله: ﮋ   ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ   ﮊ [الشعراء: ٩], فختم القصة باسمين من أسمائه تقتضيها تلك الصفة ﮋ   ﮊ, فانتقم من أعدائه بعزّته, وأنجى رسـله وأتبـاعهم برحمتـه)[3].

وقال السّعدي رحمه الله: (ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ [الشعراء: ٩][4]

, الذي امتنع بقدرته، عن إدراك أحد، وقهـر كـلّ مخلـوق, ﮋﮙ ﮊ [الشّعراء: ٩], الـذي الرّحمـة وصـفه ومن آثارهـا جميـع الخيرات في الدّنيا والآخرة، من حين أوجد الله العالم إلى مـا

---

1 () النبوات (1/352).
2 () تفسير القرآن العظيم (6/360).
3 () مجموع الفتاوى (19/98).
4

لا نهاية لـه, ومن عزّتـه أن أهلـك أعـداءه حين كـذّبوا رسـله، ومن رحمته أن نجى أولياءه ومن اتّبعهم من المؤمنين)[1].

وقال أيضا: (ولما ذكر في سورة الشّعراء قصـص الأنبيـاء مع أممهم، ختم كلّ قصّة بقوله: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ ـ فإنّ كلّ قصة تضمّنت نجاة النّبي وأتباعه، وذلك برحمـة اللـه ولطفـه، وتضمّنت إهلاك المكذّبين له، وذلك من آثار عزّته.

وقد يتعلّق مقتضى الاسمين بكل من الحالتين، فإنّـه نجى الرّسول وأتباعه بكمال قوّته وعزّته ورحمته، وأهلك المكذّبين بعزّته وحكمته, ويكـون ذكـر الرّحمـة دالّا على عِظم جُـرْمهم، وأنّــه طالمــا فتح لهم أبــواب رحمتــه بآياتــه ونعمــه ورســله فأغلقوها دونهم بتمـرّدهم على اللـه وكفـرهم وشـركهم, فلم يكن لهم طريق إليهـا، ولـولا ذلـك لمـا حـلّ بهم هـذا العقـاب الصّارم)[2].

3-أيضا من فوائد ذكر هذين الاسمين في قوله تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [الشعراء: ٢١٧ - ٢٢٠].

أنّ هذين الوصفين مناسبين لمقام التّوكّـل؛ لأنّ "العزيـز" الذي يمنعك، و"الرّحيم" الـذي يوصـل إليـك البِـرَّ والإحسـان، وبهما يحصل للخائف والقلـقِ مقصـودُه، وهـو الأمن وسـكون النّفس من الخوف، ولا يكون فيهـا نظـر إلى غـير الموصـوف بهذين الوصفين؛ لأنّ الـذي يطلب أمـرا ويسـعى في تحقيقـه دفعا أو جلبا, إذا علم أنّه يسـتند ويعتمـد على من يمنعـه ومن يوصل إليه الخير, وأنّ هـذا الـذي اعتمـد عليـه قـويّ قـادر, لا يعجزه شيء, ورحيم بخلقه, ذو فضل وإحسان وإنعـام عليهم, فإنّــه لا يكــون في قلبــه نظــرٌ إلى غــير من يتّصــف بهــذين الوصفين، وهما العزّة والرّحمـة، وهـذا هـو فائـدة ذكـر هـذين الاسمين بعد أمره سبحانه بالتّوكّل عليه وحده[3].

4- أيضـا من فوائـد اقـتران العزيـز مـع الـرّحيم, أنّ في العـزّة معـنى الملـك, وفي الرّحمـة معـنى النّفـع والإحسـان والإنعام, وفي اقتران العـزّة مـع الرّحمـة (إخبـار عن اجتمـاع

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (597).

2 () القواعد الحسان (ص58).

3 () انظر: نظم الدرر (7/80), وتيسير الكريم الرحمن (599).

الملك والنّعمة والحمد لله عزّ وجلّ, وهذا نوعٌ آخر من الثّناء عليه غير الثّناء بمفردات تلك الأوصاف العَلِيَّة, فله سبحانه من أوصافه العليّ نوعا ثناء: نوعُ متعلّق بكلّ صفة على انفرادها, ونوع متعلّق باجتماعها, وهو كمال مع كمال, وهو عامة الكمال, والله سبحانه يفرّق في صفاته بين الملك والحمد, وسوغ هذا المعنى أن اقتران أحدهما بالآخر من أعظم الكمال, والملك وحده كمال, والحمد كمال, واقتران أحدهما بالآخر كمال, فإذا اجتمع الملك المتضمّن للقدرة, مع النّعمة المتضمّنة لغاية النّفع والإحسان والرّحمة, مع الحمد المتضمّن لعامة الجلال والإكرام الدّاعي إلى محبته, كان في ذلك من العظمة والكمال والجلال ما هو أولى به وهو أهله, وكان في ذكر الحمد له, ومعرفته به من انجذاب قلبه إلى الله, وإقباله عليه والتّوجه بدواعي المحبة كلّها إليه ما هو مقصود العبوديّة ولُبُّها, وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ونظير هذا اقتران الغنى بالكرم كقوله: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮌ [النمل: ٤٠], فله كمال من غناه وكرمه ومن اقتران أحدهما بالآخر.

ونظيره اقتران العزّة بالرّحمة: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮌ [الشعراء: ٩]

ونظيره اقتران العفو بالقدرة و ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﮌ [النساء: ١٤٩].

ونظيره اقتران العلم بالحلم ﮋ ﭺ ﭻ ﮌ [النساء: ١٢].

ونظيره اقتران الرّحمة بالقدرة ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮌ [الممتحنة: ٧].

وهذا يطلع ذا اللّب على رياض من العلم أنيقات, ويفتح له باب محبة الله ومعرفته, والله المستعان وعليه التّكلان)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (وقرن بين الملك والحمد على عاداته تعالى في كلامه, فإنّ اقتران أحدهما بالآخر له كمال زائد على الكمال بكلّ واحد منهما, فله كمالٌ من ملكه, وكمالٌ من حمده, وكمالٌ من اقتران أحدهما بالأخر, فإنّ الملك بلا حمد يستلزم نقصا, والحمد بلا ملك يستلزم عجزا,

---

[1] () حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (5/180).

والحمد مع الملك غاية الكمال, ونظـير هـذا العـزّة والرّحمـة, والعفو والقدرة, والغنى والكرم)[1].

[1] () بدائع الفوائد (1/79).

المطلب السّادس:
اقترانه باسم الله القويّ.

تقدّم معنى القويّ في اللّغـة, ومعنـاه المضـاف إلى اللـه تعالى, وأمّا اقترن اسم الله العزيـز باسـم اللـه القـويّ, فقـد تكرّر في سبعة مواضع من كتاب الله تعالى وهي:

آيتان بالتّعريف والرّفع "القويُّ العزيزُ" وهي قوله تعــالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [هود: ٦٦].

وقوله: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [الشورى: ١٩].

وأربـع آيـات بلفـظ قـويّ عزيـز بـالتّنكير, ثنتـان متّصـلتان باللّام, وهما في سورة الحج الأولى في قوله تعالى: ﮋ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ [الحج: ٤٠].

والأخرى في قوله سبحانه: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ [الحج: ٧٤].

وثنتان غير متّصلتان باللّام الأولى في قوله تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الحديد: ٢٥].

والأخرى في قوله تعالى: ﮋ   ﮊ [المجادلة: ٢١].

وآية واحدة على النّصب "قوياً عزيزاً", وهي قوله تعــالى: ﮋ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الأحزاب: ٢٥].

1- الفائدة المستفادة من اقتران هذين الاسمين, هـو أنّـه سبحانه ناصـر أوليـاءه على أعـدائهم بقوّتـه العظيمـة, ومـانعٌ عنهم كيد أعدائهم بعزّته تعالى؛ ولهذا ختم اللـه تعـالى قولـه: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [الحج: ٤٠] بقوله: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الحج: ٤٠].

يقول ابن جرير رحمه الله: (وقوله: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [الحج: ٤٠], يقـول تعـالى ذكـره: ولَيُعِينَنَّ اللـه من يقاتـل في سـبيله لتكون كلمتُه العليا على عدوه; فنصرُ الله عبدَه: معونتُه إيّـاه، ونصرُ العبد ربَّه: جهاده في سبيله لتكون كلمته العليا.

وقوله: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الحج: ٤٠], يقول تعالى ذكره: إنّ الله

لقويّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعتـه، عزيز في ملكه، يقول: منيع في سلطانه، لا يقهـره قـاهر، ولا يغلبه غالب)[1].

وأيضا ختم قوله تعالى: ﴿ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﮋ ﴾ [الحديد: ٢٥] بقوله: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﴾ [الحديد: ٢٥], ليدلّ عباده أنّه في غنى عن جهادهم لكمال قوّته وعزّته, فهو قادر على إهلاك أعدائه بدونهم, وإنّما شرع لهم الجهاد وحضهم على القتال لينالوا الدّرجات العلا في الدّنيا والآخرة.

قال الألوسي رحمه الله: (وقوله عزّ وجلّ: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﴾ [الحديد: ٢٥], اعتراض تذييلي جيء به تحقيقا للحقّ وتنبيها على أنّ تكليفهم الجهاد, وتعريضهم للقتال, ليس لحاجته سبحانه في إعلاء كلمته وإظهار دينه إلى نصرتهم, بل إنّما هو لينتفعوا به, ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثّواب, وإلاّ فهو جلّ وعلا غني بقدرته وعزّته عنهم في كلّ ما يريد)[2].

2- ويقول ابن كثير رحمه الله عند هذه الآية: وقوله: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﴾ [الحج: ٤٠], وصف نفسه بالقوّة والعزّة، فبقوّته خلق كلّ شيء فقدره تقديرا، وبعزّته لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، بل كلّ شيء ذليل لديه، فقير إليه, ومن كان القوي العزيز ناصره فهو المنصور، وعدوُّه هو المقهور، قال الله تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣], وقال الله تعالى: ﴿ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﴾ [المجادلة: ٢١][3].

3- في ختم هذه الآية: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﴾ [الحديد: ٢٥] بقوله تعالى: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﴾ حضَّ الله تعالى عباده على أن يكونوا أقوياء أعزاء, وذلك أنّ (جملة: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﴾ تعليلٌ لجملة: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﴾ إلى آخرها، أي: لأنّ الله قويّ عزيز في شؤونه القدسيّة، فكذلك يجب أن تكون رسله أقوياء أعزّة، وأن تكون كتبه معظّمةً موقّرةً، وإنّما يحصل ذلك في هذا العالم المنوطة أحداثه بالأسباب المجعولة, بأن ينصره الرّسل وأقوام مخلصون لله,

---

[1] () جامع البيان (18/651).

[2] () روح المعاني (14/188).

[3] () تفسير القرآن العظيم (5/436).

ويعينوا على نشر دينه وشرائعه)[1].

4- قال تعالى: ﭽﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ [الشورى: ١٩]

, فذكر القويّ والعزيز بعد ذكره للرّزق؛ لأنّ (الله عزّ وجلّ يرزق من يشاء مهما شاء على سبيل من السّعة, أو الضّيق, أو التّوسط, لا مانع له من شيء من ذلك، ويمنع الرّزق عمن يشاء, ولمّا كان ذلك لا يستطيعه أحد سواه, لما يحتاج إليه من القوّة الكاملة, والعزّة الشّاملة قال: ﭽﮓ ﮔ ﭼ, أي: فلا يضيق عطاؤه بشيء, العزيز: فلا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء)[2].

5- قال تعالى: ﭽﯓ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [الحج: ٧٤][3]

, أي: (ما عظموه حقّ تعظيمه إذ أشركوا معه الضّعفاءَ العُجَّز وهو الغالب القويّ, وجملة: ﭽﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ تعليل لمضمون الجملة قبلها، فإنّ ما أشركوهم مع الله في العبادة كلّ ضعيف ذليل فما قدروه حقّ قدره لأنّه قويّ عزيز, فكيف يشاركه الضّعيف الذّليل؟)[4].

---

[1] () التّحرير والتّنوير (27/418).
[2] () نظم الدّرر (17/286).
[3]
[4] () التّحرير والتّنوير (17/246).

المطلب السّابع:
اقترانه باسم الله العليم.

معنى العليم لغة:

قال الأزهريّ رحمه الله: (ومن صفات الله العليم والعالم والعلاّم, فهو الله العالم بما كان وما يكون كونه، وبما يكون ولما يكن بعدُ قبل أن يكون.

ولم يزل عالما، ولا يزال عالما بما كان وما يكون، ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السّماء.

ويقال: رجل علاّمة إذا بالغت في وصفه بالعلم, والعلم نقيض الجهل, وإنّه لعالم، وقد علم يعلم علما)[1].

وقال ابن الأثير رحمه الله: (في أسماء الله تعالى العليم, هو: العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، على أتمّ الإمكان, وفعيل من أبنية المبالغة)[2].

معناه المضاف إلى الله تعالى:

قال ابن جرير رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [البقرة: ٣٢]: (وتأويل ذلك: أنك أنت يا ربّنا العليم من غير تعليم بجميع ما قد كان وما وهو كائن، والعالم للغيوب دون جميع خلقك)[3].

وقال أيضا عند قوله تعالى: ﴿ ﴾ [هود: ٥]: (إنّ الله ذو علم بكلّ ما أخْفَتْهُ صدُور خَلْقِه، من إيمان وكفر، وحقّ وباطل، وخير وشرّ، وما تستجنُّه ممّا لم تُجِنُّه)[4].

قال السّعدي رحمه الله: (العليم الخبير: وهو الذي أحاط عِلْمُه بالظّواهر والبواطن، والأسرار والإعلان، وبالواجبات, والمستحيلات, والممكنات، وبالعالم العلويّ والسفليّ، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء)[5].

---

1 () تهذيب اللغة (2/253-254).
2 () النهاية (3/292).
3 () جامع البيان (1/495).
4 () المصدر نفسه (15/239).
5 () تيسير الكريم الرحمن (ص945).

يقول ابن القيّم رحمه الله:

وهو العليم أحاط علما بالذي ... في الكون من سر ومن إعـلان

وبكل شيء علمه سبحانـه ... فهو المحيط وليس ذا نسيـان

وكذاك يعلم ما يكون غدا وما ... قد كـان والموجود في ذا الآن

وكذاك أمر لم يكن لـو ... كـان كيف يكون ذا إمكان[1]

ورد اقترن اسم الله العزيز باسم الله العليم ستّ مـرّات في كتاب الله تعالى هي:

قوله تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [الأنعام: ٩٦].

وقوله: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﮊ [النمل: ٧٨].

وقوله: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮊ [يس: ٣٨].

وقوله: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ [غافر: ٢].

وقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [فصلت: ١٢].

وقوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الزخرف: ٩].

1- من فوائد اقتران العزيـز بـالعليم, أنّ اقـتران أحـدهما بالآخر من أعظم الكمال, فالعزيز وحده كمال, والعليم وحـده كمـال, واقـتران أحـدهما بـالآخر كمـال آخـر, وهـو أنّ عزّتـه سبحانه بعلم, وعلمه بعزّة, وهذا هو الكمال؛ لأنّ العزّة بـدون علم جهل وسفه, والعلم بدون عـزّة عجـز وضـعف, والكمـال هو العزّة مع العلم, والعلم مع العزّة[2].

2-أنّ الله تعالى يقـرن بين هـذين الاسـمين عقيب ذكـره حسن تنظيم وتدبير هذا الكون بما فيه من شمس وقمر وليل ونهار, وأيضا عقيب ذكره حسن تقديره لمسير هـذه الأجـرام العلويّـة العظيمـة, مثـل: مسـير الشّـمس والقمـر, ومسـير النّجوم, وأنّ كلّ هذا صادر عن عزّته وعلمه سبحانه.

---

[1] () النونية (ص204).

[2] () انظر: أسماء الله الحسنى جلالها, ولطائفها (ص375) بتصـرف يسير.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وقوله: ذلك تقدير العزيز العليم في عدّة مواضع من القرآن يذكر ذلك عقيب ذكره الأجرام العلويّة, وما تضمّنه من فَلْقِ الإصباح, وجَعْلِ اللّيل سكنا, وإجراء الشّمس والقمر بحساب لا يَعْدُوَانه, وتزيين السّماء الدّنيا بالنّجوم وحراستها, وأخبر أنّ هذا التّقدير المحكم المتقن صادر عن عزّته وعلمه, ليس أمرا اتّفاقيا لا يمدح به فاعله, ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتّفاقية)[1].

3- قوله تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الزخرف: ٩] (يقول الحقّ جلّ جلاله: ﭽ ﯗ ﭼ,, أي: المشركين ﭽﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ, أي: ينسبون خلقها إلى مَن هذا وصفه في نفس الأمر, لا أنّهم يُعبِّرون عنه بهذا العنوان, واختار هذين الوصفين للإيذان بانفراده بالإبداع والاختراع والتّدبير؛ لأنّ العزّة تُؤذن بالغلبة والاقتدار، والعلم يؤذن بالتّدبّر والاختيار، وليُرتّب عليه ما يناسبه من الأوصاف)[2].

4- من فوائد اقتران العزيز مع العليم في قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [غافر: ٢]

, أي: هذا القرآن تنزيل من الله الغالب القاهر في ملكه، الكثير العلم بخلقه، وبما يقولون, وما يفعلون, وفي هذا إيماء إلى أنّه ليس بمتقوّل, ولا ممّا يجوز أن يكذّب به[3]؛ لأنّه أي هذا القرآن من ﭽ ﭦ ﭼ, أي: المنيع بسلطانه عن أن يتقوَّل عليه متقوِّل, ﭽ ﭧ ﭼ, بمن صدّق به وكذّب, فهو تهديد للمشركين وبشارة للمؤمنين[4].

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [غافر: ٢]

, (أي: تنزيل هذا الكتاب -وهو القرآن- من الله ذي العزة والعلم، فلا يرام جنابه، ولا يخفى عليه الذرّ وإن تكاثف حجابه)[5].

5- أيضا من فوائد اقتران العزيز بالعليم في قوله تعالى:

---

1 () شفاء العليل (1/323). وانظر: التبيان في أقسام القرآن (ص 181-182), وانظر: الصواعق المرسلة (4/1574-1575), وتفسير القرآن العظيم (3/305), وتفسير القاسمي (4/441).

2 () البحر المديد (5/236).

3 () انظر: تفسير المراغي (24/42).

4 () انظر: تفسير النسفي (3/197).

5 () تفسير القرآن العظيم (7/127).

ﮋ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [النمل: ٧٨], بيان أن حكم الله تعالى من أحسن الأحكام, فإن الله يقضي بين عباده بما تقتضيه الحكمة، من نصر المحق على المبطل, وإعطاء كل ذي حق حقَّه, فلا يأثر أحد في حكمه وقضائه, سواءً بالجاه, أو القوة, لكمال عزته وغناه, وهو عليم بحال المتخاصمين لا يخفى عليه شيء, فحكمه وقضاءه أعدل الأحكام, وبهذا يظهر حسن موقع الاسمين الجليلين في تذييله قضاءه وحكمه بقوله: ﮋ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ ، فإنَّ العزيز لا يصانِع، والعليم لا يفوته الحق[1].

وأيضا في ختم الآية بقوله: ﮋ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ تنبيه إلى (أنّ الله تعالى سيفصل بين المختصمين, وسيحكم بين المختلفين بحكمه العدل وقضائه القسط، فالأمور وإن حصل فيها اشتباه في الدّنيا بين المختلفين لخفاء الدّليل, أو لبعض المقاصد, فإنّه سيبيّن فيها الحقّ المطابق للواقع حين يحكم الله فيها، ﮋ ﭜ ﭝ ﮊ: الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، ﮋ ﭞ ﭟ ﮊ: بجميع الأشياء, ﮋ ﭞ ﭟ ﮊ بأقوال المختلفين, وعن ماذا صدرت, وعن غاياتها ومقاصدها, وسيجازي كلاًّ بما علمه فيه)[2].

---

1 () انظر: التحرير والتنوير (20/23).

2 () تيسير الكريم الرحمن (ص609).

المطلب الثّامن:
اقترانه باسم الله المقتدر.

تقدّم معنى اسم الله المقتدر في اللّغة, ومعناه المضاف إلى الله تعالى, وقد ورد اقتران اسم الله العزيز باسم الله المقتدر في آية واحدة في القرآن الكريم, وهي في قوله سبحانه: ﴿ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾ [القمر: ٤٢].

من فوائد اقتران هذين الاسمين:

1- أنّ في الجمع بين اسمي الله تعالى العزيز والمقتدر, بيان أنّ الله تعالى قادر على إهلاك أعدائه, لا يعجزه شيء, لكمال عزّته, وقدرته سبحانه.

قال ابن جرير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ﯛ ﯜ ﯝ﴾ [القمر: ٤٢]

(يقول تعالى ذكره: فعاقبناهم بكفرهم بالله عقوبة شديد لا يغلب، مقتدر على ما يشاء، غير عاجز ولا ضعيف)[1].

وقال الشّوكاني رحمه الله عن الآية أيضا: (أي أخذناهم بالعذاب أخذ غالب في انتقامه, قادر على إهلاكهم لا يعجزه شيء)[2].

2- أيضا من فوائد اقتران هذين الاسمين الكريمين: معنى زائد وهو أنّه سبحانه عزيز مقتدر, أي: قويّ في أخذه وعقابه من عصاه.

قال الرّازي: (وفي قوله: ﴿ﯜ ﯝ﴾ [القمر: ٤٢], لطيفة وهي: أنّ العزيز المراد منه الغالب, لكن العزيز قد يكون الذي يغلب على العدو ويظفر به, وفي الأوّل يكون غير متمكّن من أخذه لبعده إن كان هاربا, ولمنعته إن كان محاربا, فقال أخذ غالب لم يكن عاجزا وإنما كان ممهلا)[3].

3- أيضا من فوائد اقتران هذين الاسمين: بيان أنّ أخذ

---

1 () جامع البيان (22/600).
2 () فتح القدير (5/145).
3 () مفاتيح الغيب (29/58).

الله تعـالى لأعدائـه هـو من أعظم الأخـذ, بحيث لا يبقي على العدو أيّ إبقاء.

قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في قوله تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [القمر: ٤٢]: (وهذا الأخذ: هو إغراق فرعون ورجال دولته وجنده الذين خرجوا لنصرته...

وانتصب أخذَ عزيز مقتدر على المفعوليّة المطلقـة, مبيّنـا لنوع الأخذ بأفظع ما هو معروف للمخاطَبين من أخذ الملــوك والجبابرة, والعزيز: الـذي لا يُغلب, والمقتـدر: الـذي لا يعجـز, وأريد بذلك أنّه أخذٌ لم يبْقِ على العـدو أيَّ إبقـاء, بحيث قطـع دابر فرعون وآله)[1].

---

[1] () التحرير والتنوير (27/209).

المطلب التّاسع:
اقترانه باسمي الله تعالى الجبّار والمتكبّر.

تقدّم ذكر معنى اسمي الله تعالى الجبّار والمتكبّر, وقد ورد اقتران اسم الله العزيز باسمي الله تعالى الجبّار والمتكبّر في موضع واحد من كتاب الله تعالى, وهو قوله سبحانه: ﮋ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﮊ [الحشر: ٢٣]

وفائدة اقتران اسم الله العزيز باسمي الله تعالى الجبّار والمتكبّر, بيان أنّ هذين الاسمين كالتّفصيل لمعنى اسم الله العزيز, ونظيره أيضا البارئ المصوّر, فإنّه تفصيل لاسم الله الخالق, كما في قوله تعالى: ﮋ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﮊ [الحشر: ٢٤].

فجعل اسمي الله تعالى البارئ والمصوّر تفصيلاً لمعنى اسم الله الخالق, واسمي الله الجبّار والمتكبّر تفصيلاً لمعنى اسم الله العزيز.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ولهذا جعل سبحانه اسمه الجبّار مقرونا بالعزيز والمتكبّر, وكلّ واحد من هذه الأسماء الثّلاثة تضمَّن الاسمين الآخرين, وهذه الأسماء الثّلاثة نظير الأسماء الثّلاثة, وهي الخالق البارئ المصوّر, فالجبّار المتكبّر يجريان مجرى التّفصيل لمعنى اسم العزيز, كما أنّ البارئ المصوّر تفصيلٌ لمعنى اسم الخالق)[1].

---

[1] () شفاء العليل (1/121).

الفصل الثّاني:
إثبات صفة العزّة

وفيه مبحثان:

المبحث الأوّل: إثبات صفة العزّة المضافة إلى الله تعالى, وما يتعلّق بها من مسائل.

المبحث الثّاني: المسائل العقديّة المتعلّقة بصفة العزّة لله تعالى.

المبحث الأوّل:
ثبات صفة العزّة المضافة إلى الله تعالى
وما يتعلّق بها من مسائل

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأوّل: بيان معناها المضاف إلى الله تعالى.

المطلب الثّاني: الأدلّة على ثبوتها.

المطلب الثّالث: بيان أنّ صفة العزّة ذاتيّة.

المطلب الرابع: بيان أقسام عزة الله تعالى.

المطلب الخامس: تنزّه الله عزّ وجلّ عن النّقص.

المطلب السّادس: معنى كون العزّة إزارا لله عزّ وجلّ.

المطلب السّابع: مظاهر عزّة الله تعالى.

المطلب الأوّل:
بيان معناها المضاف إلى الله تعالى.

للعزّة في اللّغة معانٍ هي: الشّدّة, والصّعوبة, والقوّة, والغلبة, والقهر, والمنعة, والقلّة, والنّدرة.

قال ابن فارس رحمه الله: (العين والزّاء أصل صحيح واحد، يدلّ على شدّة وقوّة وما ضاهاهما، من غلبة وقهر)[1].

والعزّ والعزّة في الأصل القوّة والشّدّة والغلبة والرّفعة والامتناع [2].

ووردت العزّة في القرآن على ثلاثة أوجه:

(أحدها: العظمة, ومنه قوله تعالى في الشّعراء: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [الشعراء: ٤٤]، وفي ص: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ [ص: ٨٢].

والثّاني: المنعة ومنه قوله تعالى في سورة النساء: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [النساء:١٣٩].

والثّالث: الحمية ومنه قوله تعالى في البقرة: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ [البقرة: ٢٠٦]، وفي ص: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﮊ [ص: ٢])[3].

وذكر الحافظ رحمه الله أنّها ترد أيضا: بمعنى الصّعوبة كقوله تعالى: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [التوبة: ١٢٨]،...وبمعنى الغلبة ومنه: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ [ص: ٢٣][4].

وأما معناها المضاف إلى الله تعالى:

حاول أهل العلم بيان معنى العزّة في حقّ الله تعالى, وتنوّعت في ذلك عباراتهم وأقوالهم, فمن ذلك:

قال ابن جرير رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [ص: ٨٢] (يقول تعالى ذكره: قال إبليس: فبعزّتك: أي بقدرتك

---

1 () مقاييس اللّغة (4/38).

2 () انظر: لسان العرب (5/274), وتاج العروس (15/219), والمفردات في غريب القرآن (ص564), ومقاييس اللغة (4/38).

3 () نزهة الأعين النواظر (ص434), وانظر: المفردات في غريب القرآن (ص564).

4 () انظر: فتح الباري (13/369).

وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك)[1].

وقال القرطبي رحمه الله: (وقوله: "وعزّتي وكبريائي وعظمتي"، العزّة: القوة والغلبة، ومنه: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ [ص: ٢٣], أي: غلبني، ويقال أيضا: عزّ الشّيء إذا قلّ، فلا يكاد يوجد مثله، يعِزّ عِزّا وعزازة، وعزّ يعِزّ عزَّة، إذا صار قويّا بعد ضعف وذلّة، فعزّة الله تعالى قهره للجبابرة وقوّته الباهرة, وهو مع ذلك عديم المثل والنّظير ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الشورى: ١١])[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: (والعزّة يراد بها ثلاث معان عزّة القوّة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر, والرّبّ تبارك وتعالى له العزّة التّامّة بالاعتبارات الثّلاث)[3].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: (وذكر أهل العلم أنّ العزّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزّة القدر، وعزّة القهر، وعزّة الامتناع:

1- فعزّة القدر: معناه أنّ الله تعالى ذو قدر عزيز، يعني: لا نظيرَ له.

2- وعزّة القهر: هي عزة الغلبة، يعني: أنّه غالب كلّ شيء، قاهر كلّ شيء، ومنه قوله تعالي: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ [ص: ٢٣]، يعني: غلبني في الخطاب, فالله سبحانه عزيز له, بل هو غالب كلّ شيء.

3- وعزّة الامتناع: وهي أنّ الله تعالي يمتنع أن يناله سوء أو نقص، فهو مأخوذ من القوّة والصّلابة، ومنه قولهم: أرض عزاز، يعني قويّة شديدة.

هذه معاني العزّة التي أثبتها الله تعالى لنفسه، وهي تدلّ على كمال قهره وسلطانه، وعلى كمال صفاته، وعلى تمام تنزُّهه عن النّقص, تدلّ على كمال قهره وسلطانه في عزّة القهر, وعلى تمام صفاته وكمالها وأنّه لا مثيل لها في عزّة القدر, وعلى تمام تنزّهه عن العيب والنّقص في عزّة

[1] () جامع البيان (21/241).
[2] () المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (3/67).
[3] () مدارج السالكين (2/257), وانظر: تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص214).

الامتناع)[1].

فمن خلال هذه النّقول عن أهـل العلم, يتلخص أنّ العـزّة في حقّ الله تعـالى لهـا عـدّة معـانٍ هي: القـوّة, والقـدرة[2], والقهر, والغلبة, والمنعـة, وعـدم المثـل والنّظـير, فكـلّ هـذه المعــاني حقيقــة في عــزّة اللــه تعــالى الــتي تليــق بجلالــه وعظمته, فـالعزّة الـتي للـه هي الدّائمـة الباقيـة, وهي العـزّة الحقيقيّة[3].

---

1 () شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص345-346).
2 () انظر: مدارج السالكين (3/428).
3 () انظر: فتح الباري (13/369).

المطلب الثّاني:
الأدلّة على ثبوتها

دلّ الكتاب والسّـنّة على ثبـوت صـفة العـزّة للـه سـبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله وعظمته.

الأدلّة من الكتاب العزيز:

ورد إثبات صفة العزّة للـه تعـالى في الكتـاب العزيـز في عدّة مواضع:

فجاء إثباتها أنّها كلّها لله تعالى في أربعة مواضع هي:

قوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ □ ﯝ ﯞ □ □ □ □ □ ﯤ ﮊ [النساء: ١٣٩].

وقوله تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [يونس: ٦٥].

وقوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ □ □ □ □ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ [فاطر: ١٠].

وقوله تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [المنافقون: ٨].

ووردت العزّة مضافة إلى اسم اللـه الـرّبّ عـزّ وجـلّ في موضع واحد, وهو قوله تعالى: ﮋ □ □ ﯽ ﯾ ﯿ ﮊ [الصافات: ١٨٠].

واختلف أهل العلم في المراد بالعزّة في هـذه الآيـة, هـل هي العزّة التي هي صفة الله تعالى, أم هي العزّة التي خلقها الله بين عباده:

فذكر الحافظ رحمه الله في الفتح أنّها محتمله لذلك كلّـه فقال: (ففي إضافة العزّة إلى الرّبوبيّة إشـارة إلى أنّ المـراد بها هنا القهر والغلبة, ويحتمـل أن تكـون الإضـافة للاختصـاص كأنّه قيل ذو العزّة, وأنّها من صفات الذّات, ويحتمل أن يكون المـراد بـالعزّة هنـا العـزّة الكائنـة بين الخلـق وهي مخلوقـة, فيكون من صفات الفعـل, فـالرّبّ على هـذا بمعـنى الخـالق, والتّعريف في العزّة للجنس, فإذا كـانت العـزّة كلّهـا للـه, فلا يصحّ أن يكون أحد معتزا إلاّ به, ولا عزّة لأحد إلاّ وهو مالكهـا)

.[1]

وقال ابن سحنون[2] رحمه الله: (معنى قوله: ﴿ ﯼ ﯽ ﴾ , أنّها العزّة التي هي غير صفته التي خلقها في خلقه، التي يتعازُّون بها، قال: وقد جاء في التّفسير أنّ العزّة هاهنا يراد بها الملائكة)[3].

فهو يرى أنّ العزّة في هذه الآية هي العزّة التي خلقها الله بين عباده.

وأبو حنيفة أيضا كان يقول: إنّ العزّة هنا مخلوقة, فقيل له, إنّ هذا كفر فاستتابوه فتاب.

ذكر عبد الله بن أحمد في سننه عن أبي حنيفة, أنّه استتيب في هذه الآية فتاب, قال: سمعت أبي رحمه الله، يقول: أظنّ أنّه استتيب في هذه الآية: ﴿ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﴾ [الصافات: ١٨٠], قال أبو حنيفة: هذا مخلوق، فقالوا له: هذا كفر فاستتابوه[4].

والصّحيح أنّ العزّة هنا في الآية هي: العزّة التي هي صفته جلّ وعلا, أمّا عن قول ابن سحنون فقد تعقّبه ابن بطال[5] رحمه الله بقوله: (وإنّما ذهب ابن سحنون إلى هذا القول - والله أعلم - فرارا من أن تكون العزّة التي هي صفة الله مربوبة، فيلزمه الحدث, وليس كما توهّم؛ لأنّ لفظ الرّبّ قد يأتي في كلام العرب لصاحب الشّيء ومستحقه، ولا يدلّ

---

1 () فتح الباري (13/369).

2 () هو علي بن خلف بن بطال أبو الحسن البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف: بابن اللجام, كان من كبار المالكية, أخذ عن أبي عمر الطلمنكي, وله عناية بالحديث, وشرح الصحيح في عدّة أسفار, مات سنة تسع وأربعين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (18/47), ترتيب المدارك (8/160).

3 () شرح صحيح البخارى لابن بطال (6/118).

4 () السنة (1/192).

5 () هو محمد بن عبد السلام بن سعيد، أبو عبد الله التنّوخي فقيه المغرب, من أهل القيروان, شيخ المالكية, تفقه بأبيه, كان ثقة، عالما بالآثار, ذا تعبد، وصدع بالحق من كتبه: آداب المعلمين، والرسالة السحنونية، وغيرها, مات سنة ست وخمسين ومائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (13/60), وترتيب المدارك (4/204).

ذلك على الحدث والخلق، فتقول لصاحب الدّابة: ربّ الدّابــة، ولصاحب الماشية: ربّ الماشية، ولا تريد بذلك معنى الخلــق)[1].

وقال الدّارمي رحمه الله في معرض ردّه على المريسي: (أرأيتك إن عرضت بالقرآن أنّه مخلـوق مربـوب لمـا أنّـه قـد قال بعض النّاس: يا ربّ القرآن، فجعلته مخلوقـا بـذلك، فقـد قال الله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الصافات: ١٨٠] أَفَتَحْكُمُ على عزّة الله بقوله: ﮋ ﯘ ﯙ ﮊ كما حكمت على القـرآن؟ ويحـك! إنّما قوله: ﮋ ﯘ ﯙ ﮊ يقول: ذي العزّة)[2].

قـال ابن حـزم رحمـه اللـه: (وأمّـا العـزّة فقـد قـال اللـه تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الصافات: ١٨٠][3]

, والمربوب مخلوق بلا شك, وليس قوله تعالى: ﮋ ﯴ ﯵ ﯶ ﮊ [فاطر: ١٠] بموجب أنّ العزّة لن تزل؛ لأنّه تعالى قال: ﮋ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [الرعد: ٤٢], وقال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [الزمر: ٤٤], وليس هذان النّصان بلا خلاف موجبين أنّ الشّفاعة غير مخلـوق, إلاّ أنّ هـا هنا عزّة ليست غير الله تعالى, فهي غير مخلوقة, وهي الــتي صحّ عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّ جبريل عليــه السّــلام حلف بها, فقال: وعزّتك في حديث خلق الجنّة والنّار[4])[5].

إذن فمعنى قوله تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﮊ , أي: ذي العزّة, وهـذا من باب إضافة الموصـوف إلى الصّـفة, وهـو بـدل من الـرّبّ قبله, وعلى هذا، فـ ﮋ ﯘ ﯙ ﮊ هنا معناها: صاحب العزّة، كمـا يقال: ربّ الدّار، أي: صاحب الدّار[6].

وجـاء القَسَـم بصـفة العـزّة على لسـان إبليس في قولـه تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ [ص: ٨٢]

, واختــار القســم بــالعزّة دون غيرهــا من الصّــفات؛ لأنّ

---

[1] () شرح صحيح البخارى لابن بطال (6/118).

[2] () نقض الإمام الدارمي على المريسي (1/553).

[3]

[4] () تقدّم تخريجه.

[5] () الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/131).

[6] () انظر: شرح العقيدة الواسـطية ابن عـثيمين (ص140), وشـرح الواسطية للهراس (ص76).

المقام مقام مغالبة، فكأنّه قال: بعزّتك التي تغلب بها من سواك لأغوينّ هؤلاء وأُسَيْطِرُ عليهم يعني: بني آدم حتّى يخرجوا من الرّشد إلى الغي[1].

وكذلك كلّ آية ذكر فيها اسم الله العزيز, فهي دليل على صفة العزّة لله تعالى؛ لأنّ أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف, فكما تدلّ على ذات الله تعالى, فكذلك تدلّ على الصّفة التي يتضمّنها ذلك الاسم, واسم الله العزيز يدلّ على صفة العزّة ويتضمّنها, ومن الآيات في ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [آل عمران: ١٨].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد قال: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ [آل عمران: ١٨]، فله الوحدانية في إلهيّته، وله العدل، وله العزّة والحكمة, وهذه الأربعة إنّما يثبتها السّلف وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السّنّة، فقد نقص الرّب بعض حقّه)[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (فتضمّنت الآية توحيده وعدله، وعزّته وحكمته، فالتّوحيد: يتضمّن ثبوت صفات كماله ونعوت جلاله، وعدم المماثل له فيها, وعبادته وحده لا شريك له، والعدل يتضمّن وضعه الأشياء موضعها وتنزيلها منازلها، وأنّه لم يخصّ شيئا منها إلاّ بمخصّص اقتضى ذلك، وأنّه لا يعاقب من لا يستحق العقوبة، ولا يمنع من يستحق العطاء، وإن كان هو الذي جعله مستحقّا، والعزّة تتضمّن كمال قدرته وقوّته وقهره، والحكمة تتضمّن كمال علمه وخبرته، وأنّه أمر ونهى، وخلق وقدر، لما له في ذلك من الحكم والغايات الحميدة التي يستحقّ عليها كمال الحمد.

فاسمه العزيز يتضمّن الملك، واسمه الحكيم يتضمّن الحمد، وأوّل الآية يتضمّن التّوحيد، وذلك حقيقة لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، وذلك أفضل ما قاله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والنّبيون من قبله، والحكيم الذي إذا أمر بأمر كان حسنا في نفسه, وإذا نهى عن شيء كان قبيحا في نفسه، وإذا أخبر

---

1 () انظر: شرح الواسطية لابن عثيمين (347).

2 () مجموع الفتاوى (8/211).

بخبر كان صدقا، وإذا فعل فعلا كان صوابا، وإذا أراد شيئا كان أولى بالإرادة من غيره، وهذا الوصف على الكمال لا يكون إلاّ لله وحده. فتضمّنت هذه الآية وهذه الشّهادة: الدّلالة على وحدانيته المنافية للشّرك، وعدله المنافي للظّلم، وعزّته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشّهادة له بالتّوحيد والعدل، والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة)[1].

الأدلة من السّنّة النّبويّة:

ثبت ذكر صفة العزّة لله تعالى في عدّة أحاديث عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم منها:

ما ثبت من حديث أبو هريرة الطّويل الذي فيه ذكر الرّؤية, والصّراط والعبور عليه, وفيه: "...ويبقى رجل منهم مقبل بوجهه على النّار، فيقول: يا ربّ، قد قشبني[2] ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النّار، فلا يزال يدعو الله، فيقول: لعلّك إن أعطيتك أن تسألني غيره، فيقول: لا **وعزّتك** لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النّار، ثم يقول بعد ذلك: يا ربّ قرّبني إلى باب الجنّة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره، ويلك ابن آدم ما أغدرك، فلا يزال يدعو، فيقول: لعلّي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره، فيقول: لا **وعزّتك** لا أسألك غيره..."[3].

- أيضا ما ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "بينا أيوب يغتسل عريانا خرَّ عليه جراد من ذهب, فجعل أيُّوب يحثي في ثوبه فناداه يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى **وعزّتك**, ولكن لا غنى لي عن بركتك"[4].

---

1 () مدارج السلكين (3/427).

2 () أي: سَمَّني، وكلّ مَسْمُوم قَشِيب ومُقْشَب, يُقال: قَشَّبَتْنِي الريحُ وقَشَبَتْنِي, والقَشْبُ: الاسم. انظر: النهاية في غريب الحديث (4/64).

3 () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] (8/117), رقم: 6573.

4 () أخرجه البخاري, كتاب الغسل, باب من اغتسل عريانا وحده

- وثبت الاستعاذة بها في حديث عثمان بن أبي العاص الثّقفي[1] رضي الله عنه قال: قدمت على رسول اللـه صلّى الله عليه وسلّم وبي وجع قد كاد أن يبطلني, فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "اجعل يدك اليمنى عليه ثم قل: بسم الله أعوذ **بعزّة** الله وقدرته من شرّ ما أجد سبع مرّات" ففعلت فشفاني الله عزّ وجلّ"[2].

- وأيضا ما ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان يقول: "اللّهم لك أسلمت, وبك آمنت, وعليك توكّلت، وإليك أنبت, وبك خاصمت, أعوذ **بعزّتك** لا إله إلاّ أنت الحي الذي لا يموت, والجن والإنس يموتون"[3].

- وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال النّبي صلّى الله عليه وسلّم: "لا تزال جهنّم تقول: هل من مزيد، حتّى يضع **ربّ العزّة** فيها قدمه، فتقول: قط قط, **وعزّتك**،

في الخلوة, ومن تستر فالستر أفضل (1/64), رقم 3391.

[1] () هو عثمان بن أبي العاص بن بشر الثقفي، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن سبع وعشرين في أناس من ثقيف، فسأله مصحفا فأعطاه، وأمره على الطائف، وأمره بالتجوّز في الصلاة، شكى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسواسا يعرض له في صلاته، فضرب صدره، وتفل في فيه فلم يحس به بعده، مات سنة إحدى وخمسين بالبصرة. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (4/1962), ومعجم الصحابة لابن قانع (2/256).

[2] () أخرجه أبو داود, كتاب الطب, باب كيف الرقى (4/11), رقم: 3891, والنسائي في الكبرى, الراقي الوجع بيده اليمنى (7/76), رقم: 7504, والترمذي في سننه, أبواب الطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب 29 (3/476), رقم: 2080, وابن ماجة, كتاب الطب, باب ما عوذ به النبي صلى الله عليه وسلم، وما عوذ به (2/1163), رقم: 3522, والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم: 1417.

[3] () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: ﴿ ... ﴾ [إبراهيم: ٤] (9/117), رقم:7383, ومسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل (4/2086), رقم: 2717.

ويـزوى بعضـها إلى بعض", ولمسـلم بلفـظ: "لا تـزال جهنّم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتّى يضـع **ربّ العزّة** فيهـا قدمـه، فيـنزوي بعضـها إلى بعض وتقـول: قـط قـط، **بعزّتك** وكرمك، ولا يزال في الجنّة فضل حتّى ينشئ اللـه لهـا خلقـا، فيسكنهم فضل الجنّة"[1].

- وثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: قـال رسـول اللـه صـلّى اللـه عليـه وسـلّم: "ثلاثـة لا تـرَدُّ دعـوتهم: الإمـام العـادل، والصّـائم حتّى يفطـر، ودعـوة المظلـوم تحمـل على الغمام، وتفتح لها أبواب السّماوات، ويقول الـرّبّ عـزّ وجـلّ: **وعزّتي** لأنصرنّك ولو بعد حين"[2].

- وثبت عن أبي سعيد الخدري[3]، وأبي هريرة رضي اللـه عنهما قالا: قال رسول اللـه صـلّى اللـه عليـه وسـلّم: "**العزّ** إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته"[4].

أيضا من الأدلة على ثبوت صفة العزّة ورود الفعـل الـدّال عليها؛ لأنّ صفات الله تعالى يسـتدل عليهـا بـدلالات متعـددة: بالتصريح بها, وبتضمّن الاسم لهـا كمـا تقـدّم, وبالفعـل الـدال

---

[1] () أخرجه البخاري, كتاب الأيمان والنذور, بـاب الحلـف بعـزة اللـه وصـفاته وكلماتـه (8/134), رقم (6661), ومسـلم, كتـاب الجنـة وصفة نعيمها وأهلها, بـاب النـار يـدخلها الجبـارون والجنـة يـدخلها الضعفاء (4/2188), رقم (2848).

[2] () أخرجه أحمد في المسـند (13/410), رقم: 8043, والترمـذي, كتاب الـدّعوات, بـاب في العفـو والعافيـة (5/470), رقم:3598, وابن ماجــة, كتــاب الصــيام, بــاب في الصــائم لا تــرد دعوتــه, (1/557), رقم: 1752, والحـــديث حســـنه الترمـــذي (5/470), وضعفه الألباني في الضـعيفة بـرقم: 1358, لكن معـنى الحـديث صحيح.

[3] () هو سـعد بن مالـك بن سـنان الأنصـاري الخـدري, من الحفـاظ المكثرين والعلمـاء الفضـلاء العقلاء, عـرض يـوم أحـد على النـبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة فردّه, وخـرج مـع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق، مــات سنة أربع وسبعين. انظـر: الاسـتيعاب (4/1671), وأسـد الغابـة (6/138).

[4] () أخرجه مسلم, كتاب البر والصلة والآداب, بـاب تحـريم الكـبر (4/2023), رقم: 2620.

عليها, والفعل الدال على صفة العزّة ثبت في سنة النبي صلى الله عليه وسلم, كقوله النّبي صلى الله عليه وسلم: "قال الله **عزّ وجل**: يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"[1].

إلى غير ذلك من الأدلّة من السّنّة النّبويّة, التي فيها ثبوت صفة العزّة لله تعالى.

الأدلّة العقلية السّمعية:

كما دلت على ثبوت صفه العزّة لله تعالى الأدلّة السّمعية النّقلية, كذلك دلّت على ثبوتها أدلّة سمعية عقلية, ومن الأدلّة السّمعية العقلية على ثبوت صفة العزّة لله تعالى قوله سبحانه: ﴿ ﴾ [الأنبياء: ٢٣], فالله تعالى لا يسأل عمّا يفعل, لأنّ الله لا أحد أعزّ منه, ولا أحد أعظم منه, ولا أحد أحكم وأعدل منه, بخلاف خلقه فهم مربوبون له, وتحت قهره وسلطانه.

يقول ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: لا سائل يسأل ربّ العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصريفهم فيما شاء من حياة وموت, وإعزاز وإذلال، وغير ذلك من حكمه فيهم؛ لأنّهم خلقه وعبيده، وجميعهم في ملكه وسلطانه، والحكم حكمه، والقضاء قضاؤه، لا شيء فوقه يسأله عمّا يفعل فيقول له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ ﴿ ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وجميع من في السّماوات والأرض من عباده مسئولون عن أفعالهم، ومحاسبون على أعمالهم، وهو الذي يسألهم عن ذلك ويحاسبهم عليه، لأنّه فوقهم ومالكهم، وهم في سلطانه) [2].

والآية الكريمة إذ تدلّ على اتّصاف الله تعالى بالعزّة, فليس فيها متمسَّكٌ لمن أنكر الحكمة في أفعال الله تعالى

---

[1] () أخرجه البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب ﴿ ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية (6/133), رقم: 4826, ومسلم, كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها, باب النهي عن سب الدهر (4/1762), رقم: 2246.

[2] () جامع البيان (18/425).

ومخلوقاته, والمتأمّل في سياق الآية وهي قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [الأنبياء: ٢١ - ٢٣]

, يجد أنّ دلالة الآية في نفي شريك مع الله تعـالى بنفس القوّة والعظمة.

قـال ابن الـوزير رحمـه اللـه في معـرض ردِّهِ على نفـاة الحكمة: (ومن ذلك احتجّوا بقولـه تعـالى: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ [الأنبياء: ٢٣], والجواب من وجهين:

أحدهما: أنّ هذه الآيـة في إثبـات عـزّة اللـه تعـالى, وهي كلمة إجماع بين المسلمين, واللـه أعـزّ من أن يسـئل, وليس ذلـك يقتضـي أنّـه غـير حكيم, فقـد تمـدَّح بـالعزّة, بـل تمـدح بسؤاله وعده الصّـادق للمتقين حيث قـال سـبحانه في كتابـه المبين: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ [الفرقـان: ١٥ - ١٦], فـوجب الإيمـان بهمـا معـا فهـو العزيـز الحكيم كما جمعهما سبحانه وتعالى كثيرا في التّمدح بهما معا في غــير موضــع واحــد, وذلــك إشــارة إلى أنّهمــا أخــوان لا يفترقان لا ضدان لا يجتمعـان؛ ولـذلك بـوّب البخـاري عليهمـا مجموعين بابا في كتاب التّوحيد من صحيحه.

وثانيهما: أنّ هـذه الآيـة في الدّلالـة على بطلان الشّـركاء الذين عبدهم المشركون, والمراد أنّهم يسـألون يـوم القيامـة عن ذنوبهم ويعذَّبُون عليها كقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [الصافات: ١٥٨], ومن كان كذلك فهو مربـوب لا ربّ؛ وإنّمـا الـرّبّ الحـقّ الذي يسأل عباده يوم القيامة, فيغفـر لمن يشـاء ويعـذب من يشاء, لا من يخاف العذاب, ويحاسبُ أشدَّ الحسـاب, وسـياق الآيــة من أوّلهــا واضــح في ذلــك, فالاحتجــاج بهــا على نفي الحكمة غفلة عظيمة؛ وإنّما هي لنفي شريك مغالب)[1].

الأدلّة العقلية:

من الأدلّة العقلية على ثبوت صـفة العـزّة للـه تعـالى, أنّ صفة العزّة من صفات الكمال الـتي يتّصـف بهـا اللـه تعـالى, وأيضا صفة العلم والقوّة, وغير ذلك من صفات الكمـال الـتي

---

[1] () إيثار الحق على الخلق (1/214).

يستحقّها الله عزّ وجلّ, ولو لم يتّصف بها لكان ذلك نقصا في حقّه تعالى؛ لأنّه يلزم منه أن يكون موصوفا بأضداد هذه الصّفات, فيكون موصوفا بالذّلّ والجهل والضّعف, وغير ذلك من صفات النّقص, تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا, والله منزّه عن الذّلّ والجهل والضّعف؛ لأنّ كلّ هذه الصّفات صفات نقص في حقّه تعالى, والله تعالى منزّه عن كلّ نقص في كماله المقدّس فوجب إثبات صفة العزّة له على ما يليق بجلاله وعظمته, كما يجب إثبات صفة العلم والقوّة, وغير ذلك من الصّفات.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وممّا يُسْتدل به على ثبوت جميع صفات الكمال, أنّه لو لم يوصف بكونه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلّما لوصف بضدّ ذلك، كالموت والجهل والعجز والصّمم والبكم والخرس، ومعلوم وجوب تقدُّسه عن هذه النّقائص، بل هذا معلوم بالضّرورة العقلية، فإنّه أكمل الموجودات، وأجلُّها وأعظمها، وربّ كلّ ما سواه وخالقه ومالكه، وجاعل كلّ ما سواه حيا عالما قادرا سميعا بصيرا متكلّما، فيمتنع أن يكون هو شيئا عاجزا جاهلا أصم أبكم أخرس، بل من المعلوم بضرورة العقل أنّ المتّصف بهذه النّقائص يمتنع أن يكون فاعلا، فضلا عن أن يكون خالقا لكلّ شيء)[1].

ويقول أيضا رحمه الله: (وهو سبحانه وصف نفسه بالعلو, وهو من صفات المدح له بذلك والتّعظيم؛ لأنّه من صفات الكمال كما مدح نفسه بأنّه العظيم والعليم والقدير والعزيز والحليم ونحو ذلك, وأنّه الحيّ القيّوم, ونحو ذلك من معاني أسمائه الحسنى, فلا يجوز أن يتّصف بأضداد هذه, فلا يجوز أن يوصف بضدّ الحياة والقيّومية والعلم والقدرة, مثل: الموت والنّوم والجهل والعجز واللّغوب, ولا بضدّ العزّة وهو الذّلّ, ولا بضدّ الحكمة وهو السّفه, فكذلك لا يوصف بضدّ العلو وهو السّفول, ولا بضدّ العظيم وهو الحقير, بل هو سبحانه مُنزَّهٌ عن هذه النّقائص المنافية لصفات الكمال الثّابتة له, فثبوت صفات الكمال له ينفي اتّصافه بأضدادها

---

[1] () الجواب الصحيح (3/217).

وهي النّقائص, وهو سبحانه ليس كمثله شيء فيما يوصف بـه من صـفات الكمـال, فهـو مـنزّه عن النّقص المضـاد لكمالـه, ومنزّه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته)[1].

ومن الأدلّة العقلية على إثبات صفة العزّة للـه تعـالى, أنّ الله تعالى هو الذي وهب العزّة لمن شاء من خلقـه, ومـا من عزّة في خلقه إلاّ من عنده سبحانه وتعالى, وأنّه هـو وحـده لا شريك له من بيده الإعزاز والإذلال كما قال تعالى: ژ ڎ ڎ ڈ ژ ژڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ ژ [آل عمـران: ٢٦], فهـو سـبحانه أولى أن يتّصـف بصـفة العـزّة؛ لأنّ واهب الكمـال أولى بالكمـال, فالـذي وهب العلم لخلقـه هـو أولى أن يتّصف بالعلم, وكذلك من وهبهم القوّةَ والقدرةَ, هــو أولى أن يتّصف بالقوّة والقدرة, وكذلك من وهبهم العزّة فهـو أولى أن يتّصف بها.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وما فيه من آثار الكمال يـدلّ على أنّ خالقـه أكمـل منـه, فمعطي الكمـال أحـقّ بالكمـال, وخـالق الأسـماع والأبصـار والنّطـق أحـقّ بـأن يكـون سـميعا بصيرا متكلّما, وخالق الحياة والعلـوم والقـدر والإرادات أحـقّ بـأن يكـون هـو كـذلك, فهـذه الـدّلالات من جنس واحـد عنـد التّأمّـل؛ ولهـذا دعـا سـبحانه في كتابـه عبـادَه إلى الاسـتدلال بذلك على صفاته, فهو يثبت العلم بربوبيّته ووحدانيّته وصفات كماله بآثار صفته المشـهودة, والقـرآن مملـوء بـذلك فيظهـر شاهد اسم الخالق من نفس المخلوق, وشـاهد اسـم الـرّازق من وجود الرّزق والمرزوق, وشاهد اسـم الـرّحيم من شـهود الرّحمة المبثوثة في العالم, واسم المعطي من وجود العطـاء الـذي هـو مـدرار لا ينقطـع لحظـة واحـدة, واسـم الحليم من حلمـه عن الجنـاة والعصـاة وعـدم معـاجلتهم, واسـم الغفـور والتّـواب من مغفـرة الـذّنوب وقبـول التّوبـة, ويظهـر شـاهد اســمه الحكيم من العلم بمــا في خلقــه وأمــره من الحكم والمصـالح ووجـوه المنـافع, وهكـذا كـلّ اسـم من أسـمائه الحسنى له شاهد في خلقه وأمره, يعرفه من عرفه, ويجهلـه من جهله, فالخلق والأمر من أعظم شواهد أسمائه وصـفاته)

---

[1] () مجموع الفتاوى (16/98).

.[1]

ويقول أيضا: (وقال: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ [البلد: ٨-١٠] , نبَّهَك بهذا الدليل العقلي القاطع أنّ الذي جعلك تبصر وتتكلّم وتعلم أولى أن يكون بصيرا متكلّما عالما, فأي دليل عقلي قطعي أقوى من هذا, وأبين وأقرب إلى المعقول, وقال تعالى في آلهة المشركين المعطِّلين: ﮋ ... ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ... ﮊ [الأعراف: ١٩٥], فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسّمع والبصر دليلا على عدم إلهية من عدمت فيه هذه الصّفات, فالبطش والمشي من أنواع الأفعال, والسّمع والبصر من أنواع الصّفات[2].

وأيضا من الأدلّة العقلية على ثبوت صفة العزّة لله تعالى, الاستدلال عليها بما نراه من مخلوقاته سبحانه, وبما نراه من أفعاله جلّ وعلا, فيستدلّ على ثبوت صفة العزّة بما نراه من بطشه سبحانه بالظّالمين, وإذلاله لأهل الكفر والفجور وتمكُّنُه منهم, ونصره لأوليائه, وإعزازه لأهل الطّاعة, وأيضا أنّ الله لا يعجزه شيء من خلقه مهما كسبوا من وسائل, كلّ هذا يدلّ على اتّصاف الله بصفة العزّة المتضمّنة كمال القوّة وتمام القدرة على ما يليق بجلال الله وعظمته, وبالجملة فما يراه العبد من مخلوقات الله تعالى كلّها شواهد على أنّ الله متّصف بالأسماء الحسنى والصّفات العلا.

يقول ابن القيم رحمه الله: (الطّريق الثّاني من طرق إثبات الصّفات, وهو دلالة الصّنعة عليها, فإنّ المخلوق يدلّ على وجود خالقه, وعلى حياته, وعلى قدرته, وعلى علمه ومشيئته, فإنّ الفعل الاختياري يستلزم ذلك استلزاما ضروريا, وما فيه من الإتقان والإحكام ووقوعه على أكمل الوجوه يدلّ على حكمة فاعله وعنايته, وما فيه من الإحسان والنّفع ووصول المنافع العظيمة إلى المخلوق يدلّ على رحمة خالقه وإحسانه وجوده, وما فيه من آثار الكمال يدلّ على أنّ خالقه أكمل منه, فمعطي الكمال أحقّ بالكمال, وخالق الأسماع والأبصار والنّطق أحقّ بأن يكون سميعا

---

[1] () مدارج السالكين (3/354-356).
[2] () الصواعق المرسلة (3/914).

بصيرا متكلّما,...

وكلّ سليم العقل والفطرة يعرف قدر الصّانع وحذقه وتبريزه على غيره, وتفرُّدُه بكمال لم يشاركه فيه غيره من مشاهدة صنعته, فكيف لا تعرف صفات من هذا العالم العلويّ والسفليّ, وهذه المخلوقات من بعض صنعه؟ وإذا اعتبرت المخلوقات والمأمورات وجدتها بأسرها كلّها دالّة على النّعوت والصّفات وحقائق الأسماء الحسنى, وعلمت أنّ المعطلة من أعظم النّاس عمى بمكابرة, ويكفي ظهور شاهد الصّنع فيك خاصة كما قال تعالى: ﮋ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [الذاريات: ٢١], فالموجودات بأسرها شواهد صفات الرّبّ جلّ جلاله ونعوته وأسمائه, فهي كلّها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها, وتنادي عليها, وتدلّ عليها, وتخبر بها بلسان النّطق والحال, كما قيل:

تأمّل سطور الكائنات فإنّها	من الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها	ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل
تشير بإثبات الصّفات لربها	فصامتها يهدي ومن هو قائل

فلست ترى شيئا أدلّ على شيء من دلالة المخلوقات على صفات خالقها ونعوت كماله وحقائق أسمائه, وقد تنوّعت أدلتها بحسب تنوعها, فهي تدلّ عقلا وحسا وفطرة ونظرا واعتبارا)[1].

الإجماع وأقوال السّلف في إثبات العزّة لله تعالى:

أما عن دليل الإجماع على صفة العزّة, فقد نقل أبو عمر بن عبد البرّ رحمه الله إجماع أهل السّنّة والجماعة على الإقرار بكلّ الصّفات التي نطق بها الكتاب والسّنّة, ولا شك أنّ صفة العزّة لله تعالى من الصّفات التي وردت في الكتاب

[1] () مدارج السالكين (3/354-356) بتصرف.

والسّنّة, وهذا نصّ كلامه رحمه الله: (أهل السّنّة مجمعون على الإقرار بالصّفات الواردة كلّها في القرآن والسّنّة, والإيمان بها, وحملها على الحقيقة لا على المجاز, إلاّ أنّهم لا يكيِّفُون شيئا من ذلك)[1].

ونقل كثير من أهل العلم هذا الإجماع عن ابن عبد البرّ وأقرّوه, منهم: شيخ الإسلام رحمه الله في عدّة مواضع من كتبه[2], والحافظ ابن حجر رحمه الله[3], وغيرهم.

ونقل ابن الوزير رحمه الله الإجماع في ثبوت صفة العزة خاصة عند كلامه على قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الأنبياء: ٢٣], وقال: (إنّ هذه الآية في إثبات عزّة الله تعالى, وهي كلمة إجماع بين المسلمين)[4].

أمّا عن أقوال السّلف والأئمة في إثبات العزّة لله تعالى فهي كثيرة؛ لأنّهم رحمهم الله لا ينطقون إلاّ بما يوافق الكتاب والسّنّة والإجماع, ومن أقوالهم:

ما بوّب له البخاري رحمه الله في صحيحه: (باب قول الله تعالى: ﴿ ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، ﴿ ﴾ [المنافقون: ٨]، ومن حلف بعزّة الله وصفاته)[5].

وقال الحافظ رحمه الله: (والذي يظهر أنّ مراد البخاري بالتّرجمة إثبات **العزّة** لله، رادّاً على من قال: إنّه عزيز بلا عِزّة؛ كما قالوا: العليم بلا علم)[6].

وقال الشّيخ الغنيمان حفظه الله معقِّبا على كلام الحافظ: (قلت: لا يقصد إثبات العزّة بخصوصها، بل مع سائر الصّفات كما هو ظاهر)[7].

وقال قوام السّنّة الأصفهاني رحمه الله: (قال الله عزّ

---

[1] () التمهيد (7/145).

[2] () من هذه المواضع: مجموع الفتاوى (3/221), وبيان تلبيس الجهمية (3/401), ودرئ تعارض العقل والنقل (6/256), وغيرها.

[3] () الفتح (13/407).

[4] () إيثار الحق على الخلق (1/214), وانظر (ص257).

[5] () صحيح البخاري (116-117), كتاب التوحيد.

[6] () فتح الباري (13/370).

[7] () شرح كتاب التوحيد (1/150).

وجلّ: ﴿ﭽ ﭾ ﭿ﴾ [يونس: ٦٥], وقال: ﴿ﮖ ﮗ ﮘ﴾ [المنافقون: ٨], أثبت الله **العزّة** والعظمة والقدرة والكبر والقوّة لنفســه في كتابه)[1].

قال أبوبكر الإسـماعيلي[2] رحمـه اللـه وهـو يعـدّد عقيـدة أهـل الحـديث: (ويثبتـون أنّ لـه وجهـا وسـمعا وبصـرا وعلمـا وقدرة وقوّة **وعزّة** وكلاما, لا على مـا يقولـه أهـل الزيـغ من المعتزلة وغيرهم, ولكن كما قال تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ﴾ [الرحمن: ٢٧], وقال: ﴿ﮗ ﮘ﴾ [النساء: ١٦٦], وقال: ﴿ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ﴾ [البقرة: ٢٥٥]) [3].

وقال ابن بطة[4] رحمه اللـه: (وأنّـه ليس بجـائز أن يكـون شيء من الله ولا من صفاته، ولا من أسـمائه، ولا من علمـه، ولا من قدرته، ولا من عظمته، ولا من **عزّته** مخلوقة)[5].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد قال: ﴿ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ﴾ [آل عمران: ١٨]، فله الوحدانية في إلهيته، وله العدل، وله **العزّة** والحكمة.

وهذه الأربعة إنّما يثبتها السّلف وأتبـاعهم، فمن قصـر عن معرفة السّنّة، فقد نقص الرّبّ بعض حقّه, والجهميّ الجـبريّ: لا يثبت عدلا ولا حكمة، ولا توحيد إلهيتـه، بـل توحيـد ربوبيّتـه، والمعتزلي لا يثبت توحيد إلهيته، ولا عدلا ولا عـزّة ولا حكمـة)

---

1. () الحجة في بيان المحجة (2/196).
2. () هـو محمـد بن إسـماعيل بن مهـران أبـو بكـر الإسـماعيلي النيسابوري, أحد أركان الحديث بنيسابور كـثرة ورحلـة واشـتهارًا, قيل لا يصح سماع من سمع منه بعد التسع والثمانين؛ لأنـه كـان لا يقدر أن يحرك لسانه إلا بلا, مـات سـنه خمس وتسـعين ومـائتين. انظر: تاريخ دمشق (52/111), وسير أعلام النبلاء (14/117).
3. () اعتقاد أئمة الحديث (ص56).
4. () هـو عبيـد اللـه بن محمـد بن محمـد، أبـو عبـد اللـه العكـبري، المعروف بابن بطة, الإمام, القدوة، العابد، الفقيه، المحدث, شيخ العراق, كان أحـد الفقهـاء على مـذهب أحمـد بن حنبـل, صـاحب: الإبانة الكبيرة, والصـغيرة, مـات سـنة سـبع وثمـانين وثلاث مائـة. انظر: تاريخ بغداد (12/100), طبقات الحنابلة (2/144).
5. () الإبانة لابن بطة (6/156).

.[1]

وقال أيضا رحمه الله: (الحمد لله الذي دلّ عليه الكتاب والسّنّة: أنّ الله سبحانه له علم وقدرة ورحمة ومشيئة **وعزّة**, وغير ذلك)[2].

وقال ابن القيم رحمه الله: (وكذلك **العزّة** كلّها له وصفا وملكا, وهو العزيز الذي لا شيء أعزّ منه, ومن عزّ من عباده فبإعزازه له)[3].

فتبيّن بهذا ثبوت صفة العزّة لله تعالى بالكتاب والسّنة والإجماع, مع دلالة العقل عليها, وتظافر[4] أقوال العلماء على ثبوتها.

1 () مجموع الفتاوى (8/211).
2 () المصدر نفسه (6/339).
3 () بدائع الفوائد (2/187).
4 () عن ابن مالك أن التظافر بالضاد والظاء. انظر: تاج العروس (12/479).

المطلب الثّالث:
بيان أنّ صفة العزّة ذاتية.

كان السّلف الصّالح رحمهم الله تعالى لا يتوسّعون في تقسيم الصّفات وتنويعها، إذ ليس من منهجهم تكلّف الكلام في مسائل الاعتقاد بما لم ينطق به الكتاب والسنة، بل لا يكادون يتجاوزون الكتاب والسّنّة في كلّ أمور الدّين عامة, وفي مبحث الأسماء الصّفات خاصة، إلاّ أنّ أولئك الذين حضروا زمن الفتنة – فتنة الإمام أحمد -, بعد نشأة علم الكلام في عهد العبّاسيين, وابتلوا بمناقشة علماء الكلام, وجدالهم بأسلوبهم, اضطرّوا للخوض في تقسيم الصّفات بقدر، وأمّا الخلف من أهل الكلام والأهواء والبدع، فقد أولعوا بتقسيم الصّفات وتنويعها، ومن ذلك تنويعهم الصّفات إلى نفسية وسلبية وصفات معان، ومعنوية وصفات فعلية، وصفات جامعة، والصّفة الإضافية[1], وغير ذلك.

ومن التّقسيمات الموافقة للكتاب والسّنّة التي قسمها السّلف الصّالح, تقسيمهم صفات الله عزّ وجلّ إلى:

1- صفات ثبوتية.

2- صفات سلبية.

فالصّفات السّلبية هي: ما نفاها الله في كتابه الكريم، أو على لسانه نبيّه صلّى الله عليه وسلّم، وكلّها صفات نقص في حقّه عزّ وجلّ، كالموت، والنّوم، والجهل، والعجز وغيرها، فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق, مع إثبات ضدّها على الوجه الأكمل, ولا تذكر الصّفات السّلبية غالبا إلاّ لبيان عموم كماله، كما في قوله تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [الشورى: ١١]، ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ

[1] () انظر: الصفات الإلهية لمحمد أمان جامي (ص199), وقال الشهرستاني رحمه الله: (اعلم أنّ جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون الله تعالى صفاته أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والإرادة والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والإكرام، والجود، والإنعام، والعزّة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات, وصفات الفعل بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبرية مثل اليدين، والوجه, ولا يؤولون ذلك إلا أنّهم يقولون: هذه الصّفات قد وردت في الشرع، فنسمّيها صفات خبرية). الملل والنحل (1/92).

ﭞ ﮋ ﮊ [الإخلاص: ٤], أو نفي ما ادّعاه في حقّه الكاذبون، كما في قوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [مريم: ٩١ - ٩٢], أو دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلّق بهذا الأمر المعيّن، كما في قولـه: ﮋ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [الدخان: ٣٨]، وقوله: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [ق: ٣٨].

أما الصّفات الثّبوتية فهي: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه, أو أثبتها رسوله صلّى الله عليه وسلّم في سنته، وكلّها صفات كمال لا نقص فيها, والغالب فيها التّفصيل, وهي أكثر في النّصوص من الصّفات السّلبية، وتنقسم الصّفات الثبوتية إلى قسمين:

أ- صفات ذاتية: وهي القائمة بذات الله العلية، وهي التي لم يزل ولا يزال متّصفا بها, ولا تنفكّ عن ذات الله تعالى, ولا تتعلّق بالمشيئة, كالعلم, والقدرة, والعزّة, والعظمة, والسّمع, والبصر, والحكمة والعلو وكالوجه والعينين, واليدين, والقَدَم, وغير ذلك ممّا وردت به النّصوص الصّحيحة.

ب- صفات فعلية: وهي التي تتعلّق بمشيئته عزّ وجلّ إن شاء فعلها, وإن لم يشأ لم يفعلها، وتنفك عن ذات الله تعالى, كالاستواء, والنّزول, والمجيء, والقبض, والبسط, وغير ذلك.

وقد تكون الصّفة ذاتيةً فعليةً باعتبارين كالكلام، فإنّه باعتبار أصله صفة ذاتية؛ لأنّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلّما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعليّة؛ لأنّ الكلام يتعلّق بمشيئته، يتكلّم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ [يس: ٨٢].

وكلا النّوعين من الصّفات الذّاتية والفعلية يجتمعان في كونهما صفات لله تعالى أزلا وأبدا, لم يزل ولا يزال متّصفا بها سبحانه وتعالى.

وكلا النّوعين أيضا ينقسم من حيث الثّبوت إلى:

صفات سمعية عقلية: وهي الصّفات التي أثبتها ودلّ عليها العقل والشّرع معا مثل: صفة الحياة, والعلم, والحكمة, والقدرة, والعزّة, وغيرها.

صفات سمعية خبرية: وهي التي أثبتها ودلّ عليها الدّليل من الكتاب والسّنّة فقط, ولا سبيل للعقل إلى إثباتها مثل: صفة العين, والوجه, واليدين, وغيرها[1].

---

[1] () انظر الصفات الإلهية (ص203-204), وتقريب التدمرية, (ص 18-19), والقواعد المثلى (ص25), ومجموع فيه الصفات الإلهية,

وبالنّظر إلى هذا التّقسيم الذي قسمه أهل العلم, نجـد أنّ صفة العـزّة للـه تعـالى من الصّـفات الذّاتيـة, الـتي دلّ عليهـا السّمع والعقل, لأنها لا تنفك عن ذات الله تعالى, فالله متّصف بالعزّة أزلا وأبدا, ولا تتعلّق بالمشـيئة, ولا تنفـك عنـه سـبحانه, وقد نصّ جمع من أهل العلم أنّ صفة العـزّة للـه تعـالى صـفة ذاتية فمن أقوالهم:

قال ابن خزيمـة رحمـه اللـه: (فليس عـزّة خالقنـا, العـزّة التي هي صفة من صفات ذاته كعزّة المخلوقين الذين أعـزّهم الله بها)[1].

وقـال ابن بطـة رحمـه اللـه: (وأنّـه ليس بجـائز أن يكـون شيء من الله ولا من صـفاته، ولا من أسـمائه، ولا من علمـه، ولا من قدرته، ولا من عظمته، ولا من عزّته مخلوقة...

وقـد فهم من آمن باللـه, وعقـل عن اللـه أنّ كلام اللـه، ونفس الله، وعلم الله، وقدرة الله، وعزّة الله، وسلطان الله، وعظمة الله، وحلم الله، وعفو الله، ورفـق اللـه، وكـلّ شـيء من صفات الله أعظم الأشياء، وأنّها كلّهـا غـير مخلوقـة؛ لأنّهـا صفات الخالق ومن الخالق، فليس يدخل في قوله خـالق كـلّ شيء، لا كلامه، ولا عزّته، ولا قدرته، ولا سلطانه، ولا عظمتـه، ولا جـوده، ولا كرمـه، لأنّ اللـه تعـالى لم يـزل بقولـه وعلمـه وقدرته وسلطانه وجميع صفاته إلها واحدا، وهذه صفاته قديمة بقدمه، أزليّة بأزليته، دائمة بدوامه، باقية ببقائـه، لم يَخْـلُ ربّنـا من هذه الصّفات طرفة عين)[2].

وقال ابن حجر رحمه الله: (فعزّة الله من صـفات الـذّات, وكذا جلاله وعظمته)[3].

وقال الشّيخ الغنيمان حفظه الله: (والعزّة من صفات ذاته تعالى الـتي لا تنفـك عنـه، بعزّتـه قهـر كـلّ شـيء، وكـلّ عـزّة حصلت لخلقه فهي منه، وكلّ من كان إليـه أقـرب ولـه أطـوع كانت عزّته أتمّ وأكمل من غيره)[4].

وقال الشيخ عبد العزيز السّلمان حفظه الله: (صفات الله

ومعـه موقـف الطوائـف من توحيـد الأسـماء والصـفات, ومقالـة التعطيل والجعد بن درهم (ص53-65-66).

[1] () كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص63).

[2] () الإبانة لابن بطة (6/156-172).

[3] () فتح الباري (11/546).

[4] () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/149).

تنقسم إلى قسمين: صفات ذات، وصفات فعل، وضابط صفات الذّات هي التي لا تنفك عن الله، وضابط صفات الفعل هي التي تتعلّق بالمشيئة والقدرة.

مثال صفات الذّات: النّفس, العلم, الحياة, القدرة, السّمع, البصر, الوجه, اليد, الرّجل, الملك, العظمة, الكبرياء, العلو, الأصبع, العين, الغنى, القَدَم, الرّحمة, الحكمة, القوّة, العزّة, الخبرة, الوحدانية, الجلال، وهي التي لا تنفك عن الله)[1].

أمّا قوله تعالى: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [آل عمران: ٢٦], فيدلّ على أنّ ثبوت صفة الإعزاز والإذلال لله, فالله تعالى يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء, وهاتان الصّفتان من الصّفات الفعلية لله تعالى لتعلّقهما بالمشيئة كما نصّت الآية الكريمة على ذلك, إذ كلّ صفة تعلّقت بالمشيئة فهي صفة فعلية.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ويدلّ على ذلك قوله: ﮋ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [الإسراء: ٥٤], فعلّق الرّحمة بالمشيئة كما علّق التّعذيب بالمشيئة, وما تعلق بالمشيئة ممّا يتّصف به الرّبّ فهو من الصّفات الاختيارية)[2].

فصفة العزّة لله تعالى صفة ذاتيّة لله تعالى, لا تنفك عن الله تعالى, ولا تتعلّق بالمشيئة والقدرة, وصفة الإعزاز والإذلال, صفتان فعليتان لله تعالى, تتعلّقان بمشيئته سبحانه وتعالى, فالله تعالى يعزّ من يشاء رحمة منه وفضلا, ويذلّ من يشاء حكمة منه وعدلا, وكلّ هذه الصّفات من العزّة, والإعزاز, والإذلال يجتمعن في كونهن صفات لله تعالى أزلا وأبدا, لم يزل ولا يزال الله تبارك وتعالى متّصفا بها.

---

1 () الكواشف الجلية (ص320).
2 () مجموع الفتاوى (6/262).

المطلب الرّابع:
بيان أقسام عزّة الله تعالى

وفيه ثلاث مسائل

قبل بيان أقسام عزّة الله تعالى, يحسن بنا أن ننبّه على أنّ العزّة المضافة إلى الله تعالى في نصوص الكتاب والسّنّة تنقسم إلى قسمين:

قسم يضاف إليه سبحان من باب إضافة المخلوق إلى خالقه, وهي العزّة المخلوقة التي يُعِزُّ بها أنبياءه وعباده الصّالحين, وهي ما يحصل لهم من النّصر والتّأييد والرّفعة وغلبة الأعداء, كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [المنافقون: ٨][1].

والقسم الثّاني: يضاف إليه من باب إضافة الصّفة إلى الموصوف كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [ص: ٨٢], وقوله صلّى الله عليه وسلّم: "أعوذ بعزّة الله وقدرته"[2].

أما أقسام العزّة باعتبار معانيها فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

عزّة القوّة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر والغلبة.

وقد نصّ على هذا التّقسيم الإمام ابن القيم رحمه الله حيث قال: (والعزّة يراد بها ثلاث معان: عزّة القوّة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر, والرّبّ تبارك وتعالى له العزّة التّامّة

---

[1] () انظر: الحجة في بيان المحجة (1/142), حيث قال: (ومن أسمائه: العزيز: العزّة الكاملة لله، وقد خلق العزّة فأعز بها من شاء من المدة، ثم أعقبهم الذلة وأعقب الذليل عزة فهو كما قال: ﴿ ﴾ [آل عمران: ٢٦], بينا هو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فيرزقه الله العقل فتراه عزيزاً منيعاً آمراً ناهياً ، ثم تراه وضيعاً خاملاً ، والله تعالى لم يزل عزيزاً ولا يزال عزيزاً لا تنقص عزّته ولا تفنى، ﴿ ﴾ [الشورى: ١١]). (1/141), وانظر: بدائع الفوائد (3/494), ومختصر الأجوبة والأسئلة الأصولية على العقيدة الواسطية (ص66).

[2] () تقدّم تخريجه (ص255).

بالاعتبارات الثّلاث)[1].

وقال الشّيخ السّعدي رحمه الله: (العزيز الذي له العزّة كلّها عزّة القوّة، وعزّة الغلبة, وعزّة الامتناع)[2].

ولا تنافي بين كلام هذين العالمين الجليلين, فعزّة القهر هي عزّة الغلبة, ولا يكون قاهرا إلاّ من كان غالبا, ولا يغلب إلاّ القاهر, فأقسام العزّة إذا ثلاثة: عزّة القوّة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر والغلبة[3], وهذا تفصيل معانيها:

المسألة الأولى: عزّة القوّة

عزّة القوّة الدّال عليها من أسمائه القوّي المتين، وهي وصفه العظيم الذي لا تُنْسب إليه قوّة المخلوقات وإن عَظُمَت[4].

والقوّة في اللّغة: خلاف الضّعف, والقوّة أيضا: الطّاقة من الحبل، وجمعها قوى, ورجل شديد القوى، أي شديد أسر الخلق[5].

و معناه في حق الله تعالى: هو الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره شيء، ولا يعجزه شيء أراده, ولا يردّ قضاءه رادّ، ينفذ أمره، ويمضي قضاءه في خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه)[6].

فالعزّة لله جميعا, و(القوّة لله جميعا, لا منصور إلاّ من نصره الله, ولا عزيز إلاّ من أعزّه, وكذلك المخذول من خذله الله, والذّليل من أذلّه, قال تعالى: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [آل عمران: ١٦٠], وقال تعالى: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ

---

[1] () مدارج السالكين (2/257).

[2] () تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص214).

[3] () وذكر ابن عثيمين رحمه الله تقسيماً آخر لمعاني العزَّة فقال: (وذكر أهل العلم أنّ العزّة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عزّة القدر، وعزّة القهر، وعزّة الامتناع). انظر: شرح العقيدة الواسطية (ص 345-346).

[4] () انظر: فتح الرحيم الملك العلام (ص25).

[5] () الصحاح تاج اللغة (6/2469).

[6] () انظر: جامع البيان (13/19), (21/372).

ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﯖ [البقرة: ١٦٥].

ومن شواهد قوته نصره لأنبيائه وتأييده لأوليائه, وفي قصص الأنبياء في القرآن خير شاهد على هذا, قال تعالى: ﯗﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﯖ [هود: ٦٦] , وقال تعالى: ﯗﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆﯖ [الحج: ٤٠].

ومن شواهد قوّته إهلاكه للظّالمين, وانتقامه من المجرمين, وإحلاله بهم أنواع العقوبات, وصنوف المثُلات, قال تعالى: ﯗﯓ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯨ ﯖ [الأنفال: ٥٢], وقال تعالى: ﯗﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮣ ﮤ ﮥ □ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯖ [غافر: ٢١ - ٢٢].

ومن شواهد قوّته قيام السّموات والأرض بأمره وحفظه لهما ولما فيهما بقدرته؛ فلا يعجزه شيء قال تعالى: ﯗ□ □ □ □ ﯨ ﯩ ﯖ [البقرة: ٢٥٥], وقال تعالى: ﯗﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ ﯖ [فاطر: ٤٤].

ومن شواهد قوّته أنّ الرّزق بيده يؤتيه من يشاء, قال تعالى: ﯗﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﯖ [الشورى: ١٩], وقال تعالى: ﯗﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﯖ [الذاريات: ٥٨], ولا حول للعبد في جلب نفع أو دفع ضرّ ولا قوّة إلاّ بالله, قال تعالى: ﯗﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﯖ [الكهف: ٣٩].

ومن شواهد قوّته أنّه لا مفرّ إلا إليه ولا ملجأ للعبد ولا منجا منه إلاّ إليه, قال تعالى: ﯗﮪ □ □ □ □ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯸ [الأنفال: ٥٩], وقال تعالى عن الجنّ: ﯗ□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯸ [الجن: ١٢], وقال تعالى: ﯗﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﯖ [الأحقاف: ٣٢], وقال تعالى: ﯗ□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﯖ [الذاريات: ٥٠].

ومن شواهد قوّته أنّه الفعّال لما يريد, لا يقع شيء في هذا العالم من حركة أو سكون, أو خفض ورفع, أو عزّ وذلّ, أو عطاء ومنع إلاّ بإذنه, يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب, بل قهر كلّ شيء, ودان له كلّ شيء, كما قال تعالى: ﯗﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ □ □ □ ﯖ [الأعراف: ٥٤] , و قال تعالى: ﯗﯚ ﯛ □ ﯜ ﯝ □ □ □ □ □ ﯞ ﯟ

ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ [فاطر: ٢][1].

فهذه بعض شواهد قوّته الله تعالى التي ترجع إلى شواهد عزّته سبحانه وتعالى.

المسألة الثّانية: عزّة الامتناع.

من أقسام عزّة الله تعالى عزّة الامتناع, ومعناها: امتناعه سبحانه عن أن يغلبه أحد، وعن أن يقدر عليه أحد، أو يبلغ العباد ضرّه فيضرّوه، أو نفعه فينفعوه، وامتناعه وتكبّره عن جميع ما لا يليق بعظمته وجلاله من العيوب والنّقائص، وعن كلِّ ما ينافي كماله، ويرجع إليها معنى المتكبّر مع أنَّ المتكبّر اسم دالّ على كمال العظمة ونهاية الكبرياء، مع دلالته على المعنى المذكور وهو تكبّره وتنزُّهه عمَّا لا يليق بعظمته ومجده وجلاله[2].

المسألة الثّالثة: عزّة القهر والغلبة.

الدّال عليها من أسمائه القهّار, ومعناها: الذي قهر بقدرته جميع المخلوقات، ودانت له جميع الكائنات، فنواصي العباد كلِّهم بيده، وتصاريف الملك وتدبيراته بيده، والملك بيده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

فالعالم العلويّ, والعالم السّفليّ بما فيها من المخلوقات العظيمة كلّها قد خضعت في حركاتها وسكناتها، وما تأتي وما تذر لمليكها ومدبِّرها، فليس لها من الأمر شيء، ولا من الحكم شيء, بل الأمر كلُّه لله، والحكم الشّرعيّ والقدريّ والجزائيّ كلُّه لله، لا حاكم إلاّ هو، ولا ربّ غيره، ولا إله سواه.

والعزّة بمعنى القهر هي أحد معاني الجبّار[3], فإنّ من معاني الجبّار أي: أنّه القاهر لكلّ شيء, الذي دان له كلّ شيء, وخضع له كلّ شيء[4].

---

1 () انظر: فقه الأسماء الحسنى (ص184-185), بتصرف.
2 () انظر: فتح الرحيم الملك العلام (ص25) بتصرف.
3 () انظر: المصدر نفسه (ص25-26).
4 () انظر: فقه الأسماء الحسنى (ص286).

وعزّة الغلبة هي بمعنى أنّ الله تعالى لا غالب له, وأمــره نافذ لا يردّه رادّ كما في قوله تعالى: ﮋ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﮊ [يوسف: ٢١].

قال السّعدي رحمه الله: (أي: أمره تعالى نافذ، لا يبطلــه مبطل، ولا يغلبه مغالب)[1].

والغلبة أيضا تأتي بمعنى القهر.

قـال ابن الأثـير رحمـه اللـه: (القـاهر هـو الغـالب جميـع الخلق, وقهره يقهره قهرا غلبـه, وتقـول: أخـذتهم قهـرا, أي: من غير رضاهم, وأقهر الرجل: صار أصحابه مقهورين, وأقهـر الرجل: وجده مقهورا)[2].

فتبيّن ممّا سبق أنّ العـزّة على ثلاث معـان: عـزّة القـوة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر والغلبة, وهذه المعاني اتّصـف بهـا سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمتـه على أسـاس: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الشورى: ١١].

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (ص395).
2 () لسان العرب (17/236).

المطلب الخـامس:
تنزُّهُ الله عزّ وجل عن النّقص

وفيه ثمان مسائل:

المسألة الأولى: تنزُّهُه سبحانه وتعالى عن اتّخاذ الولي من الذّلّ.

المسألة الثّانية: تنزُّهُه سبحانه وتعالى عن الظّهير, والمعين, والشّريك.

المسألة الثّالثة: تنزُّهُه سبحانه عن حاجته إلى خلقه.

المسألة الرّابعة: تنزُّهُه سبحانه أن يكرهه أحد على شيء.

المسألة الخامسة: تنزُّهُه سبحانه وتعالى أن يناله أحد بسوء.

المسألة السّادسة: تنزُّهُه سبحانه أن يسأله أحد عمّا يفعل, أو أن يتعقّبه أحد في حكمه.

المسألة السّابعة: تنزُّهُه سبحانه أن يخاف من أحد تبعة.

المسألة الثّامنة: تنزُّهُه سبحانه أن يعجزه شيء, وعن اللّغوب وما في معناه.

تمهيد:

المقصود من تنزيه الله تعالى عن النّقـائص والعيـوب هـو إثبات كمال صفاته جلّ وعلا؛ لأنّ النّفي المحض ليس بشيء, فالنّفي في باب الأسماء والصّفات يراد بـه إثبـات كمـال ضـدّ المنفي, فيكون بذلك مدحا في حقّ الله تعالى.

واللــه تعــالى كمــا يســتدلّ على نفي النّقــائص والعيــوب بإثبــات صــفات الكمــال, كــذلك يســتدلّ على إثبــات صــفات الكمال بنفي النّقائص والعيوب؛ لما تتضمّنه من إثبــات كمــال ضدّ المنفي.

قال شيخ الإسلام رحمــه اللــه: (وينبغي أن يعلم أن النّفي ليس فيه مـدح كمـال إلاّ إذا تضـمّن إثباتـا, وإلاّ فمجـرد النّفي ليس فيــه مــدح ولا كمــال, لأنّ النّفي المحض عــدم محض, والعدم المحض ليس بشيء, وما ليس بشيء فهو كمـا قيـل: ليس بشــيء فضـلا عن أن يكـون مـدحا أو كمـالا, ولأنّ النّفي المحض يوصف به المعدوم والممتنـع, والمعـدوم والممتنـع لا يوصف بمدح ولا كمال؛ فلهـذا كـان عامـة مـا وصـف اللـه بـه نفسه من النّفي متضمّنا لإثبات مدح كقوله: ﮋ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [البقرة: ٢٥٥], إلى قوله: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [البقرة: ٢٥٥], فنفي السّنّة والنّوم: يتضمّن كمال الحياة والقيام, فهو مبيّن لكمــال أنّه الحيّ القيّـوم, وكـذلك قولـه: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ أي: لا يُكْرِثُـه ولا يثقله, وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها, وبخلاف المخلوق القادر إذا كان يقدر على الشّيء بنوع كلفة ومشقّة, فإنّ هـذا نقص في قدرته وعيب في قوته, وكذلك قوله: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [سبأ: ٣], فإنّ نفي العزوب مستلزم لعلمه بكلّ ذرّة في السّماوات والأرض, وكذلك قوله: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [ق: ٣٨], فـإنّ نفي مس اللّغـوب الـذي هـو: التّعب والإعياء دلّ على كمال القدر ونهايـة القـوّة, بخلاف المخلـوق الذي يلحقه من التّعب والكلال ما يلحقه, وكذلك قولـه: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [الأنعام: ١٠٣] إنّما نفى الإدراك الذي هو الإحاطة كما قاله أكثر العلمـاء, ولم ينـف مجـرّد الرّؤيـة؛ لأنّ المعـدوم لا يـرى, وليس في كونه لا يرى مدحٌ؛ إذ لو كان كذلك لكــان المعــدوم

ممدوحا. وإنّما المدح في كونه لا يحاط به وإن رؤي, كما أنّه لا يحاط به وإن علم, فكما أنّه إذا علم لا يحاط به علما, فكذلك إذا رؤي لا يحاط به رؤية, فكان في نفي الإدراك من إثبات عظمته ما يكون مدحا وصفة كمال, وكان ذلك دليلا على إثبات الرّؤية لا على نفيها, لكنّه دليل على إثبات الرّؤية مع عدم الإحاطة, وهذا هو الحقّ الذي اتّفق عليه سلف الأمّة وأئمتها, وإذا تأمّلت ذلك: وجدت كلّ نفي لا يستلزم ثبوتا هو ممّا لم يصف الله به نفسه)[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وقد بيّنا فيما تقدّم أنّ كلّ ما ينزه الرّبّ عنه إن لم يكن متضمّنا لإثبات كماله ومستلزما لأمر ثبوتي يوصف به, لم يكن في تنزيهه عنه مدح ولا حمد ولا تمجيد ولا تسبيح؛ إذ العدم المحض كاسمه لا حمد فيه ولا مدح. وإنّما يمدح سبحانه بنفي أمور تستلزم أمورا هي حقّ ثابت موجود يستحقّ الحمد عليها, وذلك الحقّ الموجود ينافي ذلك الباطل المنفي, فيستدلّ برفع أحدهما على ثبوت الآخر, فتارة يستدل بثبوت تلك المحامد والكمالات على نفي النقائص التي تنافيها, وتارة يستدلّ بنفي تلك النّقائص على ثبوت الكمالات التي تنافيها, فهو سبحانه القدّوس السّلام كما قال: ﴿ھ ھ ے ے ۓ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لكمال حياته وقيّوميته. و﴿ڎ ڎ ڈ ڈ ژ﴾ [سبأ: ٣] لكمال علمه, ﴿ڇ ڇ ڍ ڍ﴾ [ق: ٣٨] لكمال قدرته, ﴿گ گ گ ڳ﴾ [الكهف: ٤٩], لكمال عدله وغناه ورحمته و﴿ٻ ٻ ٻ پ پ﴾ [طه: ٥٢] لكمال علمه وحفظه, و﴿ۓ ۓ ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لكمال قدرته وقوّته, و ﴿ۓ ۓ ڭ ڭ﴾ [الأنعام: ١٤], و﴿پ پ ڀ ڀ﴾ [الإخلاص: ٣] لكمال صمديّته, و ﴿ٺ ٺ ٺ ٿ﴾ [الإخلاص: ٤] لتفرّده بالكمال المطلق الذي لا يشاركه فيه غيره, و ﴿ڭ ڭ ڭ ڭ ۇ ۇ﴾ [الإسراء: ١١١] لكمال عزّته وسلطانه)[2].

ومن صفات النقص التي يتنزّه الله تعالى عنها لكمال عزّته ما يأتي في المسائل التالية:

---

[1] () الرسالة التدمرية (ص58-59).

[2] () الصواعق المرسلة (4/1444).

المسألة الأولى: تنزّهه سبحانه عن اتّخاذ الـولي من الذّل:

من كمال عزّة الله تعالى وقوته وقدرته, أنّه لم يتخذ ولياً من الذّلّ؛ لأنّ اتّخاذ الـولي من الـذّلّ, أي: من حاجـة وافتقـار ونصرة, من الصّفات التي تقدح في عزّة الله تعـالى, وكمـال قوّته, وتمام غناه؛ لأنّ من كان ذا حاجة إلى غـيره فهـو فقـير غير غني, وكـذلك من كـان ذا حاجـة إلى نصـرة فهـو ضـعيف ذليل مهين, وكلّ هذا يقدح في كمال عزّة الله تعـالى, وتمـام غناه؛ لأنّ (العزّ ضدّ الذّلّ، والذّلّ أصله الضّعف والعجز, فالعزّ يقتضى كمال القـدرة والعـزّة)[1]؛ فلهـذا نفى اللـه عن نفسـه اتّخاذ الولي من الذّلّ, فقال تعالى: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الإسراء: ١١١], وهذه الآية الكريمة تسمّى آية العـزّ[2], لمـا فيهـا من نفي حاجـة اللـه تعـالى إلى خلقـه, ونفي اتّخـاذ الـولي من الـذّلّ, المتضـمّن ذلـك كمـال عزّتـه وقوّته, وتمام غناه عن خلقه أجمعين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (قال سبحانه: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الإسراء: ١١١] , فإنّ المخلوق يوالي المخلوق لذلّـه, فـإذا كـان لـه من يواليـه عـزّ بوليه, والرّبّ تعالى لا يوالي أحدا لذلّته تعالى, بل هـو العزيـز بنفسه, و ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [فاطر: ١٠], وإنّما يوالي عباده المؤمنين لرحمته ونعمتـه وحكمتـه وإحسـانه وجـوده وفضـله وإنعامه[3].

وقال ابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله: (فالله تعـالى ليس له ولي من الذّلّ، بل لله العزّة جميعا، خلاف الملوك وغيرهم ممّن يتولاّه لذّله وحاجته إلى ولي ينصره)[4].

وقال السّعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ

---

1 () طريق الهجرتين (ص109).

2 () انظر: تفسير القرطـبي (10/345), وتفسـير القـرآن العظيم (5/131), ونظم الدرر (11/451).

3 () مجمـوع الفتـاوى (8/520), وانظـر: منهـاج السـنة النبويـة (7/30).

4 () شرح الطحاوية (ص346).

ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الإسراء: ١١١]: (ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ أي: لا يتولى أحدا من خلقه, ليتعزّز به ويعاونه, فإنّه الغـنيّ الحميد, الـذي لا يحتـاج إلى أحـد من المخلوقـات, في الأرض ولا في السّـماوات, ولكنّـه يتّخـذ أوليـاء إحسـانا منـه إليهم ورحمة بهم: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ [البقرة: ٢٥٧])[1].

ولا يشكل على ذلك قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [يونس: ٦٢ - ٦٣], وقوله أيضا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﮊ [البقرة: ٢٥٧].

فهـذه الولايـة الـتي أثبتهـا اللـه تعـالى هي ولايـة إحسـان ورحمـة بعبـاده, والـتي نفاهـا عن نفسـه سـبحانه هي مـوالاة الحاجة والذّلّ والنّصرة.

يقـول ابن القيم رحمـه اللـه: (واللـه تعـالى يـوالي عبـده إحسانا إليه وجبرا لـه ورحمـة, بخلاف المخلـوق, فإنّـه يـوالي المخلوق لتعزُّزه به وتكثُّره بموالاته, لذل العبد وحاجتـه, وأمّـا العزيز الغني, فلا يوالي أحدا من ذلّ ولا حاجة قال تعـالى: ﮋ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الإسراء: ١١١], فلم ينف الولي نفيا عاما مطلقـا, بـل نفى أن يكـون لـه ولي من الذّلّ, وأثبت في موضع آخر أنّ له أولياء بقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ [يونس: ٦٢], وقوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [البقرة: ٢٥٧], فهذا موالاة رحمة وإحسـان وجـبر, والمـوالاة المنفيـة مـوالاة حاجة وذلّ)[2].

فالآية الكريمة فيها تنزيه اللـه تعـالى عن صـفات النّقص: من اتّخاذ الولد، وأن يكون له شريك في الملك، وأن يكون له ولي من الـذّل، فاللـه تعـالى ليس لـه ولي من الـذّل؛ لأنّـه سبحانه العزيز ذو القوّة المتين, العظيم الغني عن الذّل وعن الحاجة إلى ولي أو معين.

المسـألة الثّانيـة: تنزّهـه سـبحانه عن الظّهـير والمعين والشّريك.

من كمال عزّة اللـه تعـالى وقوّتـه وقدرتـه اسـتغناؤه عن

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (ص468).
2 () مفتاح دار السعادة (1/162).

خلقه, وعدم حاجته إليهم, لكمال غناه سبحانه وتعالى, وكمال عزّته جلّ وعلا, فلذلك نفى الله تعالى عن نفسه في كتابه الكريم وجود شريك معه, أو ظهير ومعين يساعده, أو يعينه, أو أن يكون له عضدا يعاضده في أمور خلقه من خلق وملك وتدبير ورزق وغير ذلك, فقال تعالى في محكم تنزيله: ﮋ   ﮊ [سبأ: ٢٢], وقال أيضا: ﮋ   ﮊ [الكهف: ٥١].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (جميع ما سوى الله من الأعيان وصفاتها وأحوالها مخلوقة لله, مملوكة لله, هو ربها وخالقها ومليكها ومدبّرها لا ربّ لها غيره, ولا إله سواه, له الخلق والأمر لا شريك له في شيء من ذلك ولا معين, بل هو كما قال سبحانه: ﮋ   ﮊ [سبأ: ٢٢ - ٢٣], أخبر سبحانه أنّ ما يدعى من دونه ليس له مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض, ولا شرك في ملك, ولا إعانة على شيء, وهذه الوجوه الثّلاثة: هي التي ثبت بها حقّ الغير, فإنّه إمّا أن يكون مالكا للشّيء مستقلا بملكه, أو يكون مشاركا له فيه نظير, أو لا ذا ولا ذاك, فيكون معينا لصاحبه: كالوزير والمشير والمعلم والمنجد والنّاصر, فبيّن سبحانه أنّه ليس لغيره ملك لمثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض, ولا لغيره شرك في ذلك لا قليل ولا كثير, فلا يملكون شيئا, ولا لهم شرك في شيء, ولا له سبحانه ظهير: وهو المظاهر المعاون, فليس له وزير ولا مشير ولا ظهير, وهذا كما قال سبحانه: ﮋ   ﮊ [الإسراء: ١١١], فإنّ المخلوق يوالي المخلوق لذله؛ فإذا كان له من يواليه عزّ بوليه؛ والرّبّ تعالى لا يوالي أحدا لذلته تعالى بل هو العزيز بنفسه و ﮋ   ﮊ [فاطر: ١٠], وإنّما يوالي عباده المؤمنين لرحمته ونعمته وحكمته وإحسانه وجوده وفضله وإنعامه)[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: عن قوله تعالى: ﮋ   ﮊ [سبأ: ٢٢]: (فتأمّل

[1] () مجموع الفتاوى (8/519-520).

كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطّرق التي دخلوا منها إلي الشّرك, وسدَّتها عليهم أحكم سدّ وأبلغه, فإنّ العابد إنّما يتعلّق بالمعبود لِمَا يرجو من نفعه, وإلاّ فلو لم يرجُ منه منفعةً, لم يتعلّق قلبه به, وحينئذ فلا بدّ أن يكون المعبود مالكا للأسباب التي ينفع بها عابده, أو شريكا لمالكها, أو ظهيرا, أو وزيرا ومعاونا له, أو وجيها ذا حرمة وقدر يشفع عنده, فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كلّ وجه وبطلت, انتفت أسباب الشّرك وانقطعت مواده, فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرّة في السّموات والأرض, فقد يقول المشرك: هي شريكة لمالك الحقّ, فنفى شركتها له, فيقول المشرك: قد تكون ظهيرا ووزيرا ومعاونا, فقال: وماله منهم من ظهير, فلم يبق إلاّ الشّفاعة فنفاها عن آلهتهم, وأخبر أنّه لا يشفع عنده أحد إلاّ بإذنه, فهو الذي يأذن للشّافع, فإن لم يأذن له لم يتقدّم بالشّفاعة بين يديه كما يكون في حقّ المخلوقين, فإنّ المشفوع عنده يحتاج إلي الشّافع ومعاونته له فيقبل شفاعته وإن لم يأذن له فيها, وأمّا من كلّ ما سواه فقير إليه بذاته, وهو الغني بذاته عن كلّ ما سواه, فكيف يشفع عنده أحد بدون إذنه)[1].

وقال السّعدي رحمه الله مفسرا هذه الآية الكريمة: (أي: قل يا أيّها الرّسول، للمشركين باللّه غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضرّ، ملزما لهم بعجزها، ومبيّنا لهم بطلان عبادتها: ﮋ ﮊ, أي: زعمتموهم شركاء للّه، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنّهم قد توفّرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدّعاء من كلّ وجه، فإنّهم ليس لهم أدنى ملك فـ ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﮊ على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، ولهذا قال: ﮋ ﮊ, أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم, ﮋ ﮊ, أي: في السّماوات والأرض، ﮋ ﮊ, أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك.

بقي أن يقال: ومع ذلك فقد يكونون أعوانا للمالك، ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعا، لأنّهم - بسبب حاجة الملك إليهم - يقضون حوائج من تعلّق بهم، فنفى تعالى هذه

---

[1] () الصواعق المرسلة (2/461-462).

المرتبة فقال: ﮋ ﮌ ﮊ, أي: للّه تعالى الواحد القهّار, ﮋ ﮌ ﮊ, أي: من هؤلاء المعبودين, ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ, أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتّدبير)[1].

وأمّا عن معنى الآية الثّانية التي نفت عن الله تعالى اتّخاذ العضد وهي قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [الكهف: ٥١].

يقول ابن جرير رحمه الله: (ما أشهدت إبليس وذريتـه ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ يقول: ما أحضرتهم ذلك فأستعين بهم على خلقها ﮋ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ يقــول: ولا أشــهدت بعضــهم أيضــا خلــق بعض منهم، فأستعين به على خلقـه، بـل تفـرّدت بخلـق جميـع ذلـك بغـير معين ولا ظهير، يقول: فكيف اتّخذوا عدوهم أولياء من دوني، وهم خلــق من خلــق أمثــالهم، وتركــوا عبــادتي, وأنــا المنعم عليهم وعلى أسلافهم، وخالقهم وخالق من يوالونه من دوني, منفردا بذلك من غير معين ولا ظهير.

وقوله: ﮋ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [الكهف: ٥١], يقول: وما كنت متّخذ من لا يهدي إلى الحق، ولكنّه يضلّ، فمن تبعه يجور بـه عن قصـد السّبيل أعوانا وأنصارا، وهو من قـولهم: فلان يعضـد فلانـا إذا كان يقويه ويعينه)[2].

وهو اللائق بكمال عزّة الله تعـالى وقوّتـه وقدرتـه وتمـام غناه؛ ولهذا قـال: ﮋ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﮊ [الكهـف: ٥١] , أي: معـاونين مظاهرين لله على شأن من الشّؤون، أي: مـا ينبغي ولا يليـق باللــه، أن يجعــل لهم قسـطا من التّـدبير، لأنّهم سـاعون في إضلال الخلق والعداوة لربّهم، فاللّائق أن يُقْصِيهم ولا يدنيهم.

فالله عـزّ وجـلّ هـو المنفـرد بـالخلق والتّـدبير، والحكمـة والتّقــدير، وهــو خــالق الأشــياء كلّهــا وحــده لا شــريك لــه، المتصرّف فيها بحكمته وعزّته، فكيـف يجعـل لـه شـركاء من الشّياطين، يوالون ويطاعون، كما يطاع اللـه، وهم لم يخلقـوا ولم يشهدوا خلقا، ولم يعاونوا الله تعالى[3].

---

1. () تيسير الكريم الرحمن (ص678).
2. () جامع البيان (18/44-45).
3. () انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص480).

المسألة الثّالثة: تنزّهه سبحانه عن حاجته إلى خلقه.

من الأمور التي تنزّه الله عنها لكمال عزّته سبحانه وتمام غناه, تنزُّهُه تعالى عن حاجته إلى خلقه, فما أمر عباده بعبادته وتوحيده وطاعته إلا لسعادتهم الدّنيويّة والأخرويّة, لا لحاجة إليهم من رزق, أو إطعام كما قال تعالى: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

و(معنى الآية: أنّه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشدّ العذاب، وأخبر أنّه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم)[1].

وأخبر سبحانه أنّه لكمال عزّته وتمام غناه, أنّه إذا عصاه خلقه سهل عليه أن يأتي بقوم آخرين مطيعين لله تعالى كما قال تعالى: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮋ [الأنعام: ٦].

فنبّه سبحانه (بقوله: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮋ على كمال عزّته واستغنائه, ونهاية قدرته واستعلائه كقوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮋ [فاطر: ١٦], فالبلاد بلاده والعباد عباده)[2].

وفي معنى الآية أيضا قوله تعالى: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮋ [الأنعام: ١٤].

فمعنى قوله وهو يطعم ولا يطعم, أي: يرزق ولا يرزق[3], وفي هذا دليل على استغنائه سبحانه عن خلقه, وعدم حاجته إليهم؛ لكمال عزّته, وتمام غناه عز وجل.

المسألة الرابعة: تنزهه سبحانه عن أن يُكْرِهه أحد على شيء.

من الأمور التي تقدح في كمال عزّة الله تعالى وكمال قوّته وقدرته, أن يكرهه أحد على شيء؛ لأنّ الإكراه على

---

1 () تفسير القرآن العظيم (7/425).
2 () غرائب القرآن ورغائب الفرقان (3/51).
3 () انظر: جامع البيان (11/284), ومعالم التنزيل (3/132).

شيء لا يكون إلاّ من الأقوى على الضّعيف, أو القويّ دونه, والله تعالى هو القويّ العزيز, الكبير العظيم, لا أقوى منه سبحانه, بل المخلوقات كلّها تحت قهره وقوته وعزّته, لذا نفى الله عزّ وجلّ عن نفسه على لسان رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يكون له مُكْرِه له من خلقه, ففي الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولنّ: اللّهم إن شئت فأعطني فإنّه لا مستكره له"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: "لا يقولنّ أحدكم: اللّهم اغفر لي إن شئت، اللّهم ارحمني إن شئت، ليعزم المسألة، فإنّه لا مُكرِهَ له"[2].

وسبب كراهة تعليق الدّعاء بالمشيئة, أنّ ذلك لا يتأتّى إلاّ على من يتوجّه عليه الإكراه, أمّا ربّ العالمين وخالق السّموات والأرضين, فإنّه منزّه عن ذلك كلّه لكمال عزّته وقوّته, ولأنّه فعّال لما يريد, وقال بعض أهل العلم إنّ سبب الكراهة أن ذلك مشعر بالاستغناء عن الله تعالى, وهذا خلاف لبّ العبادة وروحها الذي هو صدق اللّجوء إلى الله تعالى, والافتقار له, وهذا معارض لتوحيد الألوهيّة والربوبيّة.

قال النّووي رحمه الله: (قال العلماء: سبب كراهته أنّه لا يتحقق استعمال المشيئة إلاّ في حقّ من يتوجّه عليه الإكراه, والله تعالى منزّه عن ذلك, وهو معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم في آخر الحديث: "فإنّه لا مستكره له", وقيل سبب الكراهة أنّ في هذا اللّفظ صورة الاستعفاء على المطلوب والمطلوب منه)[3].

قال الشّيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله: (قوله: "فإنّه لا

---

1 () أخرجه البخاري, كتاب الدعوات, باب ليعزم المسألة فإنّه لا مكره له (8/74), رقم: 6338, ومسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت (4/2063), رقم: 2679.

2 () أخرجه البخاري, كتاب الدعوات, باب ليعزم المسألة فإنه لا مكره له (8/74), رقم: 6339.

3 () شرح النووي على مسلم (9/40).

مستكره لـه" فـإنّ تعليـق الـدّعاء بالمشـيئة يشـعر بـأنّ اللـه تعالى يعطي ما لا يريد، كمـا يحصـل لابن آدم، وهـذا لا يجـوز اعتقاده في الله.

والمقصود أنّه يحرم تعليق الدّعاء بالمشيئة لعلتين:

إحداهما: إشعار ذلـك باسـتغناء الـدّاعي عمّـا يـدعو، وهـو خلاف الواقع، وخلاف العبوديّة الواجبة على العبد.

والثّانية: إشعار ذلك بأنّ الله قد يعطي مـا يكـره عطـاءه، فيجب على العبـد أن يـدعو ربّـه بعـزم لا تـردد فيـه، وبرغبـة وإلحاح, وإظهار الافتقار والفاقة)[1].

والحديث يفيد عزم المسألة على الله تعالى, والجـزم في الدّعاء, والإلحاح فيه, وإظهار الفاقة إلى الله تعالى.

قـال النّـووي رحمـه اللـه: (قـال العلمـاء: عـزم المسـألة الشّـدّة في طلبهـا، والجـزم من غـير ضـعف في الطّلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها، وقيل: هو حسن الظّنّ بالله تعالى في الإجابة, ومعنى الحديث: استحباب الجزم في الطّلب)[2].

فالله تعالى يفعل ما شاء متى شـاء, وهـو سـبحانه فعّـال لمـا يريـد, لا يسـأل عمّـا يفعـل, ولا معقّب لحكمـه, ولا رادّ لقضائه سبحانه وتعالى, لكمال عظمته وعزّته وكبرياءه وقوّته جلّ وعلا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ﮋ   ﮊ [الأنبياء: ٢٣], وﮋﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [الحج: ١٨], وهذا ذكره الله إثباتا لقدرته لا نفيا لحكمته وعدله, بل بين سبحانه أنّه يفعل ما يشـاء, فلا أحـد يمكنـه أن يعارضه إذا شاء شيئا, بل هو قادر على فعل ما يشـاء, بخلاف المخلوق الذي يشاء أشياء كثيرة ولا يمكنـه أن يفعلهـا, ولهـذا قال النّبي صـلّى اللـه عليـه وسـلّم في الحـديث الصّـحيح: "لا يقــولنّ أحــدكم اللّهم اغفــر لي إن شــئت اللّهم ارحمــني إن شئت, فإنّ الله لا مكره له ولكن ليعزم المسألة", وذلـك أنّـه إنّما يقال: افعل كذا إن شئت لمن قد يفعلـه مُكْرَهـاً, فيفعـل ما لا يريد لدفع ضرر الإكراه عنه, والله تعالى لا مكره لـه, فلا

---

[1] () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/221-222).
[2] () شرح النووي على مسلم (9/40).

يفعل إلاّ ما يشاء, فقولــــه تعالـى: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮊ [الحج: ١٨], و ﮋ   ﯓ ﯔ ﮊ [آل عمران: ١٢٩] , ونحو ذلك, هو لإثبات قدرته على ما يشاء, وهذا ردّ لقول القدريّة النّفاة الذين يقولون: إنّه لم يشأ كلَّ ما كـان, بـل لا يشـاء إلاّ الطاعـة, ومـع هـذا فقـد شاءها, ولم تكن ممّن عصاه, وليس هو قادرا عندهم على أن يجعل العبد لا مطيعا ولا عاصيا)[1].

المسألة الخامسـة: تنزّهـه سـبحانه عن أن ينالـه أحد بسوء.

من الأمـور الـتي تـنزّه اللـه عنهـا لكمـال عزّتـه سـبحانه وقوّته, تنزّهه سـبحانه وتعـالى أن ينالـه أحـد بسـوء كائنـا من كان, وذلك لأنّ اللـه تعـالى هـو القـاهر لعبـاده, وهـو سـبحانه وتعالى لا غـالب لـه, فنفـي اللـه سـبحانه على لسـان رسـوله صـلّى اللـه عليـه وسـلّم أن يبلـغ أحـد من خلقـه ضـرّه, ففي حديث أبي ذرّ[2] رضـي اللـه عنـه عن النّـبي صـلّى اللـه عليـه وسلّم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنّـه قـال: "يـا عبـادي إنّي حــرمت الظّلم على نفســي، وجعلتــه بينكم محرمــا، فلا تظـالموا، يـا عبـادي كلّكم ضـالّ إلاّ من هديتـه، فاسـتهدوني أهدكم، يا عبادي كلّكم جـائع، إلاّ من أطعمتـه، فاسـتطعموني أطعمكم، يا عبـادي كلّكم عـار، إلاّ من كسـوته، فاستكسـوني أكسكم، يـا عبـادي إنّكم تخطئـون باللّيـل والنّهـار، وأنـا أغفـر الـذّنوب جميعـا، فاسـتغفروني أغفـر لكم، يـا عبـادي إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبــادي لـو أنّ أوّلكم وآخـركم وإنسـكم وجنّكم كـانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لـو أنّ أوّلكم وآخـركم وإنسـكم وجنّكم كـانوا على أفجـر قلب رجـل واحد، ما نقص ذلـك من ملكي شـيئا، يـا عبـادي لـو أنّ أوّلكم وآخـركم وإنسـكم وجنّكم قـاموا في صـعيد واحـد فسـألوني, فأعطيت كلّ إنسان مسألته، ما نقص ذلك ممّا عندي إلاّ كمــا

---

1 () مجموع الفتاوى (13/226).

2 () هو جندب بن جنادة بن سفيان أبو ذر الغفاري, مشهور بكنيتـه, كان إسلامه قديم, مات سنة ثنتين وثلاثين. انظر: معرفة الصـحابة لأبي نعيم (2/557), والاستيعاب (1/252).

ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنّما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إيّاها، فمن وجد خيرا، فليحمد الله, ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلاّ نفسه"[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأمّا قوله عزّ وجلّ: "يا عبادي إنّكم لن تبلغوا ضرّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ", فإنّه هو بيَّن بذلك أنّه ليس هو فيما يحسن به إليهم من إجابة الدّعوات وغفران الزّلات بالمستعيض بذلك منهم جلب منفعة, أو دفع مضرّة كما هي عادة المخلوق الذي يعطي غيره نفعا ليكافئه عليه بنفع أو يدفع عنه ضررا ليتقي بذلك ضرره فقال: "إنّكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ولن تبلغوا ضرّي فتضروني", فلست إذا أخصكم بهداية المستهدي, وكفاية المستكفي المستطعم والمستكسي بالذي أطلب أن تنفعوني, ولا أنا إذا غفرت خطاياكم باللّيل والنّهار أتّقي بذلك أن تضروني, فإنّكم لن تبلغوا نفعي فتنفعوني, ولن تبلغوا ضرّي فتضروني, إذ هم عاجزون عن ذلك, بل ما يقدرون عليه من الفعل لا يقدرون عليه إلاّ بتقديره وتدبيره, فكيف بما لا يقدرون عليه؟ فكيف بالغني الصّمد الذي يمتنع عليه أن يستحقّ من غيره نفعا أو ضرّا؟ وهذا الكلام كما بيّن أن ما يفعله بهم من جلب المنافع ودفع المضار, فإنّهم لن يبلغوا أن يفعلوا به مثل ذلك, فكذلك يتضمّن أن ما يأمرهم به من الطّاعات وما ينهاهم عنه من السّيئات, فإنّه لا يتضمّن استجلاب نفعهم كأمر السّيّد لعبده, أو الوالد لولده, والأمير لرعيته, ونحو ذلك, ولا دفع مضرّتهم: كنهي هؤلاء, أو غيرهم لبعض النّاس عن مضرّتهم, فإنّ المخلوقين يبلغ بعضهم نفع بعض, ومضرّة بعض, وكانوا في أمرهم ونهيهم قد يكونون كذلك, والخالق سبحانه مقدَّس عن ذلك, فبيّن تنزيهه عن لحوق نفعهم وضرّهم في إحسانه إليهم بما يكون من أفعاله بهم وأوامره لهم, قال قتادة: إنّ الله لم يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم, ولا نهاهم عمّا نهاهم عنه بُخْلاً به عليهم, ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عمّا

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب البر والصلة والآداب, باب تحريم الظلم (4/1994), رقم: 2577.

فيه فسادهم)[1].

فاللـه أجـلّ من أن يحتـاج إلى عبـاده لينفعـوه، أو يخـاف منهم أن يضرّوه, وإذا كان المخلوق العزيز لا يتمكّن غيره من قهره، فمن له العزّة جميعاً، وكـلّ عـزّة فمن عزّتـه أبعـد عن ذلك[2].

وكيـف ينـال بسـوء من أذى أو ضـرّ من هـو قـاهر لكـلّ مخلوقاته، وهو لا يخرج عن قهره وتصرّفه مخلوق[3].

المسألة السّادسة: تنزّهه سبحانه أن يسأله أحـد من خلقه عمّـا يفعـل, أو أن يتعقّبـه أحـد من خلقـه في حكمه.

من الأمور التي تقدح في كمال عزّة الله تعالى, وقدرتـه, وحكمته, وحكمه, وعدله سبحانه وتعالى, أن يُسْـأَل اللـه عمّـا يفعل, فلذلك نفى اللـه تعـالى عن نفسـه أن يسـأله أحـد من خلقه عمّا يفعل فقال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [الأنبياء: ٢٣], فالله تعالى لا يسأل عمّا يفعل (لعظمته وعزّتـه، وكمـال قدرتـه، لا يقدر أحد أن يمانعه أو يعارضـه، لا بقـول، ولا بفعـل، ولكمـال حكمته ووضعه الأشياء مواضعها، وإتقانهـا أحسـن كـلّ شـيء يقدّره العقل، فلا يتوجّه إليه سؤال؛ لأنّ خلقه ليس فيـه خلـل ولا إخلال, ﮋ ﮒ ﮊ , أي: المخلـوقين كلّهم ﮋ ﮓ ﮊ عن أفعـالهم وأقوالهم، لعجـزهم وفقـرهم، ولكـونهم عبيـدا، قـد اسـتحقّت أفعـالهم وحركـاتهم, فليس لهم من التّصـرّف والتّـدبير في أنفسهم، ولا في غيرهم، مثقال ذرّة)[4].

قال ابن كثير رحمه الله: (وقوله: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ أي: هو الحاكم الذي لا مُعقِّب لحكمه، ولا يعترض عليه أحد، لعظمتـه وجلاله وكبريائه، وعلوه وحكمته وعدلـه ولطفـه، ﮋ ﮒ ﮓ ﮊ أي: وهو سائل خلقه عمّا يعملون، كقولـه: ﮋ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ

---

[1] () مجموع الفتاوى (18/192-194).
[2] () انظر: النبوات (1/443).
[3] () تيسير الكريم الرحمن (ص926).
[4] () المصدر نفسه (ص521).

[الحجر: ٩٢-٩٣]، وهذا كقوله تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [المؤمنون: ٨٨])[1].

كــذلك من كمــال عزّتــه ســبحانه وتعــالى أنّــه لا معقب لحكمه, فقال سبحانه وتعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [الرعد: ٤١].

والحكم في قولــه: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ (يــدخل في هــذا حكمــه الشّرعيّ والقدريّ والجزائيّ, فهـذه الأحكـام الـتي يحكم اللـه فيها، توجد في غاية الحكمة والإتقـان، لا خلـل فيهـا ولا نقص، بل هي مبنيّة على القسط والعدل والحمد، فلا يتعقّبها أحد ولا سـبيل إلى القـدح فيهـا، بخلاف حكم غـيره. فإنّـه قـد يوافـق الصّـواب, وقـد لا يوافقـه)[2], و(اللـه هـو الـذي يحكم فينفـذ حكمه، ويقضي فيمضـي قضـاؤه، وإذا جـاء هـؤلاء المشـركين باللـه من أهـل مكّـة, حُكْم اللـه وقضـاؤه لم يسـتطيعوا ردَّه, ويعـني بقولـه: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ: لا رادّ لحكمـه، والمعقّب في كلام العـرب هـو: الـذي يَكِـرُّ[3] على الشّـيء)[4], والآيــة الكريمــة أفــادت (نفي جنس المعقّب انتفاء كلّ ما من شأنـه أن يكون معقّبـا من شريك, أو شـفيع, أو داع, أو راغب, أو مستعصـم, أو مفتــد. والمعقّب: الــذي يعقب عملا فيبطلــه، مشــتقّ من العقب، وهو استعارة غلبت حتّى صـارت حقيقـة, وتقـدّم عنـد قوله تعالى: ﮋ ﮚ ﮛ ﮊ [الرعد: ١١] في هذه السّورة، كأنّه يجيء عقب الذي كان عمل العمل)[5].

فالله جلّ وعلا هو (المتصـرّف في خلقـه بمـا يشـاء، فلـه الخلق والأمر وهو المتصرّف، فكما خلقهم كما يشاء، ويســعد من يشاء، ويشقي من يشـاء، ويصـحّ من يشـاء، ويمـرض من يشاء، ويوفّق من يشـاء، ويخـذل من يشـاء، كـذلك يحكم في عباده بما يشاء، فيحلّ ما يشـاء، ويحـرّم مـا يشـاء، ويـبيح مـا يشاء، ويحظر مـا يشـاء، وهـو الـذي يحكم مـا يريـد لا معقّب

---

1 () تفسير القرآن العظيم (5/337).
2 () تيسير الكريم الرحمن (ص420).
3 () الكـرُّ: مصـدر كَرَّ يكِـرُّ كـراًّ, وهـو الرجـوع على الشـيء، ومنـه التكرار. انظر: تهذيب اللّغة (9/327).
4 () جامع البيان (16/498).
5 () التحرير والتنوير (12/209).

لحكمه, ولا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون)[1].

المسألة السّابعة: تنزّهه سبحانه أن يخاف من أحد تبعة.

من الأمور التي نـزّه الله تعالى عنها نفسه, تنزّهه من خوفه من عاقبة أفعاله جلّ وعلا, ممّا فعله من إهلاك أعدائه, والانتقام منهم, وبطشه بهم؛ لأنّ الخوف يتضمّن نقص القوّة والعزّة والقدرة والعلم والإرادة, فلذلك نفى الله عن نفسه ذلك لإثبات كمال عزّته المتضمّنة كمال القوّة والقدرة, فقال تعالى: ﴿ گ گ گ ﴾ [الشمس: ١٥] بعد قوله عمّا فعل بهم من العذاب: ﴿ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﴾ [الشمس: ١٤], ونقل ابن كثير رحمه الله قولين في تفسير الآية فقال: قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تَبِعَةً, وكذا قال مجاهد[2], والحسن, وبكر بن عبد الله المزني[3], وغيرهم.

وقال الضّحاك[4] والسّدي[5]: ﴿ گ گ گ ﴾, أي: لم يخف

---

[1] () تفسير القرآن العظيم (1/378).

[2] () هو مجاهد بن جبر المكي أبو الحجاج المخزومي المقرئ مولى السائب بن أبي السائب, تابعي ثقة, روى عن علي والعبادلة الأربعة وأبي سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة وأبي هريرة وعدّة من الصحابة, مات سنة اثنتين أو ثلاث ومائة وهو ساجد. انظر: الطبقات الكبرى (6/19), والثقات للعجلي (ص420).

[3] () هو بكر بن عبد الله المزني البصري أحد الأعلام, كان ثبتا كثير الحديث حجة فقيها, مع الورع والتقوى والصلاح, روى عن ابن عباس وابن عمر وأنس وجماعة وروى له أصحاب الكتب الستة, مات سنة ست ومائة. انظر: الوافي بالوفيات (10/130), والعبر في خبر من غبر (1/24).

[4] () هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم وقيل أبو محمد البلخي, كان ممن عنى بعلم القرآن عناية شديدة مع لزوم الورع, وكان يعلم الصبيان فلا يأخذ منهم شيئا, إنما يحتسب في تعليمهم, لم يسمع أحد من الصحابة, وإنّما لقي سعيد بن جبير بالرّي فأخذ عنه التفسير, مات سنة خمس ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (6/302), ومشاهير علماء الأمصار (ص308).

[5] () هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة، أبو محمد السدي الكبير الحجازي، ثم الكوفي الأعور المفسّر, كان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة فسمّي السدي, صدوق يهم رمي بالتشيّع,

الــذي عقرهــا عاقبــة مــا صــنع, والقــول الأوّل أولى؛ لدلالــة السّياق عليه، والله أعلم[1].

قال ابن القيم رحمه الله: (فنفى عن نفسه خـوف عاقبـة مـا فعلـه من إهلاك أعدائـه, بخلاف المخلـوق, فإنّـه إذا انتقم من عدوه يخاف عاقبة ذلك, إمّا من الله, وإمّا من المنتصرين لعدوه, وذلك على الله محال, والخوف يتضـمّن نقصـان العلم والقدرة والإرادة, فإنّ العالم بـأنّ الشّـيء لا يكـون لا يخافـه, والعالم بأنّه يكون ولا بد قـد يئس من النّجـاة منـه فلا يخـاف, وإن خاف فخوفه دون خوف الرّاجي, وأمّا نقص القدرة؛ فلأنّ الخائف من الشّيء هو الذي لا يمكنـه دفعـه عن نفسـه, فـإذا تيقّن أنّه قـادر على دفعـه لم يخفـه, وأمّـا نقص الإرادة؛ فلأنّ الخائف يحصل له الخوف بدون مشيئته واختياره, وذلك محال في حقِّ مَن هو بكلّ شيء عليم, وعلى كلّ شيء قـدير, ومن لا يكون شيء إلاّ بمشيئته وإرادته, فما شاء كان ومـا لم يشـأ لم يكن, وهذا لا ينافي كراهته سـبحانه وبغضـه وغضـبه, فـإنّ هذه الصّفات لا تستلزم نقصا لا في علمه, ولا في قدرتـه, ولا في إرادتــه, بــل هي كمــال؛ لأنّ ســببها العلم بقبح المكــروه المبغوض المغضوب عليه, وكلّما كان العلم بحالـه أهم كـانت كراهته وبغضه أقوى؛ ولهذا يشتدّ غضبه سبحانه على من قتل نبيَّه أو قتله نبيُّه[2])[3].

مات سنة سبع وعشرين ومائـة. انظـر: تـاريخ الإسـلام (3/371), وتهذيب الكمال (3/134).

[1] () تفسير القرآن العظيم (8/415).

[2] () لعله يشـير إلى حـديث النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: "اشـتد غضب الله على رجل يقتله رسول اللـه في سـبيل اللـه", أخرجـه البخاري, كتاب المغـازي, بـاب مـا أصـاب النـبي صـلى اللـه عليـه وسلم من الجراح يوم أحد (5/101), رقم: 4073, ومسلم, كتاب الجهاد والسير, باب اشتداد غضب الله على من قتله رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم (3/1417), رقم: 1793.

[3] () الصواعق المرسلة (4/1445).

المسألة الثّامنة: تنزّهه سبحانه أن يعجزه شيء, وعن اللّغوب وما في معناه

من الأمور التي تنافي كمال عزّة الله تعالى وصفه سبحانه بأنّه يعجزه شيء, أو وصفه باللّغوب وما في معناه من تعب وإعياء وكلل واكتراث؛ لأنّ كلّ هذه الصّفات تنافي كمال عزّة الله تعالى المتضمّنة تمام القدرة وكمال القوّة, ولهذا نفى الله سبحانه وتعالى عن نفسه المقدّسة كلّ هذه الصّفات التي لا تليق بكماله المقدّس.

فنفى الله تعالى عن نفسه أن يعجزه أحد من خلقه, أو شيء في السّموات والأرض في عدّة مواضع من كتابه العزيز, فقال تعالى: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [فاطر: ٤٤].

وقال أيضا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [التوبة: ٢], وقال أيضا: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ [التوبة:٣].

وقال أيضا: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الأنعام: ١٣٤].

وقال أيضا: ﮋ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [هود: ٣٣].

وقال أيضا: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮊ [النحل: ٤٥ – ٤٦].

وقال أيضا: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [العنكبوت: ٢٢].

وقال أيضا: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [الزمر: ٥١].

وقال أيضا: ﮋ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ [الشورى:٣١].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير قوله: ﮋ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ (يقول: وما أنتم أيّها النّاس بِمُفِيتِي ربّكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها، ومعصيتكم إيّاه التي ركبتموها هربا في الأرض فمعجزيه حتّى لا يقدر عليكم، ولكنّكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته)[1].

---

[1] () جامع البيان (21/539-540).

وقال ابن كثير رحمه الله في قوله تعالى: ﮋﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﮊ : (أي: لا يعجزه أحد من أهل سماواته وأرضه، بل هو القاهر فوق عباده، وكلّ شيء خائف منه، فقير إليه، وهو الغني عمّا سواه)[1].

وفي هذه الآيات تخويف الله تعالى للكفّار وأهل المعاصي والفجور حتّى يرجعوا إلى الله تعالى ويتّقوا الله تعالى, فإنّ الله تعالى لا يعجزه شيء عن عقابهم في الدّنيا, وبعث أجسادهم يوم القيامة للحساب والعذاب.

يقول السّعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [النحل: ٤٥ – ٤٧].

(هذا تخويف من الله تعالى لأهل الكفر والتّكذيب وأنواع المعاصي، من أن يأخذهم بالعذاب على غِرَّة وهم لا يشعرون، إمّا أن يأخذهم العذاب من فوقهم، أو من أسفل منهم بالخسف وغيره، وإمّا في حال تقلّبهم وشغلهم وعدم خطور العذاب ببالهم، وإمّا في حال تخوّفهم من العذاب، فليسوا بمعجزين لله في حالة من هذه الأحوال، بل هم تحت قبضته ونواصيهم بيده, ولكنّه رؤوف رحيم لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يمهلهم ويعافيهم ويرزقهم وهم يؤذونه ويؤذون أولياءه، ومع هذا يفتح لهم أبواب التّوبة، ويدعوهم إلى الإقلاع من السّيئات التي تضرّهم، ويَعِدُهم بذلك أفضل الكرامات، ومغفرة ما صدر منهم من الذّنوب، فليستح المجرم من ربّه أن تكون نعم الله عليه نازلة في جميع اللّحظات, ومعاصيه صاعدة إلى ربّه في كلّ الأوقات، وليعلم أنّ الله يمهل ولا يهمل, وأنّه إذا أخذ العاصي أَخَذَهُ أَخْذَ عزيز مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه فإنّه رؤوف رحيم, فالبدار البدار إلى رحمته الواسعة, وبرّه العميم, وسلوك الطّرق الموصلة إلى فضل الرّبّ الرّحيم، ألاّ وهي تقواه والعمل بما يحبّه ويرضاه)[2].

ونفى الله عن نفسه اللّغوب فقال تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ

---

1 () تفسير القرآن العظيم (6/271).

2 () تيسير الكريم الرحمن (ص441-442).

ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [ق: ٣٨], (أي: إعياء ونصب، وهو ردّ لما قالته اليهود أنّ الله تعالى خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام واستراح يوم السّبت)[1], وأيضا فإنّ تنزيهه سبحانه نفسه عن مس اللّغوب, الذي هو التّعب والاعياء, دالّ على كمال القدرة, ونهاية القوّة, اللّتان هما من معاني عزّة الله تعالى, بخلاف المخلوق الذي يلحقه من التّعب والكلل ما يلحقه[2].

ونفى الله تعالى عن نفسه التّعب والإعياء, فقال سبحانه: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [الأحقاف: ٣٣].

و(هذا استدلال منه تعالى على الإعادة بعد الموت بما هو أبلغ منها، وهو أنّه الذي خلق السّماوات والأرض على عظمهما وسعتهما وإتقان خلقهما من دون أن يكترث بذلك, ولم يعي بخلقهن, فكيف تعجزه إعادتكم بعد موتكم, وهو على كلّ شيء قدير[3]), وأيضا تكذيبا لمقالة اليهود كما قال (قتادة: قالت اليهود –عليهم لعائن الله-: خلق الله السّموات والأرض في ستّة أيّام، ثم استراح في اليوم السّابع، وهو يوم السّبت، وهم يسمّونه يوم الرّاحة، فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأوّلوه: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ, أي: من إعياء ولا نصب ولا تعب، كما قال في الآية الأخرى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [الأحقاف: ٣٣]، وكما قال: ﮋ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ [غافر: ٥٧], وقال: ﮋ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [النازعات: ٢٧])[4].

وقال أيضا: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ [ق: ١٥].

ونفى الله تعالى عن نفسه أن يثقله ويكرثه حفظ السّموات والأرض, وما فيهما, وما بينهما فقال جلّ شأنه: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [البقرة: ٥٥].

فلكمال عزّته سبحانه وتعالى المتضمّنة كمال القوّة وتمام القدرة (لا يثقله ولا يكرثه حفظ السّموات والأرض ومن فيهما ومن بينهما، بل ذلك سهلٌ عليه, يسير لديه, وهو

---

1. () تفسير السمعاني (5/247).
2. () انظر: الرسالة التدمرية (ص26), ومنهاج السنة النبوية (2/183), ومحاسن التأويل (8/357).
3. () تيسير الكريم الرحمن (ص783).
4. () تفسير القرآن العظيم (7/409).

القائم على كلّ نفس بما كسبت، الرّقيب على جميع الأشياء، فلا يعـزب عنـه شـيء, ولا يغيب عنـه شـيء, والأشـياء كلّهـا حقيرة بين يديه, متواضعة ذليلة صغيرة بالنّسبة إليه، محتاجـة فقيرة وهو الغني الحميد, الفعال لما يريد، الذي لا يسأل عمّـا يفعل وهم يسألون, وهو القاهر لكلّ شيء, الحسيب على كلّ شيء, الرّقيب العليّ العظيم لا إله غيره ولا ربّ سواه)[1].

وجاءت هذه الآيات الكريمـات بـالنّفي المفصـل, كمـا في الآيــات الــتي نفت عن اللــه تعــالى أن يعجــزه شــيء في السّماوات والأرض, أو أن يعجزه أحد من خلقـه؛ لـدفع تـوهم أن أحــدا من خلقــه يعجــزه أو يفلت من قبضــته وعقوبتــه, وكـذلك الآيـات الـتي نفت عن اللـه تعـالى اللّغـوب والإعيـاء والكلل, كلّ ذلك لـدفع تـوهم أنّ اللـه تعـالى تعب من خلقهـا واستراح يوم السّبت كم توهمت ذلك اليهود, أو أن الله تعالى يلحقه التّعب والإعياء, أو أن الله تعالى ليس بقـادر على بعث الأجساد يوم القيامة من القبور للحساب والجزاء, كما توهّمـه المشركون[2], وتكذيب ما ادّعاه المفترون في حقّ الله تعالى من التّعب واللّغوب, وتقريرا لكمـال عـزّة اللـه تعـالى وتمـام غناه, وأيضا توضيحا لصفة العزّة للـه تعـالى وتوكيـدا لمعانيهـا من قوّة وقدرة وقهر وغنى, فلهذه الأسباب جاء النّفي مفصلا في هذه الآيات الكريمات؛ لأنّ النّفي لا يـرد في صـفات اللـه تعالى إلاّ على سـبيل الإجمـال والعمـوم, ولا يـرد على سـبيل الخصوص, أو على سـبيل التّفصـيل إلاّ لسـبب معين[3] بخلاف الإثبات في صفات الله تعالى, فإنّه يرد على سبيل التّفصــيل؛ لأنّه أبلغ في المدح, وهذه هي طريقة القرآن الذي أنزل على سـيّدنا محمّــد صــلّى اللــه عليــه وســلّم, وطريقــة الأنبيــاء

---

[1] () المصدر نفسه (1/682).

[2] () انظــر: جــامع البيــان (22/142), وتفســير القــرآن العظيم (5/123), وتيسير الكريم الرحمن (ص783).

[3] () انظر: تقريب التدمرية (ص18-19), والقواعد المثلى (ص25), ورســالة الماجســتير: التســبيح في الكتــاب والســنة والــرد على المفاهيم الخاطئـة فيـه لمحمـد بن اسـحاق كنـدو (2/134-147), ورسالة الماجسـتير: النفي في بـاب الصـفات لأرزقي سـعيداني (113-119).

والمرسلين عليهم الصّلاة والسّلام.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وطريقة الرّسل هي ما جاء بها القرآن, والله تعالى في القرآن يثبت الصّفات على وجه التّفصيل وينفي عنه على طريق الإجمال التّشبيه والتّمثيل, فهو في القرآن يخبر أنّه بكلّ شيء عليم, وعلى كلّ شيء قدير, وأنّه عزيز حكيم, غفور رحيم, وأنّه سميع بصير, وأنّه غفور ودود, وأنّه تعالى على عظم ذاته يحبّ المؤمنين, ويرضى عنهم, ويغضب على الكفّار ويسخط عليهم, وأنّه خلق السّموات والأرض في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش, وأنّه كلّم موسى تكليما, وأنّه تجلى للجبل فجعله دكّا؛ وأمثال ذلك, ويقول في النّفي: ﴿ٹ ٹ ٹ﴾ [الشورى: ١١] , ﴿ پ پ پ پ﴾ [مريم: ٦٥], ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ [النحل: ٧٤], ﴿ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ پ پ پ پ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ﴾ [الإخلاص: ١ – ٤] فيثبت الصّفات وينفي مماثلة المخلوقات)[1].

فتبين مما سبق أنّ الله سبحانه منزّه عن النقص في عزّته, فتنزّه عن اتخاذ الولي من الذل, وتنزّه عن الظهير والمعين والشريك, وتنزّه أن يناله أحد بسوء, وتنزّه أن يسأله أحد عما يفعل, أو أن يتعقبه أحد في حكمه, أو أن يخاف من عواقب الأمور, وتنزّه أن يعجزه شيء, وعن اللغوب وما في معناه, وعن حاجته إلى خلقه, وعن أن يكرهه أحد على شيء, كلّ ذلك لكمال عزّته سبحانه.

---

[1] () مجموع الفتاوى (6/37) وانظر: الصفدية (1/103), ومدارج السالكين (3/328).

المطلب السّادس:
معنى كون العزّة إزارا لله عزّ وجلّ

من المسائل العقدية المتعلقـة بصـفة العـزّة مـا جـاء في إضافة الإزار إليها والرّوايات الثّابتة في ذلك هي:

مـا ثبت عن أبي سـعيد الخـدري وأبي هريـرة رضـي اللـه عنهما قالا: قال رسـول اللـه صـلّى اللـه عليـه وسـلّم: "العـزّ إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذّبْتُه"[1].

وعن أبي هريرة رضي اللـه عنـه قـال: قـال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: "قال اللـه عـزّ وجلّ: الكبريـاء ردائي، والعزّة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، ألْقِه في النّار"[2].

قال الخطابيّ رحمـه اللـه: (معـنى الحـديث: أنّ الكبريـاء والعظمـة صـفتان للـه سـبحانه، اختصّ بهمـا لا يشـركه أحـد فيهما، ولا ينبغي لمخلـوق أن يتعاطاهمـا؛ لأنّ صـفة المخلـوق التّواضع والتّذلل، وضرب الرّداء والإزار مثلاً في ذلك, يقـول - والله أعلم -: كمـا لا يشـرك الإنسـان في ردائـه وإزاره أحـدٌ، فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق, والله أعلم)[3].

وقال الشّيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله: (ووصـف اللـه تعـالى بـأنّ العظمـة إزاره، والكبريـاء رداؤه، كسـائر صـفاته، تثبت على مـا يليـق بـه، ويجب أن يـؤمن بهـا على مـا أفـاده النّص دون تحريف ولا تعطيل)[4].

وتعقّب شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه كلام الخطـابّي في معرض ردّه على الرّازي في إنكاره للرّداء والإزار فقال:

(فصل قال الرّازي الوجه التّاسـع: قـال صـلّى اللـه عليـه

---

1 () تقدّم تخريجه (ص175), و(ص256).

2 () أخرجـه أحمـد (12/337), رقم: 7382, والحـديث صـحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 541, وانظر: (ص175).

3 () معالم السنن (4/196), وانظر: فتـاوى للجنـة الدائمـة, فتـوى رقم (19346), (2/400).

4 () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (2/138).

وسلّم: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري, والعاقل لا يثبت لله تعالى إزارًا ورداء.

فيقال: هذا الحديث في الصحيح رواه مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله عز وجل: العظمة إزاري والكبرياء ردائي, فمن نازعني واحدا منهما عذّبته"[1], وقد ورد أيضا: "سبحان من تقمّص بالعزّ ولاق به"[2], وليس ظاهر هذا الحديث أنّ لله إزارا ورداء من جنس الأزر والأردية التي يلبسها النّاس, ممّا يصنع من جلود الأنعام والثّياب, كالقطن والكتان, بل الحديث نصّ في نفي هذا المعنى الفاسد, فإنّه لو قال عن بعض العباد: إنّ العظمة إزاره والكبرياء رداؤه لكان إخباره بذلك عن العظمة والكبرياء اللّذين ليسا من جنس ما على ظهور الأنعام, ولا من جنس الثّياب ما يبيّن ويظهر أنّه ليس المعنى أن العظمة والكبرياء هما إزار ورداء بهذا المعنى, فإذا كان المعنى الفاسد لا يظهر من وصف المخلوق بذلك, لأنّ تركيب اللّفظ يمنع ذلك, ويبيّن المعنى الحقّ, فكيف يدعي أن هذا المعنى ظاهر اللّفظ في حقّ الله تعالى, الذي يعلم كلّ مخاطب أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لم يخبر عنه بلبس الأكسية, وثياب القطن, والكتّان التي يحتاج إليها لدفع الحر والبرد وستر العورة, وهذا أقبح ممّن يزعم أنّ قوله: إنّ خالدا سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين, أنّ ظاهره أنّ خالدا من حديد, وأقبح ممّن يزعم أنّ قوله عن الفرس: إن وجدناه لبحراً ظاهره أنّ الفرس ماء كثير, ونظائر هذا كثيرة.

وإذا كان هذا المعنى الفاسد ليس ظاهر الحديث, بل نصّ الحديث الذي هو أبلغ من مجرّد الظّاهر ينافيه, كان ما ذكره باطلا, يبقى أن يقال: فالتّعبير عن هاتين الصّفتين بإضافة الرّداء والإزار إليه, فهذا لا يحتاج إليه في ردّ ما قال, لكن فيه زيادة الفائدة, وقد قال الخطابيّ وغيره: إنّ المعنى أنّي مختصّ بهاتين الصّفتين كاختصاص المؤتزر المرتدي بإزاره وردائه, فلا يصلح أن أنازع فيهما.

---

[1] () تقدّم تخريجه.

[2] () لم أجد من أخرجه.

وهذا كلام مجمل, وبسط ذلك يحتاج إلى أن يعرف أن جنس اللّباس في كلّ ما يضاف بحسبه, فبنو آدم يذكر لهم اللّباس الذي على أبدانهم الذي يقيهم الحرّ والبرد والسّلاح ويستر عوراتهم, وهو المذكور في قوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ [الأعراف: ٢٦], ثم الصّفات التي تقوم بالإنسان التي هي لباس له بها يكون من المتقين كما قال: ﮋ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮊ [الأعراف: ٢٦], وليس قوله: ﮋ ﮅ ﮆ ﮊ ممّا يقال فيه: أنّه خلاف الظّاهر فيحتاج إلى تأويل, فإنّه لم يجرّد لفظ اللّباس بل أضافه إلى التّقوى, وهذا قد يعمّ اللّباس الظّاهر الذي يتقى به, والأخلاق, والأعمال الصّالحة, ولهذا تجعل هذه الصّفات ظرفا للموصوف, كما قد يجعل هو محلاً لها فيقال: فلان في علمه وحكمه وصدقه وعدله من خيار النّاس, ولباس الإنسان منه ما لا يصلح مشاركة غيره فيه كالإزار والرّداء والسّراويل ونحو ذلك, بل مشاركة الإنسان فيه يوجب له من النّقص والضّرر ما يدعوه على أن يمنع طالب الشّركة في ذلك, والكبرياء والعظمة لا تصلح إلاّ لله ربّ العالمين, الرّبّ الخالق الباري الغني الصّمد القيّوم, دون العبد المخلوق الفقير المحتاج, والكبرياء فوق العظمة كما جعل ذلك رداء وهذا إزارا, ولهذا كان المشروع في العبادات الله أكبر دون الله أعظم, وذلك في الصّلاة, والأذان, والأعياد, والمناسك, وعلى الأشراف, حتّى لو قال المؤذن: الله أعظم, أو الله الكبير, أو الله الأكبر, لكان قد بدّل شريعة الإسلام عند جميع المسلمين, وكان ذلك ممّا ينكره المسلمون كلّهم, وكذلك إمام الصّلاة لو جعل يقول: الله أعظم بدل الله أكبر, أو قال الله الكبير, أو قال الله الأكبر, لكان المسلمون يتبادرون إلى إنكار ذلك, ومن جوَّز من الفقهاء ذلك فهو قول يقوله, فلو ظهر ذلك إلى العمل وشاع بين المسلمين كان هو من أعظم النّاس إنكارا لذلك, لكن بين تقدير العمل وبين وقوعه في الخارج فروق عظيمة, وهما مع أنّهما لا يصلحان إلاّ لله فيمتنع وجود ذاته بدونهما, بحيث لو قدر عدم ذلك للزم تقدير المحذور الممتنع من النّقص والعيب في ذات الله, فكان وجودهما من لوازم ذاته, وكمالها التي لا ينبغي أن تعرى الذّات وتجرَّد عنها, كما أنّ العبد لو تجرّد عن اللّباس لحصل

له من النّقص والعيب بحسب حاله ما يوجب أن يحصل له لباسا.

وأيضًا فاللّباس يحجب الغير عن المشاهدة لبواطن اللّابس وملامستها, وكبرياء الله, وعظمته تمنع العباد من إدراك البصر له, ونحو ذلك كما في الحديث الصّحيح الذي في صحيح مسلم عن أبي موسى عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "جنّات الفردوس أربع, ثنتان من ذهب, آنيتهما وحليتهما وما فيهما, وثنتان من فضّة آنيتهما وحليتهما وما فيهما, وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن"[1].

فهذا الرّداء الحاجب الذي قد يكشفه لهم فينظرون إليه سمّاه رداء الكبرياء, فكيف ما يمنع من إدراكه وإحاطته, أليس هو أحقّ بأن يكون من صفة الكبرياء)[2].

فالإزار والرّداء صفتان لله تعالى, تليقان بجلاله وعظمته, ومعنى الإزار هو نفس صفة العزّة لله تعالى, والرّداء هو نفس صفة الكبرياء لله تعالى, وبهما حجب الله ذاته, فالإزار والرّداء هذان اسمان لما يحجب رؤية الرّائي إلى صفات المرئي, ويدلّ لهذا ما قاله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الآخر: "جنّات الفردوس أربع, ثنتان من ذهب, آنيتهما وحليتهما وما فيهما, وثنتان من فضّة آنيتهما وحليتهما وما فيهما, وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلاّ رداء الكبرياء على وجهه في جنّة عدن"[3].

فدلّ على أنّ الكبرياء هو الرّداء، فالذي حجب رؤية الرّائين إلى صفة الرّبّ جلّ وعلا إلى وجهه الكريم هو الرّداء، وكذلك العزّة هي الإزار والله أعلم.

يقول ابن القيّم رحمه الله وهو يتحدّث عن جمال الله تعالى: (وأمّا جمال الذّات, وما هو عليه فأمر لا يدركه سواه,

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (1/163), رقم: 296.

[2] () بيان تلبيس الجهمية (6/272-277), وانظر: مجموع الفتاوى (10/196).

[3] () تقدّم تخريجه (ص300).

ولا يعلمه غيره, وليس عند المخلوقين منه إلاّ تعريفات تعرَّف بها إلى من أكرمه من عباده, فإنّ ذلك الجمال مَصُونٌ عن الأغيار, محجوب بستر الرّداء والإزار, كما قال رسوله فيما يحكي عنه: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري"[1], ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحقّ باسم الرّداء, فإنّه سبحانه الكبير المتعال, فهو سبحانه العليّ العظيم, قال ابن عباس: حجب الذّات بالصّفات, وحجب الصّفات بالأفعال, فما ظنّك بجمال حجب بأوصاف الكمال, وستر بنعوت العظمة والجلال)[2].

---

1 () تقدّم تخريجه (ص175).
2 () الفوائد (172).

المطلب السّابع:
مظاهر عزّة الله تعالى

لكل صفة من صفات الله تعالى مظاهر هي بمثابة الدلائل عليها, فمثلا: صفة الرحمة لها مظاهرها من العفو على المسيء, والإمهال بالعقوبة على العصاة, ورحمة الوحش على ولدها, وكذلك صفة العظمة لها مظاهرها من عظمة خلق الله تعالى, وعظمة شرعه, وكذلك صفة العزّة لها مظاهرها التي سيبين الباحث بعضها بإذن الله في النقاط التالية:

1- من مظاهر عزّة الله تعالى عزّة كلامه سبحانه:

من مظاهر عزّة الله تعالى عزّة كلامه جلّ وعلا؛ ولهذا وصف الله تعالى كتابه بأنّه عزيز كما قال تعالى: ﮋﮉ ﮊ ﮋ ﮌﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

وقد تنوّعت عبارات أهل العلم بالتّفسير في معنى قوله تعالى: ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮊ بين قائل: إنّه منيع من الشّيطان, وإنّه كريم على الله تعالى, وإنّه كلام الله غير مخلوق, وإنّه عديم المثل والنّظير, وإنّه محفوظ من التّبديل والتّغيير, وإنّه غالب وقاهر لما سواه من الكتب؛ لأنّه ناسخ لها, وغالب لبلغاء العرب أن يأتوا بمثله, وغالب بحججه ومعانيه لمن أراد معارضته.

قال ابن جرير رحمه الله: (وقوله: ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮊ يقول تعالى ذكره: وإنّ هذا الذّكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إيّاه، وحفظه من كلّ من أراد له تبديلا أو تحريفا، أو تغييرا، من إنسيّ وجنيّ وشيطان مارد.

قال قتادة قوله: ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮊ يقول: أعزّه الله لأنّه كلامه، وحفظه من الباطل.

وعن السّدي ﮋﮤ ﮥ ﮦ ﮊ قال: عزيز من الشّيطان)[1].

---

[1] () جامع البيان (21/479).

قال أبو حيان[1] رحمه الله: (وعزّته كونه عديم النّظير لما احتوى عليه من الإعجاز الذي لا يوجد في غيره من الكتب، أو غالب ناسخ لسائر الكتب والشّرائع.

وقال ابن عباس: عزيز كريم على الله تعالى.

وقال مقاتل: ممتنع من الشّيطان.

وقال السّدي: غير مخلوق.

وقيل: وصف بالعزّة لأنّه لصحة معانيه ممتنع الطّعن فيه والإزراء عليه، وهو محفوظ من الله)[2].

أمّا قوله: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [فصلت: ٤١ – ٤٢], فلذلك وجوه هي:

الأوّل: لا تكذبه الكتب المتقدّمة كالتّوراة والإنجيل والزّبور، ولا يجيء كتاب من بعده يكذّبه.

الثّاني: ما حكم القرآن بكونه حقّا لا يصير باطلا، وما حكم بكونه باطلا لا يصير حقّا.

الثّالث: معناه أنّه محفوظ من أن ينقص منه, فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه, فيأتيه الباطل من خلفه, والدّليل عليه قوله: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [الحجر: ٩] فعل هذا الباطل هو الزّيادة والنّقصان.

الرّابع: يحتمل أن يكون المراد أنّه لا يوجد في المستقبل كتاب يمكن جعله معارضا له, ولم يوجد فيما تقدّم كتاب يصلح جعله معارضا له.

الخامس: أنّ الباطل لا يتطرّق إليه، ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتّى يتّصل إليه[3].

---

[1] () هو محمد بن يوسف بن علي أبو حيّان أثير الدين النّفزي الأندلسي الجيّاني الأصل, الغرناطي المولد, والمنشأ المصري, نحويّ, لغويّ, مفسر, محدث, مقرئ, ومؤرخ, أديب, صاحب البحر المحيط في التفسير, وشرح التسهيل, والارتشاف, وغيرها, مات سنة خمس وأربعين وسبعمائة. انظر: الوافي بالوفيات (5/175), طبقات الشافعية الكبرى (9/276).

[2] () البحر المحيط (9/310), وانظر: المحرر الوجيز (5/19).

[3] () انظر: مفاتيح الغيب (27/568), بتصرّف يسير.

وعزّة كتاب الله تعالى تظهر في أمور هي:

- أنّ القرآن كلام العزيز المتّصف بصفة العزّة, فكلامه أيضا عزيز لعزّة قائله.

قال قتادة قوله: ﮋﮑ ﮒ ﮓ ﮊ يقول: أعزّه الله لأنّه كلامه، وحفظه من الباطل[1].

فالقرآن كلام الله غير مخلوق, بل هو صفة لله تعالى؛ وذلك لأنّ المخلوق ذليل لخالقه, وكلام ربّ العالمين غير مخلوق فهو عزيز, كما قال تعالى: ﮋﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [فصلت: ٤١].

ناظر ابن سحون شيخا معتزليّا، فقال: يا شيخ! المخلوق يذلّ لخالقه؟ فسكت، فقال: إن قلت بالذّلة على القرآن، فقد خالفت قوله تعالى: ﮋﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [فصلت: ٤١] [2].

- ومن عزّة القرآن أنّه لا يوجد كتاب مثله لا في القديم ولا في الحديث ولا في المستقبل.

قال أبو حيّان رحمه الله: (وعزّته كونه عديم النّظير لما احتوى عليه من الإعجاز الذي لا يوجد في غيره من الكتب)[3].

قال الرّازي: (ﮋﮑ ﮒ ﮓ ﮊ والعزيز له معنيان:

أحدهما: الغالب القاهر.

والثّاني: الذي لا يوجد نظيره، أمّا كون القرآن عزيزا بمعنى كونه غالبا، فالأمر كذلك لأنّه بقوّة حجته غلب على كل ما سواه، وأما كونه عزيزا بمعنى عديم النظير، فالأمر كذلك لأنّ الأولين والآخرين عجزوا عن معارضته)[4].

وقال ابن كثير رحمه الله: (أي: منيع الجناب، لا يرام أن يأتي أحد بمثله)[5].

- ومن عزّته هيمنته على الكتب التي أنزلت قبله, وذلك

---

1 () جامع البيان (21/479).
2 () سير أعلام النّبلاء (13/60).
3 () البحر المحيط (9/310).
4 () مفاتيح الغيب (27/568).
5 () تفسير القرآن العظيم (7/183).

أنّه ناسخ لها, وما شهد بقبوله فهو المقبـول, ومـا شـهد بـردّه فهو المردود كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [المائدة: ٤٨].

قال السّعديّ رحمه الله: (ﭽﮈ ﭼ, أي: مشتملا على مـا اشتملت عليه الكتب السّـابقة، وزيـادة في المطـالب الإلهيـة والأخلاق النّفسيّة, فهو الكتاب الذي تتبـع كـلّ حـقّ جـاءت بـه الكتب فأمر به، وحثّ عليه، وأكثر من الطّرق الموصلة إليه.

وهــو الكتــاب الــذي فيــه نبــأ السّــابقين واللّاحقين، وهــو الكتاب الـذي فيـه الحكم والحكمـة، والأحكـام الـذي عرضـت عليه الكتب السّابقة، فما شهد له بالصّدق فهو المقبول، ومــا شهد له بالرّد فهو مردود، قـد دخلـه التّحريـف والتّبـديل، وإلاّ فلو كان من عند الله، لم يخالفه) [1].

- ومن عزّته أنّه غالب لمـا سـواه من الكتب؛ لأنّـه أفضـل الكتب, وغــالب لبلغــاء العــرب من أن يــأتوا بمثلــه, وغــالب بحججه لكل من عارضه وكذّب به.

قال الطاهر ابن عاشور رحمه الله: (ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [فصلت: ٤١]، أي: القرآن، عزيز غالب بالحجة لمن كذب به، وغالب بالفضل لمـا سـواه من الكتب من حيث إن الغلبـة تسـتلزم التّفضـل والتّفوّق، وغالب لبلغاء العرب إذ أعجزهم عن معارضة سورة منه، ويكون حكيما مثل صفة منزله)[2].

- ومن عزّته أنّه ممتنع لعدم القدرة على تحريفـه, وتغيـير شيء منه, ولحفظ الله تعالى له كما قال تعالى: ﭽﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [الحجر: ٩], وكما قال تعالى: ﭽﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ [فصلت: ٤١ – ٤٢].

يقول ابن جرير رحمه الله: (معنـاه: لا يسـتطيع ذو باطـل بكيده تغييره بكيـده، وتبـديل شـيء من معانيـه عمـا هـو بـه، وذلك هو الإتيان من بين يديـه، ولا إلحـاق مـا ليس منـه فيـه، وذلك إتيانه من خلفه)[3].

---

1. () تيسير الكريم الرحمن (ص234).
2. () التحرير والتنوير (23/314).
3. () جامع البيان (21/480).

وقال ابن كثير رحمه الله: (أي: ليس للبطلان إليه سبيل؛ لأنّه منزل من رب العالمين)[1].

وقال السعدي رحمه الله: (إنه لكتاب: جامع لأوصاف الكمال, عزيز أي: منيع من كل من أراده بتحريف أو سوء؛ ولهذا قال: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ [فصلت: ٤١ – ٤٢], أي: لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة، ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة ألفاظه ومعانيه، قد تكفّل من أنزله بحفظه كما قال تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [الحجر: ٩])[2].

يحكي أنّ ابن المقفع[3] طلب ذلك, ورامه وشرع فيه, فمرّ بصبيّ يقرأ: ﮋ ... ﮊ [هود: ٤٤] , فرجع فمحى ما عمل, وقال: أشهد أن هذا لا يعارض, وما هو من كلام البشر, وكان من أفصح أهل وقته[4].

وحُكِي أنّ أصحاب الفيلسوف الكندي[5] قالوا له: أيّها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن فقال: نعم! أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياما كثيرة ثمّ خرج فقال: والله ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، إنّي فتحت المصحف, فخرجت سورة

---

[1] () تفسير القرآن العظيم (7/183).

[2] () تيسير الكريم الرحمن (ص750).

[3] () هو عبد الله بن المقفع أحد البلغاء والفصحاء، ورأس الكتاب، وأولي الإنشاء, كان من مجوس فارس فأسلم, وهو الذي عرّب كليلة ودمنة, كان يتهم بالزندقة، وكان مع سعة فضله، وفرط ذكائه، فيه طيش، فكان يقول عن سفيان المهلبي: ابن المغتلمة, فأمر له بتنور، فسجر، ثم قطع أربعته، ورماها في التنور، وهو ينظر, هلك سنة خمس وأربعين ومائة, وقيل: بعد الأربعين. انظر: وفيات الأعيان (2/155), وسير أعلام النبلاء (6/209).

[4] () انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/532), وإعجاز القرآن ومعترك الأقران (1/184).

[5] () هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح أبو يوسف الكندي الكوفي فيلسوف العرب, كان رأسا في حكمة الأوائل, ومنطق اليونان, والتنجيم, والطب, والموسيقى, وغير ذلك, وكان متهما في دينه، بخيلا، ساقط المروءة، وله نظم جيد وبلاغة، من كتبه: رسالة في التنجيم, واختيارات الأيام, وغير ذلك, وكان بعد المائتين. انظر: سير أعلام النبلاء (12/337), والوافي بالوفيات (28/78).

المائدة, فنظرت, فإذا هو قد نطق بالوفـاء, ونهى عن النكث، وحلّل تحليلا عاما، ثم استثنى استثناء بعـد اسـتثناء، ثمّ أخـبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحـد أن يـأتي بهـذا إلا في أجلاد[1].

- ومن عزّته أنّ من تعلَّمه وعَمِل به يكـون عزيـزا؛ ولهـذا قال تعالى: ﴿ ﴾ [الأنبياء: ١٠], (يعني في القرآن عزكم وشرفكم, يعني شـرف العـرب, والـذكر يوضـع موضـع الشّرف؛ لأنّ الشّرف يذكر) [2].

وقال تعالى: ﴿ ﴾ [الزخرف: ٤٤], قال ابن عباس عن الآية: إنه لشرف لك ولقومك [3].

وقال عمـر بن الخطـاب رضـي اللـه عنـه: أمـا إن نـبيكم صلى الله عليه وسلم قـد قـال: "إن اللـه يرفـع بهـذا الكتـاب أقواما، ويضع به آخرين"[4].

ولهـذا ينبغي لحامـل كتـاب اللـه تعـالى أن يكـون عزيـزا, ومستغنيا عن الخلق, وألا تكون له حاجة عند أحد مهمـا كـان, بل تكون حوائج الخلق إليه.

يقــول الفضــيل بن عيــاض[5]رحمــه الله: ينبغي لحامــل القرآن ألاّ يكـون لـه حاجـة إلى أحـد من النّـاس إلى الخليفـة فمن دون, وينبغي أن تكون حوائج الخلق إليه[6].

---

1. () انظر: تفسير القرطـبي (6/31), واللبـاب في علـوم الكتـاب (7/162), والبحر المحيط (4/157).
2. () بحر العلوم (2/421).
3. () انظـر: جـامع البيـان (21/610), وتفسـير القـرآن العظيم (7/229).
4. () أخرجه مسلم, كتاب صلاة المسافرين وقصرها, باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمـة من فقـه، أو غـيره فعمل بها وعلمها (1/559), رقم: 817.
5. () هو الفضـيل بن عيـاض بن مسـعود أبـو علي التميمي, الإمـام، القـدوة، المحـدث الثّبت، شـيخ الإسـلام، قـدم الكوفـة وهـو كبـير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره, ثم تعبّد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مـات بهـا في أول سـنة سـبع وثمـانين ومائـة. انظر: الطبقات الكبرى (6/43), وسير أعلام النبلاء (8/421).
6. () رواه الآجري في أخلاق أهل القرآن (ص103).

- ومن عزّته أنّ معانيه لا تدخل القلوب المعرضة عنه, المنصرفة عنه وعن طاعة الله تعالى, والمشغولة بالفسوق والمعاصي, وبكل ما يلهي عن ذكر الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [الواقعة: ٧٩] ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب"[1]، فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهّرون, فمعانيه لا يهتدي بها إلا القلوب الطاهرة، وإذا كان الملك لا يدخل بيتًا فيه كلب، فالمعاني التي تحبّها الملائكة لا تدخل قلبا فيه أخلاق الكلاب المذمومة، ولا تنزل الملائكة على هؤلاء)[2].

2- ومن مظاهر عزّة الله تعالى تفرُّدُه سبحانه وتعالى بأنواع التوحيد وبالكمال المطلق, ومن ذلك تفرُّده سبحانه بالخلق.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (من تمام عزّته وقدرته وشمولهما, أنّه كما أنّه هو الخالق للعباد, فهو خالق أعمالهم وطاعاتهم ومعاصيهم، وهي أيضاً أفعالهم، فهي تضاف إلى الله خلقاً وتقديراً, وتضاف إليهم فعلاً ومباشرة على الحقيقة, ولا منافاة بين الأمرين، فإن الله خالق قدرتهم وإرادتهم، وخالق السبب التام, خالق للمسبب قال تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ [الصافات: ٩٦])[3].

فخَلَق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض بعزّته سبحانه وتعالى, وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الزخرف: ٩].

(يقول الحق جلّ جلاله: ولئن سألتهم, أي: المشركين من خلق السّماوات والأرض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم أي:

[1] () أخرجه البخاري, كتاب بدء الخلق, باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين, فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه (4/114), رقم: 3225, ومسلم, كتاب اللباس والزينة, باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة (3/1664), رقم: 2104.

[2] () مجموع الفتاوى (5/552).

[3] () تفسير أسماء الله الحسنى السعدي (ص216).

ينسبون خلقها إلى من هذا وصفه في نفس الأمر, لا أنهم يُعبِّرون عنه بهذا العنوان, واختار هذين الوصفين للإيذان بانفراده بالإبداع والاختراع والتدبير؛ لأنّ العزة تُؤذن بالغلبة والاقتدار، والعلم يؤذن بالتدبّر والاختيار، وليرتب عليه ما يناسبه من الأوصاف)[1].

ويقول أيضا: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ [فصلت: ٩ – ١٢].

وخلق المتقابلات والمتضادات بعزته سبحانه, وكمال قوته وقدرته مثل: الليل والنهار, والشمس والقمر والموت والحياة, وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﮋﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [الأنعام: ٩٦].

ويقول أيضا: ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ [فاطر: ٢٧ – ٢٨], ويقول أيضا: ﮋﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [الملك: ٢].

يقول ابن القيم رحمه الله: (خلق المتضادات والمتقابلات كالليل والنهار, والعلو والسفل, والطيب والخبيث, والخفيف والثقيل, والحلوّ والمر, والبرد, والألم واللذة, والحياة والموت, والداء والدواء, فخلق هذه المتقابلات هو محَلُّ ظهور الحكمة الباهرة, ومحل ظهور القدرة القاهرة, والمشيئة النافذة, والملك الكامل التام, فتوهم تعطيل خلق هذه المتضادات تعطيل لمقتضيات تلك الصفات وأحكامها وآثارها, وذلك عين المحال, فإنّ لكل صفة من الصفات العليا حِكَماً ومقتضيات وأثرا هو مظهرُ كمالها, وإن كانت كاملة في نفسها, لكن ظهور آثارها وأحكامها من كمالها, فلا يجوز تعطيله, فإن صفة القادر تستدعي مقدورا, وصفة الخالق تستدعي مخلوقا, وصفة الوهاب الرازق المعطي المانع, الضار النافع, المقدم المؤخر, المعز المذل, العفو الروف تستدعي آثارها وأحكامها, فلو عُطِّلت تلك الصِّفات عن المخلوق المرزوق المغفور له, المرحوم المعفو عنه, لم يظهر كمالها, وكانت معطلة عن مقتضياتها وموجباتها, فلو

---

[1] () البحر المديد (5/236).

كان الخلق كلهم مطيعون عابدون حامدون لتعطل أثر كثير من الصفات العلى والأسماء الحسنى, وكيف كان يظهر أثر صفة العفو والمغفرة والصفح والتجاوز والانتقام والعزّ والقهر والعدل والحكمة التي تنزل الأشياء منازلها وتضعها مواضعها, فلو كان الخلق كلهم أمّة واحدة, لفاتت الحكم والآيات والعبر والغايات المحمودة في خلقهم على هذا الوجه, وفات كمال الملك والتصرف؛ فإنّ الملك إذا اقتصر تصرفه على مقدور واحد من مقدوراته, فإمّا أن يكون عاجزا عن غيره فيتركه عجزا أو جاهلا بما في تصرفه في غيره من المصلحة فيتركه جهلا, وأمّا أقدر القادرين, وأعلم العالمين, وأحكم الحاكمين, فتصرفه في مملكته لا يقف على مقدور واحد؛ لأنّ ذلك نقص في ملكه, فالكمال كل الكمال في العطاء والمنع, والخفض والرفع, والثواب والعقاب, والإكرام والإهانة, والإعزاز والإذلال, والتقديم والتأخير, والضر والنفع, وتخصيص هذا على هذا, وإيثار هذا على هذا)[1].

3- ومن مظاهر عزّة الله تعالى عظمته سبحانه وتعالى وعظمة مخلوقاته:

من مظاهر عزّة الله تعالى عظمته, وعظمة مخلوقاته تعالى, وذلك مثل الشمس والقمر, والسموات السبع, والأرضين السبع, والبحار, وملائكته العظام, وذلك لأنه لا يستطيع إيجاد هذه المخلوقات العظيمة إلا من كان ذا قوة عظيمة, وقدرة كبيرة, ولا يعجزه شيء أراده, وهذا ما تتضمنه صفة العزة لله تعالى.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ [الزمر: ٥].

(ﮋ ﯫ ﯬ ﮊ الذي لا يغالب، القاهر لكل شيء، الذي لا يستعصي عليه شيء، الذي من عزته أوجد هذه المخلوقات العظيمة، وسخرها تجري بأمره)[2].

---

1 () شفاء العليل (1/219).

2 () تيسير الكريم الرحمن (ص719).

4- ومن مظاهر عزة الله جل وعلا انقياد جميع المخلوقات لله تعالى وذلّها له:

يقول الشيخ السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ [فصلت: ١٢], (فهو سبحانه العزيز الذي من عِزَّته انقادت له كل هذه المخلوقات العظيمة فجرت مُذلَّلَةً بأمره حيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر, العليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والأوائل والأواخر، كما أنه العزيز الذي قهر الخلائق فأذعنوا له، والعليم بجميع الأشياء، والعليم بأقوال المختلفين وعمَّاذا صدرت، وعن غاياتها, وسيجازي كلاً بما علمه فيه)[1].

بل من عزّته أنّه إذا تكلّم بالوحي رجفت السموات وصعقت الملائكة كما في الحديث عن النواس بن سمعان الكلابي[2] رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بأمر تكلم بالوحي, فإذا تكلم أخذت السماوات منه رجفة من خوف الله عز وجل, فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا سجدا, فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام, فيكلم الله من وحيه بما أراد, فينتهي به جبريل على الملائكة كلما مر بسماء قال أهلها: ماذا قال ربنا يا جبريل, فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير, قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل, حتى ينتهي بهم جبريل حيث أمره الله من السماء والأرض)[3].

وفي لفظ عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السّماء للسّماء

---

1 () المصدر نفسه (ص265).

2 () هو النواس بن سمعان بن خالد العامري الكلابي, معدود في الشاميين، له ولأبيه صحبة, يقال: إن أباه سمعان بن خالد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعطاه نعليه، روى عنه جبير بن نفير، ونفير بن عبد الله، وجماعة. انظر: معجم الصحابة لأبي نعيم (5/2701), والإصابة (3/204).

3 () أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (1/288), رقم: 515, وابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (1/236), رقم: 216, والحديث ضعّفه الألباني في ظلال الجنة (1/267), برقم: 515.

صلصلة كجر السلسلة على الصّفا, فيصعقون, فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل, فإذا جاءهم فزع عن قلوبهم فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق فينادون: الحق الحق"[1].

وبعزّته قهر الخلق كلهم، وتصرف فيهم، ودبرهم[2].

5- ومن مظاهر عزّة الله تعالى تقديره لهذه المخلوقات العظيمة من شمس, وقمر وليل ونهار, وتدبيره المحكم لها:

يقول ابن القيم رحمه الله: (وقوله: ﮋ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ [يس: ٣٨] في عدّة مواضع من القرآن, يذكر ذلك عقيب ذكره الأجرام العلوية, وما تضمنه من فلق الإصباح, وجعل الليل مسكنا, وإجراء الشمس والقمر بحساب لا يعدوانه, وتزيين السماء الدنيا بالنجوم وحراستها, وأخبر أن هذا التقدير المحكم المتقن صادر عن عزّته وعلمه, ليس أمرا اتفاقيا لا يمدح به فاعله, ولا يثنى عليه به كسائر الأمور الاتفاقية)[3].

ويقول أيضا: (واقتضى هذا التدبير المـُحكَم أن وقع مقدار الليل والنهار على أربعة وعشرين ساعة ويأخذ كل منهما من صاحبه ومنتهى كل منها إذا امتد خمسة عشر ساعة, فلو زاد مقدار النهار على ذلك إلى خمسين ساعة مثلاً, أو أكثر, لاختل نظام العالم, وفسد أكثر الحيوان والنبات, ولو نقص مقداره عن ذلك, لاختل النظام أيضاً, وتعطلت المصالح ولو استويا دائماً لما اختلفت فصول السنة التي باختلافها مصالح العباد والحيوان؛ فكان في هذا التقدير والتدبير المحكم من

---

[1] () أخرجه أبو داود في سننه, كتاب السنة, باب في القرآن (4/235), رقم: 4738, وابن خزيمة في التوحيد , باب من صفة تكلُّم الله عز وجل بالوحي والبيان (1/350), وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان, ذكر وصف أهل السماوات عند نزول الوحي (1/224), رقم: 37, وقال محققه: إسناده صحيح, والحديث صحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 1293.

[2] () تيسير الكريم الرحمن (ص650).

[3] () شفاء العليل (ص200).

الآيات والمصالح والمنافع ما يشهد بأن ذلك تقدير العزيز العليم؛ ولهذا يذكر سبحانه هذا التقدير ويضيفه إلى عزته وعلمه كما قال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ [يس: ٣٧ - ٣٨], وقال تعالى: ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ [فصلت: ٩ - ١٢], وقال تعالى: ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الأنعام: ٩٦], فهذه ثلاثة مواضع يذكر فيها أن تقدير حركات الشمس والقمر, والأجرام العلوية, وما ينشأ عنها كان من مقتضى عزّته وعلمه, وأنّه قدّره بهاتين الصفتين, وفي هذا تكذيب لأعداء الله الملاحدة الذين ينفون قدرته واختياره وعلمه بالمغيبات)[1].

ويقول أيضا: (وتأمّل كيف صار هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه يدور على هذا العالم هذا الدوران العظيم السريع المستمر بتقدير محكم لا يزيد ولا ينقص ولا يختل عن نظامه, بل هو تقدير العزيز العليم كما أشار تعالى إلى أن ذلك التقدير صادر عن كمال عزته وعلمه, فقال تعالى: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ [يس: ٣٨], وقال تعالى: ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [فصلت: ٩] إلى قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [فصلت: ١٢], وقال تعالى: ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [الأنعام: ٩٦], فذكر سبحانه أن هذا التقدير لمسير الشمس والقمر, والليل والنهار, وحركات النجوم في مطالعها ومغاربها, تقدير ناشئ عن عزته وعلمه, وذلك متضمّن وقوعه على وجه الحكمة الغائية, ولتسخير الشمس والقمر والكواكب وتذليلها لعزته, وجار على وفق حكمته, فجاءت على وفق ما قدرها له, فهل يخفى على ذي لب أن ذلك تقدير مقدر قادر عزيز حكيم؟, وحسبنا الله ونعم الوكيل)[2]

6- ومن مظاهر عزّة الله تعالى بطشه سبحانه بأعدائه ونصره لأوليائه:

وهذا يظهر جليّا في سورة الشعراء حيث ختم الله

---

[1] () التبيان في أقسام القرآن (ص181-182).

[2] () الصواعق المرسلة (4/1574-1575).

تعالى كل قصة نبيّ مع قومه بقوله سبحانه وتعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [الشعراء: ٦٧ – ٦٨], كما في قصة موسى وإبـراهيم ونـوح وعـاد وثمـود ولـوط وشـعيب عليهم السّـلام, وهذا يدلّنا على أن إهلاك الظـالمين من الكفـرة والمشـركين وأهل الفجور من مظاهر عزّة الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ولهذا يـذكر سـبحانه في سـورة الشـعراء قصـة موسـى وإبـراهيم ونـوح وعـاد وثمـود ولوط وشعيب ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكـذبيهم والنجـاة لهم ولأتباعهم ثم يختم القصة بقوله: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮊ, فختم القصة باسمين من أسمائه تقتضيها تلك الصفة وهو: العزيز الـرحيم, **فانتقم من أعدائـه بعزته**, وأنجى رسـله وأتباعهم برحمته)[1].

ويقول الشيخ السعدي رحمه الله: (ولما ذكر في سـورة الشعراء قصص الأنبياء مع أممهم، ختم كل قصـة بقولـه: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [الشعراء: ٩], فإنّ كل قصة تضـمّنت نجـاة النـبيّ وأتباعه، وذلك برحمة الله ولطفه، وتضـمنّت إهلاك المكـذبين له، وذلك من آثار عزّته.

وقد يتعلق مقتضى الاسمين بكلٍّ من الحالتين، فإنه نجى الرسول وأتباعه بكمال قوته وعزته ورحمته، وأهلك المكذبين بعزته وحكمته, ويكـون ذكـر الرحمـة دالاً على عِظم جـرمهم، وأنــه طالمـا فتح لهم أبــواب رحمتــه بآياتــه ونعمــه ورســله, فأغلقوها دونهم بتمـرُّدهم على اللـه وكفـرهم وشـركهم, فلم يكن لهم طريق إليهـا، ولـولا ذلـك لمـا حَـلَّ بهم هـذا العقـاب الصارم)[2].

فمن مظاهر عزّة الله تعالى بطشه بأعدائه, وغلبتِـه من عصاه من خلقـه, وجعلـه ذلـك من أيّـام اللـه الـتي يـذكّر بهـا عباده ليعتبروا بها, وهي أيضا من آيات الله الدالّـة على تمـام قوّته وعزّته سبحانه.

يقول الطاهر بن عاشور رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [إبراهيم: ٥]: (أيّام

[1] () مجموع الفتاوى (19/98-99).
[2] () القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص58).

الله: أيّام ظهور بطشه وغلبه من عصوا أمره، وتأييده المؤمنين على عدوهم، فإنّ ذلك كله مظهر من مظاهر عزّة الله تعالى, وشاع إطلاق اسم اليوم مضافا إلى اسم شخص أو قبيلة على يوم انتصر فيه مسمى المضاف إليه على عدوه، يقال: أيّام تميم، أي: أيّام انتصارهم، فأيّام الله أيّام ظهور قدرته وإهلاكه الكافرين به, ونصره أولياءه والمطيعين له)[1].

كما تظهر عزّة الله تعالى في نصرة دينه, وإعزازه لنبيه صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين, وفي هذا يقول البقاعي رحمه الله عند قوله تعالى: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [المنافقون: ٨]: (ولما حصر العزّة بما دل على ذلك من تقديم المعمول، أخبر أنه يعطي منها من أراد, وأحقُّهم بذلك من أطاعه, فترجم ذلك بقوله: ﭽﮙ ﭼ؛ لأن عزَّته من عزَّته, بعزّ النبوّة والرّسالة, وإظهار الله دينه على الدين كله، وكذلك أيضاً أن العزة لمن أطاع الرسول بقوله: ﭽﮚ ﭼ , أي الذين صار الإيمان لهم وصفاً راسخاً؛ لأن عزتهم بعزة الولاية، ونصر الله إيّاهم عزة لرسولهم صلّى الله عليه وسلّم، ومن تعزز بالله لم يلحقه ذل.

ولما كان جهلهم في هذا أشد لكثرة ما رأوا من نصرة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ومن تابعه رضي الله عنهم, وإعلائهم على كل من ناواهم، قال منبهاً على ذلك: ﭽﮛ ﮜ ﭼ أي: الذي استحكم فيهم مرض القلوب.

ولما كانت الدلائل على عزة الله لا تخفى على أحد, لما تحقق من قهره للملوك وغيرهم بالموت, الذي لم يقدر أحد على الخلاص منه ولا المنازعة فيه، ومن المنع من أكثر المرادات, ومن نصر الرسول وأتباعهم بإهلاك أعدائهم بأنواع الهلاك، وبأنه سبحانه ما قال شيئاً إلا تمّ, ولا قالت الرسل شيئاً إلا صدّقهم فيه, ختم الآية بالعلم الأعم من الفقه فقال: ﭽﮞ ﮟ ﭼ, أي: لا لأحد لهم علم الآن...)[2].

ولهذا قال تعالى: ﭽﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ

---

1 () التحرير والتنوير (30/34).
2 () نظم الدرر (20/90).

ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ [الزمر: ٣٦ – ٣٧].

يقول السعدي رحمه الله: (ﮋﮃ ﮄ ﮅﮆ ﮇ ﮈ ﮉ من الأصنام والأنداد أن تنالك بسوء، وهذا من غيّهم وضلالهم, ﮋﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ؛ لأنه تعالى الذي بيده الهداية والإضلال، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن, ﮋﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮊ له العزة الكاملة التي قهر بها كل شيء، وبعزته يكفي عبده ويدفع عنه مكرهم, ﮋﮢ ﮣ ﮤ ﮊ ممّن عصاه، فاحذروا موجبات نقمته)[1].

7- ومن مظاهر عزّة الله تعالى أنّه سبحانه فعّال لما يريد:

من مظاهر عزّته كونه سبحانه فعال لما يريد, (وهذا من كمال قوّته ونفوذ قدرته، أنّ كلّ أمر يريده فعله، لا يتعاصى عليه شيء، ولا يعارضه أحد، وليس له ظهير ولا عوين ولا مساعد على أيِّ أمر يكون، بل إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون.

ومع أنّه الفعّال لما يريد، فلا يريد إلا ما تقتضيه حكمته وحمده، فجميع أفعاله تابعة لحكمته، فهو موصوف بالكمال من الجهتين، من جهة كمال القدرة ونفوذ الإرادة، وأنَّ جميع الكائنات قد انقادت لمشيئته وإرادته, ومن جهة الحكمة، فإنّه الحكيم في كلِّ ما يصدر منه من قول وفعل ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [هود: ٥٦]، أي: في أقواله وأفعاله)[2].

يقول ابن جرير رحمه الله: (وقوله: ﮋ ... ﮊ [هود: ١٠٧] هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب وأناب منها، معاقب من أصرّ عليها وأقام، لا يمنعه مانع، من فعل أراد أن يفعله، ولا يحول بينه وبين ذلك حائل؛ لأن له ملك السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم)[3].

فعزَّته سبحانه تقتضي نفوذ مشيئته, وأنَّه لا يعجزه شيء ولا يعارضه معارض, وحكمته سبحانه تقتضي أن جميع أفعاله

---

[1] () تيسير الكريم الرحمن (ص724).

[2] () فتح الرحيم الملك العلام (ص35).

[3] () جامع البيان (24/246).

صادرة لحكمة بالغة وغايات حميدة, ولهذا يقـرن سـبحانه في كتابه بين العزيز والحكيم.

فتبيّن مما سبق أنّ لعزّة الله تعالى مظاهر كثـيرة, منهـا: عزّة كلامه سـبحانه وهي أعظمهـا؛ لأنّـه صـفة العزيـز, ومنهـا تفـرّده سـبحانه بأفعـال الربوبيـة, وعظمتـه سـبحانه وعظمـة مخلوقاته, وتقديره لها, وانقيـاد جميـع مخلوقاتـه وذلّهـا لعـزّه سبحانه, وبطشه بأعدائه وأعداء الدين, ونصره لدينه وأوليائه, وأنّه سبحانه فعّـال لمـا يريـد لا يسـأل عمـا يفعـل, ولا معقّب لحكمه, زلا رادّ لقضائه, كلّ ذلك من مظاهر عزّته سبحانه.

المبحث الثّاني:
المسائل العقديّة المتعلّقة بصفة العزّة لله تعالى

وفيه ستّة مطالب:

المطلب الأوّل: حكم الدّعاء بصفة العزّة.

المطلب الثّاني: حكم التّعبيد لصفة العزّة.

المطلب الثّالث: حكم التّوسل إلى الله بصفة العزّة.

المطلب الرّابع: حكم الإقسام بصفة العزّة.

المطلب الخامس: حكم الإستعاذة بصفة العزّة.

المطلب السّادس: ما جاء في علاقة صفة العزّة بصفة القوّة والانتقام والقدرة والحكمة.

المطلب الأوّل:
حكم الدّعاء بصفة العزّة.

أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التّعبيد والدّعاء، فيتعبد الله بأسمائه، فنقول: عبد الكريم، وعبد الرّحمن، وعبد العزيز، لكن لا يُعبّد بصفاته؛ فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرّحمة، وعبد العزّة, كما أنّه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: يا رحيم ارحمنا، ويا كريم أكرمنا، ويا لطيف الطُف بنا، لكن لا ندعو صفاته, فنقول: يا رحمة الله ارحمينا، أو: يا كرم الله أو: يا لطف الله, ذلك أنّ الصّفة ليست هي الموصوف, فالرّحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزّة وغيرها, فهذه صفات لله، وليست هي الله، ولا يجوز التّعبد إلاّ لله، ولا يجوز دعاء إلاّ الله؛ لقوله تعالى: ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﮊ [النّور: ٥٥]، وقوله تعالى: ﮋﭧ ﭨ ﭩﮊ [غافر: ٦٠], وغيرها من الآيات[1].

يقول ابن بطّة رحمه الله: (ولا يقال: إنّ عزّة الله هي الله، ولو جاز ذلك، لكانت رغبة الرّاغبين ومسألة السّائلين أن يقولوا: يا عزّة الله عافينا، ويا عزّة الله أغنينا، ولا يقال: عزّة الله غير الله، ولكن يقال: عزّة الله صفة الله، لم يزل ولا يزال الله بصفاته واحدا)[2].

ويوضّح ذلك ابن القيم رحمه الله فيقول: (ولا ريب أنّ الله تبارك وتعالى لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال المشتقّة أسماؤه منها, فلم يزل بأسمائه وصفاته, وهو إله واحد له الأسماء الحسنى والصّفات العلا, وأسماؤه وصفاته داخلة في مسمّى اسمه, وإن كان لا يطلق على الصّفة أنّها إله يخلق ويرزق, فليست صفاته وأسماؤه غيره, وليست هي نفس الإله, وبلاء القوم من لفظة الغير, فإنّه يراد بهما معنيان:

---

1 () انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص 21), وفتاوى الشيخ ابن عثيمين (1\26).

2 () الإبانة (6/181).

أحدهما: المغاير لتلك الذّات المسمّاة بالله, وكلّ ما غـاير الله مغايَرَةً محضة بهذا الاعتبار فلا يكون إلاّ مخلوقا.

ويراد به: مغايرة الصّفة للذّات إذا خرجت عنها, فإذا قيـل علم الله وكلام الله غيرُه, بمعنى أنّه غير الذّات المجـرّدة عن العلم والكلام كان المعنى صحيحا, ولكنّ الإطلاق باطـل, وإذا أريد أن العلم والكلام مغاير لحقيقته المختصّة التي امتـاز بهـا عن غيره كان باطلا لفظا)[1].

فدعاء الصّفة لا يجوز لأمور هي:

أوّلا: أنّ الدّعاء من العبـادة, والعبـادة لا بـدّ لهـا من دليـل من كتاب, أو سنّة, ولم يرد في دعاء الصّفة دليل لا من كتاب ولا من سنّة.

ثانيا: الإجماع على عدم جواز دعاء الصّفة, وأنّ فعله كفر, وممّن نقل الإجماع شيخ الإسلام رحمه اللـه حيث يقـول: (إنّ مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت بـه الأحـاديث, وأمّـا دعـاء صـفاته وكلماتـه فكفـرٌ باتفـاق المسلمين, فهل يقول مسلم يا كلام الله اغفـر لي وارحمـني وأغثني, أو أعنّي أو يا علم الله, أو يـا قـدرة اللـه أو, يـا عـزة الله, أو يا عظمة الله, ونحو ذلك, أو سمع من مسلم أو كـافر أنّه دعا لذلك من صـفات اللـه, وصـفات غـيره, أو يطلب من الصّـفة جلب منفعـة, أو دفـع مضـرّة, أو إعانـة, أو نصـرا, أو إغاثة, أو غير ذلك)[2].

وأيضا لم يجوّز أحـد من أهـل الملـل أن يقـال للتّـوراة أو الإنجيل وغير ذلـك من كلام اللـه: اغفـر لي وارحمـني، وإنّمـا يقال للإله المتكلّم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني[3].

ثالثا: وأيضا لم يفعله أحد من سلف هذه الأمّة[4].

رابعا: أنّ دعاء الصّـفة باطـل في صـريح العقـل؛ لأنّ كـل عاقل يعلم أنّ الصّفة لا تخلـق ولا تـرزق, فهي لا تجلب نفعـا,

---

1 () بدائع الفوائد (1/17-18).
2 () الرد على البكري (ص181).
3 () انظر: الجواب الصحيح (3/226-227).
4 () انظر: معجم المناهي اللّفظية (ص560).

ولا تـدفع ضـرّا؛ فلهـذا لا تعبـد من دون اللـه تعـالى بـدعائها, وسؤالها الحاجات.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فإنّ الإله المعبود هو الإله الحيّ العـالم القـادر، وليس هـو نفس الحيـاة، ولا نفس العلم والكلام.

فلو قال قائل: يا حياة الله، أو يا علم الله، أو يا كلام الله، اغفر لي، وارحمني واهدني، كان هذا باطلا في صريح العقـل؛ ولهذا لم يجوّز أحد من أهل الملل أن يقال للتّوراة أو الإنجيل وغير ذلك من كلام الله: اغفر لي وارحمني، وإنّما يقـال للإلـه المتكلّم بهذا الكلام: اغفر لي وارحمني)[1].

وسئل الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله: (هل عبادة الإنسـان لصـفة من صـفات اللـه يعـدّ من الشّـرك, وكـذلك دعاؤهـا؟ فأجاب بقوله: عبادة الإنسان لصفة من صفات الله، أو دعاؤه لصفة من صفات الله من الشّرك، وقد ذكر هذا شيخ الإسلام رحمه الله؛ لأنّ الصّفة غير الموصوف بلا شك وإن كـانت هي وصفه، وقد تكون لازمـة وغـير لازمـة، لكن هي بلا شـك غـير الموصوف, فقوّة الإنسان غير الإنسـان, وعـزّة الإنسـان غـير الإنسان، وكلام الإنسان غـير الإنسـان، كـذلك قـدرة اللـه عـزّ وجـلّ ليسـت هي اللـه, بـل هي صـفة من صـفاته, فلـو تعبّـد الإنسان لصفة من صفات الله لم يكن متعبّدًا لله؛ وإنّمـا تعبّـد لهذه الصّفة لا لله عزّ وجلّ, والإنسان إنّما يتعبّد لله عزّ وجلّ: ﮋﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الأنعام: ١٦٢], والله عزّ وجلّ موصوف بجميع صفاته، فإذا عبدت صفة من صفاته لم تكن عبدت الله عزّ وجلّ؛ لأنّ الله موصوف بجميع الصّفات.

وكذلك دعاء الصّفة من الشّرك مثل أن تقول: يـا مغفـرة الله اغفري لي, يا عزّة الله أعزيني، ونحو ذلك)[2].

لكن نبّه الشّيخ رحمه اللـه على أنّ بعض العامـة يريـدون بقولهم: يا رحمة الله: الطّلب من الله لا من الرّحمة.

سئل رحمه الله عقب السّؤال السّابق: هل قول الإنسان:

---

1 () الجواب الصحيح (3/226-227).

2 () فتاوى ابن عثيمين في العقيدة (2/810).

(يا رحمة الله) يدخل في دعاء الصّفة الممنوع؟

فأجاب: إذا كان مراد الدّاعي بقوله: (يا رحمة الله) الاستغاثة برحمة الله تعالى, يعني أنّه لا يدعو نفس الرّحمة, ولكنّه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يعُمَّه برحمته كان هذا جائزًا، وهذا هو الظّاهر من مراده، فلو سألت القائل هل أنت تريد أن تدعو الرّحمة نفسها أو تريد أن تدعو الله عزّ وجلّ ليجلب لك الرّحمة؟ لقال: هذا هو مرادي.

أما إن كان مراده دعاء الرّحمة نفسها, فقد سبق جوابه ضمن جواب السّؤال السّابق وما قبله)[1].

ولا يشكل ما جاء في النّصوص من الاستعاذة بكلمات الله التّامات، وبرضاه من سخطه، وبعزّته وقدرته ونحو ذلك؛ لأنّ هذا من الاستعاذة بالله مع التّوسل إليه بهذه الصّفات, وأورد هذا الإشكال على الشّيخ ابن عثيمين رحمه الله فأجاب بقوله: (وأما ما جاء في الأحاديث التي ذكرها شارح الطّحاوية مثل: "أعوذ بعزتك"[2], "أعوذ بعظمتك"[3]، "أعوذ برضاك"[4]، "أعوذ بكلمات الله التّامة"[5] فحقيقته أنّه استعاذة بالله متوسّلًا إليه بهذه الصّفات المقتضيّة للعياذ)[6].

وأيضا لا يشكل ما جاء في جواز الحلف بالصّفات, عدم جواز الدّعاء بها؛ لأنّ الحلف بها من باب التّعظيم, بخلاف دعائها فهو عباده.

قال الشّيخ بكر أبو زيد رحمه الله وهو يبيِّن سبب النهي

---

1 () المصدر نفسه (2/815).

2 () تقدّم تخريجه (ص255).

3 () أخرجه النسائي في الكبرى, كتاب الاستعاذة, الاستعاذة من الخسف, (7/238), رقم: 7916, والحاكم في المستدرك, كتاب الدعاء و التكبير و التهليل و التسبيح و الذكر, (1/698), رقم: 1902, وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه), وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي برقم: 5529.

4 () تقدّم تخريجه (ص19).

5 () أخرجه مسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (4/2080), رقم: 2708, من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.

6 () فتاوى ابن عثيمين في العقيدة (2/816).

عن قول: يا رحمة الله: (هذا من باب دعـاء الصّـفة، والـدّعاء إنمـا يُصـرف لمن اتَّصـف بهـا سـبحانه؛ لهـذا فلا يجـوز هـذا الدّعاء, ونحوه: يا مغفرة اللـه، يـا قـدرة اللـه، يـا عـزّة اللـه، وليس له تأويل، ولا محمل سائغ، وهو دعاء محـدث لا يعـرف في النّصوص، ولا أدعيّة السّلف, وإنّما المشروع هو: التّوسـل بها كما في الحـديث: "برحمتـك أسـتغيث" ونحـوه، وقـد غلّظ شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه تعـالى النّهي عن الـدّعاء بالصّـفة، وقال: إنَّه كُفر.

ولا يُسوِّغُ الدّعاء بالصّفة جواز الحلف بها، فإنّ الحلف بهـا من باب التّعظيم، أمّا الدّعاء فهو عبادة، والعبادة لا تصرف إلاّ لله تعالى، فكيف تُعبد صفته سبحانه فتُدعى؟.

وممّا تقدّم نعلم الأحوال الثلاث:

1. دعـاء الصّـفة: لا يجـوز؛ لأن الـدعاء عبـادة والعبـادة لا تصرف إلاّ لله سبحانه.

2. التّوسل إلى الله بصفاته أو بصفة منها: مشـروع، كمـا وردت به السّنّة، وأدعية السّلف.

3. الحلف بها: جائزة؛ لأنّه من باب التّعظيم للـه سـبحانه, والله أعلم)[1].

وقد يتساءل سائل فيقول: لماذا يجور التّعبيد لأسماء الله تعالى, ودعاءها, ولا يجوز التّعبيد للصّفة, ودعاؤها؟, فالجواب: أنّ أسـماء اللـه تعـالى أعلام وأوصـاف, فهي كلّهـا تـدلُّ على ذات الله تعالى, وكلّ اسم من أسمائه يدلّ على الصّفة الـتي تضمّنها ذلك الاسم, ولهذا قال تعالى: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [الإسراء: ١١٠].

يقول ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى ذكره لنبيّـه: قـل يا محمّد لمشركي قومك المنكرين دعاء الرّحمن ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ أيّهـا القوم ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ, بأيّ أسمائه جلّ جلاله تدعون ربّكم فإنّما تدعون واحدا، وله الأسماء الحسنى، وإنّما قيل ذلك له صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّ المشركين فيمـا ذكـر سمعوا النّبي صلّى الله عليه وسلّم يدعو ربّه: يا ربّنا الله، ويـا

---
[1] () معجم المناهي اللفظية (ص560).

ربّنا الرّحمن، فظنّوا أنّه يدعو إلهين، فأنزل الله على نبيّه عليه الصّلاة والسّلام هذه الآية احتجاجا لنبيّه عليهم)[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (فإنّ أسماء الله كلّها تدلّ على مسمّى واحد, فليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى مضادا لدعائه باسم آخر؛ بل الأمر كما قال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ [الإسراء: ١١٠], وكلّ اسم من أسمائه يدلّ على الذّات المسماة, وعلى الصّفة التي تضمّنها الاسم)[2].

وكذلك فإنّ (المقصود بالاسم المسمّى؛ كما أنّ دعاء الاسم هو دعاء المسمّى, قال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ [الإسراء: ١١٠] , والله تعالى يأمر بذكره تارة, وبذكر اسمه تارة, كما يأمر بتسبيحه تارة, وتسبيح اسمه تارة)[3].

فيتلخص مما سبق تحريم دعاء صفة العزّة, وغيرها من صفات الله تعالى.

---

[1] () جامع البيان (17/580).

[2] () مجموع الفتاوى (13/333-334).

[3] () المصدر نفسه (6/210).

المطلب الثّاني:
حكم التّعبيد لصفة العزّة.

تقدّم الكلام في حكم دعاء صفة العزّة, أنّ أسماء الله عزّ وجلّ وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها، لكن تختلف في التّعبيد والدّعاء، فيعبّد لأسماء الله، فنقول: عبد الكريم، وعبد الرّحمن، وعبد العزيز، لكن لا يُعبّد لصفاته؛ فلا نقول: عبد الكرم، وعبد الرّحمة، وعبد العزّة, كما أنّه يُدعى اللهُ بأسمائه، فنقول: يا رحيم ارحمنا، ويا كريم أكرمنا، ويا لطيف الطف بنا، لكن لا ندعو صفاته, فنقول: يا رحمة الله ارحمينا، أو: يا كرم الله, أو: يا لطف الله؛ ذلك أنّ الصّفة ليست هي الموصوف؛ فالرّحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزّة وغيرها؛ فهذه صفات لله، وليست هي الله، ولا يجوز التّعبيد إلا لله، ولا يجوز دعاء إلا الله؛ لقوله تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [النور: ٥٥] ، وقوله تعالى: ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [غافر: ٦٠] , وغيرها من الآيات[1].

فالذي ثبت عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم هو حثُّه أمَّتَه على تعبيد أنفسها وأبنائها لأسماء الله عزّ وجلّ, وكذلك من بعده من سلف هذه الأمّة, ولم يرد عن أحد منهم تعبيد نفسه لصفة من صفات الله تعالى, ولهذا لا تجد من تسمّى منهم بعبد الرّحمة, أو عبد العزّة, أو غير ذلك من صفات الله تعالى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وشريعة الإسلام الذي هو الدّين الخالص لله وحده: تعبيد الخلق لربهم كما سنّه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم, وتغيير الأسماء الشّركيّة إلى الأسماء الإسلاميّة والأسماء الكفريّة إلى الأسماء الإيمانيّة, وعامة ما سمى به النّبي صلّى الله عليه وسلم: عبد الله وعبد الرّحمن, كما قال تعالى: ﮋ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ [الإسراء: ١١٠], فإنّ هذين الاسمين هما أصل بقيّة أسماء الله

---

[1] () انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة (ص 21).

تعالى, وكان شيخ الإسلام الهروي قد سمّى أهل بلده بعامة أسماء الله الحسنى, وكذلك أهل بيتنا غلب على أسمائهم التّعبيد لله كعبد الله, وعبد الرّحمن, وعبد الغني, والسّلام, والقاهر, واللّطيف, والحكيم, والعزيز, والرّحيم, والمحسن, والأحد, والواحد, والقادر, والكريم, والملك, والحق, وقد ثبت في صحيح مسلم عن نافع عن عبد الله بن عمر: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: "أحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرّحمن وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرّة"[1], وكان من شعار أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم معه في الحروب: يا بني عبد الرّحمن, يا بني عبد الله, يا بني عبيد الله كما قالوا ذلك يوم بدر, وحنين, والفتح, والطّائف, فكان شعار المهاجرين يا بني عبد الرحمن, وشعار الخزرج يا بني عبد الله, وشعار الأوس يا بني عبيد الله)[2].

وكذلك فإنّ في التّعبيد معنى العبوديّة التي هي أشرف مقامات النّبي صلّى الله عليه وسلّم[3].

وأصل العبوديّة الخضوع والذّل[4], وفي العبوديّة أيضا معنى الافتقار, الذي هو حقيقة العبوديّة[5], وكل هذه المعاني من الذّل والخضوع والافتقار, لا يجوز صرفها إلاّ لله عزّ وجلّ, فكذلك التّعبيد لا يصح إلاّ لأسماء لله تعالى, التي تسمّى بها, والدّالة عليه سبحانه, والله أعلم.

---

1 () أخرجه مسلم, كتاب الآداب, باب النهي عن التكني بأبي القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء (3/1682) رقم: 2132.

2 () مجموع الفتاوى (1/379-380).

3 () الصواعق المرسلة الشهابية لابن سحمان (ص30).

4 () الصحاح (2/503).

5 () النهاية في غريب الحديث (1/465).

المطلب الثالث:
حكم التوسل بصفة العزة.

تقـدّم الكلام أنّ التّوسـل المشـروع[1] الـذي دلّت عليـه نصوص الكتاب والسّنّة، وجـرى عليـه عمـل السّـلف الصّـالح، وأجمع عليه المسلمون هو:

1- التّوسل إلى الله تعالى باسـم من أسـماء اللـه تبـارك وتعالى, أو صفة من صفاته, وهذا كثير في كتاب اللـه تعـالى, وخاصة في أدعية رسله وعباده الصالحين.

2 – التّوسل بعمل صـالح قـام بـه الـدّاعي, كقولـه تعـالى حاكيا عن عباده المؤمنين أنّهم توسّلوا إليـه بصـالح أعمـالهم: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [آل عمران: ١٩٣] الآية.

3 – التّوسل بدعاء رجل صالح, كالتّوسل إلى الله بدعاء النّبي صلّى الله عليه وسلّم وشفاعته في حياته، وبدعاء غيره من الأنبياء والصّالحين في حياتهم.

فهذا كلّه أمر مشروع، وكلّه مستحب, لا نزاع فيه، وهو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى: ﮋ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [المائدة: ٣٥])[2]

وأفضل هذه الأنواع هو التّوسل إلى اللـه تعـالى بأسـمائه الحسنى, وصفاته العلا, ولهـذا قـال تعـالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ [الأعراف: ١٨٠].

يقـول ابن القيم رحمـه اللـه: (وأمـر عبـاده أن يسـألوه بأسمائه وصفاته ففتح لهم بـاب الـدّعاء رغبـا ورهبـا, ليـذكره الدّاعي بأسمائه وصفاته, فيتوسّل إليه بها, ولهذا كـان أفضـلُ الدّعاء وأجوبُه, ما توسّل فيه الـدّاعي إليـه بأسـمائه وصـفاته, قال الله تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﮊ [الأعراف: ١٨٠])[3].

---

[1] () انظر: (ص133-135).

[2] () انظر: الدرر السنية (2/111), والتوسـل أنواعـه وأحكامـه (ص 29).

[3] () الصواعق المرسلة (3/911).

ودلّت الأدلّة أيضا على جواز التّوسّل إلى الله تعالى بصفاته سبحانه وتعالى على وجه الخصوص, كما ذكر عمّار بن ياسر رضي الله عنه أنّ النّبي صلّى الله عليه وسلّم كان يدعو: "اللّهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي, وتوفّني إذا علمت الوفاة خيرا لي, اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشّهادة، وأسألك كلمة الحق في الرّضا والغضب, وأسألك القصد في الفقر والغنى، وأسألك نعيما لا ينفذ, وأسألك قرّة عين لا تنقطع، وأسألك الرّضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذّة النّظر إلى وجهك, والشّوق إلى لقائك في غير ضرّاء مضرّة ولا فتنة مضلّة، اللّهم زيّنا بزينة الإيمان, واجعلنا هداة مهتدين"[1].

قال الشّوكاني رحمه الله: (قوله: "بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق", فيه دليل على جواز التّوسل إليه تعالى بصفات كماله, وخصال جلاله[2].

وأيضا ما ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: كان النّبي صلّى الله عليه وسلّم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلّها كالسّورة من القرآن: "إذا همّ بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول: اللّهم إنّي أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنّك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علاّم الغيوب، اللّهمّ إن كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي, وعاقبة أمري, - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي، وإن كنت تعلم أنّ هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي, وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عنّي واصرفني عنه، واقدر لي الخير حيث

---

1 () أخرجه أحمد في المسند (30/265), رقم: 13325, والنسائي في الكبرى, كتاب السهو, الدعاء بعد الذكر (2/81), رقم: 1229, والحاكم في المستدرك, كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر (1/705), رقم: 1923, وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه), ووافقه الذهبي, والحديث صحّحه الألباني في صحيح الجامع برقم: 1301, وصفة الصلاة برقم: 165.

2 () نيل الأوطار (2/342).

كان، ثم رضني به، ويسمّي حاجته"[1].

يقـول ابن القيم رحمـه اللـه: (ثم قـال: "فإنّـك تعلم ولا أعلم، وتقـدر ولا أقـدر، وأنت علاّم الغيـوب", فهـذا تـبرّؤ إلى الله من العلم والحول والقوّة، وتوسّـل إليـه سـبحانه بصـفاته التي هي أحبّ ما توسّل إليه بها المتوسّلون)[2].

وصفة العزّة للـه تعـالى من جملـة الصّـفات الـتي يشـرع للعبد التّوسل بها إلى الله تعالى, رجاء قبول دعائـه منـه جـلّ وعلا, وورد التوسل إلى الله تعالى بخصوص هذه الصـفة فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: "من قال إذا أوى إلى فراشه: الحمد لله الذي كفاني وآواني، الحمد لله الذي أطعمني وسقاني، الحمـد للـه الـذي من علي فأفضل، اللهم إني أسألك بعزتـك أن تنجيـني من النـار، فقـد حمـد اللـه بجميـع محامـد الخلـق كلهم"[3], وكـذلك الأحـاديث الواردة في الاسـتعاذة بصـفة العـزّة, فحقيقتهـا أنّـه اسـتعاذة بالله متوسلا إليه بهذه الصفات.

يقول ابن عثيمين رحمه الله: (وأما ما جـاء في الأحـاديث الـتي ذكرهـا شـارح الطحاويـة مثـل: "أعـوذ بعزتـك", "أعـوذ بعظمتـك"، "أعـوذ برضـاك"، "أعـوذ بكلمـات اللـه التامّـة", فحقيقتــه أنّــه اســتعاذة باللــه متوســلًا إليــه بهــذه الصّــفات المقتضية للعياذ)[4].

وعلى الدّاعي أن يتخيّر لكلّ دعـاء, ولكـلّ مسـألة, ولكـلّ مقام الصّفة التي تناسبه, فصفات اللـه شـأنها شـأن أسـمائه الحســنى في اختيــار الاســم والصّــفة المقتضــية لحصــول المطلوب.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وإنّما نـبيّن ذلـك بقاعـدة قـد

---

1 () أخرجه البخاري, كتاب الدعوات, باب الـدعاء عنـد الاسـتخارة (8/81), رقم: 6382.

2 () مدارج السالكين (2/122).

3 () أخرجه الحـاكم في المسـتدرك (1/730), رقم: 2001, وقـال: (هذا حديث صـحيح الإسـناد، ولم يخرجـاه), وصـححه الألبـاني في الصحيحة برقم: 3444.

4 () فتاوى ابن عثيمين في العقيدة (2/816).

أشـرنا إليهـا مـرارا وهي: أنّ من دعـا اللـه تعـالى بأسـمائه الحسنى, أن يسـأل في كـلّ مطلـوب, ويتوسّـل إليـه بالاسـم المقتضـي لـذلك المطلـوب المناسـب لحصـوله, حتّى كـأنّ الدّاعي مستشفع إليه متوسّل إليه به)[1].

فيدعو العبد الله تعالى متوسّلا بصفة العزّة مثلا في حـال طلب الغلبة, ومنع أعداء الدّين من النّيل من هذا الـدّين, ومن عباد الله المؤمنين, فيقول الـدّاعي: اللّهم أسـألك بعزّتـك أن تردّ عنّا كيد أعداء الدّين, وأن تنصـر عبـادك المؤمـنين, وغـير ذلك؛ وذلـك لمـا في صـفة العـزّة من معـنى القـوّة, والقهـر, والغلبة, والمنعة, والله أعلم.

---

[1] () بدائع الفوائد (2/143).

المطلب الرّابع:
حكم الإقسام بصفة العزّة.

من المسائل العقدية المتعلّقة بصفات الله تعالى جواز الإقسام بها؛ لأنّ الإقسام بها كالإقسام بالله تعالى, فالحالف بصفة من صفات الله تعالى لا يقصد بحلفه إلا الله تعالى, ولا يقصد بحلفه بتلك الصفة إلا تعظيم الله تعالى[1].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فمعلوم أنّ الحلف بصفاته كالحلف به كما لو قال: وعزّة الله تعالى, أو لعمر الله, أو: والقرآن العظيم, فإنّه قد ثبت جواز الحلف بهذه الصفات ونحوها عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم؛ ولأنّ الحلف بصفاته كالاستعاذة بها, وإن كانت الاستعاذة لا تكون إلا بالله في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بوجهك"[2], و"أعوذ بكلمات الله التامات"[3], و"أعوذ برضاك من سخطك"[4] ونحو ذلك, وهذا أمر متقرر عند العلماء)[5].

ويقول أيضا: (والاستغاثة برحمته استغاثة به في الحقيقة, كما أن الاستعاذة بصفاته استعاذة به في الحقيقة, وكما أن القسم بصفاته قسم به في الحقيقة)[6].

ويقول أيضا رحمه الله: (وقد ثبت في السنة جواز الحلف بصفاته كعزّته وعظمته، فعلم أنها لا تدخل في مسمى الغير عند الإطلاق، وإذا أريد بالغير أنه ليس هو إياه, فلا ريب أن

---

1 () انظر: معجم المناهي اللفظية (ص560).
2 () أخرجه البخاري, كتاب تفسير القرآن, باب قوله: ﮋ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الأنعام: ٦٥] الآية (6/56), رقم: 4628, من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
3 () أخرجه مسلم, كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار, باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (4/2080), رقم: 2708, من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها.
4 () تقدّم تخريجه (ص19).
5 () مجموع الفتاوى (35\273).
6 () المصدر نفسه (1/111).

العلم ليس هو العالم, والكلام ليس هو المتكلم)[1].

والدليل على جواز الحلف بعزّة الله تعالى ما بوبه البخاري رحمه الله في صحيحه: باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته[2].

وقال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أعوذ بعزتك", وقال أبو هريرة: عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يبقى رجل بين الجنة والنار، فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار، لا **وعزتك** لا أسألك غيرها", وقال أبو سعيد: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قال الله: لك ذلك وعشرة أمثاله", وقال أيوب: "**وعزتك** لا غنى بي عن بركتك".

وحديث عن أنس بن مالك: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط **وعزّتك**، ويزوى بعضها إلى بعض"[3].

قال الحافظ رحمه الله: (ويؤخذ منه مشروعية الحلف بكرم الله, كما شرع الحلف بعزّة الله)[4].

يقول ابن القيم رحمه الله: (وفي الصحيح في حديث الملائكة السيارة الفضل عن كتاب الناس إنّ الله تعالى يسألهم عن عباده - وهو أعلم تبارك وتعالى - فيقولون: "أتيناك من عند عباد لك يهلّلونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك، فيقول عز وجل: وهل رأوني؟ فيقولون: لا يا رب ما رأوك, فيقول عزّ وجل: كيف لو رأوني؟ فيقولون: لو رأوك

1 () منهاج السنة النبوية (2/543).
2 () صحيح البخاري (8/134), كتاب الأيمان والنذور, وقال الحافظ رحمه الله: (تنبيه: لمح المصنف بهذه الترجمة إلى رد ما جاء عن ابن مسعود من الزجر عن الحلف بعزة الله, ففي ترجمة عون بن عبد الله بن عتبة من الحلية لأبي نعيم من طريق عبد الله بن رجاء عن المسعودي, عن عون قال: قال عبد الله: لا تحلفوا بحلف الشيطان, أن يقول أحدكم: وعزة الله ولكن قولوا كما قال الله تعالى, رب العزة. انتهى, وفي المسعودي ضعف وعون عن عبد الله منقطع). فتح الباري (11/546).
3 () تقدّم تخريجه (187).
4 () فتح الباري (13/371).

لكانوا لك أشد تمجيدا, قالوا: يا رب ويسألونك جنتك, فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا وعزتك ما رأوها, فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا لها أشد طلبا, قالوا: ويستعيذون بك من النار، فيقول عز وجل: وهل رأوها؟ فيقولون: لا **وعزّتك** ما رأوها, فيقول: فكيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشدّ منها هربا, فيقول: إنّي أشهدكم أنّي قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأعذتهم مما استعاذوا"[1])[2].

قال الشيخ الغنيمان حفظه الله: (وبهذا يتبين أن الحلف بقدرة الله وعزته وسائر صفاته، أنه كالحلف به تعالى، وأنّ صفاته ليست مخلوقة, لأنّه لا يجوز الحلف بالمخلوق، ولا منفصلة عنه تعالى)[3].

والمتأمّل في النصوص يجد أنّ الحلف بعزة الله تعالى وقع من الله تعالى, ومن ملائكته الكرام, ومن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام, ومن بعض أعظم مخلوقاته وهي النّار أعاذنا الله منها, ومن شرّ خلقه إبليس أعاذنا الله من شرّه وكيده.

فأقسم بها سبحانه كما في حديث الشفاعة: "**وعزّتي** وكبريائي وعظمتي, لأخرجنّ منها من قال: لا إله إلا الله"[4], وغيرها من الأحاديث.

وجاء القسم بها على لسان الملائكة الكرام كما تقدّم في حديث الملائكة السيّارة, وفيه قولهم: "لا **وعزّتك** ما رأوها...الحديث"[5].

وأقسم بها أيوب عليه السلام, كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "بينما أيوب عليه السلام يغتسل عريانا خرّ عليه جراد من ذهب، فجعل يحثي في ثوبه، فناداه ربه: يا

---

[1] () أخرجه البخاري, كتاب الدعوات, باب فضل ذكر الله عز وجل (8/86), رقم: 6408.

[2] () مدارج السالكين (2/77).

[3] () شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (1/129).

[4] () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (1/172), رقم: 326.

[5] () تقدّم تخريجه (381).

أيوب! ألم أكن أغنيتك عما ترى قال: بلى **وعزّتك**، ولكن لا غنى لي عن بركتك"[1].

وجاء القسم بها على لسان جهنّم, كما في حديث أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تزالُ جهنّم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها ربّ العزّة تبارك وتعالى قدمه، فتقول: قط! قط! **وعزَّتك**، ويزوي بعضها[2] إلى بعض"[3].

وأقسم بها إبليس كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [ص: ٨٢].

قال ابن عثيمين رحمه الله: (الباء هنا للقسم، لكنّه اختار القسم بالعزّة دون غيرها من الصفات؛ لأنّ المقام مقام مغالبة، فكأنّه قال: بعزّتك التي تغلب بها من سواك لأغوينّ هؤلاء وأسيطر عليهم يعني: بني آدم حتى يخرجوا من الرّشد إلى الغيّ)[4].

وهذا أيضا ما قصده سحرة فرعون عندما حلفوا بعزّته كما في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [الشعراء: ٤٤].

قال ابن جرير رحمه الله: (﴿ ﴾ يقول: أقسموا بقوّة فرعون وشدّة سلطانه، ومنعة مملكته) [5].

الإجماع:

---

[1] () أخرجه البخاري, كتاب أحاديث الأنبياء, باب قول الله تعالى: ﴿ ﴾ [الأنبياء: ٨٣] (4/151), رقم: 3391.

[2] () أي: يجمع والانزواء الاجتماع والانقباض والانضمام, ويقال: انزوت الجلدة في النّار إذا تقبضت واجتمعت, ومنه: "زويت لي الأرض", أي: جمعت حتّى أمكنه رؤية ما رأى منها, وزاوية البيت سميت للاجتماع في ناحية منه. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص345).

[3] () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: ﴿ ﴾ [إبراهيم: ٤] ، ﴿ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، ﴿ ﴾ [المنافقون: ٨] ، ومن حلف بعزة الله وصفاته (9/117), رقم: 7384, ومسلم, كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها, باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (4/2187), رقم: 2848.

[4] () شرح الواسطية (347).

[5] () جامع البيان (19/348).

دلّ الإجماع على جواز الحلف بصفات الله تعـالى, وصـفة العزة من جملة هذه الصفات.

يقـول ابن القيم رحمه الله: (وأجمـع المسـلمون أنّـه لـو حلف بحيـاة اللـه، أو سـمعه، أو بصـره، أو قوّتـه، أو عزّتـه أو عظمته انعقدت يمينه، وكانت مكفِّرة؛ لأنّ هذه صفات كمالـه التي اشتقت منها أسماؤه)[1].

ويقول سليمان بن عبد الله رحمه اللـه: (وأجمـع العلمـاء على أنّ اليمين لا تكـون إلا باللـه، أو بصـفاته، وأجمعـوا على المنع من الحلف بغـيره, قـال ابن عبـد الـبرّ: لا يجـوز الحلـف بغير الله بالإجماع)[2].

فالقسم بصفة من صفات الله تعالى جائز مثل أن تقـول: وعزّة الله لأفعلنّ, وقدرة الله لأفعلنّ, وما أشبه ذلك[3].

---

1 () مدارج السالكين (1/53).

2 () تيسير العزيز الحميد (1/511).

3 () فتاوى ابن عثيمين (2/950).

المطلب الخامس:
حكم الاستعاذة بصفة العزة.

من المسائل العقدية المتعلقة بصفات الله جلّ وعلا جواز الاستعاذة بها, والاستعاذة في اللغة: الالتجاء، والاعتصام[1].

وشرعا: هي الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولهذا يسمى المستعاذ به معاذًا، وملجأ ووِزرًا[2].

قال ابن كثير رحمه الله: (والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله, والالتصاق بجنابه من شرّ كلّ ذي شرّ، والعياذة تكون لدفع الشرّ، واللّياذ يكون لطلب جلب الخير)[3].

ويقول ابن القيّم رحمه الله: (فكذلك العائذ قد هرب من عدوّه الذي يبغي هلاكه إلى ربّه ومالكه, وفرّ إليه, وألقى نفسه بين يديه, واعتصم به واستجار به والتجأ إليه, وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات, وإنّما هي تمثيل وإشارة وتفهيم, وإلا فما يقوم بالقلب حينئذ من الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة)[4].

وقد دلّت الأدلة على مشروعية الإستعاذة بصفة العزة من وجهين:

1- أدلة عامة تدل على الاستعاذة بصفات الله تعالى عموماً, فمن تلك الأدلّة:

ما ثبت من حديث سعد بن أبي وقاص[5] رضي الله عنه

---

1 () انظر: لسان العرب (3/498), والنهاية (3/318).

2 () تيسير العزيز الحميد (ص171).

3 () تفسير القرآن العظيم (1/114).

4 () بدائع الفوائد (2/200-201).

5 () هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام, شهد بدرا، والحديبية، وسائر المشاهد، وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك، توفي في إمارة

قال: سمعت خولة بنت حكيم السلمية[1] تقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من نزل منزلا ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق، لم يضرّه شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك"[2].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (إنّما يستعاذ بالخالق تعالى وأسمائه وصفاته؛ ولهذا احتجّ السلف كأحمد وغيره على أن كلام الله غير مخلوق فيما احتجوا به بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بكلمات الله التامات", قالوا: فقد استعاذ بها, ولا يستعاذ بمخلوق)[3].

قال ابن القيم رحمه الله: (المقصود أنّ الرّحمة المستغاث بها هي: صفة الرّب تعالى لا شيء من مخلوقاته, كما أنّ المستعيذ بعزّته في قوله: "أعوذ بعزّتك" مستعيذ بعزّته التي هي صفته, لا بعزّته التي خلقها يُعِزُّ بها عباده المؤمنين, وهذا كلّه يقرِّر قول أهل السنة: إنّ قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بكلمات الله التامّات"يدل على أن كلماته تبارك وتعالى غير مخلوقة, فإنّه لا يستعاذ بمخلوق)[4].

فالمستعيذ بصفة من صفات الله تعالى مستعيذ بالله حقيقة, الذي اتصف بهذه الصفات, والاستعاذة بغير الله تعالى في ما لا يقدر عليه إلا الله من الشرك الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم, وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم الاستعاذة بصفات الله تعالى في عدّة أحاديث مثل الاستعاذة من شرّ ما خلق, والاستعاذة من سخطه سبحانه, فدلّ ذلك كلّه على أنّ المستعيذ بصفة ممن صفات الله مستعيذ بالله

معاوية, واختلف في تاريخ وفاته على أقوال. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (1/129), والاستيعاب (2/606).

1 () هي خولة بنت حكيم بنت ضعيفة السلمية أم شريك الأزدية, وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم, وامرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (6/3239), وأسد الغابة (7/93).

2 () تقدّم تخريجه (ص372).

3 () مجموع الفتاوى (1/336).

4 () بدائع الفوائد (2/185).

تعالى, إذ لا وجود لتلك الصفات بدون ذاته سبحانه.

يقـول ابن أبي العـزّ رحمـه اللـه: (وإذا قلت: أعـوذ بعـزّة الله، فقد عذت بصـفة من صـفات اللـه، ولم تَعُـذْ بغـير اللـه, وهذا المعنى يفهم من لفظ "الـذات"، فـإنّ "ذات" في أصـل معناهـا لا تسـتعمل إلا مضـافة، أي: ذات وجـود، ذات قـدرة، ذات عـزّ، ذات علم، ذات كـرم، إلى غـير ذلـك من الصـفات, فـ"ذات كذا" بمعنى صاحبة كـذا: تـأنيث ذو, هـذا أصـل معـنى الكلمة, فعُلِم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجــه من الوجــوه، وإن كــان الــذهن قــد يفــرض ذاتــا مجــردة عن الصّفات، كما يفرض المحال, وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بعزة اللـه وقدرتـه من شـر مـا أجـد وأحـاذر"[1], وقـال صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق"[2], ولا يعوذ صلى الله عليه وسلم بغير اللـه, وكـذا قـال صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ برضاك من سـخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك"[3], وقـال صـلى اللـه عليه وسـلم: "ونعـوذ بعظمتـك أن نغتـال من تحتنا"[4], وقـال صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بنـور وجهـك الـذي أشـرقت لـه الظلمات"[5])[6].

2- أدلة خاصَّة تـدلُّ على الاسـتعاذة بصـفة العـزّة خاصـة منها:

---

1 () تقدّم تخريجه (ص287).

2 () تقدّم تخريجه (ص372).

3 () أخرجه مسلم, كتاب الصلاة, باب ما يقال في الركوع والسجود (1/352), رقم: 486, من حديث عائشة رضي الله عنها.

4 () أخرجه النسـائي في الكـبرى, كتـاب الاسـتعاذة, الاسـتعاذةُ من الخسف (7/238), رقم: 7916, والحـاكم في المسـتدرك, كتـاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسـبيح (1/698), رقم: 1902, وقـال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه, والحديث صـحّحه الألبـاني في سنن ابن ماجة برقم: 3871.

5 () أخرجه الطبراني في الدعاء, باب الدعاء عند الكرب والشـدائد (ص315), رقم: 1036, وفي المعجم الكبـير, مـا انتهى إلينـا من مسند عبد الله بن جعفـر (13/73), رقم: 181, والحـديث ضـعّفه الألباني في الضعيفة برقم: 2933.

6 () شرح العقيدة الطحاوية (ص82).

ما ثبت من حديث عثمان بن أبي العاص الثّقفي رضي الله عنه قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبي وجع قد كاد أن يبطلني, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجعل يدك اليمنى عليه ثمّ قل: بسم الله أعوذ بعزّة الله وقدرته من شرّ ما أجد سبع مرات", ففعلت فشفاني الله عز وجل[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وإليك أنبت وبك خاصمت أعوذ بعزّتك لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون"[2].

---

1 () تقدّم تخريجه (ص255).
2 () تقدّم تخريجه (ص255).

المطلب السادس:
ما جاء في علاقة صفة العزّة بصفة القوّة والانتقام والقدرة الحكمة.

تقـدّم أنّ من معـاني العـزّة في حـق اللـه تعـالى: القـوّة والقدرة, فبهذا تكون العلاقة بين العزّة وبين القـوّة والقـدرة, أن العزّة من جنس القـوّة والقـدرة لتضـمّنها لهـا؛ لأنّ العـزّة تتضمّن كمال القوّة, وتمام القدرة لله تعالى.

وأمّا العلاقة بين العزّة والحكمة: هـو أن المتّصـف بـالعزّة إذا كانت معه حكمة؛ فهذا من كمال عزّته, وهـو اللّائـق باللـه تعالى, فالله تعالى عزيز حكيم, فعزّته تعالى مقرونة بحكمـة, وحكمته مقرونة بعزّة, بخلاف المخلوق, فقد يكون عزيزا, ولا يكون حكيما, وقد يكون حكيما وليس له عزّة.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فالعزّة من جنس القدرة والقـوّة, وقـد ثبت في الصـحيح عن النـبى صـلى اللـه عليـه وسـلم أنّـه قـال: "المـؤمن القـويّ خـير وأحب إلى اللـه من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير"[1], فالقدرة إن لم يكن معهـا حكمة, بل كان القادر يفعل ما يريده بلا نظر في العاقبـة، ولا حكمة محمـودة يطلبهـا بإرادتـه ويقصـدها بفعلـه، كـان فعلـه فسادا, كصاحب شهوات الغيّ والظلم، الذى يفعـل بقوّتـه مـا يريده من شهوات الغيّ في بطنـه وفرجـه ومن ظلم النـاس، فإنّ هذا وإن كان له قوّة وعزّة لكن لما لم يقترن بها حكمـة, كان ذلك معونة على شرّه وفسـاده, وكـذلك العلم كمالـه أن تقترن به الحكمة,...والمقصـود أنّ العلم والقـدرة المجـرَّدين عن الحكمة لا يحصل بهما الكمال والصلاح؛ وإنّما يحصل ذلك بالحكمة معها، واسمه سـبحانه "الحكيم" يتضـمَّن حكمتـه في خلقه, وأمره في إرادته الدينية الكونية, وهو حكيم في كل ما خلقه وأمر به)[2].

---

1 () أخرجه مسلم, كتاب القـدر, بـاب الأمـر بـالقوة وتـرك العجـز (4/2052), رقم 2664.

2 () طريق الهجرتين (ص110).

وأما العلاقة بين العزّة والانتقام, فالانتقام في اللّغة مأخوذ من الفعل نقم الذي (يدل على إنكار شيء وعيبه, ونقمت عليه أنقم: أنكرت عليه فعله, والنِّقمة من العذاب والانتقام، كأنّه أنكر عليه فعاقبه)[1].

وأما معنى المنتقم في حقّه تعالى فـ(هو المبالغ في العقوبة لمن يشاء, وهو مفتعل، من نقم ينقم، إذا بلغت به الكراهة حدّ السخط)[2].

وقد ورد وصف الله تعالى بأنّه عزيز ذو انتقام في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى هي:

قوله تعالى: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [آل عمران: ٤].

وقوله: ﮋ   ﮊ [المائدة: ٩٥].

وقوله: ﮋﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮊ [إبراهيم: ٤٧].

وقوله: ﮋﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [الزمر: ٣٧].

والعلاقة بينهما أن في العزّة معنى القدرة على كل شيء, ومن قدرته سبحانه أنّه قادر على عقاب وإهلاك أعدائه, الكفرين بآيته, المكذبين لرسله, وفي وصفه بأنّه ذو انتقام بيان أنّه فاعل لهذا العذاب والعقاب على أعدائه[3], والمتأمّل في الآيات التي ختمت بوصفه سبحانه بالعزّة والانتقام يجدها تهديدا للذين كفروا بآيات الله تعالى, وتهديدا للذين يمكرون في الأرض بغير الحقّ, وتهديدا للذين يفعلون ما حرّم الله, وذلك كقتل الصيد للمحرم, فبيّن سبحانه أنّه قادر على أخذ وعقاب من خالف أمره بالكفر وأنواع المعاصي, وأنّه فاعل لذلك العقاب.

ولهذا كان الاستفهام تقريرياً في قوله تعالى: ﮋﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [الزمر: ٣٦ – ٣٧] ؛ (لأنّ العلم بعزّة الله متقرّر في النّفوس لاعتراف الكلّ بإلهيته, والإلهية تقتضي العزّة؛ ولأنّ العلم بأنّه منتقم متقرّر من مشاهدة آثار أخذه لبعض الأمم, مثل عاد وثمود,

---

[1] () مقاييس اللغة (5/464).

[2] () النهاية (5/110).

[3] () انظر: مفاتيح الغيب (7/141), والبحر المحيط (2/394-395).

فإذا كانوا يقرون لله بالوصفين المـذكورين فمـا عليهم إلا أن يعلموا أنّه كاف عبده بعزّته, فلا يقـدر أحـد على إصـابة عبـده بسوء، وبانتقامه من الذين يبتغون لعبده الأذى)[1].

فتـبيّن بهـذا أنّ العـزّة من جنس القـوّة والقـدرة, وأيضـا متضمِّنة لهما, وأن كمال العزّة بالحكمة, وأنّ اللــه قـادر على كـل شـيء لكمـال عزّتـه, ومن قدرتـه: قدرتـه على إهلاك أعدائه, المكذبين لرسله, المعتدين على محارمه, وأنّه فاعـل لذلك العذاب والعقاب نقمةً منه بهم.

[1] () التحرير والتنوير (24/15).

الفصل الثالث:
الآثار الإيمانية للإيمان بصفة العزّة لله تعالى

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الثالث: أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الألوهية.

المبحث الرابع: أثر الإيمان بصفة العزّة في سلوك المسلم.

المبحث الخامس: آثار عزّة الله في خلقه.

تمهيد:

معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته, سبب في زيادة الإيمان, وحصول اليقين, وتحقيق التوحيد, وتذوُّق طعم العبودية لله تعالى, و(معرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها, ومعرفتها تتضمن أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الرّبوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي روح الإيمان وروحه، وأصله وغايته, فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه, فينبغي للمؤمن أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات) [1].

لذا (قال بعض العلماء: أوّل فرض فرضه الله تعالى على خلقه معرفته، فإذا عرفه الناس عبدوه قال الله تعالى: ﮋ [illegible] ﮊ [محمد: ١٩], فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء الله وتفسيرها فيعظموا الله حق عظمته, ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل, أو يزوجه, أو يعامله, طلب أن يعرف اسمه وكنيته، واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فالله الذي خلقنا ورزقنا, ونحن نرجو رحمته, ونخاف من سخطه أولى أن نعرف أسماءه, ونعرف تفسيرها)[2], بل قال أهل العلم: إنّ العلم بأسماء الله تعالى وصفاته هو أصل كل العلوم.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إحصاء الأسماء الحسنى والعلم بها أصلٌ للعلم بكل معلوم, فإنّ المعلومات سواه إما أن تكون خلقا له تعالى, أو أمرا, إما علمٌ بما كوَّنه, أو علم بما شرعه, ومصدر الخلق والأمر عن أسمائه الحسنى, وهما مرتبطان بها ارتباط المقتضى بمقتضيه, فالأمر كله مصدره عن أسمائه الحسنى, وهذا كله حسن, لا يخرج عن مصالح العباد والرأفة والرحمة بهم, والإحسان إليهم, بتكميلهم بما أمرهم به ونهاهم عنه, فأمره كله مصلحة وحكمة ولطف وإحسان, إذ مصدره أسماؤه الحسنى, وفعله كله لا يخرج عن العدل والحكمة والمصلحة والرحمة, إذ مصدره أسماؤه

---

1 () التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص72).

2 () الحجة في بيان المحجة (1/133).

الحسـنى, فلا تفـاوت في خلقــه, ولا عبث, ولم يخلــق خلقــه باطلا, ولا سدى, ولا عبثا, وكما أنّ كل موجود سواه فبإيجاده, فوجود من سواه تابع لوجوده, تبع المفعول المخلوق لخالقـه, فكذلك العلم بها أصل للعلم بكل ما سـواه, فـالعلم بأسـمائه وإحصـاؤها أصـل لسـائر العلـوم, فمن أحصـى أسـماءه كمـا ينبغي للمخلوق, أحصى جميع العلوم, إذ إحصاء أسمائه أصـل لإحصـــاء كـــل معلـــوم, لأنّ المعلومـــات هي من مقتضـــاها ومرتبطة بها)[1].

فعلى العبد المـؤمن باللـه تعـالى حـقّ الإيمـان أن يعـرف أسماء الله تعالى وصفاته, ويتـدبّرها, ويستحضـرها في حياتـه كلّهـا, فـإنّ العبـد لـو تأمّـل في أسـماء اللـه تعـالى وصـفاته, وأحصى عددها, وفهم معانيها, وعمـل بمقتضـاها, أورثـه ذلـك حبّا لله تعالى, ورجاء رحمته سبحانه, والخوف من عقابه جـل وعلا, وغير ذلك من أنواع العبوديـات الـتي هي سـبب سـعادة العبد, وسرور قلبـه وفرحـه, وهـذا بخلاف المعـرض عن ذلـك كلّه, يفوته من الخير بقدر ما ضيع.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فالإيمان بالصّفات ومعرفتها، وإثبـات حقائقهـا، وتعلـق القلب بهـا، وشـهوده لهـا: هـو مبـدأ الطريق ووسطه وغايتـه، وهـو روح السـالكين، وحـاديهم إلى الوصــول، ومحــرك عزمــاتهم إذا فــتروا، ومثــير هممهم إذا قصَّـروا، فـإن سـيرهم إنمـا هـو على الشـواهد، فمن كـان لا شــاهد لــه فلا ســير لــه، ولا طلب ولا ســلوك لــه، وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم، ونهاية مطلوبهم، وذلـك هـو العلم الذي رُفـع لهم في السـير فشـمَّرُوا إليـه، كمـا قـالت عائشـة رضي الله عنها: من رأى رسول الله صـلى اللـه عليـه وسـلم فقد رآه غاديا رائحـا، لم يضـع لبنـة على لبنـة، ولكن رفـع لـه علم فشمَّر إليه، ولا يزال العبد في التواني والفتور والكسـل، حتى يرفع الله عز وجـل لـه – بفضـله ومنـه – علمـا يشـاهده بقلبه، فيشمر إليه، ويعمل عليه.

فــإن عُطِّلت شــواهد الصِّــفات، ووُضــعت أعلامهــا عن القلوب، وطُمست آثارها، وضُربت بسياط البعد، وأسبل دونها

---

[1] () بدائع الفوائد (1/163).

حجاب الطرد، وتخلَّفت مع المتخلفين، وأوحى إليها القدر: أن اقعدي مع القاعدين، فإن أوصاف المدعو إليه، ونعوت كماله، وحقـائق أسـمائه: هي الجاذبـة للقلـوب إلى محبتـه، وطلب الوصـول إليـه؛ لأنّ القلـوب إنّمـا تحب من تعرفـه، وتخافـه وترجـوه وتشـتاق إليـه، وتلتـذ بقربـه، وتطمئن إلى ذكـره، بحسب معرفتهـا بصـفاته، فـإذا ضـرب دونهـا حجـاب معرفـة الصفات والإقرار بها: امتنع منها - بعد ذلك - ما هـو مشـروط بالمعرفـة، وملـزوم لهـا، إذ وجـود الملـزوم بـدون لازمـه، والمشروط بدون شرطه، ممتنع)[1].

وأيضا فإنّ مقامـات العبوديـة من توكُّل, ومحبّـة, وخـوف, ورجاء, وإنابة, وغير ذلك من العبوديات لا تتصور ممن يعطـل صفات الله تعالى, (فحقيقة المحبة، والإنابة، والتوكل، ومقـام الإحسـان ممتنـع على المعطـل, امتنـاع حصـول الـمَغْلِ من معطل البذر، بل أعظم امتناعا, كيف تصـمد القلـوب إلى من ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصـلا بـه ولا منفصـلا عنـه، ولا مباينا لـه ولا محايثـا؟ بـل حـظ العـرش منـه كحـظ الآبـار والوهاد، والأماكن التي يرغب عن ذكرها؟ وكيف تأله القلـوب من لا يسـمع كلامهـا، ولا يـرى مكانهـا، ولا يحب ولا يحب، ولا يقوم به فعـل البتـة، ولا يتكلم ولا يكلِّم، ولا يقـرب من شـيء ولا يقرب منه شيء، ولا يقوم به رأفة ولا رحمة ولا حنان، ولا له حكمة ولا غاية يفعل ويأمر لأجلها؟)[2].

وسيتناول الباحث في هـذا الفصـل بـإذن اللـه تعـالى أثـر الإيمـان بصـفة العـزّة للـه تعـالى في تقريـر أقسـام التوحيـد الثلاثـة: توحيـد الرّبوبيـة, وتوحيـد الألوهيـة, وتوحيـد الأسـماء والصّفات, وأثرهما في سلوك العبد وخلقه.

---

1 () مدارج السالكين (3/327).

2 () مدارج السالكين (3/327).

المبحث الأول:
أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الربوبية.

تعريف توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية: هو اعتقاد العبد أن الله تعالى هو خالق كل شيء, ومالكه, ومدبره, والمتصرف فيه بالرَّزق, والعطاء والمنع, والإحياء والإماتة, وغير ذلك من الأفعال التي لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربُّه)[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (توحيد الربوبية المتضمن أنّه وحده الرّب، الخالق، الفاطر)[2].

وقال ابن عثيمين رحمه الله: (وهو إفراد الله سبحانه وتعالى في أمور ثلاثة؛ في الخلق، والملك، والتدبير)[3].

ويوضح ابن القيم رحمه الله كيف يشهد العبد ربوبية الله تعالى فيقول: (فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق ولا رازق، ولا معطي ولا مانع، ولا مميت ولا محيي، ولا مدبّر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته, ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته، فهذا جمع توحيد الربوبية)[4].

ويظهر أثر الإيمان بصفة العزّة لله تعالى في تقرير توحيد الربوبية من خلال النُّقاط الآتية:

---

1 () مجموع الفتاوى (11/50).
2 () بدائع الفوائد (4/132).
3 () شرح العقيدة الواسطية (ص21).
4 () مدارج السالكين (3/371).

1- اتصاف الله بصفة العزّة من معاني ربوبيته؛ إذ كيف يكون ربا من لا عزّة له.

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة لله تعالى في تقرير توحيد الربوبيــة, أنّ صــفة العــزّة من صــفات الربوبيــة الــتي لا تتم ربوبية اللــه تعـالى إلا بهـا, فـالرب الحـق هـو: العزيـز القـوي المتصف بصفة العزّة, المتضمنة لكمال القوة, وتمام القـدرة, ولا تتحقَّق الرّبوبيّة بدون هذه الصّفات وغيرها.

يقول ابن القيم رحمـه اللـه: (فـإن ربوبيتـه سـبحانه إنمـا تتحقق بكونه فعالا مدبرا متصرفا في خلقه، يعلم ويقدر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت أفعاله وصفاته, انتفت ربوبيته)[1].

وقال أيضا رحمه الله: (فهـو الـربّ الحـقّ, الملـك الحـقّ, الإلــه الحــقّ, خلقهم بربوبيّتــه, وقهــرهم بملكــه, اســتعبدهم بإلهيته, فتأمّل هذه الجلالة, وهذه العظمة الـتي تضـمّنته هـذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظـام, وأحسـن سـياق, رب النّـاس, ملك النّاس, إله النّاس, وقد اشـتملت هـذه الإضـافات الثّلاث على جميع قواعد الإيمان, وتضمّنت معاني أسـمائه الحسـنى؛ أما تضمّنها لمعاني أسـمائه الحسـنى فـإنّ الـرب هـو: القـادر الخالق البـارئ المصـور الحيّ القيّـوم العليم السـميع البصـير المحســن المنعم الجــواد, المعطي المــانع, الضــار النــافع, المقـدّم المـؤخّر, الـذي يضـلّ من يشـاء, ويهـدي من يشـاء, ويسعد من يشاء, ويشقي من يشـاء, ويعـزّ من يشـاء, ويـذلّ من يشاء إلى غير ذلك من معـاني ربوبيّتـه الـتي لـه منهـا مـا يستحقه من الأسماء الحسنى)[2].

وأيضا صفة العزّة من صفات الربوبيـة الـتي اسـتدلّ اللـه بها على المشـركين؛ لكي يقـرّوا بتوحيـد الألوهيـة, وهـذه هي طريقة القرآن, أنّـه سـبحانه يحتج على المشـركين بـإقرارهم بتوحيد الربوبية على إشراكهم في توحيـد الألوهيـة, فلـيزمهم على إقــرارهم بربوبيــة اللــه تعــالى, وعلى إقــرارهم ببعض الصفات ومنها: العلم, والعزة كما قال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [الزخرف: ٩], أن يقروا بألوهية الله سبحانه وتعالى, وأن

[1] () مختصر الصواعق (ص497).
[2] () بدائع الفوائد (2/249).

يخلصوا الدين لله وحده لا شريك له.

يقول أبو بُطَيْن[1] رحمه الله: (ونصوص القرآن كثيرة في ذلك كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [يونس: ٣١], أي: أفلا تتّقون الشرك في الألوهية إذا أقررتم بالربوبيّة, وقال تعالى: ﴿ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩] , ﴿ ﴾ [الزخرف: ٩], واعترفوا أيضا بصفة العزّة والعلم للـه، والآيـات في هـذا كثـيرة معلومـة عنـد الجميـع, يحتج سـبحانه عليهم بـإقرارهم بتوحيـد الربوبيـة على إشـراكهم في توحيـد الألوهية كما قال تعالى: ﴿ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال ابن عباس ومجاهـد وغيرهمـا: إيمـانهم إذا قيـل لهم من خلق السموات والأرض والجبال قالوا: اللــه وهم يعبـدون معه غيره!.

ولهذا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك[2].

وقال عطاء[3] في الآيـة: إيمـانهم وإخلاصـهم الـدعاء للـه

---

[1] () هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الملقب كأسلافه أبا بطين -بضم الباء وفتح الطاء وسكون الياء- العائذي نسبا، الحنبلي مذهبا، النجدي بلدا, علامة فقيه, من كتبه: تأسـيس التقـديس في كشف تلـبيس داود بن سـليمان جـرجيس, والانتصـار لحـزب اللـه الموحدين والرد على المجادل عن المشركين, ولـه فتـاوى كثـيرة طبعت ضـمن رسـائل علمـاء دعـوة التوحيـد المسـماة بالرسـائل والمسائل النجدية, مات سنة اثنان وثمانين ومائتين وألف للهجرة. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص176).

[2] () أخرجـه مسـلم, كتـاب الحج, بـاب التلبيـة وصـفتها ووقتهـا (2/843), رقم: 1185, ولفظه: عن ابن عباس رضـي اللـه عنهمـا قال: كان المشركون يقولـون: لبيـك لا شـريك لـك، قـال: فيقـول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ويلكم، قـد قد", فيقولـون: إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.

[3] () هو عطاء بن أبي رباح أسلم أبو محمد القرشي مولاهم المكي, التابعي الإمام، الثقة الفقيه مفتي الحرم، وإليه انتهت فتـوى أهـل مكة, كان أسـود أعـرج أفطس أشـل أعـرج. قطعت يـده مـع ابن الزبير ثم عمي, حدث عن: عائشة، وأم وأبي هريرة، وابن عبــاس

في الشدائد وينسون في الرخاء.

كما قال تعالى: ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [العنكبوت: ٦٥] الآية, والآيـة تعمّ ذلـك كلّـه, فهـذه نصـوص القـرآن صـريحة في أنّ المشـركين يعـترفون بتوحيـد الربوبيـة اعترافـا جازمـا غـير مترددين ولا متـوقفين، بـل يقـرّون بجملـة من صـفات الـرب سـبحانه وتعـالى ينكرهـا كثـير من المسـلمين المنحـرفين كإقرارهم بصفة العزة, والعلم)[1].

وقـال الشـيخ السـعدي رحمـه اللـه: (يخـبر تعـالى عن المشركين، أنّك لو ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [الزخرف: ٩] الله وحده لا شريك له، العزيز الذي دانت لعزته جميع المخلوقات) [2].

ولهذا ضرب الله الأمثلة في القرآن الكـريم على أنّـه من ليس بعزيز, ولا قادر, ولا يستطيع كشف الضر عن نفسه, أنّه ليس بربّ, ولا بإله يعبد, وفي هذا يقول الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [الحج: ٧٣ – ٧٤].

يقول ابن القيم رحمه الله: (وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [الحج: ٧٣ – ٧٤], فتأمّل هذا المثل الذي أمر النّاس كلّهم باسـتماعه, فمن لم يسـتمعه فقـد عصـى أمـره, كيف تضمّن إبطال الشّـرك وأسـبابه بأصـحّ برهـان في أوجـز عبارة وأحسنها وأحلاها, وأسجل على جميـع آلهـة المشـركين أنّهم لو اجتمعوا كلّهم في صعيد واحد, وساعد بعضـهم بعضـا, وعاونه بأبلغ المعاونة, لعجـزوا عن خلـق ذبـاب واحـد, ثم بيّن ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ مـا يسـلبهم الـذّباب إيّـاه, حين يسقط عليهم, فأيّ إله أضعف من هذا الإلـه المطلـوب, ومن عابده الطّالب نفعه وخيره, فهل قدّر القويّ العزيز حقّ قدره من أشرك معه آلهة هذا شأنها.

فأقـام سـبحانه حجـة التّوحيـد, وبين إفـك أهـل الشّـرك

وعّدة من الصحابة, مات سنة أربعـة عشـرة ومائـة. انظـر: تـاريخ دمشق (40/372), وسير أعلام النبلاء (5/78).

1 () تأسيس التقديس (ص47).

2 () تيسير الكريم الرحمن (ص763).

والإلحاد بأعذب ألفاظ وأحسنها, لم يستكرهها غموض, ولم يشنها تطويل, ولم يعبها تقصير, ولم تزر بها زيادة ولا نقص, بل بلغت في الحسن والفصاحة والبيان والإيجاز مالا يتوهم متوهم, ولا يظنّ ظانّ أن يكون أبلغ في معناها منها, وتحتها من المعنى الجليل القدر, العظيم الشّرف, البالغ في النّفع, ما هو أجلّ من الألفاظ)[1].

ففي صفة العزّة لله تعالى معنى (الرّبوبيّة المتضمّنة لخلقهم, وتدبيرهم, وتربيتهم, وإصلاحهم, وجلب مصالحهم وما يحتاجون إليه, ودفع الشّر عنهم, وحفظهم ممّا يفسدهم, هذا معنى ربوبيّته لهم, وذلك يتضمّن قدرته التّامة, ورحمته الواسعة, وإحسانه, وعلمه بتفاصيل أحوالهم, وإجابة دعواتهم, وكشف كرباتهم)[2].

2- دلالة صفة العزّة على قضاء الله تعالى, ونفوذ مشيئته تعالى:

ممّا يدخل في توحيد الرّبوبيّة, الإيمان بالقضاء والقدر, وأنّه لا يخرج شيء عن علم الله, وكتابته, ومشيئته, وخلقه, وأنّ ما شاء الله كان, ومالم يشأ لم يكن.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما توحيد الرّبوبيّة فيدخل ما قدّره وقضاه)[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وأمّا ما فيه من التّوحيد, وانتهاء الأمور إلى مشيئة الرّبّ جلّ جلاله، وأنّه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن, فذلك عقد نظام الإيمان، ومع ذلك فلا يكفي وحده، إذ غايته تحقيق توحيد الرّبوبيّة الذي لا ينكره عباد الأصنام)[4].

وصفة العزّة من صفات الرّبوبيّة التي قهر الله تعالى بها الخلق, فما شاء كان, ومالم يشأ لم يكن؛ فسلطانه وحكمه فيهم نافذ, وقضاؤه لا رادّ له سبحانه, لا يسأل عمّا يفعل وهم

---

1 () الصواعق المرسلة (2/466).
2 () بدائع الفوائد (2/247).
3 () مجموع الفتاوى (22/448).
4 () مدارج السالكين (3/368).

يسألون؛ لكمال عزّته وقدرته وحكمته جلّ وعلا, وهـذا يـورث العبد الخوف من الله تعالى, والالتجاء إليه, والتّـذلّل بين يديـه سبحانه؛ لأنّه يعرف أنّ أمره بيـد مـولاه عـزّ وجـلّ, فالعصـمة والنّجـاة في طاعتـه واتّبـاع أمـره, والخـذلان والخسـارة في معصيّته ومخالفة أمره تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وأنّه لكمـال عزّتـه حكم على العبد، وقضى عليـه بـأن قلّب قلبـه, وصـرف إرادتـه على مـا يشاء, وحال بين العبد وقلبه, وجعله مريدا شائيا لما شاء منـه العزيز الحكيم، وهذا من كمال العزّة؛ إذ لا يقدر على ذلك إلاّ الله، وغايـة المخلـوق أن يتصـرّف في بـدنك وظـاهرك, وأمّـا جعلك مريدا شائيا لما يشاؤه منك ويريده: فلا يقـدر عليـه إلاّ ذو العزّة الباهرة, فإذا عرف العبد عزّ سـيّده ولاحظـه بقلبـه، وتمكّن شهوده منه، كان الاشتغال بـه عن ذلّ المعصـية أولى به وأنفع له، لأنّه يصير مع الله لا مع نفسه.

ومن معرفة عزّته في قضائه: أن يعرف أنّه مدبّر مقهـور، ناصيتُه بيد غيره, لا عصـمة لـه إلاّ بعصـمته، ولا توفيـق لـه إلاّ بمعونته، فهو ذليل حقير، في قبضة عزيز حميد.

ومن شهود عزّته أيضـا في قضـائه: أن يشـهد أنّ الكمـال والحمد، والغناء التّام، والعزّة كلّها لله، وأنّ العبد نفســه أولى بالتّقصير والذمِّ، والعيب والظّلم والحاجة، وكلّما ازداد شهوده لذلّه ونقصه وعيبه وفقره، ازداد شـهوده لعـزّة اللـه وكمالـه، وحمـده وغنـاه؛ وكـذلك العكس، فنقص الـذّنب وذلّتـه يطلعـه على مشهد العزّة)[1].

وأيضا عزّته سبحانه تمنع أن يكون في ملكه وخلقـه مـا لا يشاؤه, أو أن يشاء شيئا ولا يكون, فهذا مناقض لكمال عزّتــه تعالى, فالخلق خلقه, والملك ملكه, يقضي فيه بما شاء لا رادّ لقضائه, ولا معقّب لحكمه؛ لكمال عزّته وقدرته سبحانه.

وقال ابن القيم رحمه الله: (ثم قال: ﮋﮛ ﮜ ﮝ ﮞ [غافر: ٢], فتضمّن هذان الاسمان صفتي: القدرة والعلم, وخلـق أعمـال العباد, وحدوث كل ما سـوى اللـه؛ لأنّ القـدر هي قـدرة اللـه

---

[1] () مدارج السالكين (1/205).

كما قال أحمد بن حنبل. فتضمّنت إثبات القدر, ولأنّ عزّته تمنع أن يكون في ملكه ما لا يشاؤه, أو أن يشاء ما لا يكون, فكانت عزّته تبطل ذلك, وكذلك كمال قدرته توجب أن يكون خالق كلّ شيء, وذلك ينفي أن يكون في العالم شيء قديم لا يتعلّق به خلقه؛ لأنّ كمال قدرته وعزّته يبطل ذلك)[1].

3- دلالة صفة العزّة على تمام ملكه عزّ وجلّ:

من تمام ربوبيّة الله تعالى لخلقه تمام ملكه سبحانه؛ لأنّ الملك من معاني ربوبيّة الله تعالى, وحقيقة الملك لله تعالى تتضمّن جميع أسماء الله الحسنى, من ذلك اسم الله العزيز, وتستلزم جميع صفات الله تعالى, ومن هذه الصّفات صفةُ العزّة لله تعالى, وصفتا الإعزاز والإذلال لله تعالى, فلا تتمّ حقيقة الملك إلاّ بكون الله تعالى عزيزا ذا عزّة, يتصرّف في مملكته بما يشاء من أنواع التّصرفات من: الإعزاز والإذلال, والخفض والرّفع, والإحياء والإماتة, وغير ذلك من المعاني التي لا تتمّ حقيقة الملك إلاّ بها.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وأمّا الملك فهو: الآمر النّاهي, المعزّ المذلّ, الذي يصرِّف أمور عباده كما يحب, ويقلِّبهم كما يشاء, وله من معنى الملك ما يستحقّه من الأسماء الحسنى كالعزيز الجبّار, الحَكَم العَدْل, الخافض الرّافع, المعزّ المذلّ, العظيم الجليل الكبير. الحسيب المجيد, الوالي المتعالي, مالك الملك, المقسط الجامع, إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى الملك)[2].

ويقول أيضا رحمه الله: (إنّ من أسمائه الملك, ومعنى الملك الحقيقي ثابت له سبحانه بكلّ وجه, وهذه الصّفة تستلزم سائر صفات الكمال؛ إذ من المحال ثبوت الملك الحقيقي التّام لمن ليس له حياة, ولا قدرة. ولا إرادة, ولا سمع, ولا بصر, ولا كلام, ولا فعل اختياري يقوم به, وكيف يوصف بالملك من لا يأمر ولا ينهى, ولا يثيب ولا يعاقب, ولا يعط ولا يمنع, ولا يعزّ ويذلّ, ويهين ويكرم, وينعم وينتقم,

---

1 () بدائع الفوائد (1/193-194)

2 () بدائع الفوائد (2/249).

ويخفض ويرفع, ويرسل الرّسل إلى أقطـار مملكتـه, ويتقـدّم إلى عبيده بأوامره ونواهيه, فأيّ ملك في الحقيقـة لمن عـدم ذلك؟)[1].

فمن أنكر اسم الله العزيز, أو صفة العـزّة للـه تعـالى, أو صـفتي الإعـزاز والإذلال, لم يُثْبِت الملـك للـه تعـالى؛ إذ لا يتصوّر مَلِك وهو غير عزيز, فالمَلِك الحقّ: هو القـاهر الغـالب القويّ القدير, الذي لا يحدث في ملكه ما لا يشاء, وكـلّ هـذه المعاني يتضمّنها اسـم اللـه العزيـز, وكـذلك لا يتصـوّر الملْـك التامّ بدون العـزّة, لمـا تتضـمنّه من نفـوذ السّـلطان, وكمـال القـدرة, وتمـام القـوّة, وكـذلك أيُّ مُلْـك لمن لا يسـتطيع التّصرف في مملكته بـالإعزاز والإذلال, وغـير ذلـك من أنـواع التّصرفات؟.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فإذا قال: ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ [الفاتحة: ٤] , فهنا شهد المجد الذي لا يليق بسوى الملك الحق المبين, فيشهد ملكا قاهرا, قد دانت لـه الخليفـة, وعَنَت لـه الوجـوه, وذلّت لعظمته الجبابرة, وخضع لعزّته كلّ عزيز, فيشهد بقلبـه ملكا على عرش السّماء مهيمنا, لعزّته تعنو الوجـوه وتسـجد, وإذا لم تعطّل حقيقة صفة الملك أطلعته على شـهود حقـائق الأسماء والصّفات التي تعطيلها تعطيل لملكه, وجحد له, فإنّ الملـك الحـق التّـام الملـك لا يكـون إلاّ حيّـا, قيّومـا, سـميعا, بصيرا, مدبّرا, قادرا, متكلّما, آمرا ناهيـا, مسـتويا على سـرير مملكته, يرسل رسله إلى أقاصي مملكتـه بـأوامره, فيرضـى على من يستحقّ الرّضا, ويثيبه ويكرمه ويدنيه, ويغضـب على من يسـتحقّ الغضـب ويعاقبـه ويهينـه ويقصـيه, فيعـذّب من يشاء, ويرحم من يشاء, ويعطى من يشاء, ويقرّب من يشـاء, ويقصى من يشاء, له دار عـذاب وهي النّـار, ولـه دار سـعادة عظيمـة وهي الجنّـة, فمن أبطـل شـيئا من ذلـك, أو جحـده, وأنكر حقيقته, فقد قدح في ملكه سبحانه وتعالى, ونفى عنـه كماله وتمامه)[2].

وقد تقدم في دراستنا هذه ذكر اسم اللـه "الملـك", وأنـه

---

1 () شفاء العليل (1/220).

2 () الصلاة وحكم تاركها (ص143-144).

من الأسماء المقاربة لاسم الله "العزيز" في المعنى[1].

4- دلالة صفة العزّة على الخلق والأمـر, وحسـن التّدبير والتّقدير:

توحيد الرّبوبيّة كما تقـدّم هو إفـراد اللـه سـبحانه وتعـالى في الخلـق، والملـك، والتّـدبير. ولمـا كـانت عـزّة اللـه تعـالى تتضمّن كمال القدرة, وتمام القوّة**,** كان مصدر الخلق والأمــر عن عزته سبحانه وتعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ثمّ أخبر سبحانه عن ملائكتـه أنّهم قالوا عقيب هذه الدّعوة: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [غافر: ٨], أي: مصدر ذلك وسببه وغايته صادر عن كمال قدرتك وكمال علمك، فإنّ العزّة كمال القدرة، والحكمة كمـال العلم، وبهـاتين الصّـفتين يقضي سبحانه وتعالى ما شاء، ويأمر وينهى ويـثيب ويعـاقب، فهاتان الصّفتان مصدر الخلق والأمر)[2].

وقال أيضا رحمه الله: (ولهـذا كـان مصـدر الخلـق والأمـر والقضاء والشّرع عن علم الرّبّ وعزّته وحكمته، ولهـذا يقــرن تعالى بين الاسمين والصّفتين من هذه الثّلاثة كثيرا كقولـه: ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [النّمل: ٦] ، وقال: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [الزّمر: ١] ، وقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ [غافر: ١ – ٢], وقال: في حم فصلت بعد ذكر تخليق العالم: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [فصلت: ١٢], وذكر نظير هذا في الأنعام فقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأنعام: ٩٦], فارتباط الخلق بقدرته التّامة يقتضـى أن لا يخـرج موجـود عن قدرته، وارتباطه بعلمه التّام يقتضى إحاطته به وتقدُّمَـه عليـه، وارتباطه بحكمته يقتضى وقوعه على أكمل الوجوه وأحسـنها, واشتماله على الغاية المحمودة المطلوبة للرّب تعالى, وكذلك ارتباط أمره بعلمه وحكمته وعزّتـه، فهـو عليم بخلقـه وأمـره, حكيم في خلقه, عزيز في خلقه وأمره)[3].

وأيضا من الآثار الإيمانيّـة لصـفة العـزّة في تقريـر توحيـد الرّبوبيّة, أنّ كلّ مـا نـراه في هـذا الكـون من حسـن التّـدبير

[1] () انظر: (ص170).
[2] () الجواب الكافي (116).
[3] () طريق الهجرتين (1/92-93).

والتّقدير. كتسخير الشّمس والقمر, وتعاقب اللّيل والنّهار, وجريان الكواكب بانتظام, كلّ ذلك صادر عن عزّة الله وحكمته وعلمه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وكذلك جميع ما يشاهد من مخلوقاته عاليها وسافلها وما بين ذلك, إذا تأمّلها صحيح التّأمّل والنّظر, وجدها مؤسّسة على غاية الحكمة مغشاة بالحكمة, فقرأ سطور الحكمة على صفحاتها, وينادي عليها هذا صنع العليم الحكيم, وتقدير العزيز العليم, فإن وجدت العقول أوفق من هذا فلتقترحه, أو رأت أحسن منه فلتبده ولتوضّحه ذلك صنع ﮋ ﮊ ﮉ ﮈ ﮇ ﮆ ﮅ ﮄ ﮃ ﮂ ﮁ ﮀ ﭿ ﭾ ﭽ ﭼ ﭻ ﭺ ﭹ ﭸ ﭷ ﭶ ﭵ ﭴ ﭳ ﭲ ﭱ ﭰ ﭯ ﭮ ﮊ [الملك: ٣ – ٤], ومن نظر في هذا العالم, وتأمّل أمره حقّ التّأمل, علم قطعا أنّ خالقه أتقنه وأحكمه غاية الإتقان والإحكام, فإنّه إذا تأمّله وجده كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع عتاده, فالسّماء مرفوعة كالسّقف, والأرض ممدودة كالبساط, والنّجوم منضودة كالمصابيح, والمنافع مخزونة كالذّخائر. كلّ شيء منها لأمر يصلح له, والإنسان كالمالك المخول فيه,... وإذا فكرت في طلوع الشّمس وغروبها لإقامة دولتي اللّيل والنّهار, ولولا طلوعها لبطل أمر هذا العالم, فكم في طلوعها من الحكم والمصالح, وكيف كان حال الحيوان لو أمسكت عنهم, وجعل اللّيل عليهم سرمدا والدّنيا مظلمة عليهم, فبأيّ نور كانوا يتصرّفون وينقلبون؟ وكيف كانت تنضج ثمارهم, وتكمل أقواتهم, وتعتدل صورهم وأبدانهم؟, فالحكم في طلوعها أعظم من أن تخفى أو تحصى, ولكن تأمّل الحكمة في غروبها, فلولا غروبها لم يكن للحيوان هدوء ولا قرار, مع شدّة حاجتهم إلى الهدوء لراحة أبدانهم وإجمام حواسهم, وأيضا لو دامت على الأرض لاشتدّ حموها بدوام طلوعها عليها فأحرق كلّ ما عليها من حيوان ونبات, فاقتضت حكمة الخلاّق العليم, والعزيز الحكيم أن جعلها تطلع عليهم في وقت, وتغيب في وقت, بمنزلة سراج يرفع لأهل الدّار مليا ليقضوا مآربهم, ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليقرّوا ويهدوا, وصار ضياء النّهار وحرارته, وظلام اللّيل وبرده على تضادّهما, وما فيهما متظاهرين متعاونين على ما فيه صلاح العالم وقوامه ومنافع أهله, ثمّ

اقتضت حكمته أن جعل للشّمس ارتفاعا وانحطاطا لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السّنة, وما فيها من قيام الحيوان والنّبات, ففي زمن الشّتاء تغور الحرارة في الشّجر والنّبات, فيتولّد فيها مواد الثّمار ويغلّظ الهواء بسبب البرد فتصير مادّة للسّحاب, فيرسل العزيز الحكيم الرّيح المثيرة فيثيره فزعا, ثم يرسل عليه الرّيح المؤلّفة, فتؤلّف بينه حتّى يصير طبقا واحدا, ثم يرسل عليه الرّيح اللّاقحة التي فيها مادّة الماء فيلقحه كما يلقح الذّكر الأنثى, فيحمل الماء من وقته, فإذا كان بروز الحمل وانفصاله, أرسل عليه الرّيح الذّارية فتذروه وتفرّقه في الهواء؛ لئلا يقع صبّة واحدة, فيهلك ما أصابه, ويقل الانتفاع به, فإذا سقى ما أمر بسقيه, وفرغت حاجتهم منها, أرسل عليه الرّياح السّائقة؛ فتسوقه وتزيحه إلى قوم آخرين, وأرض أخرى محتاجة إليه, فإذا جاء الرّبيع, تحرّكت الطّبائع, وظهرت المواد الكامنة في الشّتاء, فخرج النّبات, وأخذت الأرض زخرفها, وازيّنت, وأنبتت من كلّ زوج بهيج, فإذا جاء الصّيف سخن الهواء, فنضجت الثّمار, ويبست الحبوب, فصلحت للحفظ والخزن, وتحلّلت فضلات الأبدان, فإذا جاء الخريف كسر ذلك السّموم, والحرور, وصفا الهواء واعتدل, وأخذت الأرض والشّجر في الرّاحة والجموم والاستعداد للحمل الآخر, واقتضت حكمته سبحانه أن أنزل الشّمس والقمر في البروج, وقدّر لهما المنازل, ليعلم العباد عدد السّنين والحساب من الشّهور والأعوام, قسّم بذلك مصالحهم, ويعلم آجال معاملاتهم, ومواقيت حجهم وعباداتهم, ومدّد أعمارهم, وغير ذلك من مصالح حسابهم, فالزّمان مقدار الحركة, ألاّ ترى أنّ السّنة الشّمسيّة مقدار مسير الشّمس من الحمل إلى الحمل, واليوم مقدار مسيرها من الشّرق إلى الغرب, وبحركة الشّمس والقمر كان الزمان من حين خلقا إلى أن يجمع الله بينهما, ويعزلهما عن سلطانهما, ويرى عابديهما أنّهم عبدوا الباطل من دونه, وأنّ سلطان معبودهم قد بطل واضمحلّ, وأنّ سلطان الحقّ, والملك الحقّ لله الواحد القهّار قال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ [يونس: ٥] , وقال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [الإسراء: ١٢]

, ففي القمــر وتقــدير منازلــه آيــات وحكم, لا تخفى على النّاظرين,... ثمّ تأمّل حـال النّجـوم واختلاف مسـيرها ففرقـة منهــا لا تــريم مراكزهــا من الفلــك, ولا تســير إلاّ مجتمعــة كـالجيش الواحـد, وفرقـة منهـا مطلقـة تنتقـل في الـبروج, وتفترق في مسيرها, فكلّ واحد منها يسير سـيرين مختلفين: أحدهما عام مع الفلك نحو الغرب, والآخر خـاص لنفسـه نحـو الشّرق, فله حركتان مختلفتان على وفق الحكمـة, وذلـك من أعظم الدّلالــة على الفاعــل المختــار العليم الحكيم, وعلى كمال علمه وقدرتـه وحكمتـه, وتأمّـل كيـف صـار هـذا الفلـك بشمسه, وقمره, ونجومه, وبروجه يدور على هذا العـالم هـذا الدّوران العظيم السّريع المسـتمر, بتقـدير محكم, لا يزيـد ولا ينقص, ولا يختلّ عن نظامه, بل هو تقدير العزيـز العليم, كمـا أشار تعالى إلى أنّ ذلك التّقدير صادر عن كمال عزّته وعلمـه فقال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [يس: ٣٨], وقال تعالى: ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [فصلت: ٩] إلى قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﮊ [فصلت: ١٢], وقال تعالى: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﮊ [الأنعام: ٩٦], فذكر سبحانه أنّ هذا التّقـدير لمسير الشّمس والقمر واللّيل والنّهار, وحركـات النّجـوم في مطالعهـا ومغاربهـا, تقـدير ناشـئ عن عزّتـه وعلمـه, وذلـك متضمّن وقوعه على وجه الحكمة الغائيّة, ولتسـخير الشّـمس والقمر والكـواكب وتـذليلها لعزّتـه, وجـار على وفـق حكمتـه, فجاءت على وفق ما قـدرها لـه, فهـل يخفى على ذي لبّ أنّ ذلك تقدير مقدر قادر عزيز حكيم, وحسبنا الله ونعم الوكيـل) [1].

5- نسبة الإعزاز والإذلال لله تعـالى من أسـباب زيادة الإيمان بربوبيّة الله تعالى:

من الآثار الإيمانية لصفة العـزّة, وصـفتي الإعـزاز والإذلال في تقريـر توحيـد الرّبوبيّـة, أنّهـا تزيـد العبـد إيمانـا ويقينـا في ربوبيّة الله تعالى, وأنّه هو وحده لا شريك له من بيده الإعــزاز والإذلال, والخفض والرّفع, والإعطاء والمنع, ومـا حصـل للعبـد

1 () انظر: الصواعق المرسلة (1566/4-1575) بتصرّف.

من ذلك من المخلوق, فهو بتسخير الله تعالى له, فهـو المنعم الأوّل على الحقيقة, وإذا رسخت هذه المعاني في قلب العبد, تحقق التّوحيد في قلبه, ولم يلتفت إلى مخلـوق أبـدا, وتخلّص من ملاحظة الخلق, والتّعلّق بهم, وعاش مطمئنّ البال, عزيــز النّفس, قال تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فـإنّ الـرّبّ سـبحانه هـو: المالك المدبّر، المعطي المانع، الضّار النّافع، الخافض الرّافع، المعزّ المذلّ, فمن شهد أنّ المعطي, أو المـانع, أو النّـافع، أو المعزّ, أو المـذلّ غـيره، فقـد أشـرك بربوبيّتـه, ولكن إذا أراد التّخلّص من هــذا الشّــرك, فلينظــر إلى المعطي الأوّل مثلا، فيشكره على ما أولاه من النّعم، وينظر إلى من أسـدى إليـه المعـروف فيكافئـه عليـه، لقولـه عليـه السّـلام: "من أسـدى إليكم معروفا فكافئوه, فإن لم تجدوا ما تكافئوه, فـادعوا لـه حتّى تروا أنّكم قد كافأتموه"[1]؛ لأنّ النّعم كلّها لله تعالى كمـا قال تعالى: ﮋ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ [النحل: ٥٣], وقال تعالى: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [الإسراء: ٢٠], فالله هو المعطي على الحقيقة؛ فإنّه هـو الذي خلق الأرزاق وقدَّرها, وساقها إلى من يشاء من عبــاده، فالمعطي هو الـذي أعطـاه, وحـرّك قلبـه لعطـاء غـيره، فهـو الأوّل والآخر, وممّا يقوي هذا المعـنى قولـه صـلّى اللـه عليـه وسـلم لابن عبـاس رضـي اللـه عنـه: "واعلم أنّ الأمّـة لـو

[1] () أخرجه أحمد في المسند (10/33), رقم: 5743, وأبو داود في سننه, كتاب الزكـاة, بـاب عطيـة من سـأل باللـه (2/182), رقم: 1672, والحـاكم في المسـتدرك (1/572), رقم: 1502, وقـال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقـه الـذهبي, وصـححه الألبـاني في صـحيح الـترغيب بـرقم: 845، والصـحيحة برقم: 254.

اجتمعوا على أن ينفعوك, لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك, ولو اجتمعوا على أن يضروك, لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك, رفعت الأقلام, وجفت الصّحف"[1], قال التّرمذي: هذا حديث صحيح, فهذا يدلّ على أنّه لا ينفع في الحقيقة إلاّ الله ولا يضرّ غيره, وكذا جميع ما ذكرنا في مقتضى الرّبوبيّة, فمن سلك هذا المسلك العظيم استراح من عبوديّة الخلق ونظره إليهم, وأراح النّاس من لومه وذمِّه إيّاهم, وتجرّد التّوحيد في قلبه, فقوي إيمانه, وانشرح صدره, وتنوّر قلبه, ومن توكّل على الله فهو حسبه؛ ولهذا قال الفضيل بن عياض رحمه الله: من عرف النّاس استراح, يريد – والله أعلم – أنّهم لا ينفعون ولا يضرون)[2].

---

1 () أخرجه أحمد في المسند (4/410), رقم: 2669, والترمذي في سننه, أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب 59 (4/248), رقم: 2516, وقال: هذا حديث حسن صحيح, وصححه الألباني في صحيح المشكاة برقم: (5302)، وظلال الجنة برقم: (316 - 318).

2 () مجموع الفتاوى (1/92).

المبحث الثّاني:
أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الأسماء والصّفات.

تعريف توحيد الأسماء والصّفات:

توحيد الأسـماء والصّـفات هـو: اعتقـاد انفـراد الـرّب جـلّ جلاله بالكمـال المطلـق من جميـع الوجـوه, بنعـوت العظمـة والجلال والجمـال, الـتي لا يشـاركه فيهـا مشـارك, بوجـه من الوجوه, وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته لــه رســوله من جميع الأسماء والصّفات، ومعانيها، وأحكامهـا الـواردة في الكتاب والسّنّة, على الوجه اللائـق بعظمتـه وجلالـه، من غـير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل, ونفي مـا نفاه عن نفسه، أو نفاه عنــه رسـوله من النَّقـائص والعيـوب, ومن كلّ ما ينافي كماله[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في تعريف توحيـد الأسـماء والصّفات: (فأمّـا الأوّل: وهـو التّوحيـد في الصّـفات, فالأصـل في هـذا البـاب أن يوصـف اللـه بمـا وصـف بـه نفسـه، وبمـا وصفته به رسله نفيا وإثباتا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه, وينفى عنـه مـا نفـاه عن نفسـه، وقـد علم أنّ طريقـة سـلف الأمّـة وأئمّتها إثبات ما أثبته من الصّفات من غير تكـييف ولا تمثيـل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنــه مـا نفـاه عن نفســه - مـع مـا أثبتــه من الصّـفات - من غـير إلحـاد، لا في أسمائه, ولا في آياته)[2].

وسيبيّن الباحث في هذا المبحث أثر الإيمان بصـفة العـزّة في تقرير توحيد الأسماء والصّفات في النُّقاط الآتيّة:

1- دلالة صـفة العـزّة على ذات اللـه تعـالى وعلى غيرها من الصّفات اللازمة لها:

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة في تقرير توحيـد الأسـماء والصّـفات, أنّ صـفة العـزّة للـه تعـالى تـدلّ على ذات اللـه

---

[1] () انظر: القول السديد (ص17).
[2] () مجموع الفتاوى (3/3).

المقدّسة؛ لأنّه لا يتصوّر وجود صفة بدون ذات, وكذلك لا يتصوّر وجود ذات خاليّة عن الصّفات اللّازمة لها؛ ولهذا كانت صفة العزّة دالّة على ذاته سبحانه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (الصّفات ملازمة للذّات, لا يمكن وجود الذّات بدون صفاتها اللّازمة, ولا وجود الصّفات اللّازمة بدون الذّات، وكلّ منهما لازم للآخر ملزوم له)[1].

وكذلك اسم الله العزيز المتضمّن لصفة العزّة يدلّ على ذات الله تعالى, وهكذا الشّأن في كلّ اسم من أسماء الله تعالى, يدل على ذات الله تعالى, وعلى الصفة التي تضمّنها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فأسماؤه كلّها متّفقة في الدّلالة على نفسه المقدّسة، ثم كلّ اسم يدلّ على معنى من صفاته، ليس هو المعنى الذي دلّ عليه الاسم الآخر، فالعزيز يدلّ على نفسه مع عزّته، والخالق يدلّ على نفسه مع خلقه، والرّحيم يدلّ على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته، فصار كلّ اسم يدلّ على ذاته والصّفة المختصة به بطريق المطابقة، وعلى أحدهما بطريق التّضمن، وعلى الصّفة الأخرى بطريق اللّزوم)[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (إنّ الاسم من أسمائه تبارك وتعالى كما يدلّ على الذّات والصّفة التي اشتقّ منها بالمطابقة؛ فإنّه يدلّ عليه دلالتين أخريين بالتّضمن واللّزوم، فيدلّ على الصّفة بمفردها بالتّضمن، وكذلك على الذّات المجرّدة عن الصّفة، ويدلّ على الصّفة الأخرى باللّزوم، فإنّ اسم السّميع يدلّ على ذات الرّبّ وسمعه بالمطابقة، وعلى الذّات وحدها، وعلى السّمع وحده بالتّضمن، ويدلّ على اسم الحي وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه وصفاته، ولكن يتفاوت النّاس في معرفة اللّزوم وعدمه)[3].

وإذا تقرّرت دلالة صفة العزّة على ذات الله تعالى, فهي تستلزم جميع الأسماء الحسنى والصّفات العلا؛ لأنّ ذات الله

---

[1] () منهاج السنة النبوية (1/271).

[2] () الإيمان (ص148), وانظر: مجموع الفتاوى (13/234) و(13/383).

[3] () مدارج السالكين (1/54).

تعالى تتضمّن جميع الأسماء الحسنى, وتستلزم جميع صـفات الكمال اللّائقة بجلاله وعظمته سبحانه.

ومن الآثار الإيمانية لصفة العزّة في تقرير توحيد الأسـماء والصّـفات, أنّهـا من معـاني بعض أسـماء اللـه تعـالى, وتلـك الأسـماء متضـمنة لصـفة العـزة مثـل: اسـم "العزيـز" الـذي يتضمّن صفة العزّة, واسم الله, واسـم الـرّب, واسـم الملـك وغيرها؛ فلا تتمّ حقيقة هذه الأسماء إلاّ بكونه سـبحانه متّصـفا بصفة العزّة, المتضمّنة تمام القوّة وكمال القدرة.

قال ابن القيم رحمه الله: (فإنّ الرّبّ هو القـادر الخـالق, البـارئ المصـوّر, الحي القيّـوم, العليم, السّـميع البصـير, المحسـن, المنعم, الجـواد, المعطي المـانع, الضّـار النّـافع, المقـدّم المـؤخّر, الـذي يضـلّ من يشـاء, ويهـدي من يشـاء, ويسعد من يشاء, ويشقي من يشـاء, ويعـزّ من يشـاء, ويـذلّ من يشاء, إلى غير ذلك من معاني ربوبيّتـه الـتي لـه منهـا مـا يستحقه من الأسماء الحسنى, وأمّا الملك فهو الآمـر النّـاهي, المعزّ المذلّ, الذي يصرّف أمور عباده كما يحبّ, ويقلّبهم كما يشاء, وله من معنى الملك ما يستحقّه من الأسـماء الحسـنى كالعزيز الجبّار, الحكم العدل, الخافض الرّافع, المعـزّ المـذلّ, العظيم الجليل الكبير الحسيب المجيد الوالي المتعالي, مالك الملك, المقسط الجـامع إلى غـير ذلـك من الأسـماء العائـدة إلى الملـك, وأمّـا الإلـه فهـو الجـامع لجميـع صـفات الكمـال ونعوت الجلال فيدخل في هذا الاسم جميع الأسماء الحسـنى؛ ولهذا كان القول الصّحيح أنّ اللـه أصـله الإلـه كمـا هـو قـول سيبويه[1] وجمهور أصـحابه إلاّ من شـذّ منهم؛ وأنّ اسـم اللـه تعالى هو الجامع لجميـع معـاني الأسـماء الحسـنى والصّـفات العلا, فقد تضمّنت هذه الأسماء الثّلاثـة جميـع معـاني أسـمائه

---

[1] () هـو عمـرو بن عثمـان بن قنـبر، أبـو بشـر المعـروف بسـيبويه النحوي البصري, كان يطلب الآثـار والفقـه، ثم صـحب الخليـل بن أحمد، فبرع في النحو, له كتاب سيبويه في النحو لم يكتب النّـاس في النّحو كتابا مثله، وجميـع كتب النـاس عليـه عيـال, مـات سـنة ثمـانين ومائـة. انظـر: تـاريخ بغـداد (14/99), وإنبـاه الـرواة (2/346).

الحسنى)[1].

وأيضا من الآثار الإيمانية لصفة العزّة في تقرير توحيد الأسماء والصّفات, أنّها تدلّ على بعض الصّفات باللزوم, وتدلّ عليها أيضا بعض الصّفات باللّزوم.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وهذه العزّة والحكمة لا سبيل إلى تعطيلها البتة, ولا توجد بدون لوازمها)[2].

ومن هذه الصّفات التي تستلزمها صفة العزّة:

أ- صفة الحياة: لأنّه لا يتصوّر عزيز وهو ليس بحيّ, فصفة الحياة تستلزمها جميع الصّفات, لأنّها أصل لها, وهي كذلك تستلزم جميع صفات الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فالحيّ نفسه مستلزم لجميع الصّفات وهو أصلها؛ ولهذا كان أعظم آية في القرآن: ﮋ [illegible] ﮊ [البقرة: ٢٥٥], وهو الاسم الأعظم؛ لأنّه ما من حيّ إلاّ وهو شاعر مريد, فاستلزم جميع الصّفات)[3].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (وحياته سبحانه أكمل الحياة وأتمّها، وهي حياة تستلزم جميع صفات الكمال، وتنفي أضدادها من جميع الوجوه) [4].

ب- صفة الألوهيّة: من الصّفات التي تستلزمها صفة العزّة صفة الألوهيّة, فمن له العزّة جميعا هو الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له, فالله تعالى يؤله ويعبد لاتّصافه بالأسماء الحسنى والصّفات العلا.

يقول السّعدي رحمه الله**:** (وأوصاف الألوهيّة هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرّحمة والبرّ والكرم والامتنان؛ فإنّ هذه الصّفات هي التي يستحقّ أن يُؤله ويُعبد لأجلها، فيؤله لأنّ له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنّه المتفرّد بالقيّوميّة والرّبوبيّة والملك والسّلطان، ويؤله لأنّه المتفرّد بالرّحمة وإيصال النِّعم

---

1 () بدائع الفوائد (2/249).

2 () طريق الهجرتين (1/123).

3 () مجموع الفتاوى (18/311).

4 () شفاء العليل (ص187).

الظّاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤلـه لأنّـه المحيـط بكـلِّ شـيء علمـا وحكمـا وحكمـة وإحسـانا ورحمـة وقـدرة وعـزة وقهرا، ويؤلـه لأنّـه المتفـرّد بـالغنى المطلـق التّـام من جميـع الوجوه، كما أنّ ما سواه مفتقـر إليـه على الـدّوام من جميـع الوجـوه، مفتقـر إليـه في إيجـاده وتـدبيره، مفتقـر إليـه في إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاتـه كلّهـا، مفتقـر إليـه في أعظم الحاجات وأشـدّ الضّـرورات، وهي افتقـاره إلى عبادتـه وحـده, والتّألّه لـه وحـده, فالألوهيّـة تتضـمّن جميـع الأسـماء الحسنى والصّفات العليا)[1].

ج- صفة القدرة والقوّة: من الصّفات التي تتضمنها صـفة العزّة صـفة القـوّة والقـدرة؛ لأنّ القـدرة والقـوّة من معـاني العزّة فهي تتضمّنها, وتدلّ عليها.

قال البيهقي رحمه الله: (العزّة إن كـانت بمعـنى الشـدّة، وهي القوّة فمعناها يرجع إلى صفة القدرة، وكـذلك إن كـانت بمعنى الغلبة, فمعناها يعود إلى القدرة)[2].

د- صـفة القيّوميّـة: من الصّـفات الـتي تسـتلزمها صـفة العزّة صفة القيُّوميّة؛ لأنّ كمـال قوّتـه سـبحانه وتمـام قدرتـه تستلزم أن يكون قائما بخلقه؛ لكمال عزّته وقوته سبحانه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ولهذا كان هـذا الـدّعاء[3] من أدعيّة الكرب لما تضمّنه من التّوحيد والاستغاثة برحمـة أرحم الرّاحمين, متوسّلا إليه باسمين عليهما مدار الأسماء الحسنى كلّها, وإليهما مرجع معانيها جميعها, وهـو اسـم الحيّ القيّـوم, فإنّ الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمـال, ولا يتخلّـف عنهـا صفة منها إلاّ لضعف الحيـاة, فـإذا كـانت حياتـه تعـالى أكمـل حياة وأتمّها, استلزم إثباتها إثبات كلّ كمـال يضـاد نفي كمـال الحياة, وبهذا الطّريـق العقليّ أثبت متكلمـو أهـل الإثبـات لـه تعالى صفة السّمع والبصـر والعلم والإرادة والقـدرة والكلام, وسائر صفات الكمال, وأمّا القيّوم فهـو متضـمّن كمـال غنـاه وكمال قدرتـه, فإنّـه القـائم بنفسـه, لا يحتـاج إلى من يقيمـه

---

[1] () فتح الرحيم الملك العلام (ص12).
[2] () الأسماء والصفات (1/337).
[3] () يقصد: "يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث".

بوجه من الوجوه, وهذا من كمال غناه بنفسه عمّا سواه, وهو المقيم لغـيره, فلا قيـام لغـيره إلا بإقامتـه, وهـذا من كمـال قدرته وعزّته, فانتظم هذان الاسمان صفات الكمال, والغــنى التّام, والقدرة التّامة)[1].

هـ- صفة الوَحدانيّة: من الصّفات التي تستلزمها وتتضـمنها صفة العزّة صفة الوَحدانيّة, لأنّ كمـال عزتـه سـبحانه يتنـافى مع الشّركة, فلزم أن يكون واحدا في ذاته وأسمائه وصـفاته, لا مثل له ولا شبيه.

يقــول ابن القيم رحمــه اللــه: (وهــذه العــزّة مســتلزمة للوَحدانيّــة، إذ الشّــركة تنقص العــزّة، ومســتلزمة لصــفات الكمـال؛ لأنّ الشّـركة تنـافي كمـال العـزّة، ومسـتلزمة لنفي أضدادها، ومستلزمة لنفي مماثلـة غـيره لـه في شـيء منهـا, فـالرّوح تعـاين بقـوّة معرفتهـا وإيمانهـا بهـاء العـزّة وجلالهـا وعظمتهــا، وهــذه المعاينــة هي نتيجــة العقيــدة الصّــحيحة المطابقة للحقّ في نفس الأمر، المتلقاة من مشكاة الــوحي، فلا يطمــع فيهــا واقــف مــع أقيســة المتفلســفين، وجــدل المتكلّمين، وخيالات المتصوّفين)[2].

و- صفة الملك: من الصّفات التي تدلّ عليها صـفة العـزّة وتستلزمها صفة الملك, إذ لا يتصوّر تمام ملك اللـه تعـالى إلا باتّصافه بصفة العزّة وغيرها من الصّـفات اللائقـة بجلال اللـه وعظمته, وكذلك من تمام عزّته سبحانه اتّصافه بتمام الملك؛ لأنّ الشّركة تنافي كمال العزّة[3].

قال ابن القيم رحمه الله: (وأيضا فإنّ حقيقة الملـك إنّمـا تتمّ بالعطـاء والمنـع, والإكـرام والإهانـة, والإثابـة والعقوبـة, والغضب والرّضا, والتّولية والعزل, وإعزاز من يليق بـه العـزّ, وإذلال من يليق به الذّلّ، قال تعالى: ﮋ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧] ، وقال تعالى: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮊ [الرحمن: ٢٩]، يغفر ذنبا, ويفرج كربا,

---

[1] () بدائع الفوائد (2/410).

[2] () مدارج السالكين (3/257).

[3] () انظر: المصدر نفسه (3/257).

ويكشف غمّا, وينصر مظلوما, ويأخذ ظالما, ويفكّ عانيا, ويغنى فقيرا, ويجبر كسيرا, ويشفى مريضا, ويقيل عثرة, ويستر عورة, ويعزّ ذليلا, ويذلّ عزيزا, ويعطى سائلا, ويذهب بدولة, ويأتي بأخرى, ويداول الأيّام بين النّاس, ويرفع أقواما, ويضع آخرين)[1].

ز- صفة الأحديّة والصّمديّة: وذلك لأنّ جميع الأسماء الحسنى والصّفات العلا ترجع إلى هذين الاسمين.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (كذلك فإنّ هذين الاسمين يستلزمان سائر أسماء الله الحسنى وما فيها من التّوحيد كلّه قولا وعملا، والنّبي صلّى الله عليه وسلّم ذكر هذين الاسمين فقال: "الله الواحد الصّمد تعدل ثلث القرآن"[2]، وذلك أنّ كونه أحدا وكونه الصّمد, يتضمّن أنّه الذي يقصده كلّ شيء لذاته ولما يطلب منه، وأنّه مستغن بنفسه عن كلّ شيء، وأنّه بحيث لا يجوز عليه التّفرّق والفناء، وأنّه لا نظير له في شيء من صفاته, ونحو ذلك ممّا ينافي الصّمدية، وهذا يوجب أن يكون حيّا عالما قديرا ملكا قدوسا سلاما مهيمنا عزيزا جبّارا متكبّرا)[3].

قال السّعدي رحمه الله: (فإثبات الوحدانيّة لله ومعاني الصّمديّة كلّها يتضمّن إثبات تفاصيل جميع الأسماء الحسنى والصّفات العلا، فهذا أحد نوعى التّوحيد، وهو الإثبات وهو أعظم النّوعين.

والنّوع الثّاني: التّنزيه لله عن الولادة والنّد والكفؤ والمثل، وهذا داخل في قوله: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [الإخلاص: ٣ – ٤] , أي: ليس له مكافئ ولا مماثل ولا نظير،...)[4].

ح- صفة العلو: لأنّ الله عزّ وجلّ تعالى في عظمته وعزّته وجبروته أن يكون له مغالب, أو منازع, أو وليّ من

---

1. () طريق الهجرتين (1/123).
2. () أخرجه مسلم, كتاب صلاة المسافرين وقصرها, باب فضل قراءة قل هو الله أحد (1/556), رقم: 811.
3. () بيان تلبيس الجهمية (4/542).
4. () التنبيهات اللطيفة (ص30).

الذلّ, فعزّته تستلزم علوّه عن كلّ هذه النّقائص.

يقول الشّيخ حافظ حكمي رحمه الله: (اعلم أنّ علو الشّأن هو ما تضمّنه اسمه القدّوس السّلام الكبير المتعال وما في معناها، واستلزمته جميع صفات كماله ونعوت جلاله، فتعالى في أحديته أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونا له، أو ظهيرا أو شفيعا عنده بدون إذنه أو عليه يجير، وتعالى في عظمته وكبريائه وملكوته وجبروته عن أن يكون له منازع أو مغالب أو ولي من الذّلّ أو نصير، وتعالى في صمديّته عن الصّاحبة والولد والوالد والكفؤ والنّظير، وتعالى في كمال حياته وقيوميّته وقدرته عن الموت والسّنة والنّوم والتّعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنّسيان, وعن عزوب مثقال ذرّة عن علمه في الأرض أو في السّماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن خلق شيء عبثا, وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحدا مثقال ذرّة, أو أن يهضمه شيئا من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق, أو يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في جميع ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله عن التّعطيل والتّمثيل، وسبحانه وبحمده, وعزّ وجلّ, وتبارك وتعالى, وتنزّه وتقدّس عن كلّ ما ينافي إلهيته وربوبيّته وأسماءه الحسنى وصفاته العلا: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [الروم: ٢٧], ونصوص الوحي من الكتاب والسّنّة في هذا الباب معلومة مفهومة مع كثرتها وشهرتها)[1].

إلاّ أنّه سبحانه مع كونه عال على عرشه, بائن من خلقه, بعيد بالتّعزّز لا ينال, فهو قريب بالإجابة عند السّؤال[2].

وغير ذلك من الصّفات التي تستلزمها صفة العزّة لله تعالى.

2- دلالة صفة العزّة على التّنزيه:

ومن كمال العزّة تبرئته سبحانه من كلّ سوء, وتنزيهه

---

1 () أعلام السنة المنشورة (ص38).

2 () انظر: شرح السنّة للمزني (ص80).

عن كلّ شرّ ونقص في كماله المقدّس؛ لأنّ ذلك ينافي كمال عزّته سبحانه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وكذلك اسمه العزيز الذي له العزّة التّامة, ومن تمام عزّته: براءته عن كلّ سوء وشر وعيب، فإنّ ذلك ينافي العزّة التّامة)[1].

وقال أيضا: (وأمّا القيّوم فهو متضمّن كمال غناه وكمال قدرته, فإنّه القائم بنفسه لا يحتاج إلى من يقيمه بوجه من الوجوه, وهذا من كمال غناه بنفسه عمّا سواه, وهو المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلاّ بإقامته, وهذا من كمال قدرته وعزّته)[2].

ولهذا قال سبحانه: ﮋ ﮊ [البقرة: ٢٥٥] إشارة إلى عظم ملكه, وكمال قدرته, ﮋ ﮊ [البقرة: ٢٥٥] إشارة إلى صفة العزّة وكمالها وتنزيهها عن الضّعف والنّقص[3].

قال ابن جرير رحمه الله في تأويل قوله: ﮋ ﮊ [آل عمران: ٦]: (وهذا القول تنزيه من الله تعالى ذكره نفسه أن يكون له في ربوبيّته ندّ أو مثل، أو أن تجوز الألوهة لغيره, وتكذيب منه للذين قالوا في عيسى ما قالوا من وفد نجران الذين قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4]، وسائر من كان على مثل الذي كانوا عليه من قولهم في عيسى، ولجميع من ادّعى مع الله معبودا، أو أقرّ بربوبيّة غيره. ثم أخبر جلّ ثناؤه خلقه بصفته، وعيدا منه لمن عبد غيره، أو أشرك في عبادته أحدا سواه، فقال: ﮋ ﮊ الذي لا ينصر من أراد الانتقام منه أحد، ولا ينجيه منه وال ولا لجأ، وذلك لعزّته التي يذل لها كل مخلوق، ويخضع لها كل موجود, ثم أعلمهم أنه ﮋ ﮊ في تدبيره وإعذاره إلى خلقه، ومتابعة حججه عليهم، ليهلك من هلك منهم عن بينة، ويحيا من حيّ

---

[1] () شفاء العليل (2/511).

[2] () بدائع الفوائد (2/184).

[3] () انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (6/339).

[4] () أخرجه الحاكم في المستدرك, كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين, ذكر نبي الله وروحه عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليهما (2/649), رقم: 4157, وقال: (هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه), ووافقه الذّهبي.

عن بيّنة)[1].

ولهذا لما سبّح الله نفسه قرنه بالعزّة فقال: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].

فـ(ذكر سبحانه صفة العـزّة لأنّهـا متناسـبة مـع التّسـبيح، فقال سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون أي: نزّه نفسـه عن كلّ ما يُتصوّر أن يوصف به ممّا وصفه به الكفار؛ لأنّه مقـام لا يليـق أن يكـون معـه هَـوان أو ذلّ, بـل هـو في مقـام العـزّة والرّفعة والعلو, فلا يناله ما وصفوه به, ثم أثبت لنفسه كمـال الصّفات المستوجبة كمال الحمد)[2].

3- دلالة صفة العـزّة على نفي الشّـبيه والمثـال عن الله تعالى:

اسم الله العزيز وصفة الله العزّة يدلّان على نفي الشّبيه والمثال عن الله تعالى, وذلـك أنّ العزيـز من معانيـه الـذي لا يعادله شيء, وأنّه لا مثل له ولا نظير.

قال ابن عباس رضي اللـه عنهمـا: العزيـز الـذي لا يوجـد مثله[3].

وقال أبو إسحاق بن السّريّ رحمه الله: العزيز في صـفة الله تعالى: الممتنع، فلا يغلبـه شـيء, وقـال غـيره: هـو الـذي ليس كمثله شيء[4].

فاسم الله العزيز من معانيه ودلالاته أنّ اللـه ليس كمثلـه شـيء, وهـو على هـذا يجتمـع مـع اسـم اللـه الأحـد في نفي الشّـبيه والمثيـل؛ لأنّ معـنى الأحـد هـو الـذي لا شـبيه لـه ولا نظير[5].

وهذا المعنى الـذي دلّ عليـه اسـم اللـه العزيـز, هـو أحـد

---

1 () جامع البيان (6/169).

2 () فتح رب البرية في تقريب مقدمـة شـرح العقيـدة الطحاويـة (1/28).

3 () انظر: الوسـيط في تفسـير القـرآن المجيد (1/213), ومعـالم التنزيل (1/169), واللباب في علوم الكتاب (2/494).

4 () تهذيب اللغة (1/64).

5 () انظر: الاعتقاد للبيهقي (1/90).

أصلي التّنزيه, وفي هذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وهو سبحانه ليس كمثله شيء فيما يوصف به من صفات الكمال, فهو منزّه عن النّقص المضاد لكماله, ومنزّه عن أن يكون له مثل في شيء من صفاته, ومعاني التّنزيه ترجع إلى هذين الأصلين, وقد دلّ عليهما سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن بقوله: ﴿ ﴾ [الإخلاص: ١ – ٢], فاسمه "الصمد" يجمع معاني صفات الكمال كما قد بسط ذلك في تفسير هذه السّورة وفي غير موضع, وهو كما في تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس أنّه المستوجب لصفات السّؤدد العليم الذي قد كمل في علمه, الحكيم الذي قد كمل في حكمته إلى غير ذلك ممّا قد بُيِّن, وقوله "الأحد" يقتضي أنّه لا مثل له ولا نظير ﴿ ﴾ [الإخلاص: ٤])[1].

وكذلك من معاني صفة العزّة, عزّة القدر, ومعناه تمام صفاته وكمالها, وأنّه لا مثيل لها, وأنّ الله تعالى ذو قدر عزيز, يعني: لا نظير له[2].

فتبيّن بهذا أنّ اسم الله العزيز وصفة الله العزّة يدلّان على نفي الشّبيه والمِثْل والنّظير عن الله تعالى.

4- اتّصاف الله بصفة العزّة واسم الله العزيز من جماله سبحانه وتعالى:

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة في تقرير توحيد الأسماء والصّفات, أنّ اتّصاف الله تعالى بصفة العزّة وغيرها من الصفات من جماله سبحانه, والله تعالى متّصف بصفة الجمال على ما يليق بجلاله وعظمته كما ثبت عنه صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: "إنّ الله جميل يحبّ الجمال"[3].

يقول ابن القيم رحمه الله: (ويكفي في جماله أنّه له العزّة جميعا, والقوّة جميعا, والجود كلّه, والإحسان كلّه, والعلم كلّه, والفضل كلّه؛ ولنور وجهه أشرقت الظّلمات كما

---

1 () مجموع الفتاوى (16/98-99).

2 () انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (ص345-346).

3 () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب تحريم الكبر وبيانه (1/93), رقم: 94, من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

قال النّبي في دعاء الطّائف: "أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظّلمات وصلح عليه أمر الدّنيا والآخرة"[1].

وقال عبد الله بن مسعود: "ليس عند ربّكم ليل ولا نهار, نور السّموات والأرض من نور وجهه"[2].

فهو سبحانه نور السّموات والأرض,... وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذّات, وجمال الصّفات, وجمال الأفعال, وجمال الأسماء, فأسماؤه كلّها حسنى, وصفاته كلّها صفات كمال, وأفعاله كلّها حكمة ومصلحة وعدل ورحمة, وأمّا جمال الذات وما هو عليه, فأمر لا يدركه سواه, ولا يعلمه غيره, وليس عند المخلوقين منه إلاّ تعريفات تعرَّف بها إلى من أكرمه من عباده, فإنّ ذلك الجمال مصون عن الأغيار, محجوب بستر الرّداء والإزار, كما قال رسوله فيما يحكى عنه: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري"[3], ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحقّ باسم الرّداء, فإنّه سبحانه الكبير المتعال, فهو سبحانه العليّ العظيم.

قال ابن عباس: "حجب الذّات بالصّفات, وحجب الصّفات بالأفعال, فما ظنّك بجمال حجب بأوصاف الكمال, وستر بنعوت العظمة والجلال"[4])[5].

5- دلالة صفة العزّة على المثل الأعلى:

اختلفت عبارات أهل العلم في المقصود بالمثل الأعلى إلاّ أنّها تدور على معنيين وهما: الوصف الأعلى, والكمال المطلق.

قال القرطبي رحمه الله: (ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ [النّحل: ٦٠] , أي الوصف الأعلى من الإخلاص والتّوحيد, قاله قتادة, وقيل: أيّ

---

1 () تقدم تخريجه (ص73)(380).

2 () أخرجه الدارمي في النقض على المريسي (1/476), والطبراني في المعجم الكبير (8/98), وقال محقق النقض: إسناده ضعيف مع الغرابة.

3 () تقدّم تخريجه (ص196).

4 () لم أجد من خرّجه.

5 () الفوائد (ص183).

الصّفة العليا بأنّه خالق رازق قادر)[1].

ويقول ابن كثير رحمه الله: (ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮊ [النّحل: ٦٠] , أي: الكمال المطلق من كلّ وجه، وهو منسوب إليه)[2].

فالله تعالى له المثل الأعلى, أي: له الوصف الأكمل والأعلى, وله الكمال المطلق من كلّ وجه في كلّ صفة ثابتة له سبحانه وتعالى, فله الوصف الأعلى والكمال المطلق في حكمته وعزّته وعلمه ورحمته, وجميع ما وصف به نفسه سبحانه, وسمّى به نفسه سبحانه.

يقوا ابن القيم رحمه الله: (وهذا هو المثل الأعلى الذي أثبته سبحانه لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن:

أحدها: قوله: ﮋﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [النّحل: ٦٠].

الثّاني: قوله: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الروم: ٢٧].

الثّالث: قوله تعالى: ﮋﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الشورى: ١١], فنفى سبحانه المماثلة عن هذا المثل الأعلى, وهو ما في قلوب أهل سمواته وأرضه من معرفته, والإقرار بربوبيّته وأسمائه وصفاته وذاته, فهذا المثل الأعلى هو الذي آمن به المؤمنون, وأنس بها العارفون, وقامت شواهده في قلوبهم بالتّعريفات الفطريّة, المكمَّلة بالكتب الإلهيّة, المقبولة بالبراهين العقليّة, فاتّفق على الشّهادة بثبوته العقل والسّمع والفطرة, فإذا قال المثبت: يا الله, قام بقلبه ربّا قيّوما, قائما بنفسه, مستويا على عرشه, مكلّما متكلّما, سامعا رائيا قديرا مريدا, فعالا لما يشاء, يسمع دعاء الدّاعين, ويقضي حوائج السّائلين, ويفرّج عن المكروبين, ترضيه الطّاعات, وتغضبه المعاصي, تعرج الملائكة بالأمر إليه وتنزل بالأمر من عنده, وإذا شئت زيادة تعريف بهذا المثل الأعلى فقدِّر قوى جميع المخلوقات اجتمعت لواحد منهم, ثم كان جميعهم على قوّة ذلك الواحد, فإذا نسبت قوّته إلى قوّة الرّبّ تبارك وتعالى لم تجد لها

[1] () الجامع لأحكام القرآن (10/119).
[2] () تفسير القرآن العظيم (4/578).

نسبة وإيّاها البتة, كما لا تجد نسبة بين قوّة البعوضة وقوّة الأسد, فإذا قدّرت علوم الخلائق اجتمعت لرجل واحد, ثم قدّرت جميعهم بهذه المثابة, كانت علومهم بالنّسبة إلى علمه تعالى كنقرة عصفور من بحر, وإذا قدّرت حكمة جميع المخلوقين على هذا التّقدير لم يكن لها نسبة إلى حكمته, وكذلك إذا قدّرت كلّ جمال في الوجود اجتمع لشخص واحد, ثم كان الخلق كلّهم بذلك الجمال, كان نسبته إلى جمال الرّبّ تعالى وجلاله دون نسبة السّراج الضّعيف إلى جُرْم الشّمس.

وقد نبَّهنا الله سبحانه على هذا المعنى بقوله: ﮋ [illegible] ﮊ [لقمان: ٢٧] , فقدّر البحر المحيط بالعالم مدادا, ووراءه سبعة أبحر تحيط به, كلّها مداد تكتب به كلمات الله, نفدت البحار وفنيت الأقلام, التي لو قدّرت جميع أشجار الأرض من حين خلقت إلى آخر الدّنيا, ولم تنفد كلمات الله.

وقد أخبر النّبي صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ السّموات السّبع في الكرسيّ كحلقة ملقاة بأرض فلاة, والكرسيّ في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة, والعرش لا يقدّر قدره إلاّ الله, وهو سبحانه فوق عرشه يرى ما عباده عليه"[1], فهذا هو الذي قام بقلوب المؤمنين المصدّقين العارفين به سبحانه من المثل الأعلى, فعرفوه به, وعبدوه به, وسألوه به, فأحبوه وخافوه ورجوه, وتوكّلوا عليه, وأنابوا إليه, واطمأنّوا بذكره, وأنسوا بحبّه بواسطة هذا التّعريف, فلم يصعب عليهم بعد ذلك فهم استوائه على عرشه, وسائر ما وصف به نفسه من صفات كماله, إذ قد أحاط عليهم بأنّه لا نظير لذلك ولا مثل

---

[1] () لم أجده بهذا اللفظ, لكن أخرج ابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان, ذكر الاستحباب للمرء أن يكون له من كل خير حظ رجاء التخلص في العقبى بشيء منها (2/76), رقم: 361, وأبو الشيخ في العظمة (2/648), وابن أبي شيبة في العرش (ص 35), كلّهم بلفظ: "يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة", والحديث صحّحه الألباني في الصّحيحة برقم: 109.

له, ولم يخطر بقلوبهم مماثلته لشيء من المخلوقات, وقد أعلمهم سبحانه على لسان رسوله "أنّه يقبض سماواته بيده والأرض باليد الأخرى ثم يهزّهن"[1]، "وأنّ السّماوات السّبع والأرضين السّبع في كفّه تعالى كخردلة في كفّ أحدكم"[2]، "وأنّه يضع السّماوات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشّجر على أصبع وسائر الخلق على أصبع"[3], فأيُّ أيدي للخلق؟ وأيّ أصبع تشبه هذه اليد وهذه الأصبع حتّى يكون إثباتها تشبيها وتمثيلا؟, فقاتل الله أصحاب التّحريف والتّأويل, وأصحاب التّخييل وأصحاب التّجهيل, وأصحاب التّشبيه والتّمثيل, ماذا حرّفوه من الحقائق الإيمانيّة, والمعارف الإلهيّة, وماذا تعوضوا به من زبالة الأذهان ونخالة الأفكار, فما أشبههم بمن كان غذاؤهم المنّ والسّلوى بلا تعب ولا كلفة, فآثروا عليه الفوم والعدس والبصل, وقد جرت عادة الله سبحانه أن يذلّ من آثر الأدنى على الأعلى, ويجعله عبرة للعقلاء)[4].

ومن تأمّل في صفة العزّة لله تعالى يجدها تدل على المثل الأعلى؛ لأنّ الله سبحانه له الوصف الأكمل والأعظم في اتّصافه بالعزّة؛ لأنّها عزّة حقيقيّة دائمة ليست كعزّة المخلوقين, وما من عزّة في المخلوق إلاّ من إعزازه سبحانه.

ولأنّها (جارية على سنن الرّحمة، وسنن الحكمة، وسنن المغفرة والتّجاوز عن الذّنوب، وسعة المواهب والعطايا، فالله تعالى كما وصف نفسه هو: ﴿ ﴾ [الشعراء: ١٠٤]، وهو:

---

1 () أخرج نحوه البخاري, كتاب التوحيد, باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (9/148), رقم: 7513, ومسلم, كتاب صفة القيامة والجنة والنار (4/2147), رقم: 2786.

2 () أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (2/476), رقم: 1090, وابن بطة في الإبانة (7/308), رقم: 237, كلاهما موقوفا على ابن عباس رضي الله عنهما, والأثر صحّحه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (16/439).

3 () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب كلام الربّ عزّ وجلّ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (9/148), رقم: 7513, ومسلم, كتاب صفة القيامة والجنة والنار (4/2147), رقم: 2786.

4 () الصواعق المرسلة (2/228-232).

ﮋﯾ ﭐ ﮊ [البقرة: ١٢٩]، وهو: ﮋﭚ ﭛ ﮊ [الملك: ٢]، وهو: ﮋﭼ ﭽ ﮊ [ص: ٦٦]، وهو: ﮋ ﮊ [ص: ٩]، ولا كذلك العزيز من العباد الذي يتجبّر، ويطغى، ويبطش فيخاف إفساده وبغيه وبطشه, وتعدّ السّلامة من أذاه غاية المطلوب)[1].

ولهذا لـمّا ذكر الله تعالى المثل الأعلى في موضعين من كتابه الله ختم الآيتين بوصفي بالعزّة والحكمة كما قال تعالى: ﮋﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [النّحل: ٦٠].

وقال تعالى: ﮋﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الروم: ٢٧].

(أي: له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله, قد عرف به, ووصف في السّموات والأرض على ألسنة الخلائق وألسنة الدّلائل، وهو أنّه القادر الذي يقدر على الخلق والإعادة، العليم الذي لا يعزب عن علمه شيء, فلا يصعب عليه جمع الأجزاء بعد تفرّقها على الوجه الذي يقتضيه التّدبير؛ ولهذا ختم الآية بقوله: ﮋﭿ ﮀ ﮊ)[2].

فلو قدّرت كلّ عزّة في الوجود اجتمع لشخص واحد, ثم كان الخلق كلّهم بذلك العزّة, كان نسبته إلى عزة الرّبّ تعالى وجلاله دون نسبة عزّة البعوض إلى عزّة الأسد, والله أعلم.

---

[1] () انظر: ولله الأسماء الحسنى لناصر الجليل (ص383-384).

[2] () غرائب القرآن ورغائب الفرقان (5/410).

المبحث الثّالث:
أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الألوهيّة:

تعريف توحيد الألوهيّة:

توحيد الألوهيّة هو إفراد الله تعالى بكلّ أنواع العبادة, من التّوكّل والمحبّة, والذّلّ, والرّجاء, والخوف, وغير ذلك من أنواع العبادة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (إثبات الإلهيّة لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلاّ هو، ولا يعبد إلاّ إيّاه، ولا يتوكّل إلاّ عليه، ولا يوالي إلاّ له، ولا يعادي إلاّ فيه، ولا يعمل إلاّ لأجله)[1].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وتوحيد الإلهيّة المتضمّن أنّه وحده الإله المعبود المحبوب، الذي لا تصلح العبادة والذّلّ والخضوع والحبّ إلاّ له)[2].

وقيل في تعريفه أيضا: (هو إفراده تعالى بالعبادة، والتّأله له، والخضوع، والذّلّ، والحبّ، والافتقار، والتّوجّه إليه تعالى)[3].

وقال الشّيخ السّعدي رحمه الله: (وسمّي توحيدا فعليا؛ لأنّه متضمّن لأفعال القلوب والجوارح، فهو توحيد الله بأفعال العبيد)[4].

والإيمان بصفات الله تعالى له أثر عظيم في توحيد العبد وعبادته؛ ذلك لأنّه يثمر أنواعا من العبوديات, هي مقتضى العلم بصفات الله تعالى, والعلم أيضا بصفات الله تعالى يرسخ أنوعا من العبوديات كالمحبة, ولخوف, والرجاء, والتوكل, وغير ذلك.

يقول ابن القيم رحمه الله: (والأسماء الحسنى والصّفات العلا مقتضية لآثارها من العبوديّة والأمرِ اقتضاءَها لآثارها من

---

1 () درء تعارض العقل مع النقل (1/224).
2 () بدائع الفوائد (4/132).
3 () لوامع الأنوار البهية (1/129).
4 () الحق الواضح المبين (ص6-7).

الخلق والتّكوين, فلكلّ صفة عبوديّةٌ خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها, أعني من موجبات العلم بها والتّحقق بمعرفتها, وهذا مطرد في جميع أنواع العبوديّة التي على القلب والجوارح, فعلم العبد بتفرّد الرّبّ تعالى بالضّر والنّفع, والعطاء والمنع, والخلق والرّزق, والإحياء والإماتة يثمر له عبوديّة التّوكل عليه باطنا, ولوازم التّوكل وثمراته ظاهرا, وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه, وأنّه لا يخفى عليه مثقال ذرّة في السّموات ولا في الأرض, وأنّه يعلم السّر وأخفى, ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصّدور, يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كلّ ما لا يرضي الله, وأن يجعل تعلّق هذه الأعضاء بما يحبّه الله ويرضاه, فيثمر له ذلك الحياء باطنا, ويثمر له الحياء اجتناب المحرّمات والقبائح, ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبرّه وإحسانه ورحمته, توجب له سعة الرّجاء, وتثمر له ذلك من أنواع العبوديّة الظّاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه, وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزّه, تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبّة, وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعا من العبوديّة الظّاهرة هي موجباتها, وكذلك علمه بكماله وجماله وصفاته العلا, يوجب له محبّة خاصة بمنزلة أنواع العبوديّة, فرجعت العبوديّة كلّها إلى مقتضى الأسماء والصّفات, وارتبطت بها ارتباط الخلق بها)[1].

ويبيّن ابن القيم رحمه الله أنّ أكمل النّاس عبودية هو المتعبّد بجميع الأسماء والصّفات فيقول: (وأكمل النّاس عبوديّة: المتعبّد بجميع الأسماء والصّفات التي يطّلع عليها البشر, فلا تحجبه عبوديّة اسم عن عبوديّة اسم آخر, كمن يحجبه التّعبد باسمه القدير عن التّعبد باسمه الحليم الرّحيم, أو يحجبه عبوديّة اسمه المعطي عن عبوديّة اسمه المانع, أو عبوديّة اسمه الرّحيم والعفو والغفور عن اسمه المنتقم, أو التّعبد بأسماء التّودد والبرّ واللّطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك, وهذه طريقة الكُمّل من السّائرين إلى الله, وهي طريقة مشتقّة من قلب

---

[1] () مفتاح دار السعادة (2/90).

القرآن قال الله تعالى: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [الأعراف: ١٨٠])[1].

وسيشرع الباحث بإذن الله تعالى في بيان أثر الإيمان بصفة العزّة في تقرير توحيد الألوهية في النقاط الآتية:

1- أثر الإيمان بصفة العزّة في تأله الله تعالى:

تقدّم مع الباحث أنّ صفة العزّة من معاني ربوبيّة الله تعالى, ومن الصّفات التي أقرّ بها المشركون, ولكن توحيد الرّبوبيّة وحده لا يكفي في النّجاة[2], فيلزمهم على ذلك الإقرار بألوهيّة الله تعالى؛ لأنّ من أقرّ بتوحيد الرّبوبيّة, لزمه أن يتبعه بإفراد العبادة لله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فتوحيد الرّبوبيّة أعظم دليل على توحيد الإلهيّة، ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر ممّا وقع بغيره، لصحة دلالته وظهورها وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الرّبوبيّة، وكذلك كان عبّاد الأصنام يقرّون به وينكرون توحيد الإلهيّة)[3].

ولهذا كانت صفة العزّة لله تعالى من أوصاف الألوهيّة, ومن الصّفات التي استحقّ الله لأجلها أن يعبد, ويخلص له الدّين وحده لا شريك له.

يقول السّعدي رحمه الله**:** (وأوصاف الألوهيّة هي جميع أوصاف الكمال، وأوصاف الجلال والعظمة والجمال، وأوصاف الرّحمة والبرّ والكرم والامتنان؛ فإنّ هذه الصّفات هي التي يستحقّ أن يُؤله ويُعبد لأجلها، فيؤله لأنّ له أوصاف العظمة والكبرياء، ويؤله لأنّه المتفرِّد بالقيُّوميّة والرّبوبيّة والملك والسّلطان، ويؤله لأنّه المتفرّد بالرّحمة وإيصال النّعم الظّاهرة والباطنة إلى جميع خلقه، ويؤله لأنّه المحيط بكلّ شيء علما وحكما وحكمة وإحسانا ورحمة وقدرة وعزّة وقهرا، ويؤله لأنّه المتفرّد بالغنى المطلق التّام من جميع الوجوه، كما أنّ ما سواه مفتقر إليه على الدّوام من جميع الوجوه، مفتقر إليه في إيجاده وتدبيره، مفتقر إليه في

---

[1] () مدارج السالكين (1/420), و(3/400).

[2] () طريق الهجرتين (ص55).

[3] () المصدر نفسه (ص80).

إمداده ورزقه، مفتقر إليه في حاجاته كلّها، مفتقر إليه في أعظم الحاجات وأشدّ الضّرورات، وهي افتقاره إلى عبادته وحده والتّأله له وحده, فالألوهيّة تتضمّن جميع الأسماء الحسنى والصّفات العليا)[1].

2- أثر الإيمان بصفة العزّة في إجلال وتعظيم الله تعالى, والأدب معه سبحانه وتعالى:

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة لله تعالى, واسم الله تعالى العزيز المتضمّن لها, وغيره من الأسماء الحسنى الدّالّة على عظمة الله تعالى وكمال قوّته, وتمام قدرته, ونفوذ سلطانه, وإحاطته بخلقه, وتمكّنه منهم, مثل: اسم الله القويّ والقدير والعظيم والكبير والجبّار والمحيط والمهيمن والقاهر والملك والواسع والعليّ, كلّ هذه الأسماء وما تضمّنتها من الصّفات العظيمة من: العزّة, والقدرة, والجبروت, والهيمنة, والإحاطة, وغيرها, تبعث على تعظيم الله تعالى في قلب العبد, وإجلاله والأدب معه سبحانه, فكلّما زاد العبد في معرفته معاني هذه الأسماء العظيمة حقّ المعرفة, وتعبّد الله بها ازدادت منزلة تعظيم الله تعالى في قلبه فإنّ (هذه المنزلة تابعة للمعرفة فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرّبّ تعالى في القلب, وأعرف النّاس به: أشدّهم له تعظيما, وإجلالا, وقد ذمّ الله تعالى من لم يعظمه حقّ عظمته, ولا عرفه حقّ معرفته, ولا وصفه حقّ صفته, وأقوالهم تدور على هذا فقال تعالى: ﭽ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [نوح: ١٣], قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة, وقال سعيد بن جبير: ما لكم لا تعظمون الله حقّ عظمته, وقال الكلبيّ: لا تخافون لله عظمة, قال البغويّ: والرّجاء بمعنى المخوف, والوقّار: العظمة اسم من التّوقير وهو التّعظيم, وقال الحسن: لا تعرفون لله حقا, ولا تشكرون له نعمة...)[2].

---

[1] () فتح الرحيم الملك العلام (ص12).

[2] () مدارج السالكين (2/ص117وص125).

3- أثر الإيمـان بصـفة العـزّة في تقريـر عبوديـة التّوكّل على الله تعالى:

إنّ من أجلّ ما يثمره التّعبد بالأسـماء والصّـفات, وخاصّـة باسم الله العزيز, وصفة الله العزّة أن يعتمد القلب على الله تعالى, ويخلص في تفويض أمـره إليـه, وذلـك حقيقـة التّوكـل على الله تعالى.

والتّوكـل من أعظم العبـادات تعلُّقـاً بالأسـماء والصّـفات؛ ذلــك لأنّ التّوكــل مبنــاه على أصــلين عظيمين: علم القلب وعمله.

أمّا علمه: فيقينه بكفاية وكيله، وكمـال قيامـه بمـا وكَلَـه إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه في ذلك.

وأمّا عمله: فسكونه إلى وكيله، وطمأنينته إليه، وتفويضـه وتسليمه أمره إليه، وأنّ غيره لا يقوم مقامه في ذلك, ورضاه بتصرّفه له فوق رضاه بتصرّفه هو لنفسـه, فبهـاذين الأصـلين يتحقق التوكل، وهما جماعه[1].

ولما كـان هـذان الأمـران مبناهمـا على العلم بهـذا البـاب العظيم, -باب الأسـماء والصـفات- قـال بعض أهـل العلم: أن التوكل هو المعرفة بالله.

يقول ابن القيم رحمه اللـه: (إنّ التوكّـل حـال مركّبـة من مجموع أمور لا تتمّ حقيقة التوكّل إلاّ بها...فأوّل ذلـك: معرفـة بالرب وصفاته: من قدرته, وكفايته, وقيوميّته, وانتهـاء الأمـور إلى علمه, وصدورها عن مشيئته وقدرته, وهذه المعرفـة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل...

التوكل من أعم المقامات تعلقا بالأسـماء الحسـنى, فـإن له تعلقا خاصا بعامـة أسـماء الأفعـال وأسـماء الصـفات, فلـه تعلـق باسـم الغفـار, والتـواب, والعفـو, والـرؤوف, والـرحيم, وتعلق باسم الفتاح والوهـاب والـرزاق والمعطي والمحسـن, وتعلق باسم المعز المـذل, الحافـظ الرافـع المـانع, من جهـة توكله عليه في إذلال أعـداء دينـه وخفضـهم, ومنعهم أسـباب النّصر, وتعلق بأسماء القدرة والإرادة, وله تعلـق عـام بجميـع

---

[1] () انظر: طريق الهجرتين (1/256).

الأسـماء الحسـنى؛ ولهـذا فسّـره من فسّـره من الأئمـة بأنّـه المعرفة بالله, وإنّما أراد أنّـه بحسـب معرفـة العبـد يصـح لـه مقام التوكّل, وكلما كان بالله أعرف, كان توكّله عليه أقــوى)[1].

(ولذلك لا يصح التوكل, ولا يتصـوّر من فيلسـوف, ولا من القدرية النُّفاة القائلين بأنّـه يكـون في ملكـه مـا لا يشـاء, ولا يستقيم أيضا من الجهمية النُّفاة لصفات الرّب جل جلالـه, ولا يستقيم التوكل إلا من أهل الإثبات, فأيُّ توكـل لمن يعتقـد أنّ اللـه لا يعلم جزيئـات العـالم سـفليه وعلويـه؟ ولا هـو فاعـل باختياره؟ ولا له إرادة ومشيئة, ولا يقوم بـه صـفة؟ فكـل من كان باللـه وصـفاته أعلم وأعـرف, كـان توكلـه أصح وأقـوى, والله سبحانه وتعالى أعلم)[2].

قال السعدي رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ ﮋ [النمل: ٩], (أي: أخبره الله أنه الله المستحق للعبـادة وحـده لا شريك له كما في الآية الأخرى ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [طه: ١٤], العزيـــز الـــذي قهـــر جميـــع الأشـــياء وأذعنت لـــه كـــل المخلوقات، الْحَكِيمُ في أمره وخلقه, ومن حكمتـه أن أرسـل عبده موسى بن عمران الذي علم الله منه أنه أهـل لرسـالته ووحيه وتكليمه, ومن عزته أن تعتمد عليـه ولا تسـتوحش من انفرادك وكـثرة أعـدائك وجـبروتهم، فـإن نواصـيهم بيـد اللـه وحركاتهم وسكونهم بتدبيره)[3].

ولهذا أرشد الله عباده المؤمنين بالتوكـل عليـه عنـد لقـاء العدو من الكفار كمـا في غـزوة بـدر الكـبرى, وطمـأنهم بـأن الله عزيز لا يعجزه شيء, ولا يقهره أحد قال تعالى: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [الأنفال: ٩].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآيـة: (لمـا دنـا القــوم بعضــهم من بعض، فقلــل اللــه المســلمين في أعين المشــركين، وقلــل المشــركين في أعين المســلمين، فقــال المشركون: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [الأنفال: ٤٩]، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في

---

[1] () مدارج السالكين (2/125).

[2] () المصدر نفسه (2/118).

[3] () تيسير الكريم الرحمن (ص600).

أعينهم، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك، فقال الله: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [الأنفال: ٤٩].

وأما قوله: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ ، فإن معناه: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به، ويرض بقضائه، فإن الله حافظه وناصره؛ لأنه عزيز، لا يغلبه شيء، ولا يقهره أحد، فجاره منيع، ومن يتوكل عليه مكفيٌّ.

وهذا أمرٌ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم، أن يفوضوا أمرهم إليه، ويسلموا لقضائه، كيما يكفيهم أعداءهم، ولا يستذلهم من ناوأهم؛ لأنّه عزيز غير مغلوب، فجاره غير مقهور, حكيم يقول: هو فيما يدبِّر من أمر خلقه حكيم، لا يدخل تدبيره خلل)[1].

وقال البغوي في تفسير هذه الآية: (ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ أي: ومن يسلم أمره إلى الله ويثق به، ﮋ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ قوي يفعل بأعدائه ما يشاء)[2].

قال الشوكاني رحمه الله: (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز لا يغلبه غالب، ولا يذِلُّ من توكل عليه)[3].

فيجب على المسلم أن (يَكِلَ أمره إلى الله, ويؤمن إيمان اطمئنانٍ بأنه ناصره ومعينه، وأنه لا يعجزه شيء, ولا يمتنع عليه شيء أراده, يكفه ما يهمه, وينصره على أعدائه, وإن كثر عددهم وعظم استعدادهم، لأنه العزيز الغالب على أمره، الحكيم الذي يضع كل أمر في موضعه بمقتضى سننه في نظام العالم، ومن ذلك أن ينصر الحق على الباطل)[4].

فيستفاد من الآية أنّ المؤمن باسم الله العزيز و صفة الله العزّة, يزداد توكّله على الله تعالى, ومن ثمّ زيادة إيمانه؛ (فإنّ الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة, التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على اللّه، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا باللّه تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص

---

1 () جامع البيان (13/14-15).

2 () معالم التنزيل في تفسير القرآن (3/367).

3 () فتح القدير (2/261).

4 () تفسير المراغي (10/14).

بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه إلا بشيء قد كتبه اللّه عليه، وعلم أنّه على الحقّ، وأن اللّه تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فزعا ولا جبانا، ولهذا قال: ﴿ ... ﴾ [الأنفال: ٤٩]

, لا يغالب قوته قوة, ﴿ ... ﴾ فيما قضاه وأجراه)[1].

بل أمر الله تعالى عباده بالتوكُّل عليه, وذكر اسميه العزيز الرحيم فقال تعالى: ﴿ ... ﴾ [الشعراء: ٢١٧]

.

يقول السعدي رحمه الله في هذه الآية الكريمة: (أعظم مساعد للعبد على القيام بما أُمِر به الاعتماد على ربه، والاستعانة بمولاه على توفيقه للقيام بالمأمور، فلذلك أمر الله تعالى بالتوكل عليه فقال: ﴿ ... ﴾ [الشعراء: ٢١٧], والتوكل هو اعتماد القلب على الله تعالى، في جلب المنافع ودفع المضار، مع ثقته به، وحسن ظنه بحصول مطلوبه، فإنه عزيز رحيم، بعزّته يقدر على إيصال الخير ودفع الشر عن عبده، وبرحمته به، يفعل ذلك)[2].

4- أثر الإيمان بصفة العزّة في نفي الشّرك عن الله تعالى:

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة لله تعالى, أنّها تزيد في توحيد العبد, وثقته بربه وحده لا شريك له, وتنفي تعلُّقُه بما سواه من الأنداد, والشركاء, ذلك لأنّ صفة العزّة تتضمّن كونه سبحانه قادرا على كل شيء, فعّال لما يريد, لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض, وهذه الصفات هي صفات الإله الحق, وأما من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا, فضلا أن يملكه لغيره, فهذا لا يستحق أن يؤله من دون الله تبارك وتعالى, ولهذا ضرب الله الأمثال لهذا في كتابه العزيز, وبين أن ما يتعلق به المشركون بالله من الأنداد والشركاء, لا

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (ص322).
2 () المصدر نفسه (ص599).

يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا, بل هم عاجزون عن إيجاد أضعف مخلوق, ولا دفع الضر عن أنفسهم من أضعف مخلوق, ألا وهو الذباب, قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الحج: ٧٣ - ٧٤], وختم الله سبحانه الآيتين بذكر اسميه القوي العزيز, ليبيّن لعباده أن الإله الحقّ, هو المتصف بالقوّة والعزّة.

يقول ابن جرير رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [الحج: ٧٣ - ٧٤]: (وإنّما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقريعا منه بذلك عبدتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة, ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئا عليه, لم يقدر أن يمتنع منه ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السماوات والأرض, ومالك جميع ذلك, والمحي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك, لا شك أنه في غاية الجهل.

وقوله: ﮋﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة, ولا عرفوه حق معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره, إذا خاطبوا بذلك من قصَّرَ بحقِّه، وهم يريدون تعظيمه.

وقوله: ﮋﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ يقول: إنّ الله لقوي على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره, عزيز: يقول: منيع في ملكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئا، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه, الذين لا يقدرون على خلق ذباب، ولا على الامتناع من الذباب، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة)[1].

ويزيد ابن القيم رحمه الله ذلك وضوحا فيقول: (فصل ومنها: قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ

[1] () جامع البيان (17/686).

ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ [الحج: ٧٣ – ٧٤], حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل، ويتدبره حق تدبُّره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب, ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدرون على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئا مما عليهم من طيب ونحوه, فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات, ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟.

وهذا المثل من أبلغ ما أنزله الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله، وتقبيح عقولهم، والشهادة على أنّ الشيطان قد تلاعب بهم أعظم من تلاعب الصبيان بالكرة, حيث أعطوا الإلهية التي من بعض لوازمها القدرة على جميع المقدورات, والإحاطة بجميع المعلومات, والغنى عن جميع المخلوقات, وأن يصمد إلى الرب في جميع الحاجات, وتفريج الكربات, وإغاثة اللهفات, وإجابة الدعوات، فأعطوها صورا وتماثيل يمتنع عليها القدرة على أقل مخلوقات لآلهة الحق, وأذلها وأصغرها وأحقرها، ولو اجتمعوا لذلك وتعاونوا عليه.

وأدلُّ من ذلك على عجزهم وانتفاء إلهيتهم, أن هذا الخلق الأقل الأذل, العاجز الضعيف, لو اختطف منهم شيئا واستلبه, فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه, لعجزوا عن ذلك، ولم يقدروا عليه، ثم سوى بين العابد والمعبود في الضعف والعجز بقوله: ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ [الحج: ٧٣], قيل: الطالب العابد, والمطلوب المعبود، فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب والمسلوب، وهو تسوية بين الإله والذباب في الضعف والعجز, وعلى هذا فقيل: الطالب الإله الباطل، والمطلوب الذباب يطلب منه ما استلبه منه، وقيل: الطالب الذباب، والمطلوب الإله، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع، فضعف العابد والمعبود والمستلب والمستلب, فمن جعل هذا إلها مع القوي

العزيز فما قدره حقّ قدره، ولا عرفه حقّ معرفته، ولا عظّمه حقّ تعظيمه)[1].

ومن الأمثال التي ضربها الله تعالى لبيان بطلان الشرك به سبحانه, ما مثل به ممن اتخذ من دون الله أولياء يتقوى بهم, ويستعين بهم, كمن اتخذ بيت العنكبوت ليَقِيه الحرّ والبرد, وبيت العنكبوت هو أوهن البيوت, لأوهن مخلوق, لا يقوى عن دفع أضعف الأضرار, لعجزه, ووهنه, وضعفه, فكذلك هذا المشرك بالله تعالى اتخذ من دون الله المخلوق الضعيف العاجز, ليدفع عنه الضر, ويجلب له الخير, وترك الله القوي العزيز, الذي لا يعجزه شيء لكمال قوته, وتمام قدرته فقال تعالى: ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [العنكبوت: ٤١ -٤٢], فختم سبحانه الآيتين باسميه العزيز الحكيم, ليبين عباده أنه الإله الحق الذي يجب أن يعبد وحده لا شريك له, هو من اتصف بالعزّة والحكمة, لأنّ العزيز من له القوة جميعا, القادر على كل شيء, والحكيم الذي أحسن كل شيء وأتقنه, فهذا هو الإله الحق.

يقول السعدي رحمه الله: (هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره، يقصد به التعزز والتقوي والنفع، وأن الأمر بخلاف مقصوده، فإن مثله كمثل العنكبوت، اتخذت بيتا يقيها من الحرّ والبرد والآفات، ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮊ أضعفها وأوهاها ﮋﮐ ﮑ ﮊ, فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفا، كذلك هؤلاء الذين يتخذون من دونه أولياء، فقراء عاجزون من جميع الوجوه، وحين اتخذوا الأولياء من دونه, يتعززون بهم ويستنصرونهم، ازدادوا ضعفا إلى ضعفهم، ووهنا إلى وهنهم.

فإنهم اتكلوا عليهم في كثير من مصالحهم، وألقوها عليهم، وتخلوا هم عنها، على أن أولئك سيقومون بها، فخذلوهم، فلم يحصلوا منهم على طائل، ولا أنالوهم من معونتهم أقل نائل.

فلو كانوا يعلمون حقيقة العلم حالهم وحال من اتخذوهم،

[1] () إعلام الموقعين (1/139-140).

لم يتخذوهم، ولتبرؤا منهم، ولتولوا الرب القادر الرحيم، الذي إذا تولاه عبده وتوكل عليه، كفاه مؤونة دينه ودنياه، وازداد قوة إلى قوته في قلبه وفي بدنه وحاله وأعماله.

ولـمَّا بيَّن نهاية ضعف آلهة المشركين، ارتقى من هذا إلى ما هو أبلغ منه، وأنها ليست بشيء، بل هي مجرد أسماء سموها، وظنون اعتقدوها، وعند التحقيق يتبين للعاقل بطلانها وعدمها، ولهذا قال: ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ أي: إنه تعالى يعلم -وهو عالم الغيب والشهادة- أنهم ما يدعون من دون الله شيئا موجودا، ولا إلها له حقيقة، كقوله تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ [النجم:٢٣], وقوله: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [يونس: ٦٦].

ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮊ الذي له القوة جميعا، التي قهر بها جميع المخلوقات، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، الذي أحسن كل شيء خلقه، وأتقن ما أمره.

ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮊ [العنكبوت: ٤٣], أي: لأجلهم ولانتفاعهم وتعليمهم، لكونها من الطرق الموضحة للعلوم، ولأنّها تقرب الأمور المعقولة بالأمور المحسوسة، فيتضح المعنى المطلوب بسببها، فهي مصلحة لعموم الناس, ولكن ﮋ ﮮ ﮯ ﮊ بفهمها وتدبرها، وتطبيقها على ما ضربت له، وعقلها في القلب ﮋ ﮰ ﮱ ﮊ أي: أهل العلم الحقيقي، الذين وصل العلم إلى قلوبهم.

وهذا مدح للأمثال التي يضربها، وحث على تدبرها وتعقلها، ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين.

والسَّبب في ذلك، أن الأمثال التي يضربها الله في القرآن، إنما هي للأمور الكبار، والمطالب العالية، والمسائل الجليلة، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها، وحثه عباده على تعقلها وتدبرها، فيبذلون جهدهم في معرفتها.

وأمّا من لم يعقلها، مع أهمِّيتها، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم، لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة، فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى, ولهذا أكثر ما

يضرب الله الأمثال في أصول الدين ونحوها)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (فصل: ومنها قوله تعالى: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [العنكبوت: ٤١], فذكر سبحانه أنّهم ضعفاء, وأن الذين اتخذوهم أولياء مثل المشرك بالعنكبوت أضعف منهم, فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت اتخذت بيتا, وهو أوهن البيوت وأضعفها, وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حيث اتخذوا من دون الله أولياء, فلم يستفيدوا بمن اتخذوهم أولياء إلا ضعفا كما قال تعالى: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [مريم: ٨١ – ٨٢], وقال تعالى: ﮋﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﮊ [يس: ٧٤ – ٧٥] , وقال بعد أن ذكر هلاك الأمم المشركين: ﮋﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮊ [هود: ١٠١], فهذه أربعة مواضع في القرآن تدل على أن من اتخذ من دون الله وليا يتعزز به, و يتكثر به, ويستنصر به لم يحصل له به إلا ضد مقصوده. وفي القرآن أكثر من ذلك, وهذا من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك, وخسارة صاحبه, وحصوله على ضد مقصوده, فإن قيل: فهم يعلمون أن أوهن البيوت بيت العنكبوت, فكيف نفى عنهم علم ذلك بقوله: ﮋﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [البقرة: ١٠٢].

فالجواب أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت, وإنما نفى علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتا فلو علموا ذلك لما فعلوه، ولكن ظنوا أن اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزا وقوة, فكان الأمر بخلاف ما ظنوا)[2].

ولهذا ختم الله تعالى هاتين الآيتين وهي قوله تعالى: ﮋﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮊ [العنكبوت: ٤١ - ٤٢], بقوله سبحانه في آخرهما: ﮋﮤ ﮥ ﮊ [العنكبوت: ٤٢], فختمه الآية بذكر اسم الله العزيز واسم الله الحكيم (تعليل على المعنيين. فإن من فرط الغباوة إشراك ما لا يعد شيئاً بمن هذا شأنه، وأن الجماد بالإِضافة

[1] () تيسير الكريم الرحمن (ص631).
[2] () إعلام الموقعين (1/155).

إلى القـادر القـاهر على كـل شـيء, البـالغ في العلم وإتقـان الفعــل الغايــة كالمعــدوم، وأن من هــذا وصــفه قــادر على مجازاتهم)[1].

وهكذا يذكر سبحانه لعباده أسماء الحسـنى وصـفاته العلا (ليعرفوا كماله وعظمته ومجده وجلاله, وكثيرا ما يذكرها عند ذكر آلهتهم التي عبدوها من دونه, وجعلوها شركاء له, فيـذكر سـبحانه من صـفات كمالــه, وعلــوه على عرشــه, وتكلمــه وتكليمـه, وإحاطـة علمـه, ونفـوذ مشـيئته مـا هـو منتـف عن آلهتهم, فيكــون ذلــك من أدل الــدليل على بطلان آلهيتهــا, وفساد عبادتها من دونه, ويـذكر ذلـك عنـد دعوتـه عبـاده إلى ذكره وشكره وعبادته, فيذكر لهم من أوصاف كمالـه ونعـوت جلاله, ما يجذب قلوبهم إلى المبادرة إلى دعوته, والمسـارعة إلى طاعته, والتنافس في القرب منه, ويذكر صفاته أيضا عند ترغيبــه لهم وترهيبــه وتخويفــه, ليعــرف القلــوب من تخافــه وترجوه, وترغب إليه, وترهب منه)[2].

5- أثر الإيمان بصـفة العـزّة في عبوديـة الـدعاء لله تعالى.

من الآثار الإيمانية لصفه العزّة لله تعالى في تقرير توحيد الألوهية, أنّ لها أثر عظيم على عبودية الدعاء لله تعالى؛ لأنّـه من عــرف شــدّة حاجتــه إلى ربّــه تعــالى, وعلم من نفســه الضّعف والافتقار إلى الله تعالى, وعلم أنّه يدعو إلهـا عظيمـا عزيزا, قـادر على كـل شـيء, لا يعجـزه شـيء أراده, لكمـال قوته, وتمام قدرته, أقدم على الدعاء بثقة وطمأنينـة في ربـه تعالى, وفيما عنده.

قال السهسواني[3] رحمه الله: (الـدعاء يفيـد معرفـة ذلّـة

---

[1] () أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (4/195).

[2] () الصواعق المرسلة (3/910).

[3] () هـو محمـد بشـير بن محمـد بـدر الـدين السهسـواني الهنـدي, وسهسوان، من أعمال ولاية بدايون, عالم بالحديث والفقـه, قيـل: إنـه عمـري فـاروقي. أشـهر كتبـه: صـيانة الإنسـان عن وسوسـة الشـيخ دحلان, والحـق الصـريح في إثبـات حيـاة المسـيح رد على القاديـاني، وغيرهـا, مـات سـنة سـت وعشـرين وثلاثمائـة وألـف.

العبودية، ويفيد عـزّة الربوبيـة، وهـذا هـو المقصـود الأشـرف الأعلى من جميـع العبـادات، وبيانـه أنّ الـداعي لا يقـدم على الــدعاء إلا إذا عــرف من نفســه كونــه محتاجــاً إلى ذلــك المطلوب, وكونه عاجزاً عن تحصـيله، وعـرف من ربّـه وإلهـه أنّـه يسـمع دعـاءه, ويعلم حاجتـه, وهـو قـادر على دفـع تلـك الحاجة، وهو رحيم تقتضي رحمته إزالة تلك الحاجة؛ وإذا كـان كذلك, فهو لا يقدم على الـدعاء إلا إذا عـرف كونـه موصـوفاً بالحاجة، وبالعجز، وعرف كون الإله سـبحانه موصـوفا بكمـال العلم والقـدرة والرحمـة، فلا مقصـود من جميـع التكـاليف إلا معرفة ذلّ العبودية وعزّ الربوبية، فإذا كان الـدعاء مسـتجمعاً لهذين المقامين لا جرم كان الدعاء أعظم أنواع العبادات)[1].

وأيضا ما يراه عبـاده الصـالحون من إجابـة الـدعوات بعـد سؤالهم الله تعالى دليلٌ على عزَّته سـبحانه المتضـمِّنة كمـال القـوَّة, وتمـام القـدرة, وأنَّه سـبحانه غـير عـاجز عن إجابـة دعواتهم, مهما كثر عدد الداعين, ومهما عظمت تلك الحاجة.

يقــول ابن القيم رحمــه اللــه: (وحصــول الإجابــة عقيب سؤال الطالب، على الوجه المطلوب: دليـل على علم الـرب تعالى بالجزئيات، وعلى سـمعه لسـؤال عبيـده، وعلى قدرتـه على قضاء حوائجهم، وعلى رأفته ورحمته بهم)[2].

6- أثر الإيمـان بصـفة العـزّة في تقريـر عبوديـة الخوف من الله تعالى:

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة لله تعالى, أنّهـا تـورث في قلب العبد الخوف من الله تعالى, وكـذلك سـائر أسـماء اللـه الحسنى التي تتضـمّن عظمـة اللـه وقهـره وقدرتـه وجبروتـه وعزّتـه مثـل: اسـم اللـه العظيم والقـدير والكبـير والقـوي والمتين والجبار, وما في معناها, فإنّها تبعث على الخـوف من اللـه تبـارك وتعـالى, ومن هـذه الأسـماء اسـم اللـه العزيـز, المتضمن لصـفة العـزة, فهـو من جملـة الأسـماء الـتي تبعث

انظر: الأعلام (6/53).

1 () صـيانة الإنسـان عن وسوسـة الشـيخ دحلان (1/434), وانظـر: طريق الهجرتين (ص26).

2 () مدارج السالكين (3/331).

على الخوف, والخشية من الله تعالى, ومن بطشه وعذابه جل وعلا.

يقول العزّ بن عبد السلام رحمه الله: (أحبّ عباد الله تعالى إليه وأكرمهم عليه, العارفون بما يستحقه مولاهم من أوصاف الجلال, ونعوت الكمال,... فهم في رياض الجنّة حاضرون, وإلى كمال صفاته ناظرون, إن نظروا إلى جلاله هابوه وفنوا, وإن نظروا إلى جماله أحبوه وصبروا, وإن نظروا إلى شدّة نقمته خافوه وأذعنوا, وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه, وإن نظروا إلى توحده بصفات بالأفعال لم يتوكّلوا إلا عليه, وإن نظروا إلى اطلاعه عليهم استحيوا أن يخالفوه)[1].

يقول ابن القيم رحمه الله: (كلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له, وخشيته إياه, كما قال الله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [فاطر: ٢٨], أي: العلماء به، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أنا أعرفكم بالله وأشدكم له خشية"[2].

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما عند قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ [فاطر: ٢٨]، إنّما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزّتي وسلطاني)[3].

يقول الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: (أسماء الله جل وعلا منها أسماء جلال ومنها أسماء جمال...

أمَّا أسماء الجلال وصفات الجلال, فضابطها أنّها الأسماء والصّفات التي فيها معاني جبروت الله جل وعلا وعزته وقهره, من مثل اسم الله: العزيز والقهار والجبار والقوي والمنتقم ونحو ذلك من الأسماء والصفات، فمعاني العزّة، معاني الجبروت، معاني القهر, ونحو ذلك، هذه كلّها جلال؛ لأنَّها تورث الإجلال، تورث التَّعظيم, تورث الخوف والهيبة لله

---

1 () شجرة المعارف والأحوال (ص10).

2 () لم أجده بهذا اللفظ, وأخرجه مسلم, كتاب الصيام, باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (2/781), رقم: 1110, بلفظ: "والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي".

3 () روضة المحبين (ص406).

جل وعلا, ومن الله جل وعلا)[1].

وإذا خاف العبد المـؤمن ربـه تبـارك وتعـالى, أورثـه ذلـك محبة لمن يخافه, ورجاء مـا عنـده, يورثـه محبـة لمن يخافـه؛ لأنّ الخائف يفر من الخوف لينال محبوبه[2], ورجاء مـا عنـده؛ لأنّ الراجي يخاف فوات محبوبه, والرّجاء يـورث المحبـة للـه تعالى, لأنّ كـل راج محب لمـا يرجـوه, فـدل على أن أسـماء اللـه تعـالى, وصـفاته المتضـمنة لجبروتـه, وقوتـه, وعظمتـه, وعزته كما أنها تورث في قلب العبد الخوف من اللـه تعـالى, فهي كذلك سبب لرجاء اللـه ومحبتـه سـبحانه, فــ(من عـرف الله أحبه على قدر معرفته به، وخافـه ورجـاه، وتوكـل عليـه، وأناب إليـه، ولهج بـذكره، واشـتاق إلى لقائـه، واسـتحيا منـه، وأجلَّه وعظَّمــه على قــدر معرفتــه بــه)[3], وهــذه العبوديــات الثلاث: من الحب والخوف والرجاء متلازمة.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وعلى حسب المحبة وقوتها يكون الرجاء, فكل محب راج خائف بالضرورة, فهو أرجى مـا يكون لحبيبه، أحب ما يكون إليه, وكـذلك خوفـه, فإنـه يخـاف سقوطه من عينيه, وطرد محبوبه له وإبعاده, واحتجابـه عنـه, فخوفه أشد خوف, ورجـاؤه ذاتي للمحبـة, فإنـه يرجـوه قبـل لقائه والوصول إليه, فإذا لقيه ووصل إليـه اشـتد الرجـاء لـه، لمـا يحصـل لـه بـه من حيـاة روحـه، ونعيم قلبـه من ألطـاف محبوبه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضـا، وتأهيلـه في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب، ولا نعيم ولا فوز إلا بوصوله إليه من محبوبه, فرجاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه.

فتأمّـل هـذا الموضـع حـقّ التأمـل, يطلعـك على أسـرار عظيمــة من أســرار العبوديــة والمحبــة, فكــل محبــة فهي مصــحوبة بــالخوف والرجــاء, وعلى قــدر تمكنهــا من قلب المحب يشـتد خوفـه ورجـاؤه، لكن خـوف المحب لا يصـحبه وحشة, بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا يصحبه علــة، بخلاف رجــاء الأجــير, وأين رجــاء المحب من رجــاء الأجــير؟

---

1 () شرح العقيدة الواسطية (1/84).
2 () انظر: مجموع الفتاوى (1/95).
3 () مدارج السالكين (3/318).

وبينهما كما بين حاليهما)[1].

7- أثر الإيمان بصفة العزة في حسن الظنّ بالله تعالى:

كذلك من الآثار الإيمانية لصفة العزة, أن لها أثراً عظيماً في حسن الظنّ بالله تعالى, وأنّ الله سينصر عبده ويؤيِّده, لكمال قوته, وتمام قدرته, ونفوذ سلطانه, ومن ظنّ غير ذلك, فقد أساء الظنّ بالله تعالى, (لأنّه ظنّ غير ما يليق بأسمائه الحسنى وصفاته العليا, وذاته المبرَّأة من كل عيب وسوء، وبخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه, وبكلمته التي سبقت لرسله أنّه ينصرهم ولا يخذلهم، ولجنده بأنّهم هم الغالبون، فمن ظنّ بأنّه لا ينصر رسوله، ولا يتم أمره، ولا يؤيده ويؤيد حزبه، ويعليهم ويظفرهم بأعدائه، ويظهرهم عليهم، وأنّه لا ينصر دينه وكتابه، وأنّه يديل الشرك على التوحيد، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده أبدا، فقد ظنّ بالله ظنّ السوء، ونسبه إلى خلاف ما يليق بكماله وجلاله وصفاته ونعوته، فإنّ حمده وعزّته وحكمته وإلهيته تأبى ذلك، وتأبى أن يذل حزبه وجنده، وأن تكون النُّصرة المستقرِّة والظّفر الدائم لأعدائه المشركين به العادلين به، فمن ظنّ به ذلك فما عرفه, ولا عرف أسماءه, ولا عرف صفاته وكماله، وكذلك من أنكر أن يكون ذلك بقضائه وقدره فما عرفه, ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته)[2].

ولهذا كان سوء الظنّ بالله تعالى من أعظم الذنوب, لما فيه من نسبة النّقص إلى الله تعالى في ذاته المقدسة, وفي أسماءه وصفاته, فالظانّ بالله السوء قد نسب ربّه وإلهه إلى العجز, والضعف, والجهل, والفقر, وغير ذلك من صفات النّقص, تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ لأنّه لولا سوء ظنّه ما اتخذ من دون الله تعالى شفعاء, ووسطاء, وأنداداً, يدعوهم كما يدعو الله تعالى, ويطلب منهم كشف الكربات, وإغاثة

---

1 () الفوائد (ص71-72).

2 () زاد المعاد (3/204).

اللّهفات, وإجابة الدعوات, وغير ذلك من أنواع الشركيات, وهذا بخلاف العبد المؤمن المحسن الظنَّ في ربه تبارك وتعالى, فهو يعلم أنّ له ربا سميعا, عليما, قادرا, قويا, عزيزا, غنيا, بيده كل شيء, وأنّه لا إله غيره, ولا ربّ سواه, ولا يأتي بالخير إلا هو, ولا يكشف السوء عنه إلا هو وحده لا شريك له, فهو مخلص له الدين, لا يشرك به أحدا.

يقول ابن القيم رحمه الله: (أعظم الذنوب عند الله إساءة الظنّ به، فإنّ المسيء به الظنَّ قد ظنّ به خلاف كماله المقدّس، وظنّ به ما يناقض أسماءه وصفاته؛ ولهذا توعد الله سبحانه الظانّين به ظنّ السّوء بما لم يتوعد به غيرَهم كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ [الفتح: ٦], وقال تعالى لمن أنكر صفة من صفاته: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [فصلت: ٢٣], وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنّه قال لقومه: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ ﭽ ﯞ ﭼ [الصافات: ٨٥ – ٨٧], أي: فما ظنّكم أن يجازيكم به إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره؟, وما ظننتم به حين عبدتم معه غيره؟, وما ظننتم بأسمائه وصفاته وربوبيته من النقص حتى أحوجكم ذلك إلى عبودية غيره؟, فلو ظننتم به ما هو أهله من أنّه بكل شيء عليم، وهو على كل شيء قدير، وأنّه غنيّ عن كلِّ ما سواه، وكلُّ ما سواه فقير إليه، وأنّه قائم بالقسط على خلقه، وأنّه المنفرد بتدبير خلقه لا يشركه فيه غيره، والعالم بتفاصيل الأمور، فلا يخفى عليه خافية من خلقه، والكافي لهم وحده, فلا يحتاج إلى معين، والرحمن بذاته، فلا يحتاج في رحمته إلى من يستعطفه، وهذا بخلاف الملوك وغيرهم من الرؤساء، فإنّهم يحتاجون إلى من يعرفهم أحوال الرعية وحوائجهم، ويعينهم على قضاء حوائجهم، وإلى من يسترحمهم ويستعطفهم بالشّفاعة، فاحتاجوا إلى الوسائط ضرورة، لحاجتهم وضعفهم وعجزهم وقصور علمهم, فأمّا القادر على كل شيء، الغنيّ عن كلّ شيء، الرحمن الرحيم, الذي وسعت رحمته كل شيء، فإدخال الوسائط بينه وبين خلقه نقص بحق ربوبيته وإلهيته وتوحيده, وظنّ به ظنّ السّوء، وهذا يستحيل أن يشرعه لعباده، ويمتنع في العقول والفطر جوازُه، وقبحُه مستقر في العقول السليمة فوق كل قبيح.

يوضِّح هذا: أنّ العابد معظِّم لمعبوده، متألّه خاضع ذليل له، والرّب تعالى وحده هو الذي يستحق كمال التعظيم والجلال والتأله والخضوع والذل، وهذا خالص حقّه، فمن أقبح الظلم أن يعطي حقه لغيره، أو يشرك بينه وبينه فيه، ولا سيما إذا كان الذي جعل شريكه في حقه هو عبده ومملوكه، كما قال تعالى: ﮋ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [الروم: ٢٨], أي: إذا كان أحدكم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء فيما أنا به منفرد؟ وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري، ولا تصح لسواي.

فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظّمني حقّ تعظيمي، ولا أفردني بما أنا مفرد به وحدي دون خلقي، فما قدر الله حقّ قدره من عبد معه غيره، كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [الحج: ٧٣ – ٧٤] , فما قدر الله حق قدره من عبد معه غيره، ممن لا يقدر على خلق أضعف حيوان وأصغره، وإن سلبهم الذباب شيئا مما عليه لم يقدر على استنقاذه منه، وقال تعالى: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﮊ [الزمر: ٦٧], فما قدر من هذا شأنه, وعظمته حقّ قدره من أشرك معه في عبادته من ليس له شيء من ذلك البتّة، بل هو أعجز شيء وأضعفه، فما قدر القويّ العزيز حقّ قدره من أشرك معه الضعيف الذّليل)[1].

8- أثر الإيمان بصفة العزّة في مرتبة ومشهد الإحسان:

مرتبة الإحسان من أعظم مراتب الدين وهو على قسمين:

(أحدهما: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إيّاه، واطلاعه عليه, وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله وعمل عليه، فهو مخلص لله؛ لأنّ استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير

---

1 () الداء والدواء ص(138-140).

الله وإرادته بالعمل.

والثاني: مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته لله بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان، وتنفذ البصيرة في العرفان، حتّى يصير الغيب كالعيان, وهذا هو حقيقة مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذا المقام فيه بحسب قوّة نفوذ البصائر)[1].

ولا يتمّ مقام الإحسان للعبد إلا بالعلم بالله وبأسماء الله وصفاته, ومشاهدتها بقلبه, ولا شك أنّ العبد متى شهد بقلبه أنّ له ربا عزيزا ذو عزّة قاهرة, زاده ذلك تعظيما لله وذلاّ وخضوعا وخشية؛ لأنّ مقام الإحسان أصل كل أعمال القلوب, فعلى قدر زيادة العبد بالعلم بأسماء الله وصفاته, وشهوده لها, يزداد مقام الإحسان عنده, وذلك يوجب له القرب من الله تعالى, وزيادةً خشية وحياء وتوكل ومحبة وتعظيم لله تعالى, وغير ذلك من أعمال القلوب.

يقول ابن القيم رحمه الله: (مشهد الإحسان, وهو مشهد المراقبة, وهو أن يعبد الله كأنّه يراه, وهذا المشهد إنّما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته, حتّى كأنّه يرى الله سبحانه فوق سمواته, مستويا على عرشه, يتكلم بأمره ونهيه, ويدبر أمر الخليقة, فينزل الأمر من عنده, ويصعد إليه, وتعرض أعمال العباد وأرواحهم عند الموافاة عليه, فيشهد ذلك كله بقلبه, ويشهد أسماءه وصفاته, ويشهد قيوما حيا سميعا بصيرا عزيزا حكيما, آمرا ناهيا, يحب ويبغض, ويرضى ويغضب, ويفعل ما يشاء, ويحكم ما يريد, وهو فوق عرشه لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ولا أقوالهم ولا بواطنهم, بل يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور, ومشهد الإحسان أصل أعمال القلوب كلها؛ فإنّه يوجب الحياء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبّة والإنابة والتوكل والخضوع لله سبحانه, والذل له, ويقطع الوسواس وحديث النّفس, ويجمع القلب والهمّ على الله, فحظ العبد من القرب من الله على قدر حظه من مقام الإحسان, وبحسبه تتفاوت الصلاة, حتىّ

---

[1] () جامع العلوم والحكم (ص129).

يكون بين صلاة الرجلين من الفضل كما بين السماء والأرض, وقيامهما وركوعهما وسجودهما واحد) [1].

9- أثر الإيمان بصفة العزّة في الـذلّ و الخضـوع والانكسار لله تعالى:

من الآثار الإيمانية لصفة العزّة, أنّها تورث في قلب العبد الذل والخضوع والانكسـار بين يـدي اللـه تعـالى؛ لأنّ صـفات اللــه تعـالى الـتي تتضـمّن جـبروت اللــه تعـالى, وعظمتــه, وكبرياءه, وعزّته, وقوّته, تملأ قلب العبد هيبة من الله تعـالى, وذلاًّ, وخضوعا, وانكساراً بين يديه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (القرآن كلام الله, وقد تجلّى اللــه فيــه لعبــاده بصــفاته, فتــارة يتجلّى في جلبــاب الهيبــة والعظمة والجلال, فتخضع الأعناق, وتنكسر النفوس, وتخشـع الأصوات, ويذوب الكِبْر كما يذوب الملح في الماء...

وإذا تجلّى بصفات العزّ والكبرياء أعطت نفسه المطمئنــة ما وصلت إليه من الذل لعظمته, والانكسار لعزّته, والخضــوع لكبريائــه, وخشــوع القلب والجــوارح لــه, فتعلــوه الســكينة والوقار في قلبه ولسـانه وجوارحـه وسـمته, ويـذهب طيشـه وقوّتـه وحدّتـه, وجمـاع ذلـك أنّـه سـبحانه يتعـرف إلى العبـد بصفات إلهيته تارة, وبصفات ربوبيته تارة, فيـوجب لـه شـهود صفات الإلهيـة المحبـة الخاصّـة, والشـوق إلى لقائـه, والأنس والفرح به, والسرور بخدمتـه, والمنافسـة في قربـه, والتـودد إليه بطاعته, واللّهج بذكره, والفـرار من الخلـق إليـه, ويصـير هـو وحـده همّـه دون مـا سـواه, ويـوجب لـه شـهود صـفات الربوبية, التوكل عليه, والافتقار إليـه, والاسـتعانة بـه, والـذل والخضوع والانكسار) [2].

ويقـول الشـيخ السـعدي رحمـه اللـه في معـرض بيانـه وشرحه لتوحيد الأنبياء والمرسلين: (يتعرّفون معناها ويعقلونه بقلوبهم, ويتعبدون الله تعالى بعلمها واعتقادها, ويعملون بمــا يقتضيه ذلك الوصف من الأحوال القلبيـة والمعـارف الرّبانيـة,

---

[1] () رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص(38-39).
[2] () الفوائد ص (69-70).

فأوصاف العظمة والكبرياء والمجد والجلال تملأ قلوبهم هيبة لله وتعظيما له وتقديسا, وأوصاف العزّ والقدرة والجبروت تخضع لها القلوب وتذل وتنكسر بين يدي ربّها...)[1].

والذلّ لعزّته سبحانه والخضوع لعظمته سمة العبد الصالح, وتظهر في كلّ عبادته لربه تعالى, ومن ذلك في الصلاة, وخاصّة عندما يركع العبد لربِّه تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (ثمّ يرجع جاثياً له ظهرَه خضوعا لعظمته, وتذلُّلاً لعزته, واستكانة لجبروته, مسبِّحاً له بذكر اسمه العظيم, فنزّه عظمته عن حال العبد وذلّه وخضوعه, وقابل تلك العظمة بهذا الذلّ والانحناء والخضوع, قد تطامن وطأطأ رأسه, وطوى ظهره, وربه فوقه, يرى خضوعه وذله, ويسمع كلامه, فهو ركنُ تعظيمٍ وإجلال, كما قال صلى الله عليه وسلم: "أمّا الركوع فعظّموا فيه الرّب"[2])[3].

10- أثر الإيمان بصفة العزة في عبودية الحمد لله تعالى:

الحمد هو الثّناء على الله تعالى لاتصافه بالمحامد من الأسماء الحسنى والصفات العلا, وأيضا يثنى على الله تعالى بسبب آلائه ونعمه التي عمّ بها خلقه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فكلّ صفة عليا واسم حسن وثناء جميل, وكلّ حمد ومدح وتسبيح وتنزيه وتقديس وجلال وإكرام, فهو لله عز وجل على أكمل الوجوه وأتمّها وأدومها، وجميع ما يوصف به, ويذكر به, ويخبر عنه, فهو محامد له وثناء وتسبيح وتقديس، فسبحانه وبحمده لا يحصى أحد من خلقه ثناءً عليه, بل هو كما أثنى على نفسه, وفوق ما يثنى عليه خلقه، فله الحمد أوّلا وآخرا حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، كما ينبغي لكرم وجهه, وعزّ جلاله, ورفيع مجده وعلوِّ جَدِّه, فهذا تنبيه على أحد نوعي حمده وهو: حمد الصفات

---

[1] () الحق الواضح المبين ص (22-21).
[2] () تقدم تخريجه.
[3] () شفاء العليل (ص228).

والأسماء, والنوع الثاني: حمد النعم والآلاء)[1].

واتصاف الله بصفة الله العزة من الأمور التي يحمَدُ العبدُ ربَّه عليها, فالعبد المؤمن يحمدُ اللهَ تعالى لاتصافه بصفة العزة؛ لأنّه يعلم أنّه يعبد إلها عظيما قويّا عزيزا لا يعجزه شيء أراده, لكمال قوّته, وتمام قدرته.

قال ابن القيم رحمه الله: (فلله العظيم أعظم حمد وأتمُّه وأكمله, على ما منّ به من معرفته وتوحيده والإقرار بصفاته العلى وأسمائه الحسنى، وإقرار قلوبنا بأنّه الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة, ربّ العالمين, قيّوم السموات والأرضين, إله الأولين والآخرين، ولا يزال موصوفا بصفات الجلال، منعوتا بنعوت الكمال، منزّها عن أضدادها من النقائص والتشبيه والمثال)[2].

ويقول أيضا رحمه الله: (فالحمد أوسع الصفات, وأعمّ المدائح, والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة، والسبيل إلى اعتباره في ذرّات العالم وجزئياته وتفاصيل الأمر والنهي واسعة جدا؛ لأنّ جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد، وصفاته حمد, وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد, والخلق والأمر إنّما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده, وكان الغاية هي حمده, فحمده سبب ذلك وغايته, ومظهره وحامله, فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات, وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر: فمن الطرق الدالة على شمول معنى الحمد وانبساطه على جميع المعلومات معرفة أسمائه وصفاته، وإقرار العبد بأنّ للعالم إلها حيا جامعا لكل صفة كمال, واسم حسن, وثناء جميل, وفعل كريم, وأنّه سبحانه له القدرة التامة, والمشيئة النافذة, والعلم المحيط, والسمع الذى وسع الأصوات, والبصر الذى أحاط بجميع المبصرات, والرحمة التي وسعت جميع المخلوقات, والملك الأعلى الذى لا يخرج عنه ذرة من الذرات, والغنى التام المطلق من جميع الجهات,

---

[1] () طريق الهجرتين (1/133).

[2] () المصدر نفسه (1/127).

والحكمة البالغة المشهود آثارها في الكائنات, والعـزة الغالبـة بجميع الوجوه)[1].

ويحســن أن نختم هــذا المبحث بكلام لابن القيم رحمــه اللـه فيقـول: (وجمـاع ذلـك أنـه سـبحانه يتعـرف إلى العبـد بصفات إلهيته تارة, وبصفات ربوبيته تارة, فيـوجب لـه شـهود صفات الإلهيـة المحبـة الخاصـة, والشـوق إلى لقائـه, والأنس والفرح به, والسرور بخدمتـه, والمنافسـة في قربـه, والتـودد إليه بطاعته, واللّهج بذكره, والفـرار من الخلـق إليـه, ويصـير هـو وحـده همّـه دون مـا سـواه, ويـوجب لـه شـهود صـفات الربوبية التوكّل عليـه, والافتقـار إليـه, والاسـتعانة بـه, والـذلّ والخضوع والانكسـار لـه, وكمـال ذلـك أن يشـهد ربوبيتـه في إلهيتــه, وإلهيتــه في ربوبيتــه, وحمــده في ملكــه, وعــزّه في عفوه, وحكمته في قضائه, وقدره ونعمته في بلائه, وعطــاءه في منعه, وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيّوميّته, وعدلــه في انتقامــه, وجــوده وكرمــه في مغفرتــه وســتره وتجــاوزه, ويشـهد حكمتـه ونعمتـه في أمـره ونهيـه, وعـزّه في رضـاه, وغضــبه وحلمــه في إمهالــه, وكرمــه في إقبالــه, وغنــاه في إعراضه, وأنت إذا تدبّرت القـرآن وأجرتـه من التحريـف, وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين, أشـهدك ملكـا قيومـا فـوق سـماواته على عرشـه, يـدبر أمـر عبـاده, يـأمر وينهي, ويرســل الرســل, ويــنزل الكتب, ويرضــى ويغضــب, ويثيب ويعاقب, ويعطي ويمنـع, ويعـزّ ويـذل, ويخفض ويرفـع, يرى من فوق سبع, ويسمع ويعلم السرّ والعلانيـة, فعّـال لمـا يريد, موصوف بكل كمال منزّه عن كـل عيب, لا تتحـرك ذرّة فما فوقها إلا بإذنه, ولا تسقط ورقة إلا بعلمه, ولا يشـفع أحـد عنده إلا بإذنه, ليس لعباده من دونه وليّ ولا شفيع)[2].

---

1 () المصدر نفسه (1/125).

2 () الفوائد ص(71/72).

المبحث الرابع:
أثر الإيمان بصفة العزَّة في سلوك المسلم.

من الآثـار الإيمانيـة لصـفة العـزَّة للـه تعـالى, أثرهـا في سلوك العبد وخلقه.

فمن تلك الآثار أنّها تثمر في قلب العبد روح الأمل والثّقة بالله وبنصره وفرجه وقت الضُّعف, والحاجة إلى اللـه تعـالى, ذلك أنّ العبد إذا علم أنّ له ربا عزيـزا ذو قـوّة تامّـة, وقـدرة شاملة, وسلطان نافذ, وأنّـه لا غـالب لـه, ولا معقّب لحكمـه, ولا رادّ لقضائه, وأنّه إذا أخذ أعدائه أخذهم أخذ عزيـز مقتـدر, اسـتكانت نفس العبـد, واطمـأنت, ووثقت بنصـر اللـه تعـالى وفرجه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (معرفته بجلال الله وعظمته وعزّه, تثمر له الخضوع والاسـتكانة والمحبـة, وتثمـر لـه تلـك الأحوال الباطنة أنواعا من العبودية الظاهرة هي موجباتها)[1].

- أيضا من الآثار, أنّها تكـون رادعـا لأهـل الظلم والباطـل في الدنيا, من الجبابرة وأعزّاء البشر, فـإذا علم هـذا الظـالم أنّ له ربا قويا قـادراً عليـه, وأنـه إذا أخـذه, أخـذه أخـذَ عزيـز مقتدر, خاف ربه, وكفَّ أذاه عن خلق الله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: (جرت عـادة القـرآن بتهديـد المخاطبين, وتحـذيرهم بمـا يـذكره من صـفاته الـتي تقتضـي الحذر والاستقامة كقوله: ﮋ [illegible] ﮊ [البقرة: ٢٠٩])[2].

فإذا خاف العبد من بطش الله تعالى به, وأنّ اسـتمراره على ظلم عباده وقهرهم, سـيؤدي بـه إلى الهلاك, كـان ذلـك سـببا في الحـذر من مسـاخط اللـه تعـالى, والاسـتقامة على شرع الله تعالى, وكفّ أذاه على من هو دونه.

قال أبو مسعود البـدري[3] رضـي اللـه عنـه: كنت أضـرب

---

[1] () مفتاح دار السعادة (2/90).

[2] () بدائع الفوائد (1/73).

[3] () هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري, يكنى أبا مسعود، يعـرف

غلاما لي بالسّوط، فسمعت صوتا من خلفي، "اعلم أبا مسعود"، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا منّي إذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: "اعلم أبا مسعود، اعلم أبا مسعود"، قال: فألقيت السّوط من يدي، فقال: "اعلم أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام"، قال: فقلت: لا أضرب مملوكا بعده أبدا.

وفي رواية: "اعلم أبا مسعود، لَلَّهُ أَقْدَرُ عليك منك عليه"، فالتفت فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، هو حرّ لوجه الله، فقال: "أما لو لم تفعل لَلَفَحَتْكَ النّارُ"، أو "لمستك النّار"[1].

وكتب عمر بن عبد العزيز[2] رحمه الله إلى بعض عمّاله: أما بعد فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد, فإذا هممت بظلم أحد فاذكر قدرة الله عليك, واعلم أنّك لا تأتي إلى النّاس شيئا إلا كان زائلا عنهم, باقيا عليك, واعلم أنّ الله عزّ وجل آخذ للمظلومين من الظالمين والسلام[3].

- أيضا من الآثار السلوكية التي يثمرها الإيمان بصفة العزّة لله تعالى في قلب العبد, شعور العبد المطيع لله تعالى بالعزّة والكرامة, لأنّ العبد حين يعلم أنّ الله وحده لا شريك هو الذي يعزّ من يشاء, ويذل من يشاء كما قال تعالى**:** ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [آل عمران: ٢٦], وأنّ هذه العزة لا يهبها الله تعالى إلا

بالبدري نسبه أهل الكوفة إلى أنه بدري، ولم يذكره أهل المدينة في البدريين، شهد العقبة، واستخلفه علي رضي الله عنهما في مخرجه إلى صفين على الكوفة, مات بعد سنة أربعين. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (4/2147), الإصابة (2/258).

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده (3/1280-1281), رقم: 1659.

[2] () هو عمر بن عبد العزيز بن مروان أبو حفص الأموي, أمّه: أمّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب, من الخلفاء الراشدين المهديين الذي أحيا به الله ما أميت قبله من السنن, سلك مسلك من تقدمه من الخلفاء الأربع, ولد سنة إحدى وستين في السنة التي قتل فيها الحسين بن علي, مات سنة إحدى ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (5/253), الثقات (5/151).

[3] () ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (4/56).

لأهل طاعته من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم من المؤمنين كما قال تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [المنافقون: ٨], وعَلِم أنّ عباد الله الصالحين المتقين هم أولياء رب العالمين كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [يونس: ٦٢ – ٦٣] , وفي الحديث أنّ الحسن بن علي قال: علّمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر: "اللهمّ اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، وإنّه لا يذلّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت, زاد أبو داود "ولا يعزّ من عاديت"[1].

فالمؤمن المتقي المطيع لله عز وجل يتولاه الله تعالى ومن تولاه الله تعالى لا يذل أبدا, وهذا (يدل عليه قوله "إنه لا يذل من واليت", فإنه منصور عزيز غالب بسبب توليك له, وفي هذا تنبيه على أن من حصل له ذل في الناس فهو بنقصان ما فاته من تولى الله, وإلا فمع الولاية الكاملة ينتفي الذلّ كلّه ولو سلّط عليه بالأذى من في أقطارها فهو العزيز غير الذليل)[2].

يقول ابن القيم رحمه الله: (فإنّه سبحانه إذا رفع عبده بطاعته وأعزّه بها, لا يضعه أبدا)[3].

وهذا الشعور بالعزّة هو الذي استحضره عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول[4] لما وصف والده عبد الله بن أبي

---

[1] () أخرجه أحمد (3/245), رقم: 1718, وأبو داود في السنن, أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله, باب القنوت في الوتر (2/63), رقم: 1425, والترمذي في السنن, أبواب الوتر, باب ما جاء في القنوت في الوتر (1/587), رقم: 464, والنسائي في الكبرى, كتاب قيام الليل وتطوع النهار, الدعاء في الوتر (2/171), رقم: 1446, والحديث صحّحه الألباني في صحيح أبي داود (5/168), رقم: 1281.

[2] () شفاء العليل (ص111).

[3] () الفروسية (ص90).

[4] () هو عبد الله بن عبد الله بن أبي الأنصاري الخزرجي، والمعروف بابن سلول، وسلول امرأة من خزاعة، وهي أم أبي، وأبوه هو رأس المنافين، وابنه من فضلاء الصحابة وخيارهم، وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّه ذليل وهو الأعــزّ, فثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن دينار، أنه سمع جابرا رضي الله عنه، يقول: غزونا مع النبي صلى الله عليه وسـلم، وقد ثـاب معـه نـاس من المهـاجرين حـتى كـثروا، وكـان من المهاجرين رجل لعّاب[1]، فكسع[2] أنصاريا، فغضب الأنصــاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصـاري: يـا للأنصـار، وقـال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسـلم، فقال: "ما بال دعـوى أهـل الجاهليـة؟ ثم قـال: مـا شـأنهم", فأخبر بكسعة المهاجري الأنصـاري، قـال: فقـال النـبي صـلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها خبيثة", وقال عبد اللــه بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينـة ليخـرجن الأعزّ منهـا الأذلّ، فقـال عمـر: ألا نقتـل يـا رسـول اللـه هـذا الخبيث؟ لعبد الله، فقـال النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم: "لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه"[3]، وفي روايـة الترمـذي فقال عمر: يا رسول الله، دعني أضـرب عنـق هـذا المنـافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعه لا يتحـدث النـاس أن محمدا يقتل أصحابه", وقال غير عمـرو، فقـال: لـه ابنـه عبـد اللـه بن عبـد اللـه: واللــه لا تنقلب حـتى تقـرّ أنّـك الـذّليل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز، ففعل[4].

اسمه الحباب، وبه كان أبوه يكنّى، فلما أسلم سـماه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم عبد الله, وشهد معه بدرا، وأحدا، والمشاهد كلّها, قتـل يـوم اليمامـة في حـرب مسـيلمة الكـذاب شـهيدا، في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (3/1693), أسد الغابة (3/297).

1 () أي بطال، وقيل: كان يلعب بالحراب كما تصـنع الحبشـة، وهـذا الرجــل هــو: جهجــاه بن قيس الغفــاري, وكــان أجــير عمــر بن الخطاب. انظر: فتح الباري (6/574).

2 () بفتح الكـاف والمهملـتين أي: ضـربه على دبـره. فتح البـاري (6/547).

3 () أخرجـه البخـاري, كتب بـدئ الـوحي, بـاب مـا ينهى من دعـوة الجاهلية (4/183), رقم: 3518.

4 () أخرجه الترمذي, أبواب تفسير القـرآن عن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, بـاب: ومن سـورة المنـافقين (5/275), رقم: 3315, وقال الترمذي: (هذا حديث حسن صحيح).

فالمسلم المتَّقي لله تعالى من أخلاقه التي يتصف بها أن يكون عزيزا بدينه, يعتزّ بتوحيده وصلاته وصيامه وحجه, وإعفائه لحيته, وشربه وأكله باليمين, وكذلك المسلمة المتّقية ربها, تعتزّ بحيائها وسترها وحجابها, وطاعتها وخدمتها لزوجها, والله تعالى لما وصف خُلَق عباده المؤمنين بعضهم مع بعض قال: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [المائدة: ٥٤], فعبّر أنّهم أذلة على المؤمنين ولم يقل للمؤمنين, فأتى بحرف "على" المشعر بالعلوّ والرّفعة, ليدلّ على أنّ المؤمن ولو كان ذليلا لأخيه المؤمن, فهو ذلّ تواضع مع عزّة ورفعة, وهذا الشعور بالعزّة استمدّه المسلم من إيمانه بعزّة الله تعالى, وأنّ الإعزاز والإذلال بيد الله تعالى, يعزّ من يشاء, ويذلّ من يشاء.

يقول ابن القيم رحمه الله: (لما كان الذّلّ منهم ذلّ رحمة وعطف وشفقة وإخبات, عدّاه بأداة "على" تضمينا لمعاني هذه الأفعال؛ فإنّه لم يُرد به ذلّ الهوان: الذي صاحبه ذليل, وإنّما هو ذلّ اللّين والانقياد الذي صاحبه ذلول, فالمؤمن ذلول كما في الحديث: "المؤمن كالجمل الذلول والمنافق والفاسق ذليل"[1], وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب والنمام والبخيل والجبار, وقوله: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮊ هو من عزّة القوة والمنعة والغلبة, قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده, وعلى الكافرين كالسَّبُع على فريسته كما قال في الآية الأخرى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [الفتح: ٢٩])[2].

- كذلك من الآثار السلوكية التي يثمرها الإيمان بصفة

---

[1] () لم أجده بهذا اللفظ, ولعله من حفظه رحمه الله, لكن صحّ معناه من حديث العرباض بن سارية وفيه: "...المؤمن كالجمل الأنف حيثما انقيد انقاد ", أخرجه أحمد (28/367), رقم: 17142, وابن ماجه في سننه, أبواب السنة, باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (1/16), رقم: 43, والحاكم في المستدرك (1/175), رقم: 331, وهذا الحديث صحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 937.

[2] () مدارج السالكين (2/328).

العزّة لله تعالى, تحلي العبد بخلق التواضع لله تعالى ولعباده المؤمنين. فالتواضع خلق عظيم شريف, ينشأ من معرفة العبد ربه سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته, وخاصة صفات العظمة والكبرياء والعزّ والجبروت, ومن معرفة العبد بنفسه الضعيفة العاجزة, التي لا غنى لها عن ربها وخالقها طرفة عين.

يقول ابن القيم رحمه الله: (التواضع يتولد من بين العلم بالله سبحانه, ومعرفة أسمائه وصفاته, ونعوت جلاله, وتعظيمه ومحبته وإجلاله, ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها, وعيوب عملها وآفاتها, فيتولّد من بين ذلك كلّه خلق هو التواضع, وهو انكسار القلب لله, وخفض جناح الذلّ والرحمة بعباده, فلا يرى له على أحد فضلا, ولا يرى له عند أحد حقا, بل يرى الفضل للناس عليه, والحقوق لهم قبله, وهذا خلق إنما يعطيه الله عز و جل من يحبه ويكرمه ويقربه)[1].

والكبر والتكبّر على خلاف ذلك, فإنّه ينشأ من جهل العبد بربّه سبحانه وبأسمائه وصفاته, وجهله بعيوب نفسه وآفاتها.

يقول ابن القيم رحمه الله: (أركان الكفر أربعة: الكبر, والحسد, والغضب, والشهوة,...ومنشأ هذه الأربعة من جهله بربه, وجهله بنفسه؛ فإنّه لو عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال, وعرف نفسه بالنقائص والآفات, لم يتكبّر ولم يغضب لها)[2].

(والتواضع المحمود على نوعين:

النوع الأول: تواضع العبد عند أمر الله امتثالا, وعند نهيه اجتنابا؛ فإنّ النّفس لطلب الراحة تتلكأ في أمره, فيبدو منها نوع إباء وشراد, هربا من العبودية, وتثبت عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه, فإذا وضع العبد نفسه لأمر الله ونهيه, فقد تواضع للعبودية.

والنوع الثاني: تواضعه لعظمة الرب وجلاله, وخضوعه

---

1 () الروح (233).

2 () الفوائد (ص117-118).

لعزته وكبريائه, فكلما شمخت نفسه, ذكر عظمة الرب تعالى, وتفرده بذلك, وغضبه الشديد على من نازعه ذلك, فتواضعت إليه نفسه, وانكسر لعظمة الله قلبُه, واطمأن لهيبته, وأَخْبَتَ لسلطانه, فهذا غاية التواضع, وهو يستلزم الأول من غير عكس, والمتواضع حقيقة من رُزق الأمرين, والله المستعان)[1].

فمن تواضع الله وأذلّ نفسه لله, وأخذ على نفسه قبول الحقّ وبذله, فهذا قد أكرم نفسه وأعزّها, ومن كان على خلاف ذلك من التكبّر على الحقّ, وعلى طاعة الله تعالى, فهذا قد أذلّ نفسه وأهانها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ومن أذلّ نفسه لله فقد أعزّها, ومن بذل الحقّ من نفسه فقد أكرم نفسه, فإنّ أكرم الخلق عند الله اتقاهم, ومن اعتزّ بالظلم, من منع الحقّ, وفعل الاثم, فقد أذلّ نفسه وأهانها قال الله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ   ﯽ ﯾ ﮊ [فاطر: ١٠] , وقال تعالى عن المنافقين: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮊ [المنافقون: ٨], وقال الله تعالى في صفة هذا الضرب: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦])[2].

- كذلك من آثار الإيمان بصفة العزّة في خلق العبد, (عدم الركون إلى شيء من هذه الدنيا الفانية, وجعلها مصدر العزّة والقوة فكم رأينا وسمعنا من كثير من الناس الذين اغتر بعضهم بماله أو جاهه أو ولده أو سلطانه ومنصبه, فكانت كلها سببًا في إذلاله واستخذائه وشقائه، وصدق من قال: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله"[3]، وإنا لنجد مصداق هذا الكلام في واقعنا البائس اليوم, حيث إنه لما ركن كثير من الأفراد والطوائف والدول إلى غير الله عز وجل يبتغون عندهم العزة, فمنهم من يبتغي العزة في النظم الوضعية المعمول بها في الدول

---

1 () الروح (ص233).

2 () مجموع الفتاوى (28\327).

3 () تقدّم تخريجه (436).

الغربيــة, ومنهم من يبتغي العــزة في التكنولوجيــا الحديثــة والعلــوم التجريبيــة, ومنهم من يبتغي العــزّة في التشــبّه بالكفار, سواء في اللِّباس, أو التكلُّم بلغتهم, تاركا لغة القرآن والسنة, أذلّهم الله وجعلهم في ذيـل الـرَّكْب ومـؤخِّرة الأمم، وصدق الله عز وجل, ومن أصدق من الله قيلاً: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ [النساء: ١٣٨ – ١٣٩])[1].

ولهذا نجد الشرع الحنيف قد ذمّ كل وجوه الاعتزاز بغـير الله تعالى, فذمّ الشرع الاعتزاز بالأصـنام والأوثـان كمـا قـال تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ [مريم: ٨١ – ٨٢].

يقول ابن جرير رحمه الله: (يقول تعالى ذكره: واتخذ يـا محمـد هـؤلاء المشـركون من قومـك آلهـة يعبـدونها من دون الله؛ لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزّا، يمنعـونهم من عـذاب اللـه، ويتخذون عِبَادَتَهُمُوها عنـد اللـه زلفى، وقولـه: كلاّ, يقـول عـزّ ذكـره: ليس الأمـر كمـا ظنّـوا وأملـوا من هـذه الآلهـة الـتي يعبــدونها من دون اللــه، في أنهــا تنقــذهم من عــذاب اللــه، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أراده بهم ربهم, وقولـه: ﮋ ﭾ ﭿ ﮊ, يقول عزّ ذكره: ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبـادة هـؤلاء المشركين يوم القيامة إياها، وكفرهم بها قيلهم لربهم: تبرأنــا إليك مـا كـانوا إيانـا يعبـدون، فجحـدوا أن يكونـوا عبـدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرؤوا منهم، وذلك كفرهم بعبادتهم)[2].

وذمّ الاعــتزازَ بالكفّــار من يهــود ونصــارى ومنــافقين وغيرهم:

فقال تعالى: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﮊ [النساء: ١٣٨ – ١٣٩].

يقول ابن جرير رحمه الله: (أما قوله جل ثناؤه: ﮋ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﮊ ﯢ فمن صفة المنافقين, يقول الله لنبيّه: يا محمـد، بشر المنافقين الـذين يتخـذون أهـل الكفـر بي, والإلحـاد في ديني ﮋأولياء ﮊ يعني: أنصارا وأخلاء, ﮋﯞ ﯟ ﯠ ﮊ ﯡ ، يعني: من غـير المؤمـنين ﮋﯥ ﯦ ﯧ ﮊ ، يقـول: أيطلبـون عنـدهم المنعـة والقوّة، باتخاذهم إيّاهم أولياء من دون أهل الإيمان بي؟ ﮋﯨ ﯩ

---

1. () ولله الأسماء الحسنى (ص408-409).
2. () جامع البيان (18/249).

ﯳ ﭗ ﮊ، يقول: فإنّ الذين اتخذوهم من الكافرين أولياء ابتغاء العــزّة عنــدهم، هم الأذلاء الأقلاء، فهلا اتخــذوا الأوليــاء من المؤمـنين، فيلتمسـوا العـزّة والمنعـة والنصـرة من عنـد اللـه الذي له العزّة والمنعة، الذي يعزّ من يشاء, ويـذل من يشـاء، فيعزّهم ويمنعهم؟)[1].

وذمّ الاعتزاز بالآباء والأجداد, فعن أبي هريرة رضي اللـه عنه عن النبي صلى اللـه عليـه وسـلم، قـال: "لينتهين أقـوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا, إنمـا هم فحم جهنّم، أو ليكُـوننَّ أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخراء بأنفـه، إن اللـه أذهب عنكم عُبِيَّة[2] الجاهلية وفخرها بالآبـاء، إنمـا هـو مـؤمن تقي, وفــاجر شــقي، النــاس كلهم بنــو آدم, وآدم خلــق من تراب"[3].

بـل عـدّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم ذلـك من الجاهلية فعن أبي مالك الأشعري، أنّ النّبي صـلى اللـه عليـه وسلم قال: "أربع في أمّـتي من أمـر الجاهليّـة، لا يـتركونهنّ: الفَخْــر في الأحســاب، والطّعن في الأنســاب، والاستســقاء بـالنّجوم، والنّياحـة"، وقـال: "النّائحـة إذا لم تتب قبـل موتهـا، تقــام يــوم القيامــة وعليهــا سِــربال من قطِــران, ودِرْع من جرب"[4].

وذمّ الاعتزاز بالقبيلة والرَّهط كما قال تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮊ [هود: ٩١ – ٩٢].

عن ابن عباس: ﮋﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ، وذلك أن قوم شعيب ورهطه كانوا أعـزّ عليهم من اللـه، وصـغر شـأن اللـه

---

1 () المصدر السابق (9/319).

2 () عُبِّيَّة الجاهلية, يَعْنِي: الكِبْر، وتضمّ عينُها وتكسَرُ. انظـر: النهايـة في غريب الحديث (3/169).

3 () أخرجـه الترمـذي في سـننه, أبـواب المنـاقب عن رسـول اللـه صلى الله عليـه وسـلم, بـاب في فضـل الشـام واليمن (6/228), رقم: 3955, وقـال الترمـذي: (وهـذا حـديث حسـن), وصـحّحه الألباني في المشكاة برقم: 4899.

4 () أخرجــه مســلم, كتــاب الجنــائز, بــاب التشــديد في النياحــة (2/644), رقم: 934.

عندهم، عزّ ربنا وجل[1].

وقال قتادة: عززتم قومكم، وأظهرتم بربكم)[2].

قال ابن كثير رحمه الله: (ﮋﭺ ﭻ ﮊ, أي: قومك وعشيرتك؛ لـولا معـزة قومـك علينـا لرجمنـاك، قيـل بالحجـارة، وقيـل: لسببناك، ﮋﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ, أي: ليس لك عندنا مَعَزَّة, ﮋﮂ ﮃ ﮄﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ يقول: أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاما لجناب الله أن تنالوا نبيه بمساءة, وقد اتخذتم جـانب اللـه ﮋﮍ ﮎ ﮏ ﮊ, أي: نبذتموه خلفكم، لا تطيعونه ولا تعظمونه) [3].

وذم الاعتزاز بـالكثرة، سـواء كـان بالمـال أو العـدد, من خدم وولد كما قال تعالى في قصّة صـاحب الجنّـة في سـورة الكهف: ﮋﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﮊ [الكهف: ٣٤].

قال ابن كثير رحمه الله: (أي: أكثر خدما وحشما وولدا.

قال قتادة: تلك والله أمنيّـة الفـاجر: كـثرة المـال, وعـزّة النّفر)[4].

وذم الاعـتزاز بالهيئـة, من حسـن منظـر وجمـال ثيـاب, وذلك لمن فعله كبرا وعُجْبا بنفسه, وافتخارا على عبـاد اللـه, وترفعـا عليهم, فعن ابن عمـر رضـي اللـه عنهمـا قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لبس ثوب شهرة في الدّنيا، ألبسه الله ثوب مذلّة يوم القيامة"[5].

قال ابن الأثير رحمه اللـه: (الشّـهرة: ظهـور الشّـيء في شُنُعَة، حتى يشهره النّاس)[6].

---

1 () جامع البيان (15/460).

2 () المصدر نفسه (15/460).

3 () تفسير القرآن العظيم (4/347).

4 () المصدر نفسه (5/157).

5 () أخرجه أحمـد (9/476), رقم: 5664, والنسـائي في الكـبرى, كتاب الزينة, ذكر ما يستحب من الثياب وما يكره (8/389), رقم: 9487, وابن ماجة في سننه, كتاب اللباس, بـاب من لبس شـهرة من الثياب (2/1192), رقم: 3907, والحديث حسّنه الألبـاني في المشكاة برقم: 4346, وفي حجاب المرأة المسلمة (ص88).

6 () النهاية في غريب الحـديث (2/515), وانظـر: العين (3/400), وتهذيب اللغة (6/52).

قال ابن رسلان رحمه الله: (لأنّه لبِس الشُّهرة في الـدّنيا ليَعِزّ به، ويفتخـر على غـيره، ويلبسـه اللـه يـوم القيامـة ثوبـا يشتهر مذلّته واحتقـاره بينهم عقوبـة لـه، والعقوبـة من جنس العمل)[1].

وقوله: "ثوب مذلّة"، (أي: ألبسه اللـه يـوم القيامـة ثـوب مذلّة، والمراد به: ثوب يوجب ذلّته يوم القيامة، كما لبِس في الدّنيا ثوبا يتعزّز به على النّاس، ويترفّع به عليهم)[2].

فالاعتزاز باللـه تعـالى والتعلـق بـه وحـده لا شـريك لـه, يسـقط في قلب العبـد الخـوف من المخلـوق, والهيبـة منـه, والتعلق به, فـالمؤمن باللـه حقّـا, لا يعـتزّ ولا يحتمي إلاّ باللـه العزيز العظيم القوي المتين الجبار القهار سبحانه وتعالى, ولا يتوكل إلا عليه, كما قال تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ [الشعراء: ٢١٧].

---

[1] () نيل الأوطار (2/131-132).

[2] () عون المعبود (11/51).

المبحث الخامس:
آثار عزّة الله في خلقه

وفيه أربعة مطالب.

المطلب الأول: بيان أنّ العزّة لله جميعا.

المطلب الثاني: بيان أنّ الذلة في مخالفة أمر الله تعالى.

المطلب الثالث: أسباب إعزاز الله لعبده المؤمن.

المطلب الرّابع: نماذج من إعزاز الله لهذه الأمّة.

المطلب الأول:
بيان أن العزة لله جميعا.

من تمام توحيد العبد لربه جل وعلا, إيمانه باتصاف الله بصفة العزّة على ما يليق بجلال الله وعظمته, كما ذكر الله تعالى ذلك في عدّة آيات من كتابه العزيز من ذلك قوله سبحانه: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚﮊ [المنافقون: ٨].

وأيضا من تمام إيمان العبد بصفة العزّة لله تعالى, إيقانه أنّ العزّة لله جميعا, وأنّ الله تعالى هو مصدر العزّة, ولا تنال إلا من جهته وحده لا شريك له, ولا تنال إلا بالعمل على طاعته؛ ولهذا بين سبحانه وتعالى أنّ العزّة لله جميعا, وأنّه سبحانه من تمام ملكه العظيم أنّه يهب العزّة لمن يشاء من عباده تفضلا منه ورحمة, ويذل من يشاء عدلا منه وحكمة, فقال تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [فاطر: ١٠], وقال تعالى: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮊ [يونس: ٦٥], وقال أيضا: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﮊ [النساء: ١٣٨ – ١٣٩], وقال تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [آل عمران: ٢٦].

يقول القرطبي رحمه الله عن هذه الآيات: (يريد سبحانه أن ينبّه ذوي الأقدار والهمم من أين تنال العزّة, ومن أين تستحق؛ فتكون الألف واللاّم للاستغراق، وهو المفهوم من آيات هذه السورة, فمن طلب العزّة من الله, وصدقه في طلبها بافتقار وذلّ، وسكون وخضوع، وجدها عنده إن شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه؛ قال صلى الله عليه وسلم: "من تواضع لله رفعه الله"[1], ومن طلبها من غيره وكله إلى من طلبها عنده, وقد ذكر قوما طلبوا العزّة عند من سواه فقال: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ [النساء: ١٣٩], فأنبأك صريحا لا إشكال فيه أن العزة له, يعز بها من يشاء, ويذل من يشاء, وقال صلى الله عليه وسلم مفسرا لقوله:

[1] () أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/172), رقم: 8307, وأبو نعيم في الحلية (7/129), والحديث صحّحه الألباني في الصحيحة (5/432), برقم: 2328.

ﮋﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [فاطر: ١٠], "من أراد عز الدارين فليطع العزيز"[1],...

ولقد أحسن من قال:

وإذا تذلَّلت الرقاب تواضعا   منا إليك فعِزُّها في ذلِّهـا

فمن كان يريد العزّة لينال الفوز الأكبر، ويدخل دار العـزّة ولله العزّة, فليقصد بالعزّة الله سبحانه والاعتزاز به؛ فإنّه من اعتزّ بالعبد أذله الله، ومن اعتزّ بالله أعزّه الله)[2].

فلما بيَّن سبحانه أنّ العزّة للـه جميعـا, وأنّـه سـبحانه هـو الذي يهب العـزّة لمن يشـاء من عبـاده, ذمّ من يطلب العـزّة من غير الله تعالى؛ لأنّ (العزّة كلها مختصة بالله عزّة الــدنيا, وعزّة الآخرة, وكان الكافرون يتعزّزون بالأصنام كما قـال: ﮋﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [مريم: ٨١], والذين آمنوا بألسنتهم من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعزّزون بالمشركين كما قال: ﮋﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [النساء: ١٣٩], فبين أن لا عزة إلا بالله, والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله: ﮋﯝ ﯞ ﮊ [فاطر: ١٠] موضعه استغناء عنه به لدلالته عليه؛ لأنّ الشــيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه, ونظيره قولك من أراد النّصيحة فهي عند الأبرار, تريد فليطلبها عندهم)[3].

يقــول ابن القيم رحمــه اللــه: (ومنهــا: أنّــه ذمّ من يطلب النصر والعزّة من غير المؤمنين، كقوله: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [المائدة: ٥١ - ٥٦].

---

[1] () أخرجــه الخليلي في الإرشــاد (3/921), رقم: 234, والخطيب في المتفق والمفترق (3/193), رقم: 1293, والحديث موضــوع, ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (1/110), وحكم عليه الألباني بالوضع في الضعيفة (12/561), رقم: 5752.

[2] () الجامع لأحكام القرآن (14/329)

[3] () تفسير النسفي (3/79).

فـأنكر على من طلب النصـر من غـير حزبـه، وأخـبر أن حزبه هم الغالبون.

ونظير هذا قوله: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ [النساء: ١٣٨ - ١٣٩], وقال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [المنافقون: ٨], وقال تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [فاطر: ١٠], أي: من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله من الكلم الطيب والعمل الصالح.

وقال تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [التوبة: ٣٣], ، ، [الفتح: 29]، [الصف: 9], وقال: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ [الصف: ١٠ – ١٣], أي: ويعطيكم أخرى فوق مغفرة الذنوب ودُخول الجنـة، وهى النّصـر والفتح ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ [الصف: ١٤].

وقال تعالى للمسيح: ﭽ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [آل عمران: ٥٥], فلما كان للنصارى نصيبٌ ما من اتِّباعه, كانوا فوق اليهود إلى يوم القيامة، ولما كـان المسـلمون أتبـعَ له من النصارى كانوا فوق النصارى إلى يوم القيامة.

وقال تعالى للمؤمنين: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭼ [الفتح: ٢٢ – ٢٣], فهذا خطاب للمؤمنين الذين قاموا بحقائق الإيمان ظاهرا وباطنا.

وقال تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﭼ [الأعراف: ١٢٨], وقال: ﭽ ﯜ ﯝ ﭼ [طه: ١٣٢], والمراد: العاقبة في الدنيا قبل الآخرة؛ لأنّـه ذكـر ذلـك عقيب قصة نوح، ونصره وصبره على قومه, فقال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [هود: ٤٩], أي: عاقبة النصر لك ولمن معك، كما كانت لنوح عليه السـلام ومن آمن معه, كذلك قوله: ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ [طه: ١٣٢].

وقال تعالى: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﭼ [آل عمران: ١٢٠]. وقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﭼ [آل عمران: ١٢٥], وقال تعالى إخبارا عن يوسف عليه السلام أنه نُصِرَ بتقواه وصبره، فقال: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [يوسف: ٩٠], ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [الأنفال: ٢٩], والفرقان: هو العزّ

والنصر، والنجاة والنور الذى يفرق بين الحق والباطل.

وقال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ [الطلاق: ٢ – ٣], وقد روى ابن ماجه وابن أبي الدنيا عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال: "لو عمل النَّاس كلّهم بهذه الآية لوسعتهم"[1] فهذا في المقام الأول.

وأما المقام الثاني: فقال تعالى في قصة أحد: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﭼ [آل عمران: ١٦٥], وقال تعالى: ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ آل [عمران: ١٥٥], وقال تعالى: ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﭼ [الشورى: ٣٠] , وقال: ﭽ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﭼ [الروم: ٤١], وقال: ﭽ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ [الشورى: ٤٨], ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [الروم: ٣٦], وقال: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ [الشورى: ٣٤], وقال: ﭽ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ [النساء: ٧٩].

ولهذا أمر الله سبحانه رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم، وهو طاعته، وهو المقدمة الأولى، وأمر بانتظار وعده، وهو المقدمة الثانية، وأمر بالاستغفار والصبر؛ لأنّ العبد لا بدّ أن يحصل له نوع تقصير وسرف يزيله الاستغفار، ولا بد في انتظار الوعد من الصبر، فبالاستغفار تتم الطاعة, وبالصبر يتم اليقين بالوعد. وقد جمع الله سبحانه بينهما في قوله: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [غافر: ٥٥].

وقد ذكر الله سبحانه في كتابه قصص الأنبياء وأتباعهم، وكيف نجاهم بالصبر والطاعة، ثم قال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ

[1] () أخرجه النّسائي في الكبرى, كتاب التفسير, قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ [الطلاق: ٢ – ٣] (10/305), رقم: 11539, وابن ماجة في السنن, كتاب الزّهد, باب الورع والتقوى (2/1411), رقم: 4220, وابن حبّان في صحيحه بترتيب ابن بلبان, ذكر الأخبار عن إخراج النار أبا ذر الغفاري من المدينة (15/53), رقم: 6669, والحاكم في المستدرك, كتاب قراءات النبي صلى الله عليه وسلم مما لم يخرجاه وقد صح سنده, تفسير سورة الطلاق (2/534), رقم: 3819, وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه), ووافقه الذهبي, والحديث ضعّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته برقم: 6732.

[يوسف: ١١١]) [1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله, وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله, وإذا أَنِسوا بأحبابهم فاجعل أُنْسك بالله, وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزّة والرفعة, فتعرف أنت إلى الله, وتودد إليه, تَنَلْ بذلك غاية العزِّ والرِّفعة)[2].

وهذه العزة التي هي لله جميعا لا تنال إلا بطاعة الله تعالى, وعبوديته, والتذلل بين يديه سبحانه وتعالى, فمن أطاع الله تعالى أعزَّه الله.

قال ابن كثير رحمه الله: (قال الله تعالى منكرا عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين: ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ [النساء: ١٣٩] , ثم أخبر تعالى بأنّ العزّة كلها لله وحده لا شريك له، ولمن جعلها له, كما قال في الآية الأخرى: ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ [فاطر: ١٠] ، وقال تعالى: ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ [المنافقون: ٨].

والمقصود من هذا التهييج على طلب العزّة من جناب الله، والالتجاء إلى عبوديته، والانتظام في جملة عباده المؤمنين الذين لهم النّصرة في هذه الحياة الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد)[3].

ويقول الشنقيطي رحمه الله: (قوله تعالى: ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ [فاطر: ١٠], بين جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن من كان يريد العزّة, فإنّها جميعها لله وحده، فليطلبها منه, وليتسبب لنيلها بطاعته جل وعلا، فإنّ من أطاعه أعطاه العزّة في الدنيا والآخرة, أما الذين يعبدون الأصنام لينالوا العزّة بعبادتها، والذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يبتغون عندهم العزّة، فإنّهم في ضلال وعمى عن الحق; لأنّهم يطلبون العزّة من مَحَلِّ الذل.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضَّحا في آيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى: ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ

---

[1] () إغاثة اللهفان (181-186).
[2] () الفوائد (ص118).
[3] () تفسير القرآن العظيم (2/435).

ڄ ڃ ڃ چ ژ [مريم: ٨١] ، وقوله تعالى: ﮋﯓ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﯜ ۋ ۋ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ
ې ﮊ [النساء: ١٣٩] ، وقوله تعالى: ﮋﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ
[يونس: ٦٥]، وقوله تعالى: ﮋﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮊ
[المنافقون: ٨]، وقوله تعالى: ﮋﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الصافات: ١٨٠])[1].

[1] () أضواء البيان (6/280).

المطلب الثّاني:
بيان أنّ الذلّة في مخالفة أمر الله تعالى.

الـذلّ في اللّغـة هـو الضّـعف والهـوان يقـال: (ذلّ ذلاّ من باب ضرب, والاسم الذُلّ بالضم, والذِّلـة بالكسـر, والمذَلَّة إذا ضعف وهان فهو ذليل, والجمـع أَذِلاَّء وأذِلَّة, ويتعـدى بـالهمزة فيقال: أذلّه الله, وذلّت الدابـة ذلاًّ بالكسـر سـهلت وانقـادت, فهي ذلول, والجمع ذُلُل بضمتين مثل: رسول ورُسُل)[1].

والذلّ صفة مذمومة, وخلق سافل, تأباه النفوس الكريمة الأبيّـة, والطبـاع السـليمة, والمـؤمن مـأمور في الشـرع بالاتصاف بضدّ هذا الخلق من العزّة والقوّة, والمـؤمن القـويّ العزيز خير عند الله تعالى من المؤمن الضعيف الـذليل, ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي، خـير وأحب إلى اللـه من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير, احـرص على مـا ينفعـك، واستعن بالله ولا تعجـز، وإن أصـابك شـيء، فلا تقـل لـو أنّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شـاء فعـل، فـإنّ لو تفتح عمل الشيطان"[2].

قـال النّـووي رحمـه اللـه: (والمـراد بـالقوّة هنـا عزيمـة النفس, والقريحـة في أمـور الآخـرة, فيكـون صـاحب هـذا الوصف أكثر إقـداما على العـدو في الجهـاد, وأسـرع خروجـا إليـه, وذهابـا في طلبـه, وأشـدّ عزيمـة في الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر, والصبر على الأذى في كل ذلك, واحتمال المشـاق في ذات اللـه تعـالى, وأرغب في الصـلاة والصـوم والأذكار وسائر العبادات, وأنشط طلبـا لهـا, ومحافظـة عليهـا ونحو ذلك, وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "وفي كل خـير", فمعنـاه: في كـل من القـوي والضـعيف خـير لاشـتراكهما في الإيمان, مع ما يأتي به الضعيف من العبادات)[3].

---

1 () المصباح المنير (1/210)

2 () أخرجه مسلم, كتاب القـدر, بـاب الأمـر بـالقوة وتـرك العجـز (4/2052), رقم 2664.

3 () شرح النووي على مسلم (16/215).

بل كان رسولنا صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الذلّ, فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم إنّي أعوذ بك من الفقر والقِلّة والذِّلة، وأعوذ بك أن أظلم أو أظلم"[1], وأمر أمّته بالتعوّذ من هذا الخلق الذّميم, فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعوذوا بالله من الفقر والقلّة، والذّلة، وأن تظلم أو تظلم"[2].

و(العزّ ضدّ الذّل، والذّل أصله الضعف والعجز, فالعزّ يقتضى كمال القدرة والعزّة)[3].

فالله سبحانه وتعالى جعل العزّ كلَّ العزّ في طاعة الله تعالى, وتحقيق التوحيد له, والعمل بمقتضيات الإيمان التي تكون سببا في زيادته, من الأعمال الصالحات وأنواع القرب, وجعل الذِّلة فيمن خالف أمره, وأعظم ما يخالف به أمر الله تعالى هو الكفر به, والإشراك به سبحانه؛ لذا أخبر الله سبحانه في كتابه العزيز أنه ضرب الذّلة على من كفر به, وقتل أنبيائه, فقال تعالى: ... [البقرة: ٦١], وقال تعالى: ... [آل عمران: ١١٢], وقال تعالى: ... [البقرة: ١١٤].

---

[1] () أخرجه أحمد (13/418), رقم 8053 , والبخاري في الأدب المفرد (ص236), رقم: 678, وأبو داود في السنن, أبواب ترتيل القرآن وتحزيبه, باب في الاستعاذة (2/91), رقم: 1544, والحاكم في المستدرك (1/725), رقم: 1983, وقال: (صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه), ووافقه الذهبي (1/725), وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود برقم: 1544.

[2] () أخرجه أحمد في المسند (16/571), رقم: 10973, والنسائي في الكبرى, كتاب الاستعاذة, الاستعاذة من الذلة (7/214), رقم: 7845, وابن ماجة في السنن, كتاب الدعاء, باب ما تعوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (2/1263), رقم: 3842, والحاكم في المستدرك (1/713), رقم: 1947, وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه), ووافقه الذهبي, وصحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 1445.

[3] () طريق الهجرتين (ص109).

يقول رشيد رضا رحمه الله عند قوله تعالى: ﮋ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮊ [البقرة: ١١٤] (فيؤخذ من هذه الآية ومن آيات أخرى: أن الإعـراض عن هـدي الإسـلام، ومـا أرشـد إليـه من إصـلاح المعاش والمعاد جـزاؤه الضـنك, وفقـد العـزّة والسـلطة في الدنيا والعذاب العظيم في العقبى)[1].

واللـه تعـالى ربـط بين العـزّة والرّفعـة والعلـوّ والنّصـر والتأييـد والمعيـة, والـدّفاع عن المؤمـنين بتحقيـق مقتضـيات الإيمان, التي هي تحقيق توحيد اللـه جـل وعلا, والعمـل على طاعته؛ لأن الإيمان عند أهـل السـنة والجماعـة يزيـد وينقص, يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية, فكلمـا كـثرت طاعـات العبـد مـع الإخلاص لوجـه اللـه تعـالى, زاد حظـه من العـزّ والنصـر والتأييد والرفعة والعلـو, وكلمـا نقص إيمانـه بفعـل المعاصـي والموبقات, ومخالفة أمـر اللـه تعـالى, بفعـل مناهييـه, وتـرك أوامره, انتفى عنه إعـزاز اللـه لـه, ورفعـه ونصـره, بقـدر مـا خالف أمـر اللـه تعـالى, ولحقـه من الـذل والهـوان, وتسـليط العدوّ عليه, بقدر ما ارتكبه من المعاصي والذنوب.

يقول ابن القيم رحمه الله: (والله سبحانه إنّما ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه بدينه علما وعملا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنّه محـق، وكـذلك العـزّة والعلـو إنمـا همـا لأهل الإيمان الذي بعث الله به رسـله، وأنـزل بـه كتبـه، وهـو علم وعمل وحال، قال تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [آل عمران: ١٣٩], فللعبد من العلوّ بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعـالى: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [المنـافقون: ٨], فله من العزّة بحسـب مـا معـه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلوّ والعزّة، ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان، علما وعملا, ظاهرا وباطنا.

وكذلك الدّفع عن العبد هو بحسب إيمانه، قال تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﮊ [الحج: ٣٨], فإذا ضعف الدّفع عنه فهـو من نقص إيمانه, وكذلك الكفاية والحَسْب هي بقدر الإيمان، قال تعالى: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [الأنفال: ٦٤], أي: الله حسبك وحسب أتباعـك، أي كافيـك وكـافيهم، فكفايتـه لهم بحسـب اتبـاعهم لرسوله، وانقيادهم له، وطـاعتهم لـه، فمـا نقص من الإيمـان

---

1 () تفسير المنار (1/141).

عاد بنقصان ذلك كلّه, ومذهب أهل السنة والجماعة: أنّ الإيمان يزيد وينقص.

وكذلك ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه قال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [آل عمران: ٦٨] , وقال الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [البقرة: ٢٥٧], وكذلك معيته الخاصة هي لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ [الأنفال: ١٩], فإذا نقص الإيمان وضعف، كان حظ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان.

وكذلك النّصر والتّأييد الكامل، إنّما هو لأهل الإيمان الكامل، قال تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [غافر: ٥١], وقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ [الصف: ١٤], فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوّه عليه، فإنّما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه.

وبهذا يزول الإشكال الذى يورده كثير من الناس على قوله تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [النساء: ١٤١], ويجيب عنه كثير منهم بأنّه لن يجعل لهم عليهم سبيلا في الآخرة، ويجيب آخرون بأنّه لن يجعل لهم عليهم سبيلا في الحجة.

والتّحقيق: أنّها مثل هذه الآيات، وأنّ انتفاء السّبيل عن أهل الإيمان الكامل، فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم، فهم جعلوا لهم عليهم السبيلَ بما تركوا من طاعة الله تعالى, فالمؤمن عزيز غالب مؤيَّد منصور، مكفيٌّ، مدفوع عنه بالذات أين كان، ولو اجتمع عليه مَن بأقطارها، إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته، ظاهرا وباطنا, وقد قال تعالى للمؤمنين: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ [آل عمران: ١٣٩], وقال تعالى: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [محمد: ٣٥].

فهذا الضمان إنّما هو بإيمانهم وأعمالهم، التي هي جند من جنود الله، يحفظهم بها، ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم، فيبطلها عليهم، كما يَتِرُ الكافرين والمنافقين أعمالَهم, إذ كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره)[1].

1 () إغاثة اللهفان (2/181).

وقال ابن القيم رحمه الله -وهو يتكلم عن مخالفة الهوى وغضّ البصر-: (أنّه يورث القلب ثباتا وشجاعة وقوة، فجمع الله له بين سلطان النصرة والحجة، وسلطان القدرة والقوة، كما في الأثر: "الذي يخالف هواه، يفرق الشيطان من ظله"[1], وضد هذا تجد في المتبع لهواه من: ذل النفس ووضاعتها ومهانتها وخستها وحقارتها, ما جعله الله سبحانه فيمن عصاه.

كما قال الحسن: "إنهم وإن طقطقت[2] بهم البغال، وهملجت[3] بهم البراذين، إنّ ذلّ المعصية في رقابهم، أبى الله إلا أن يذلّ من عصاه"[4].

وقد جعل الله سبحانه العزّ قرين طاعته، والذل قرين معصيته، فقال تعالى: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [المنافقون: ٨], وقال تعالى: ﮋﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [آل عمران: ١٣٩], والإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، وقال تعالى: ﮋﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [فاطر: ١٠], أي: من كان يريد العزة فليطلبها بطاعة الله وذكره, من الكلم الطيب, والعمل الصالح.

وفي دعاء القنوت: "إنّه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت"[5], ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العزّ بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذلّ بحسب معصيته) [6].

وقد بيَّن رسولنا صلى الله عليه وسلم أن الذل والصغار على من خالف أمر الله تعالى, فعن ابن عمر رضي الله

---

[1] () لم أجده بهذا اللّفظ, ولعلّه من حفظه رحمه الله, ويوجد أثر قريب له في المعنى عن مالك بن دينار قال: "من غلب شهوة الحياة الدنيا فذلك الذي يفرق الشيطان من ظله", أخرجه أبو نعيم في الحلية (2/365).

[2] () طق: حكاية صوت حجر وقع على حجر، وإن ضوعف فيقال طقطق, والطقطقة: صوت قوائم الخيل على الأرض الصلبة, انظر: تهذيب اللغة (8/218), ولسان العرب (10/225).

[3] () الهَمْلَجَة والهِمْلَاجُ: حُسن سير الدابة في سرعة وبَخْتَرَةٍ. انظر: تهذيب اللغة (6/273), ولسان العرب (2/394).

[4] () لم أجد من خرّجه.

[5] () تقدّم تخريجه (ص451).

[6] () الجواب الكافي (180).

عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلّ والصغار على من خالف أمري, ومن تشبّه بقوم فهو منهم"[1].

قال ابن رجب رحمه الله عند قوله صلى الله عليه وسلم: "وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري": (هذا يدل على أنّ العزّ الرفعة في الدنيا والآخرة بمتابعة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم لامتثال متابعة أمر الله، قال تعالى: ﮋ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ [النساء: ٨٠] , وقال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [المنافقون: ٨], وقال تعالى: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﮊ [فاطر: ١٠], وفي بعض الآثار يقول الله تعالى: "أنا العزيز فمن أراد العزّ فليطع العزيز"[2], قال الله تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [الحجرات: ١٣] ، فالذّلة والصغار يحصل بمخالفة أمر الله ورسوله, ومخالفة الرسول على قسمين:

أحدهما: مخالفة من لا يعتقد طاعة أمره كمخالفة الكفار، وأهل الكتاب الذين لا يرون طاعة الرسول، فهم تحت الذلّة والصغار؛ ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وعلى اليهود الذلّة والمسكنة؛ لأنّ كفرهم بالرسول كفر عناد.

والثاني: من اعتقد طاعته, ثمّ يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنّها معصية, فله نصيب من الذلّة والصغار، وقال الحسن: إنّهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين, فإنّ ذلّ المعصية في رقابهم، أبى الله أن يذلّ إلا من عصاه، كان الإمام أحمد يدعو: اللهم أعزّنا بالطاعة ولا تذلّنا بالمعصية.

---

1 () أخرجه أحمد في المسند (9/123), رقم: 5114, والطحاوي في شرح مشكل الآثار (1/213), رقم: 231, وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم: 1269.

2 () أخرجه الخليلي في الإرشاد (3/921), رقم: 234, والخطيب في المتفق والمفترق (3/193), رقم: 1293, والحديث موضوع, ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (1/110), وحكم عليه الألباني بالوضع في الضعيفة (12/561), رقم: 5752.

وقال أبو العتاهية[3]:

ألا إنَّما التَّقوى هي العزّ والكرم وحبّك للدُّنيا هو الذُّل والسّقم

وليس على عبد تقي نقيصة إذا حقَّق التَّقوى وإن حاك أو حجم

فأهل هذا النوع خالفوا الرسول من أجل داعي الشهوات.

والنوع الثاني: من خالف أمره من أجل الشبهات, وهم أهل الأهواء والبدع، فكلهم لهم نصيب من الذلّة والصغار بحسب مخالفتهم لأوامره، قال تعالى: ﰡ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﰠ [الأعراف: ١٥٢].

وأهل الأهواء والبدع كلهم مفترون على الله، وبدعتهم تتغلظ بحسب كثرة افترائهم عليه، وقد جعل الله من حرّم ما أحلّه الله, وحلّل ما حرّمه الله مفتريا عليه الكذب، فمن قال على الله ما لا يعلم فقد افترى عليه الكذب، ومن نسب إليه ما لا يجوز نسبته إليه من تمثيل أو تعطيل، أو كذب بأقداره, فقد افترى على الله الكذب. وقد قال الله عز وجل: ﰡ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﰠ [النور: ٦٣], وقال سفيان: الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم.

فلهذا تغلظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي؛ لأنّ المبتدع مفتر على الله, مخالف لأمر رسوله لأجل هواه)[2].

ومن خالف أمر الله تعالى بالطغيان والتجبر على خلق الله تعالى, أبدله الله تعالى ذلك ذلاً يناله في الدنيا قبل

---

[3] () هو إسماعيل بن القاسم بن سويد أبو إسحاق العنزي المعروف بأبي العتاهية, أحد من انتشر شعره، وشاع ذكره, لقب بأبي العتاهية لاضطراب كان فيه، وقيل: لمجون وخلاعة كانت فيه, كان يقول في الغزل والمديح والهجاء قديما، ثم نسك وعدل عن ذلك إلى الشعر في الزهد، وطريقة الوعظ, مات سنة ثلاث عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (7/226), وبغية الطلب في تاريخ حلب (4/1749).

[2] () الحكم الجديرة بالإذاعة (1/30-33).

الآخرة, وقد حفظ لنا التاريخ ما حصـل ببعض حكـام الأنـدلس لمـا تمـادوا في الطغيـان والإعـراض عن دين اللـه تعـالى, والانغمـاس في الشـهوات, أُبـدلوا بتلـك العـزّة الـتي كـانوا يتمتعون بها ذلاً, وصـدق الأديب الشـهير أبـو البقـاء الرّنـدي[1] رحمه الله تعالى في رثائهم بقوله:

يا من لذلة قـوم بعد عزِّهم | أَحَال حالهم كفر وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم | واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم | عليهم من ثياب الذلّ ألوان
ولو رأيت بكاهم عند بيعهم | لهالَك الأمر واستهوتك أحزان)[2]

---

1 () هو صالح بن يزيد بن صالح، أبو الطيب وقيل أبو البقـاء النفـزي الرّندي شاعر أندلسي, من القضاة له علم بالحسـاب والفـرائض, من قبيلة نفزة البربريـة, خاتمـة الأدبـاء بالأنـدلس, من مصـنفاته: الوافي في علم القوافي, روضة الأنس ونزهـة النفس مـات سـنة أربــع وثمــانين وســتمائة. انظــر: الــوافي بالوفيــات (16/160), والأعلام للزركلي (3/198).

2 () نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (4/488).

المطلب الثالث:
أسباب إعزاز الله لعبده المؤمن

وفيه خمس مسائل:

المسألة الأولى: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب عفوه عن الناس

المسألة الثانية: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب إقامته دين الله.

المسألة الثالثة: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب كمال توكّله على الله تعالى واستغنائه عما في أيدي الناس.

المسألة الرابعة: إعزاز الله لعباده المؤمنين بسبب إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى.

المسألة الخامسة: إعزاز الله لعباده المؤمنين بسبب اجتماعهم, وتعاونهم, وعدم تفرّقهم.

تمهيد:

حينما نتكلَّم عن أسباب إعزاز الله لعبده المؤمن, يحسن بنا إلى أن ننبِّه أنَّ لعزَّة المؤمن مرادفات من حيث اللغة هي: الرفعة, والكرامة, والمنعة, والشّرف, والقوة, والشدة, والغلبة, فكل هذه المعاني مرادة عند قولنا: أعزّ الله فلان بمعنى: رفعه, وأكرمه, وشرّفه, وقوّاه, وشدّده, وهذا تفصيل لبعض هذه المرادفات:

القوة والشدة والغلبة والقهر والمنعة والرفعة:

قال ابن فارس رحمه الله في العزة: (العين والزاء أصل صحيح واحد، يدل على شدة وقوة وما ضاهاهما، من غلبة وقهر)[1].

وقال الزّبيدي[2] رحمه الله: (وأعزّه الله تعالى: جعله عزيزا, وعزّزه تعزيزا كذلك, ويقال: عززت القوم وأعززتهم وعزّزتهم: قويتهم وشددتهم وفي التنزيل: ﯕﯖ ﯗ ﯘ [يس: ١٤], أي: قوّينا وشدّدنا وقد قرئت: فعززنا بالتخفيف كقولك: شددنا, والعزّ في الأصل القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع, وفي البصائر: العزّة: حالة مانعة للإنسان من أن يغلب)[3].

الكرامة والشرف:

يقال: عززت عليه بالفتح كرمت عليه[4].

واعتزَّ به، وتعزَّز: تشرف, وعزَّ عليّ يعِزّ عِزّا، وعِزّة،

---

1 () مقاييس اللغة (4/38).

2 () هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الزبيدي، الملقب بمرتضى: علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كتبه: تاج العروس، وإتحاف السادة المتقين, وأسانيد الكتب الستة, وغيرها, مات سنة خمس ومائتين وألف. انظر: الأعلام (7/70), ومعجم المؤلفين (11/282).

3 () تاج العروس (15/219), وانظر: تهذيب اللغة (1/65).

4 () مختار الصحاح (1/442).

وعزازة: كرم, وأعززته: أكرمته وأحببته[1].

وأيضا جاء كتاب الله تعالى معبرا بألفاظ تدل على العزّة, مثل الرفعة, والعلو, أو ما يدل على لوازمها مثل: الولاية, والنصرة, والمعية للمؤمنين, والدفاع عنهم.

العلوّ:

كما قال تعالى: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ﴾ [آل عمران: ١٣٩], وقال تعالى: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ﴾ [محمد: ٣٥].

يقول ابن جرير رحمه الله في قوله: ﴿ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ﴾ (هذا منسوخ، قال: نسخه القتال والجهاد، يقول: لا تضعف أنت وتدعوهم أنت إلى السلم وأنت الأعلى، قال: وهذا حين كانت العهود والهدنة فيما بينه وبين المشركين قبل أن يكون القتال، يقول: لا تهن فتضعف، فيرى أنك تدعو إلى السلم وأنت فوقه، وأعزّ منه, ﴿ﮜ ﮝ﴾ **أنتم أعزّ منهم**، ثم جاء القتال بعد فنسخ هذا أجمع، فأمره بجهادهم والغلظة عليهم, وقد قيل: عنى بقوله: ﴿ﮜ ﮝ﴾ وأنتم الغالبون آخر الأمر، وإن غلبوكم في بعض الأوقات، وقهروكم في بعض الحروب)[2].

ولاية الله تعالى للمؤمنين:

كما قال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

قال ابن جرير رحمه الله: (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ﴾، نصيرهم وظهيرهم، يتولاهم بعونه وتوفيقه)[3].

ومن تولاه الله تعالى, وأعانه ووفقه, فهو في عزّة ورفعة, ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون, كما قال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ﴾ [يونس: ٦٢].

والله تعالى حصر العزّة في نفسه سبحانه ورسوله والمؤمنين, كما قال تعالى: ﴿ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ﴾ [المنافقون: ٨],

---

1 () المحكم والمحيط الأعظم (1/21).
2 () جامع البيان (22/189).
3 () المصدر نفسه (5/424).

ولما حصر العزّة بما دل على ذلك من تقديم المعمـول، أخـبر أنـه يعطي منهـا من أراد, وأحقُّهم بـذلك مَن أطاعـه, فـترجم ذلك بقوله: ﮋﮕ ﮊ؛ لأنّ عزّته من عزّته بعـزّ النبـوّة والرسـالة, وإظهار الله دينه على الدين كله، وكذلك أيضـاً أنّ العـزّة لمن أطاع الرسول بقوله: ﮋﮖ ﮊ, أي: الذين صار الإيمان لهم وصفاً راسـخاً؛ لأنّ عـزّتهم بعـزّة الولايـة، ونصـر اللـه إيّـاهم عـزّة لرسولهم صلى الله عليه وسـلم، ومن تعـزّز باللـه لم يلحقـه ذل[1].

نصر الله تعالى لعباده المؤمنين:

وذلك في آيـات كثـيرة من كتـاب اللـه تعـالى, ومن ذلـك قوله تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [محمد: ٧], وقوله: ﮋﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﮊ [الروم: ٤٧], وقوله سبحانه: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮊ [آل عمران: ١٦٠].

والعزّة في حقّ المخلوق: هي حالة مانعة للإنسـان من أن يغلب[2], وهي غـير الكـبر, فـالعزّة محمودة, والكبر مذموم.

يقول الرازي: (العزّة غير الكبر, ولا يحل للمؤمن أن يـذل نفسه، فالعزّة معرفة الإنسان بحقيقة نفسه وإكرامهـا عن أن يضعها لأقسـام عاجلـة دنيويـة, كمـا أن الكـبر جهـل الإنسـان بنفسـه وإنزالهـا فـوق منزلهـا, فـالعزّة تشـبه الكـبر من حيث الصورة، وتختلف من حيث الحقيقة كاشتباه التواضع بالضـعة, والتواضع محمود، والضعة مذمومـة، والكـبر مـذموم، والعـزّة محمودة، ولما كانت غير مذمومة وفيها مشـاكلة للكـبر، قـال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [الأحقاف: ٢٠], وفيه إشارة خفية لإثبات العزّة بالحق، والوقـوف على حـد التواضـع من غـير انحـراف إلى الضعة, وقوفا على صراط العزّة, المنصوب على متن نار الكبر)[3].

فالعزة التي يجب أن يتصف بها العبـد المـؤمن هي خلـق

---

[1] () انظر: لطائف الإشارات (3/590), ونظم الدرر (7/613).
[2] () المفردات (ص564), وتاج العروس (15/219).
[3] () مفاتيح الغيب (30/549).

وسط بين خلقين ذميمين هما: الكبر، والذلة.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وإذا انحرفت عن خلق العزّة التي وهبها الله للمؤمنين, انحرفت: إما إلى كبر وإمّا إلى ذلّ, والعزّة المحمودة بينهما)[1].

والعزّة كما تكـون للمؤمـنين في الآخـرة تكـون لهم أيضـا في الدنيا؛ لأن كثـيرا من المسـلمين يظنُّ أنّ النّعيم, والعـزّة, والنّصر, والعاقبة تكون للمؤمـنين في الآخـرة فقـط, أمـا في الـدنيا فليس لهم فيهـا إلا الحـظ القليـل, وأن لأهـل الكفـر والفجور منها الحظ العظيم, وقد نبه على هـذا شـيخ الإسـلام بكلام طويل وننقل معظمه للفائدة, ولحاجـة المسـلمين إليـه اليوم.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (ولكن تـذكر هنـا نكتـة نافعة, وهو أن الإنسان قد يسمع ويـرى مـا يصـيب كثـيرا من أهل الإيمـان والإسـلام في الـدنيا من المصـائب, ومـا يصـيب كثيرا من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال, وغـير ذلـك, فيعتقـد أن النعيم في الـدنيا لا يكـون إلا لأهـل الكفـر والفجور, وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتنعمون بـه إلا قليلا, وكذلك قد يعتقد أن العزّة والنصـرة قـد تسـتقر للكفـار والمنافقين على المؤمنين، وإذا سمع ما جـاء في القـرآن من أنّ العزّة لله ورسوله وللمؤمنين, وأن العاقبة للتقوى, وقــول الله تعالى: ﮋﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الصافات: ١٧٣], وهو ممن يصدّق بالقرآن, حمل هذه الآيات على الدار الآخرة فقط, وقال أما الدنيا فمـا نرى بأعيننا إلا أن الكفار والمنـافقين فيهـا يظهـرون ويغلبـون المؤمــنين، ولهم العــزّة والنصــرة, والقــرآن لا يَــرِدُ بخلاف المحسوس, ويعتمـد على هـذا فيمـا إذا أديـل عليـه عـدو من جنس الكفـار والمنـافقين أو الظـالمين, وهـو عنـد نفسـه من أهل الإيمان والتقوى, فـيرى أنّ صـاحب الباطـل قـد علا على صاحب الحق, فيقول: أنا على الحق, وأنا مغلـوب, وإذا ذكـره إنسان بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين قال: هذا في الآخرة فقط, وإذا قيل له: كيف يفعل الله بأوليائـه مثـل هـذه الأمور, قال: يفعل ما يشـاء, وربمـا قـال بقلبـه, أو لسـانه, أو

[1] () مدارج السالكين (2/296).

كان حاله يقتضى أن هذا نوع من الظلم, وربما ذكر قول بعضهم ما على الخلق أضر من الخالق, لكن يقول: يفعل الله ما يشاء, وإذا ذُكِّر برحمة الله وحكمته لم يقل إلا أنه: يفعل ما يشاء, فلا يعتقدون أن صاحب الحق والتقوى منصور مؤيَّد, بل يعتقدون أن الله يفعل ما يشاء.

وهذه الأقوال مبنية على مقدمتين:

إحداهما: حسن ظنّه بدين نفسه نوعا أو شخصا, واعتقاد أنّه قائم بما يجب عليه, وتارك ما نهي عنه في الدين الحق, واعتقاده في خصمه ونظيره خلاف ذلك, أن دينه باطل نوعا أو شخصا, لأنه ترك المأمور وفعل المحظور.

والمقدمة الثانية: أن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره, وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا فلا ينبغي الاغترار بهذا.

ومن المعلوم أن العبد, وإن أقرّ بالآخرة فهو يطلب حسن عاقبة الدنيا, فقد يطلب ما لا بد منه من دفع الضرر, وجلب المنفعة, وقد يطلب من زيادة النفع, ودفع الضرر ما يظنّ أنه مباح, فإذا اعتقد أن الدين الحق قد ينافي ذلك, لزم من ذلك إعراض القلب عن الرغبة في كمال الدين الحق, وفي حال السابقين والمقربين, بل قد يُعْرِض عن حال المقتصدين, أصحاب اليمين فيدخل مع الظالمين, بل قد يكفر, ويصير من المرتدين المنافقين, أو المعلنين بالكفر, وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من أصوله وفروعه, كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يصبح الرجل مؤمنا, ويمسى كافرا, أو يمسى مؤمنا, ويصبح كافرا, يبيع دينه بعرض من الدنيا"[1], وذلك إذا اعتقد أن الدين لا يحصل إلا بفساد دنياه, ولذلك فإنه يفرح بحصول الضرر له, ويرجو ثواب ضياع ما لا بد له من المنفعة.

وهذه الفتنة التي صدَّت أكثر بني آدم عن تحقيق الدين, وأصلُها الجهل بحقيقة الدين, وبحقيقة النعيم الذي هو مطلوب النفوس في كل وقت, إذ قد ذكرنا أنّ كلّ عمل فلا

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (1/110), رقم: 186.

بد فيه من إرادة به لطلب ما ينعم, فهناك عمل يطلب به النعيم, ولا بد أن يكون المرء عارفا بالعمل الذي يعمله, وبالنعيم الذي يطلبه, ثم إذا علم هذين الأصلين, فلابد أن تكون فيه إرادة جازمة على العمل بذلك, وإلا فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصِّلان المقصود إلا مع الإرادة الجازمة, والإرادة الجازمة لا تكون إلا مع الصبر, ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﮊ [العصر: ١ – ٣], وقال تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮊ [السجدة: ٢٤].

فاليقين هو العلم الثابت المستقر, والصبر لابد منه لتحقيق الإرادة الجازمة.

والمقدمتان اللتان بُنيَت عليهما هذه البلية مبناهما على الجهل بأمر الله ونهيه, وبوعده ووعيده, فإن صاحبهما إذا اعتقد أنه قائم بالدين الحق, فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور تارك للمحظور, وهو على العكس من ذلك, وهذا يكون من جهله بالدين الحق.

وإذا اعتقد أنّ صاحب الحقّ لا ينصره الله في الدّنيا, بل قد تكون العاقبة في الدّنيا للكفّار على المؤمنين, ولأهل الفجور على أهل البر, فهذا من جهله بوعد الله تعالى, أما الأول فما أكثر من يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها, وما أكثر من يفعل محرمات لا يعلم بتحريمها, بل ما أكثر من يعبد الله بما حرّم, ويترك ما أوجب, وما أكثر من يعتقد أنّه هو المظلوم المحقّ من كلّ وجه, وأنّ خصمه هو الظّالم المبطل من كل وجه, ولا يكون الأمر كذلك, بل يكون معه نوع من الباطل والظلم, ومع خصمه نوع من الحق والعدل, وحُبُّك الشيءَ يُعْمِي ويُصِمّ, والإنسان مجبول على محبة نفسه, فهو لا يرى إلا محاسنها, ومبغضٌ لخصمه, فلا يرى إلا مساوئه, وهذا الجهل غالبه مقرون بالهوى والظلم, فإنّ الإنسان ظلوم جهول.

وأكثر ديانات الخلق إنما هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم, وتقليدهم في التصديق والتكذيب, والحب والبغض, والموالاة والمعاداة, كما قال تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮊ [لقمان: ٢١], وقال تعالى: ﮋ ﭳ ﭴ

ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﴾ [الأحزاب: ٦٦ – ٦٧], وقال تعالى: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﴾ [الشورى: ١٤].

وأمَّا الثاني: فما أكثر من يظنّ أنّ أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أذلاء معذبين بما فيه, بخلاف من فارقهم إلى طاعة أخرى, وسبيل آخر, ويكذب بوعد الله بنصرهم, ولله سبحانه قد بين بكتابه كلا المقدمتين, فقال تعالى: ﴿ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى في كتابه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﴾ [الصافات: ١٧١ – ١٧٣], وقال تعالى في كتابه: ﴿ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﴾ [المجادلة: ٥], وقال تعالى: ﴿ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﴾ [المجادلة: ٢٠ – ٢١], وقال تعالى في كتابه: ﴿ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﴾ [المائدة: ٥٥ – ٥٦].

وذمّ من يطلب النُّصرة بولاء غير هؤلاء فقال تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﴾ [المائدة: ٥١ – ٥٣], وقال تعالى في كتابه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﴾ [النساء: ١٣٨ – ١٣٩], وقال تعالى في كتابه: ﴿ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﴾ [المنافقون: ٨], وقال تعالى في كتابه: ﴿ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﴾ [فاطر: ١٠], وقال في كتابه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﴾ [الفتح: ٢٨], << وقال تعالى في كتابه: ﴿ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٤],

وقال تعالى في كتابه: ﴿ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال تعالى في كتابه: ﴿ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﴾ [الفتح: ٢٢ – ٢٣], وقال تعالى في كتابه: ﴿ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﴾ [الحشر: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﴾ [الحشر: ٤], وقال تعالى: ﴿ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقال تعالى لما قص قصة نوح, وهى نصرة على قومه

في الدنيا فقال تعالى: ﮋ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [هود: ٤٩], وقال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﮊ [طه: ١٣٢], وقال تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [آل عمران: ١١٨] إلى قوله ﮋ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [آل عمران: ١٢٠], وقال تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [آل عمران: ١٢٥].

وقال يوسف وقد نصره الله في الدنيا لما دخل عليه إخوته: ﮋ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [يوسف: ٩٠] , وقال تعالى في كتابه: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [الأنفال: ٢٩], وقال تعالى: ﮋ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [الطلاق: ٢ – ٣], وقد روي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال: "لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لوسعتهم", رواه ابن ماجه وغيره[1].

وأخبر أن ما يحصل له من مصيبة انتصار العدو وغيرها؛ إنما هو بذنوبهم فقال تعالى: في يوم أحد ﮋ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﮊ [آل عمران: ١٦٥].

وقال تعالى: ﮋ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [آل عمران: ١٥٥], وقال تعالى: ﮋ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ [الشورى: ٣٠] , وقال تعالى: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [النساء: ٧٩], وقال تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ [الشورى: ٤٨], وقال تعالى: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [الشورى: ٣٤].

وذمّ في كتابه مَن لا يثق بوعده لعباده المؤمنين, وذكر ما يصيب الرسل والمؤمنين فقال تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﮊ [الأحزاب: ١٠ – ١٤], وقال تعالى: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [البقرة: ٢١٤], وقال تعالى: ﮋ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﮊ [يوسف: ١٠٩ – ١١١].

---

[1] () تقدّم تخريجه.

ولهذا أمر الله رسوله والمؤمنين باتباع ما أنزل إليهم وهو طاعته, وهو المقدمة الأولى, وأمرهم بانتظار وعده وهى المقدمة الثانية, وأمرنا بالاستغفار والصبر لأنهم لابد أن يحصل لهم تقصير وذنوب فيزيله الاستغفار, ولابد مع انتظار الوعد من الصبر, فبالاستغفار تتم الطاعة, وبالصبر يتم اليقين بالوعد إن كان هذا كله يدخل في مسمى الطاعة والإيمان...)[1].

فالنّعيم, والعزّة, والنّصر, والعاقبة كما تكون للمؤمنين في الآخرة تكون لهم أيضا في الدنيا, إلاّ أنّ الله عز وجل ربط هذه الأمور بأسبابها, من تحقيق الإيمان قولا وعملا, وفعل ما أمر الله تعالى به, وترك ما نهى عنه, ومتابعة النبيّ صلى الله عليه وسلم, مع إخلاص الدين كلِّه لله وحده لا شريك له, مع ما يصحب ذلك من الصَّبر واليقين, فمن نال العزّة بفعل تلك الأسباب, فقد أعزّه الله تعالى حقّ الإعزاز, الذي هو قهر النَّفس والهوى, والعمل بما أمر الله به ورسوله.

يقول المناوي[2] رحمه الله: (والإعزاز الحقيقي: تخليص المرء عن ذلّ الحاجة, واتباع الشَّهوة, وجعله غالبا على أمره, قاهرا على نفسه)[3].

والآن يشرع الباحث في بيان الأسباب التي يعزّ الله بها عبده المؤمن, وأمة الإسلام.

---

1 () قاعدة في المحبة (138-146), وانظر: إغاثة اللهفان (2/181).

2 () هو محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي زين الدين الحدادي ثم المناوي القاهري، الشافعي, الصوفي, من كبار العلماء بالدين والفنون، من كتبه: فيض القدير, وشرح الشمائل للترمذي, والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية, وغيرها, مات سنة واحد وثلاثين وألف للهجرة. انظر: فهرس الفهارس (2/520), والأعلام (6/204).

3 () فيض القدير (2/615).

المسألة الأولى: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب عفوه عن الناس.

حثّ الله تعالى عباده المؤمنين على التَّحلّي بالأخلاق الفاضلة, مثل الصدق فقال تعالى: ﮋ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [التوبة: ١١٩], والإحسان إلى الناس فقال تعالى: ﮋ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [البقرة: ١٩٥] , بل أثنى على رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: ﮋ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [القلم: ٤], وكذلك رسوله صلى الله عليه وسلم أرشد أمته إلى مكارم الأخلاق, فقد ثبت في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[1], وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أكمل المؤمنين إيمانا, أحسنهم خلقا, كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكمل المؤمنين إيمانا، أحسنهم خلقا، وخيارهم خيارهم لنسائهم"[2].

ومن جملة الأخلاق التي حثّ الله تعالى عليها, وحثّ عليها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم, خلق العفو, فقال تعالى: ﮋ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﮊ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [النور: ٢٢].

وقال تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [النساء:

---

[1] () أخرجه أحمد في المسند (35/284), رقم: 21354, والترمذي في السنن, أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ما جاء في معاشرة الناس (3/423), رقم: 1987, وقال: (حديث حسن صحيح), والحديث حسّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم: 97, وفي مشكاة المصابيح برقم: (5083).

[2] () أخرجه أحمد في المسند (12/246), رقم 7402, والترمذي في السنن, أبواب الرضاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب ما جاء في حق المرأة على زوجها (2/457), رقم: 1162, وقال: (حديث حسن صحيح), وابن حبان في صحيحه بترتيب ابن بلبان, ذكر البيان بأن من خيار الناس من كان خيرا لامرأته (9/483), رقم: 4176, والحديث صحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 284.

١٤٩].

وقال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ [التغابن: ١٤].

وقال أيضا: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الشورى: ٤٠].

بل هذا الخلق العظيم ذُكر أيضا في التوراة أنّه من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم, الذي أُمِرَت أمته بالتأسي به, فعن عطاء بن يسار[1] رضي الله عنه قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ قال: "أجل، والله إنّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ [الأحزاب: ٤٥] ، وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سمّيتك المتوكل ليس بفظّ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا"[2].

وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن خلق العفو عن الناس من أسباب إعزاز الله تعالى لعبده المؤمن, فقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله"[3].

قال ابن الجوزي رحمه الله: (وقوله: "وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا "؛ وذاك لأنّ العافي في مقام الواهب والمتصدق

---

[1] () هو عطاء بن يسار أبو محمد, ويقال أبو عبد الله, ويقال أبو يسار المدني القاص, مولى ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم, تابعي ثقة, كان ألزم الرجال لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم, مات سنة أربع وتسعين. انظر: الطبقات الكبرى (5/131), تاريخ دمشق (40/454).

[2] () أخرجه البخاري, كتاب البيوع, باب كراهية السخب في السوق (3/66), رقم: 2125.

[3] () أخرجه مسلم, كتاب البر والصلة والآداب, باب استحباب العفو والتواضع (4/2001), رقم: 2588.

فيعزّ بذلك)[1].

وقال النّووي رحمه الله: (قوله صلى الله عليه و سلم "وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا" فيه أيضا وجهان:

أحدهما: أنّه على ظاهره, وأنّ من عرف بالعفو والصَّفح ساد وعَظُم في القلوب, وزاد عِزُّه وإكرامه.

والثاني: أنَّ المراد أجره في الآخرة, وعزّه هناك)[2].

بل المنتقم لحظّ نفسه, يورثه ذلك ذلاّ يجده في نفسه, خاصة إذا طاوع غضبه, وخرج به عن حد العدل إلى الانتقام, فيضطره ذلك للاعتذار, الذي يورثه نوعا من الذلّ, لهذا نهى السلف رحمهم الله عن عزّة الغضب لما تفضي به إلى ذلّ الاعتذار.

قال الماوردي رحمه الله: (قال بعض الأدباء: إياك وعزّة الغضب؛ فإنّها تفضي إلى ذلّ العذر, وقال بعض الشّعراء:

وإذا ما اعترتك في الغضب العزّة ... فاذكر تذلل الاعتذار)[3]

وهذا بخلاف من عفى مع المقدرة لوجه الله تعالى, فإنّه يجد راحة وطمأنينة في النَّفس, مع ما يكون سببا لعزّه ورفعته ومحبة القلوب له, وعفو الله تعالى عنه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله وهو يعدد الأمور التي تعين على الصبر- الخامس: (أن يعلم أنه ما انتقم أحد قطّ لنفسه إلاّ أورثه ذلك ذلاّ يجده في نفسه، فإذا عفا أعزّه الله تعالى، وهذا مما أخبر به الصادق المصدوق حيث يقول: "ما زاد الله عبدًا بعفْو إلاَّ عزّا", فالعزّ الحاصل له بالعفو أحبّ إليه وأنفع له من العزّ الحاصل له بالانتقام، فإنّ هذا عزّ في الظاهر، وهو يورث في الباطن ذلاّ، والعفو ذلّ في الباطن، وهو يورث

---

1 () كشف المشكل من حديث الصحيحين (1/1041).

2 () المنهاج شرح صحيح مسلم (16/141).

3 () أدب الدنيا والدين (ص259), وانظر: العقد الفريد (2/141), والمنهج المسلوك في سياسة الملوك (404).

العزّ باطنًا وظاهرًا)[1].

غير أنّه ممّا يحسن التنبيه عليه أنّ المجـازاة على السـيئة بمثلها جـائزة شـرعا, ولكنّ العفـو والصـفح أفضـل كمـا قـال تعالى: ﴿ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال الصنعاني رحمه الله: (وفي قوله: "ما زاد اللـه عبـدا بعفو إلا عزا" حث على العفـو عن المسـيء, وعـدم مجازاتـه على إساءته, وإن كانت جائزة, قال تعالى: ﴿ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﴾ [الشورى: ٤٠], وفيه أن يجعل الله تعـالى للعـافي عـزا وعظمـة في القلـوب؛ لأنّـه بالانتصـاف يظنّ أنـه يعظم, ويصـان جانبـه ويهاب, ويظنّ أن الإغضاء والعفـو لا يحصـل بـه ذلـك، فـأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يزداد بالعفو عزًا)[2].

وكثير من النّاس لا يعفو على المسيء إليه إذا قدر عليـه؛ لتوهُّمـه أنَّ ذلـك ينقص من قـدره, ومن عـزّه ومن مكانتـه؛ ولكن الأمر على عكس ذلك, فالذي يعفو على النّاس يحصـل له الخير من اللـه تعـالى, وذلـك بـأن يعفـو عنـه, وكـذلك من النّاس؛ لأنّه يعْظُم عندهم, ويناله ثنائهم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (وأمّـا العفـو عن جنايـات المسيئين بأقوالهم وأفعـالهم: فلا يتـوهم منـه الـذلّ، بـل هـذا عين العزّ، فـإنّ العـزّ هـو الرفعـة عنـد اللـه وعنـد خلقـه، مـع القدرة على قهر الخصوم والأعداء, ومعلوم ما يحصل للعافي من الخير والثناء عند الخلـق، وانقلاب العـدو صـديقا، وانقلاب الناس مع العافي، ونصرتهم له بالقول والفعـل على خصـمه، ومعاملة الله له من جنس عمله، فإنّ من عفـا عن عبـاد اللـه عفا الله عنه)[3].

وفي هذه الأمة نماذج ممن اتصف بهذا الخلق النبيل بدءاً بنبيِّنا محمد صلى الله عليـه وسـلم, مُتخلِّقًـا في ذلـك بـأخلاق القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ﴾ [الأعـراف: ١٩٩], فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أخبره: أنـه غـزا

---

1 () جامع المسائل (1/170).

2 () سبل السلام (2/693).

3 () بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبـار (ص82).

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضَاه[1]، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم, وتفرق الناس في العِضَاه، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سَمُرة فعلَّق بها سيفَه, قال جابر: فنمنا نومة، ثم إذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتا[2]، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس", ثم لم يعاقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

ولفظ مسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن رجلا أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتا في يده، فقال لي: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال قلت: الله، قال: فشام[4] السيف, فها هو ذا جالس", ثم لم يَعْرِض له رسول الله صلى الله عليه وسلم[5].

ففي قوله: "ثم لم يعاقبه", وقوله في الرواية الأخرى: "لم يعرض له" دليل على كمال عفوه صلى الله علبه وسلم.

ومن صور عفوه صلى الله عليه وسلم عند المقدرة,

---

1 () العِضَاهُ: شجر أمِّ غَيْلان, وكلّ شجر يعْظُم وله شوْكٌ, واحدها: عِضَاهَةٌ, وعِضَهَةٌ, وعِضَةٌ. انظر: النهاية في غريب الحديث (3/255), ومختار الصحاح (ص211).

2 () أي مجردا, يقال: أصلت السيف إذا جرده من غمده. انظر: النهاية في غريب الحديث (3/45).

3 () أخرجه البخاري, كتاب المغازي, باب غزوة ذي الرقاع (5/114), رقم4135.

4 () معناه: غمده وردّه في غمده, يقال: شام السيف: غمده، وشامه: جرده, فهو من الأضداد, والمراد هنا غمده. انظر: تهذيب اللغة (11/297).

5 () أخرجه مسلم, كتاب الفضائل, باب توكله على الله تعالى, وعصمة الله تعالى له من الناس (4/1786), رقم 843.

عفوه عن أهل مكة يوم دخلها فاتحا لها, ومنتصرا على أهلها, وهم الذين وقفوا ضد دعوته, وآذوه أشد الإيذاء, وآذوا صحابته الكرام رضي الله عنهم, فظنّوا أنّه سينتقم منهم, ولكن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنهم, (فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوة، وكانوا له فيئا)[1].

قال القاضي عياض رحمه الله: (والحديث عن حِلْمه صلى الله عليه وسلم وصبره, وعفوه عند المقدرة أكثر من أن تأتي عليه، وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش, وأذى الجاهلية, ومصابرة الشدائد الصعبة معهم, إلى أن أظفره الله عليهم, وحكمه فيهم, وهم لا يشكون في استئصال شأفتهم, وإبادة خضرائهم, فما زاد على أن عفا وصفح، وقال: "ما تقولون إني فاعل بكم؟", قالوا خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: "أقول كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم الآية، اذهبوا فأنتم الطلقاء"[2])[3].

ومن صور عفوه صلى الله عليه وسلم, عفوه عن أبي سفيان رضي الله عنه (وقد سيق إليه, بعد أن جلب إليه الأحزاب, وقتل عمّه وأصحابه, ومثّل بهم, فعفا عنه ولاطفه في القول: "ويحك يا أبا سفيان ألم يئن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله"؟, فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأوصلك

1 () تاريخ الأمم والملوك (3/61).

2 () أخرجه البيهقي في السنن الكبرى, جماع أبواب السير, باب فتح مكة حرسها الله تعالى (9/199), رقم: 18276, وفي معرفة السنن والآثار, المسلم يدخل دار الحرب فيشتري دارا أو غيرها (13/293), رقم: 18231, والحديث ضعفه الألباني في الضعيفة برقم: 1163.

3 () الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/110).

وأكرمك[1])[2]، بل قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمِن"[3].

وغير ذلك من صور عفوه صلى الله عليه وسلم عند المقدرة؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عيه وسلم أعزّ خلق الله تعالى؛ لكمال عفوه, وعظم خلقه صلى الله عليه وسلم.

المسألة الثانية: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب إقامة دين الله.

إعزاز الله تعالى لعبد المؤمن يكون بإقامة دينه, بامتثاله أمره, واجتناب نهيه, وهي طاعة الله ورسوله, وتقوى الله تعالى, فكلما كان الإنسان أكثر طاعة لله تعالى وأتقى لله تعالى كان أعزّ, وكلما نقص من الطاعة والتقوى لَحِقَه مِن الذل بحسَب ما ترك.

قال إبراهيم الخوَّاص[4] رحمه الله: (على قدر إعزاز المؤمن لأمر الله يُلبسه الله مِن عزِّه, ويقيم له العزَّ في قلوب المؤمنين, فذلك قوله تعالى: ﮋﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [المنافقون: ٨])

---

1 () أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار, كتاب الحجة في فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة (3/319), والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (11/156), والبيهقي في دلائل النبوة, جماع أبواب فتح مكة حرسها الله تعالى, باب نزول رسول الله بمر الظهران وما جرى في أخذ أبي سفيان بن حرب وحكيم ابن حزام وبديل بن ورقاء وإسلامهم, وعقد الأمان لأهل مكة بما شرط, ودخوله مع المسلمين مكة, وتصديق الله تعالى ما وعد رسوله صلى الله عليه وسلم (5/34), والحديث صحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 3341.

2 () الشفا بتعريف حقوق المصطفى (1/110).

3 () أخرجه مسلم, كتاب الجهاد والسير, باب فتح مكة (3/1405), رقم: 1780.

4 () هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل أبو إسحاق الخواص, أحد شيوخ الصوفية، وممّن يذكر بالتوكل، وكثرة الأسفار إلى مكة وغيرها، من أقران الجنيد, مات سنة إحدى وتسعين ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (6/493), وصفوة الصفوة (4/98).

.[1]

ولقد عرف السلف الصالح من الصحابة ومَن بعدهم هـذه الحقيقــة، وهي: أنّ العــزّة في إقامــة دين اللــه تعــالى في الأرض, بالتمسك بالإسلام ظاهرا وباطنا، وذلك بإخلاص الدين لله تعالى, واتباع النبي صلى الله عليـه وسـلم, والاجتهـاد في طاعة الله ورسوله, والحذر من معصية الله ورسوله.

فعن طارق بن شهاب[2] رضـي اللـه عنـه قـال: لمـا قـدم عمـر الشـام عرضـت لـه مخاضة[3], فـنزل عن بعـيره, ونـزع موقيه[4], فأمسكهما بيد، وخاض الماء ومعه بعـيره، فقـال لـه أبو عبيدة: قد صنعت اليـوم صـنيعا عظيمـا عنـد أهـل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصكَّ[5] في صدره وقال: أوَ لَـوْ غـيرك يقولهـا يـا أبـا عبيـدة، إنكم كنتم أذلّ النـاس, وأحقـر النـاس, وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام, فمهما تطلبوا العزّ بغـيره يذلكم الله[6].

وعن جبير بن نفير[7] قال: لما فتحت قُبْـرص, وفـرّق بين

---

[1] () حلية الأولياء (10/327), و صفة الصفوة (2/299).

[2] () هـو طـارق بن شـهاب بن عبـد شـمس أبـو عبـد اللَّه البجليّ الأحمسيّ, ثبت أنه لقي النّبي صلّى اللّه عليه وسلم فهـو صـحابيّ على الـرّاجح، وإذا ثبت أنـه لم يسـمع منـه فروايتـه عنـه مرسـل صحابيّ, وهو مقبـول على الـرّاجح, مـات سـنة اثنـتين وثمـانين أو ثلاث أو أربع. انظر: أسد الغابة (3/413), والإصابة (3/413).

[3] () يقال: الخَوْضُ: المشيُ في الماء، والموضـعُ مَخاضـةٌ, وهي: مـا جاز النّاسُ فيها مُشـاةً ورُكْبانـاً، وجَمْعُهـا المــخاضُ والمــخاوضُ. انظـر: النهايــة في غـريب الحـديث (4/372), ولسـان العـرب (7/147).

[4] () الــمُوقُ: الخـُفُّ، فارسـيٌ معـربٌ. انظـر: النهايـة في غـريب الحديث (4/372).

[5] () صَكَّه يَصُكُّه صَكًّا, أي: ضَرَبَه شَدِيدًا بعَرِيضٍ، أو عامٌّ بـأيّ شـيءٍ كان. انظر: تاج العروس (27/242).

[6] () البداية والنهاية (7/70).

[7] () هو جبير بن نفـير بن مالـك أبـو عبـد الـرحمن الحضـرمي أدرك الجاهليـة ولا صـحبة لـه يـروي عن أبي ذر وأبي الـدرداء وغـيرهم, روى عنه أهل الشام, مـات سـنة ثمـانين. انظـر: التـاريخ الكبـير (2/223), والثقات (4/111).

أهلها, فبكى بعضهم إلى بعض, رأيت أبا الدرداء جالسا وحـده يبكي, فقلت: يا أبا الدرداء مـا يبكيـك في يـوم أعـزّ اللـه فيـه الإسلام وأهله؟ قال: "ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره, بينـا هي أمـة قـاهرة ظـاهرة لهم الملـك, تركوا أمر الله عز وجل فصاروا إلى ما ترى"[1].

وقال قتـادة بن دعامـة السدوسـي رحمـه اللـه في قولـه تعالى: ﴿ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﴾ [الأنفال: ٢٦]: (كان هذا الحيّ من العرب أذلّ الناس ذلا, وأشقاه عيشا، وأجوعه بطونا، وأعـراه جلـودا، وأبينـه ضـلالا, مكعـومين[2] على رأس حجـر، بين الأسدين فـارس والـروم، ولا واللـه مـا في بلادهم يومئـذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيا، ومن مـات منهم ردي في النار، يؤكلون ولا يـأكلون، واللـه مـا نعلم قـبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشر منزلا منهم، حتى جـاء اللـه بالإسـلام, فمكّن بـه في البلاد، ووسـع بـه في الـرزق، وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس, وبالإسلام أعطى الله مـا رأيتم، فاشكروا لله نعمه، فإنّ ربكم مُنْعِم يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تعالى) [3].

فهذا كلام عظيم من صحابيين جليلين عمـر وأبي الـدرداء رضي الله عنهما, ومن إمام جليل قتادة رحمه اللـه, يـبيّن أن لا عزّ لهذه الأمّة إلا بالإسلام, وإقامة دين الله تعالى.

وإقامة دين لله تعالى يكون بأمور منها:

1- إخلاص الدين لله وحده:

أعظم ما يقام به دين الله تعالى, هو بـإخلاص الـدين كلّـه

---

[1] () أخرجـه أحمـد في الزهـد (ص117), رقم: 763, وابن الجـوزي في ذم الهوى (ص211).

[2] () قال ابن فارس: (العين والكاف والميم أصـل صـحيح يـدل على ضم وجمع لشيء في وعاء). مقاييس اللغة (4/100).
والمكاعمة أن يلثم الرجل صاحبه, أخذه من كعام البعـير, وهـو أن يشدّ فمه إذا هـاج، يقـال منـه: كعمتـه أكعمـه كعمـا فهـو مكعـوم, وكذلك كل مشدود الفم فهو مكعوم. انظـر: غـريب الحـديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (4/171).

[3] () جامع البيان (13/478), وتفسير القرآن العظيم (4/40).

لله وحده لا شريك له, و(الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود)[1], والمخلص من عباد الله تعالى (هو: الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب النّاس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل, ولا يحب أن يطلع النّاس على مثاقيل الذر من عمله)[2].

فمن أخلص الدين كلّه لله تعالى, وكان توكُّله وخوفه ورجاءه وتقربه وتودُّده لله, وعلى الله وحده لا شريك له, كان ذلك سببا في عزّه ورفعته.

قال ابن القيم رحمه الله: (إذا استغنى النّاس بالدنيا فاستغن أنت بالله, وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله, وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله, وإذا تعرّفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقرّبوا إليهم لينالوا بهم العزّة والرّفعة, فتعرّف أنت إلى الله وتودد إليه, تنل بذلك غاية العزّ والرّفعة)[3].

ولهذا نجد أنّ كلام السلف أنفع من كلام الخلف؛ وذلك بسبب إخلاصهم؛ لأنّهم تكلّموا لله وحده, ولنفع خلقه, وطلبا لرضوان الله تعالى, بخلاف الخلف فهم يتكلمون لحظوظ أنفسهم, وطلبا للدنيا والرفعة فيها بين الخلق.

قال عبد الله بن المبارك[4]: قيل لحمدون القصار[5]: ما بال كلام السّلف أنفع من كلامنا؟، قال: لأنّهم تكلّموا لعزّ الإسلام, ونجاة النفوس, ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعزّ

---

1 () إعلام الموقعين (2/125).

2 () مجموع الفتاوى (18/260).

3 () الفوائد (ص118).

4 () هو عبد الله بن المبارك بن واضح أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي, الإمام, شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ، الغازي, مات سنة إحدى وثمانين ومائة. انظر: تاريخ دمشق (32/396), وتذكرة الحفاظ (1/201), وسير أعلام النبلاء (8/378).

5 () هو حمدون بن أحمد بن عمارة أبو صالح النيسابوري, المعروف بحمدون القصار، شيخ الصوفية، قدوة الملامتية: وهو تخريب الظاهر وعمارة الباطن، مع التزام الشريعة, مات سنة إحدى وسبعين ومائتين. انظر: طبقات الصوفية (ص109), وسير أعلام النبلاء (10/459).

النفوس, وطلب الدنيا, ورضا الخلق[1].

هذا في زمانهم فماذا يقول لو عاش في هذا الزمان!؟.

2- متابعة النبي صلى الله عليه وسلم:

من الأمور التي يكون بها إقامة دين الله تعالى, متابعة النبي صلى الله عليه وسلم, بعد إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له, فالله تعالى جعل العزّة للمتبعين لنبيّه صلى الله عليه وسلم, وكلما كان المؤمن أكثر متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم كان أعزّ.

ويقول ابن القيم رحمه الله: (والمقصود أن بحسب متابعة الرسول تكون العزّة والكفاية والنّصرة، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته، وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن والفلاح والعزّة والكفاية والنصرة والولاية والتأييد, وطيب العيش في الدنيا والآخرة، ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة, وقد أقسم صلى الله عليه وسلم بأن "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[2], وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به، ثم يسلم له تسليما وينقاد له انقيادا, وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأحزاب: ٣٦], فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره صلى الله عليه وسلم، بل إذا أمر فأمره حتم)[3].

بل العزّة الكاملة لأهل السنّة المحضة, الذين لم يتبعوا, ولم يلتزموا إلا ما دلّ عليه الكتاب والسنة.

---

1 () حلية الأولياء (10/231), وصفوة الصفوة (2/213-214).

2 () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة (1/67), رقم: 70.

3 () زاد المعاد (1/40).

يقول ابن القيم رحمه الله: (وإنّما النّصرة الثابتة لأهل السنّة المحضة الذين لم يتحيزوا إلى فئة غير رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يلتزموا غير ما جاء به، ولم يؤصلوا أصلا ببدعة يسلطون عليهم به خصومهم، بل أصلهم ما دلَّ عليه كتاب الله وكلام رسوله, وشهدت به الفطر والعقول)[4].

3- تحقيق الإيمان قولا وعملا:

ربط الله تعالى بين العزّة والرفعة والعلو والنصر والتأييد والمعية والدفاع عن المؤمنين, وذلك بتحقيق مقتضيات الإيمان, التي هي: تحقيق توحيد الله جل وعلا, والعمل على طاعته, لأنّ الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص, يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية, فكلما كثرت طاعات العبد مع الإخلاص لوجه الله تعالى, زاد حظه من العزّ والنصر والتأييد والرفعة والعلو, وكلما نقص إيمانه بفعل المعاصي والموبقات, ومخالفة أمر الله تعالى بفعل مناهيه, وترك أوامره, نقص حظه من إعزاز الله له ورفعه ونصره, بقدر ما خالف أمر الله تعالى, ولحقه من الذل والهوان, وتسليط العدو عليه, بقدر ما ارتكبه من المعاصي والذنوب.

يقول ابن القيم رجمه الله: (والله سبحانه إنما ضمن نصر دينه وحزبه وأوليائه بدينه علما وعملا، لم يضمن نصر الباطل، ولو اعتقد صاحبه أنّه محق، وكذلك العزّة والعلو إنما هما لأهل الإيمان الذى بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو علم وعمل وحال، قال تعالى: ﴿ ﴾ [آل عمران: ١٣٩], فللعبد من العلو بحسب ما معه من الإيمان، وقال تعالى: ﴿ ﴾ [المنافقون: ٨], فله من العزّة بحسب ما معه من الإيمان وحقائقه، فإذا فاته حظ من العلو والعزّة، ففي مقابلة ما فاته من حقائق الإيمان، علما وعملا ظاهرا وباطنا.

وكذلك الدّفع عن العبد هو بحسب إيمانه، قال تعالى: ﴿ ﴾ [الحج: ٣٨], فإذا ضعف الدفع عنه فهو من نقص إيمانه, وكذلك الكفاية والحَسْب هي بقدر الإيمان، قال تعالى: ﴿ ﴾ [الأنفال: ٦٤], أي: الله حسبك وحسب

4 () طريق الهجرتين (ص118).

أتباعك، أي: كافيك وكافيهم، فكفايته لهم بحسب اتباعهم لرسوله، وانقيادهم له، وطاعتهم له، فما نقص من الإيمان عاد بنقصان ذلك كله, ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص.

وكذلك ولاية الله تعالى لعبده هي بحسب إيمانه قال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [آل عمران: ٦٨] , وقال الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [البقرة: ٢٥٧], وكذلك معيته الخاصة هي لأهل الإيمان، كما قال تعالى: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮊ ﮊ [الأنفال: ١٩], فإذا نقص الإيمان وضعف، كان حظ العبد من ولاية الله له ومعيته الخاصة بقدر حظه من الإيمان.

وكذلك النصر والتأييد الكامل, إنما هو لأهل الإيمان الكامل، قال تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [غافر: ٥١] , وقال: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﮊ [الصف: ١٤], فمن نقص إيمانه نقص نصيبه من النصر والتأييد، ولهذا إذا أصيب العبد بمصيبة في نفسه أو ماله، أو بإدالة عدوّه عليه، فإنّما هي بذنوبه، إما بترك واجب، أو فعل محرم وهو من نقص إيمانه)[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (وقوله ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [المنافقون: ٨], ولو خرج المؤمنون عن الحق والهدى لما كانت لهم العزّة إذ ذاك من تلك الجهة؛ لأنّ الباطل والضلال ليس من الإيمان الذي يستحق به العزّة, والعزّة مشروطة بالإيمان لقوله: ﮋ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ [آل عمران: ١٣٩])[2].

وقال أيضا: (فلا ريب أنّ المنافقين كانوا مغمورين أذلاء مقهورين، لا سيما في آخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وفي غزوة تبوك; لأنّ الله تعالى قال: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [المنافقون: ٨]، فأخبر أن العزّة للمؤمنين لا للمنافقين، فعلم أنّ العزّة والقوة كانت في المؤمنين، وأن المنافقين كانوا أذلاء بينهم.

فيمتنع أن يكون الصحابة الذين كانوا أعزّ المسلمين من المنافقين، بل ذلك يقتضي أن من كان أعزّ كان أعظم إيمانا، ومن المعلوم أن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار

[1] () إغاثة اللهفان (2/181).
[2] () مجموع الفتاوى (20/500).

والخلفاء الراشدين وغيرهم, كانوا أعزّ الناس)[1].

4- طاعة الله ورسوله:

(جعل الله سبحانه العزّ قرين طاعته، والذلّ قرين معصيته، فقال تعالى: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [المنافقون: ٨], وقال تعالى: ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ [آل عمران: ١٣٩], والإيمان قول وعمل، ظاهر وباطن، وقال تعالى: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﮊ [فاطر: ١٠], أي من كان يريد العزّة فليطلبها بطاعة الله وذكره من الكلم الطيب, والعمل الصالح, وفي دعاء القنوت: "إنه لا يذلّ من واليت، ولا يعزّ من عاديت"[2].

ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، وله من العزّ بحسب طاعته، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وله من الذلّ بحسب معصيته)[3].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد دلَّ القرآن على أن القوة والعزّة لأهل الطاعة التائبين إلى الله في مواضع كثيرة, كقوله في سورة هود: ﮋ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﮊ [هود: ٥٢], وقوله: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕﮊ [المنافقون: ٨], ﮋ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮊ [آل عمران: ١٣٩], وإذا كان الذي قد يهجر السيئات, يغض بصره, ويحفظ فرجه, وغير ذلك مما نهى الله عنه, يجعل الله له من النور والعلم, والقوة والعزّة, ومحبة الله ورسوله, فما ظنّك بالذي لم يحُم حول السيئات, ولم يُعِرْهَا طَرْفَه قط, ولم تحدثه نفسه بها, بل هو يجاهد في سبيل الله أهلها ليتركوا السيئات؟ فهل هذا وذاك سواء, بل هذا له من النور والإيمان والعزة والقوة والمحبة والسلطان والنجاة في الدنيا والآخرة أضعافُ أضعاف ذاك, وحاله أعظم وأعلى, ونوره أتم وأقوى؛ فإن السيئات تهواها النفوس ويزينها الشيطان, فتجتمع فيها الشبهات والشهوات, فإذا كان المؤمن قد حبب الله إليه الإيمان, وزيّنه في قلبه, وكرّه إليه الكفر والفسوق والعصيان, حتى يعوض عن شهوات الغي بحب الله ورسوله وما يتبع ذلك, وعن الشهوات والشبهات بالنور والهدى,

---

[1] () منهاج السنة النبوية (2/45-46).
[2] () تقدّم تخريجه (ص451).
[3] () الجواب الكافي (ص179).

وأعطاه الله من القوة والقدرة ما أيده به)[1].

وقال أيضا رحمه الله: (فإن الله جعل العـزّة لمن أطاعـه والذلّة لمن عصاه قال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [المنافقون: ٨], وقال تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [آل عمران: ١٣٩], ولهذا كان في كلام الشيوخ: الناس يطلبون العزّ بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله, وكان الحسـن البصـري يقـول: "وإن هملجت بهم البـراذين, وطقطقت بهم ذلـل البغال, فإن ذل المعصية في رقابهم, أبى الله إلا أن يـذل من عصـاه", ومن أطـاع اللـه فقـد والاه فيمـا أطاعـه فيـه, ومن عصاه ففيه قسط من فعـل من عـاداه بمعاصـيه, وفي دعـاء القنوت: "إنه لا يذلّ من واليت ولا يعزّ من عاديت"[2])[3].

وقال ابن كثير رحمه الله: (وقولـه: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [فـاطر: ١٠], أي: من كـان يحب أن يكـون عزيـزا في الـدنيا والآخرة، فليلزم طاعة الله، فإنّه يحصل له مقصوده؛ لأن الله مالك الدنيا والآخرة، وله العزة جميعها، كما قال تعالى: ﮋ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [النساء: ١٣٩], وقال تعالى: ﮋ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [يونس: ٦٥]، وقال: ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [المنافقون: ٨].

قال مجاهد: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﮊ [فاطر: ١٠] بعبادة الأوثان، ﮋ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [النساء: ١٣٩].

وقال قتادة: ﮋ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [فاطر: ١٠] , أي: فليتعزز بطاعة الله عز وجل)[4].

قال عبد اللـه بن عبـد الحكم[5] للشـافعي: إن عـزمت أن

---

[1] () مجموع الفتاوى (15/400-401).

[2] () تقدّم تخريجه (ص451).

[3] () مجموع الفتاوى (15/426).

[4] () تفسير القرآن العظيم (6/536).

[5] () هو عبد الله بن عبد الحكم بن أعين أبو محمد المصري الإمـام، الفقيه، مفتي الديار المصرية، المالكي، صاحب مالك, ويقـال: إنّـه من موالي عثمان رضي الله عنه, صدوق في الحديث, مـات سـنة أربع عشرة ومائتين. انظر: تـرتيب المـدارك وتقـريب المسـالك (3/363), وسير أعلام النبلاء (10/220)

تسكن البلد, يعني مصر, فليكن لك قـوت سـنة, ومجلس من السلطان تتعزّز به فقـال لـه الشـافعي: يـا أبـا محمـد من لم تعزَّه التقوى فلا عزَّ لـه, ولقـد ولـدت بغـزة, وربيت بالحجـاز, وما عندنا قوت ليلة, وما بتنا جياعا قط[1].

5- طلب العلم والعمل به:

قال تعالى: ﮋ □□□□□□□□□□ ﮊ [المجادلة: ١١].

معنى الآية أنّ الله تعـالى يرفـع الـذين آمنـوا على من لم يـؤمن درجـات, ويرفـع الـذين أوتـوا العلم على الـذين آمنـوا درجـات، فمن جمـع بين الإيمـان والعلم رفعـه اللـه بإيمانـه درجات, ثمّ رفعه بعلمه درجات[2].

فطلب العلم, والتحلي بـه سـبب لرفـع العبـد, وعـزّه في الدنيا والآخـرة, بـل إنّ العلم يرفـع صـاحبه ويعـزّه, وإن كـان فقيرا وضيعًا ذميمًا, مـا لا يرفعـه المـال الكثـير, ولا المنصـب العظيم, وهذا أمر مشاهد ومعروف قديما وحديثا.

يقول ابن القيم رحمـه اللـه: (إنّ العلم يرفـع صـاحبه في الدنيا والآخرة مالا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما, فـالعلم يزيـد الشـريف شـرفا, ويرفـع العبـد المملـوك حـتى يجلسـه مجالس الملوك, كما ثبت في الصحيح من حـديث الزهـري[3]

---

[1] () انظر: تاريخ دمشق (51/398), وسير أعلام النبلاء (10 / 98).

[2] () انظر: فتح القدير (5/179).

[3] () محمد بن مسلم بن عبيد الله أبـو بكـر القرشـي الزهـري أحـد الفقهاء والمحدثين، والأعلام التابعين بالمدينة، حافـظ زمانـه, رأى عشرة من الصـحابة رضـوان اللـه عليهم، وروى عنـه جماعـة من الأئمة: منهم مالـك بن أنس وسـفيان بن عيينـة وسـفيان الثـوري, مات سنة أربع وعشرين ومائة، وقيل ثلاث وعشرين، وقيل خمس وعشرين ومائة. انظر: تاريخ دمشق (55/294), ووفيـات الأعيـان (4/177).

عن أبي الطفيل[1] أن نـافع بن عبـد الحـارث[2] أتى عمـر بن الخطـاب بعُسـفان[3], وكـان عمـر اسـتعمله على أهـل مكـة, فقـال لـه عمـر: من اسـتخلفت على أهـل الـوادي, قـال: اسـتخلفت عليهم ابن أبـزى[4], فقـال: من ابن أبـزى, فقـال: رجل من موالينا, فقال عمر: استخلفت عليهم مـولى, فقـال: إنّه قارئ لكتـاب اللـه, عـالم بـالفرائض, فقـال عمـر: أمـا إنّ نبيكم صلى اللـه عليـه وسـلم قـد قـال: "إنّ اللـه يرفـع بهـذا الكتاب أقواما, ويضع به آخرين"[5].

قال أبو العالية[6] كنت آتي ابن عباس وهـو على سـريره

---

1 () هو عامر بن واثلة بن عبد الله البكري يكنى أبـا الطفيل مولـده عام أحد، أدرك من زمان النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين، آخـر من مـات من الصـحابة، كـان يسـكن الكوفـة، ثم تحـول إلى مكة، فمات بها سنة عشـرة ومائـة, انظـر: معرفـة الصـحابة لأبي نعيم (4/2067), والاستيعاب (2/798).

2 () هو نافع بن عبد الحارث بن حبالة الخزاعي، له صحبة, قيل: إنه أسلم يوم الفتح و أقام بمكـة و لم يهـاجر، و كـان عامـل عمـر بن الخطاب على مكة. انظر: معرفـة الصـحابة لأبي نعيم (5/2672), والطبقات الكبرى (5/460).

3 () عُسْفَانُ: قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على سـتة وثلاثين ميلا من مكة, وهي حـدّ تهامـة، ومن عسـفان إلى ملـل يقـال لـه: الساحل، وملل على ليلة من المدينة, وعسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة والجحفة على ثلاث مراحل. انظر: معجم البلدان (4/121).

4 () هو عبد الرحمن بن أبزي الخزاعي مولى نافع بن عبد الحارث، سـكن الكوفـة، واسـتعمله علي رضـي اللـه عنـه, على خراسـان، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وأكثر روايته عن عمـر، وأبي بن كعب رضي الله عنهمـا, وقـال فيـه عمـر: عبـد الـرحمن بن أبـزي ممن رفعه الله بالقرآن. انظر: أسـد الغابـة (3/419), والإصـابة (4/239).

5 () أخرجه مسلم, كتاب صلاة المسافرين وقصـرها, بـاب فضـائل القـرآن ومـا يتعلـق بـه, بـاب فضـل من يقـوم بـالقرآن، ويعلمـه، وفضـل من تعلم حكمـة من فقـه، أو غـيره فعمـل بهـا وعلمها (1/559), رقم: 817.

6 () هـو رفيـع بن مهـران أبـو العاليـة الريـاحي البصـري, الإمـام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام, أدرك زمـان النـبي صـلى

وحوله قريش, فيأخذ بيدي فيجلسني معه على السرير, فتغامز بي قريش, ففطن لهم ابن عباس فقال: كذا هذا العلم, يزيد الشريف شرفا, ويجلس المملوك على الأسرة)[1].

6- الهجرة من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام:

الهجرة من بلاد الكفر والشرك إلى بلد الإسلام من الأمور التي تعين العبد على إقامة دين الله تعالى, وذلك بتطبيق جميع شرائع الإسلام بكل حرية؛ لذلك كانت الهجرة في سبيل الله تعالى, والعيش بين أحضان المسلمين, وفي البلد الإسلامي من أسباب العزّة؛ لما في ذلك من إظهار دين الله تعالى, وإقامة شعائر الإسلام, والجهر بالحق.

ولأجل هذا شرع الله تعالى لعباده المؤمنين المقيمين بين ظهراني المشركين الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام, فقال الله تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮊ [النساء: ٩٧].

قال ابن كثير رحمه الله: (الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكنا من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما بالإجماع وبنصّ هذه الآية, حيث يقول تعالى: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [النساء: ٩٧], أي: بترك الهجرة ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [النساء: ٩٧ , أي: لم مكثتم هاهنا وتركتم الهجرة؟ ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [النساء: ٩٧], أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﮋ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [النساء: ٩٧])[2].

فالهجرة من بلاد الشرك إلى بلد الإسلام واجبة في حق العاجز عن إقامة دينه, بل إذا لم يهاجر وقع في الإثم, وكان مرتكبا لمحرم بالإجماع كما نقله ابن كثير رحمه الله, وإن

الله عليه وسلم وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، أخذ العلم والقرآن عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم, وكان ثقة, مات سنة تسعين, وقيل: سنة ثلاث وتسعين. انظر: تاريخ دمشق (18/159), وسير أعلام النبلاء (4/207).

[1] () مفتاح دار السعادة (1/164).

[2] () تفسير القرآن العظيم (2/389).

كان قادرا على إقامة دينه استحب له الهجرة وكان ذلك أفضل في حقه, وأقوم لدينه.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والمقيم بها إن كان عاجزا عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه, وإلا استحبت ولم تجب) [1].

وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام خير شاهد على ذلك؛ لأنَّهم لما كانوا في بداية الإسلام في مكة بين ظهراني المشركين, لم يتمكنوا من إقامه دينهم, وإظهار شعائر الإسلام, والجهر بالحق والدعوة إلى الله تعالى, فلما هاجروا إلى الحبشة وجدوا عند النجاشي الأمان والجوار الحسن، تمكنوا من عبادة الله وحده لا شريك له من غير أن يخافوا من أحد, (وكان مما قيل من الشعر في الحبشة، أن عبد الله بن الحارث بن قيس[2]، حين أمنوا بأرض الحبشة، وحمدوا جوار النجاشي، وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا، وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به قال:

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة[3]	من كان يرجو بلاغ الله والدين
كل امرئ من عباد الله مضطهد	ببطن مكة مقهور ومفتون
أنا وجدنا بلاد الله واسعة	تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل	في الممات وعيب غير

[1] () مجموع الفتاوى (28/240).

[2] () هو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي القرشي السهمي, صحابي جليل, كان من مهاجرة الحبشة، وكان شاعرا، قتل يوم الطائف شهيدا هو وأخوه السائب، وقيل: إنّه قتل باليمامة شهيدا هو وأخوه أبو قيس. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (3/1620), والاستيعاب (3/885).

[3] () الغلغلة: سرعة السير، يقال: تغلغلوا فمضوا, ورسالة مغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد. انظر: تهذيب اللغة (8/24), وتاج العروس (30/118).

الحياة وخزي	مأمون
إنا تبعنا رسول الله واطرحوا	قول النبي وعالوا في الموازين
فاجعل عذابك بالقوم الذين بغوا	وعائذا بك أن يعلوا فيطغوني[1]

ولما هاجر نبينا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حين دخل في الإسلام أكابر أهل المدينة من الأوس والخزرج, وبايعوا بيعة العقبة بمنًى, زاد ذلك المؤمنين قوةً ومنعة وعزّة لم تكن لهم من قبل؛ وذلك بسبب الهجرة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يهاجروا إلى المدينة النبوية, حين آمن مَن آمن من أكابر أهل المدينة من الأوس والخزرج, وبايعهم بيعة العقبة عند منى, وصار للمؤمنين دارُ عزّ ومنعة)[2].

7- الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر:

جعل الله سبحانه وتعالى خيرية هذه الأمة, وعزّها ورفعتها في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر فقال تعالى: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [آل عمران: ١١٠].

يقول السعدي رحمه الله: (هذا تفضيلٌ من الله لهذه الأمة بهذه الأسباب، التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس، نصحا، ومحبة للخير، ودعوة، وتعليما، وإرشادا، وأمرا بالمعروف، ونهيا عن المنكر، وجمعا بين تكميل الخَلْق، والسعي في منافعهم، بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان) [3].

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأمور المعينة على إقامة دين الله تعالى, الذي هو سبب عزِّ هذه الأمة؛ لأنّ

---

[1] () السيرة النبوية لابن هشام (1/330).
[2] () مجموع الفتاوى (11/39).
[3] () تيسير الكريم الرحمن (ص972).

الناس قد تضعف نفوسُهم, وتستولي عليهم الغفلـة, وتُغـويهم شياطين الإنس والجنِّ, فيقعـون في فعـل المنكـرات, وتـرك الواجبات, فشُرع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لـردّهم إلى طريق الصواب, وإعانتهم على نفوسـهم, وإرشـادهم إلى الخير.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وكما أنّ العقوبات شُرعت داعيةً إلى فعل الواجبات وترك المحرمـات, فقـد شـرع أيضـا كل ما يعين على ذلك, فينبغي تيسير طريـق الخـير والطاعـة والإعانة عليه, والترغيب فيه بكل ممكن, مثل أن يبذل لولـده وأهله أو رعيته ما يرغِّبهم في العمل الصالح: من مال أو ثنـاء أو غيره؛ ولهذا شرعت المسـابقة بالخيـل والإبـل والمفاضـلة بالسهام, وأخذ الجُعْل عليها؛ لما فيـه من الـترغيب في إعـداد القوة ورباط الخيل للجهاد في سـبيل اللـه, حـتى كـان النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم يسـابق بين الخيـل هـو وخلفـاؤه الراشدون, ويُخرجون الأسباق من بيت المال, وكـذلك عطـاء المؤلفة قلوبهم, فقد روي: أن الرجل كـان يسـلم أول النهـار رغبة في الدنيا, فلا يجيء آخـر النهـار إلا والإسـلام أحبُّ إليـه مما طلعت عليه الشمس.

وكذلك الشرّ والمعصية: ينبغي حسم مادّته, وسدّ ذريعتـه, ودفع ما يفضي إليه, إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة)[1].

8- الصّبر على إقامة دين الله:

من الأمور التي تعين على إقامة دين اللـه تعـالى الصـبر, والصـبر هـو: حبس النفس عن التسـخط بالمقـدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية, كاللطم, وشق الثياب, ونتف الشعر ونحوه[2], فبالصـبر يسـتطيع العبـد المؤمن أن يفعل الواجبات ويواظب عليها, وبالصـبر يسـتطيع ترك المحرمات والابتعاد عنها؛ لذا ذكر العلماء أن الصبر على ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله تعالى حتى يقوم بها, وصبر عن معصية الله تعالى ألا يفعلها, وصبر على أنواع البلاء الـتي

---

1 () مجموع الفتاوى (28/369-370).

2 () الوابل الصيب (ص11).

تصيب الإنسان[1], فمن تحلّى بالصبر تمكّن من إقامة دينه, ومن أقام دينه أعزّه الله تعالى, فالصبر من أسباب عزّ المؤمن؛ ولهذا قال أبو علي الدقّاق[2]: فاز الصابرون بعزّ الدارين لأنّهم نالوا من الله معيته[3].

وثبت من حديث أبي كبشة الأنماري[4] رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ثلاثة أقسم عليهن وأحدِّثكم حديثا فاحفظوه, قال: ما نقص مالُ عبدٍ من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زاده الله عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر"[5].

المسألة الثالثة: إعزاز الله لعبده المؤمن بسبب توكله على الله, واستغنائه عما في أيدي الناس.

من أسباب إعزاز الله لعبده المؤمن توكله على الله تعالى, واستغناؤه عما في أيديهم؛ لأنّ التوكل يتضمّن الثقة بالله تعالى, وأنّه وحده الذي بيده الخير كله, من رزق, ونفع وضر, ورفع وخفض, وعزّ وذلّ, وغير ذلك, وهذا يقطع في قلب العبد الطمع مما في أيدي الخلق, والاستغناءُ عما في أيديهم, ويورث العبد العزّة والمهابة والشرف وغنى النفس, ففي الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنّك ميت, وأحبب من شئت فإنّك مفارقه, واعمل ما شئت فإنّك مجزي به, واعلم

---

1. () انظر: عدة الصابرين (ص48).
2. () هو الحسين بن علي بن مهران أبو علي الدقاق النيسابوري, شيخ نيسابور, وشيخ الأستاذ أبي القاسم القشيري, مات سنة خمس وأربعمائة. انظر: تاريخ بغداد (6/741), طبقات الشافعية الكبرى (4/329).
3. () عدة الصابرين (ص47), ومدارج السالكين (2/158).
4. () هو سليم، وقيل: عمرو بن سعد، وقيل: مهران، وقيل: كيسان, أبو كبشة الأنماري المذحجي, مشهور بكنيته, وهو من الصحابة الذين نزلوا حمصا. انظر: الاستيعاب (3/1159), وأسد الغابة (6/255).
5. () أخرجه الترمذي, كتاب الزهد, باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (4/140), رقم: 2325, وقال: حديث حسن صحيح, والحديث صحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: 5287.

أنّ شرف المؤمن قيامه بالليل, وعزّه استغناؤه عن الناس"[1].

وقال أيضا: "شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزّه استغناؤه عما في أيدي الناس"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: "من يستعفف يُعِفُّه الله، ومن يستغن يُغْنِه الله، من يتصبَّر يصبِّره الله، وما أُعطي أحدٌ عطاءً خيرا وأوسع من الصبر"[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: "ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس"[4].

قال القرطبي رحمه الله مبينا أثر الاستغناء عن الناس في تحصيل العزّة: (معنى الحديث: أن الغنى النافع، أو العظيم، أو الممدوح هو غنى النفس؛ وبيانه أنه إذا استغنت نفسُه, كفَّت عن المطامع, فعزَّت وعظمت, وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذي يناله مَن يكون فقيرَ النفس لحرصه؛ فإنه يورِّطه في رذائل الأمور، وخسائس الأفعال، لدناءة هِمَّته وبخله، ويكثر من يذمه من الناس، ويصغُر قدرُه عندهم, فيكون أحقرَ من الحقير، وأذلَّ من كلّ ذليل)[5].

وقد جاءت الشريعة بالحثّ على العمل والسعي في

---

[1] () أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط, من اسمه عبد الله (4/306), رقم: 4278, وأبو نعيم في الحلية (3/253), وابن عساكر في معجم الشيوخ (1/506), والحديث حسّنه الألباني في الصحيحة برقم: 831.

[2] () أخرجه تمام في الفوائد (2/48), والدولابي في الكنى والأسماء (2/699), والحديث حسّنه الألباني في الصحيحة برقم: 1903.

[3] () أخرجه البخاري, كتاب الزكاة، باب الاستغناء من المسألة (2/122), رقم: 1469, ومسلم, كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (2/729), رقم: 1053.

[4] () أخرجه، البخاري, كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس (8/95), رقم: 6446, ومسلم, كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (2/726), رقم: 1051.

[5] () فتح الباري (11/272).

الأرض طلباً للرزق وإعفافاً للنفس, فقال تعالى: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [الجمعة: ١٠], وقال تعالى: ﮋ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [البقرة: ١٩٨], وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتّجارة قبل بعثته, فقد خرج إلى الشام بتجارة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها[1], كما رعى الغنم هو وغيره من أنبياء الله تعالى صلوات الله عليهم, فقد كان صلى الله عليه وسلم يرعاها على قراريط[2] لأهل مكة, كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم"، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: "نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة"[3].

وعلى نهجه صلى الله عليه وسلم سار صحابتُه الكرام رضي الله عنهم, فقد كانوا يأكلون من كسب أيديهم, مما يحصلون عليه من اشتغالهم في مزارعهم, وما يتَّجرون به.

قيل لأحمد بن حنبل: ما تقول في رجل جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئا حتى يأتيني رزقي ؟, فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم: "إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي"[4]، وقال حين ذكر الطير: "تغدو خماصاً وتروح بطاناً "[5], وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يَتّجرون في البر والبحر، ويعملون في نخلهم، والقدوة بهم[6].

وسدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يؤدي

---

1 () انظر: المصدر نفسه (7/134).

2 () القراريط جمع قيراط, وهو الجزء من الدينار، انظر: فتح الباري (4/441).

3 () أخرجه البخاري, كتاب الإجارة, باب رعي الغنم على قراريط (3/88), رقم: 2262.

4 () تقدّم تخريجه.

5 () أخرجه أحمد في المسند (1/332), رقم: 205, والترمذي في الجامع, أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب في التوكل على الله (4/151), رقم: 2344, والنسائي في الكبرى, كتاب الرقائق (10/389), رقم: 11805, وابن ماجه, كتاب الزهد, باب التوكل واليقين (2/1394), رقم: 4164, والحديث صحّحه الألباني في الصحيحة برقم: 310.

6 () انظر: مختصر منهاج القاصدين (ص105).

بالمسلم إلى الذلّ والهوان, فنهى صلى الله عليه وسلم المؤمن أن يذلّ نفسه كما في الحديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه, قالوا: وكيف يذلّ نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لِمَا لا يطيق"[1].

ونهى عن المسألة إلا للضّرورة, صِيانةً لعزّة المسلم, لما فيها من تعرُّض المسلم لمواقف الذلّ؛ وذلك لأنّه إذا أعطي أصابه ذلّ السؤال, وإن لم يعطَ أصابه ذلّ الردِّ, فقال صلى الله عليه وسلم: "إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحَمَّلَ حمالة, فحلَّت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك, ورجل أصابته جائحة اجتاحت مالَه, فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش, أو قال: سداداً من عيش, ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة, فحلّت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش, أو قال: سداداً من عيش, فما سواهنّ من المسألة يا قبيصة سُحْتٌ, يأكلها صاحبها سحتاً"[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأت رجلاً, فيسأله أعطاه أو منعه"[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (فيه الحض على التعفف عن المسألة, والتنزّه عنها ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك, ولولا قُبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها, وذلك لما يدخل على السائل من ذلّ السؤال, ومن ذلّ الرد إذا لم يُعْطَ, ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كلَّ

---

[1] () أخرجه الترمذي, أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, باب 67 (4/93), رقم: 2254, وابن ماجه, كتاب الفتن, باب قوله تعالى: ﭙﭚﭛﭜﭝﭞ [المائدة: ١٠٥] (2/1332), رقم: 4016, والحديث حسّنه الألباني في الصحيحة برقم: 613.

[2] () أخرجه مسلم, كتاب الزكاة, باب من تحل له المسألة (2/722), رقم: 1044.

[3] () أخرجه البخاري, كتاب الزكاة, باب الاستعفاف عن المسألة (2/123), رقم: 1470.

سائل)[1].

فالحـديث يحض المـؤمن على اكتسـاب الـرزق ولـو من المهن الصـغيرة، ويبغِّضـه في السـؤال، ويحفـظ عليـه العـزّة والكرامة، ويمنعنه الذلّة والمهانة[2].

ومن أحسن صور الاستغناء عما في أيدي الناس مع شدّة الحاجة والفقر, ما رواه أنس رضي الله عنه قال: لمـا قـدموا المدينـة آخى رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بين عبـد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، قـال لعبـد الـرحمن: إني أكثر الأنصار مالا، فأقسم مالِي نصـفين، ولي امرأتـان فـانظر أعجبَهُما إليك فسمِّها لي أطلِّقها، فإذا انقضت عدَّتُها فتزوَّجها، قال: بارك الله لـك في أهلـك ومالـك، أين سـوقكم؟, فـدلُّوه على سوق بني قَيْنُقاع، فمـا انقلب إلا ومعـه فضـلٌ من أقـط وسمن"[3].

قال الحافظ ابن حجر رحمه اللـه: (فيـه منقبـة لسـعد بن الربيع في إيثاره على نفسه بما ذكر, ولعبد الرحمن بن عوف في تنزُّهه عن شيء يسـتلزم الحيـاءُ والمـروءةُ اجتنابَـه, ولـو كان محتاجا إليه,...وفيه استحباب التكسـب وأن لا نقص على مَن يتعاطى من ذلك ما يليق بمروءةِ مثلِه, وكراهة قبـول مـا يُتوقع منه الذلّ من هبة وغيرها, وأن العيش من عمـل المـرء بتجـارة أو حرفـة أولى؛ لنزاهـة الأخلاق من العيش بالهبـة ونحوها)[4].

وبهذا يتبين أن العبد المؤمن مـتى توكـل على اللـه حـقَّ توكُّلـه, واسـتغنى عمّـا في أيـدي النـاس, وعن سـؤالهم, مـع السـعي في كسـب الـرزق الحلال, وتحلّى بالقناعـة والرضـى بما قسمه الله تعالى له, كان ذلك كله سببا في عزِّه ورفعتـه وشرفه.

---

1 () فتح الباري (3/336).

2 () انظر: الأدب النبوي (ص33-34).

3 () أخرجه البخاري ، كتـاب منـاقب الأنصـار, بـاب إخـاء النـبي بين المهاجرين والأنصار (5/31), رقم: 3780.

4 () فتح الباري (9/235).

المسألة الرابعة: إعزاز الله لعباده المؤمنين بسبب اجتماعهم وتعاونهم وعدم تفرقهم.

خلق الله تعالى البشر, وجعل في طباعهم الأنس بعضهم إلى بعض, وحبُّ التعارف فيما بينهم, وتبادل المصالح والمنافع, وأمر سبحانه عباده المؤمنين بصلة الأرحام, و القيام بواجب الأخوَّة الإيمانية, والتعاون على البرّ والتقوى, ومناصرة بعضهم لبعض, لما في ذلك من المصالح العظيمة, والمقاصد النبيلة.

قال تعالى: ﭽ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ﭼ [الحجرات: ١٣].

يقول السعدي رحمه الله: (يخبر تعالى أنه خلق بني آدم، من أصل واحد، وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله تعالى بثّ منهما رجالا كثيرا ونساء، وفرقهم، وجعلهم شعوبا وقبائل, أي: قبائل صغارا وكبارا؛ وذلك لأجل أن يتعارفوا؛ فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه، لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون، والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوبا وقبائل؛ لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف، ولحوق الأنساب، ولكن الكرم بالتقوى، فأكرمهم عند الله أتقاهم، وهو أكثرهم طاعة, وانكفافا عن المعاصي، لا أكثرهم قرابة وقوما، ولا أشرفهم نسبا، ولكن الله تعالى عليم خبير، يعلم من يقوم منهم بتقوى الله ظاهرا وباطنا، ممن يقوم بذلك ظاهرا لا باطنا، فيجازي كلا بما يستحق, وفي هذه الآية دليل على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة؛ لأنّ الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك)[1].

وإنّ من أسباب إعزاز الله تعالى لعباده المؤمنين اجتماعهم, وعدم تفرقهم والتنازع فيما بينهم, فالاجتماع بين المسلمين على الحقّ, والتعاون فيما بينهم على البرّ والتقوى, ومناصرة بعضهم لبعض ضدّ عدوّهم وضدّ الباطل, من أسباب رفعتهم وقوتهم وعزّتهم بين الأمم؛ وتفرُّقُهم

[1] () تيسير الكريم الرحمن (ص802).

والتنــازع فيمــا بينهم من أســباب ضــعفهم وفشــلهم ووهنهم وذلهم؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليـه وسـلم: "إن المـؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا", وشبك أصابعه[1].

فاللَّبِنة من الحجارة أو الطوب لها من القوة والمتانـة مـع غيرها من اللبنات, وهي في الجدار, ما ليس لها, وهي خارجة عن الجدار؛ وذلك لأنَّها تتقوى مـع أخواتهـا إذا تماسـك بعضـها ببعض, فيصعب تحريكها وزعزعتها, أمـا إذا كـانت خارجـة عن الجـدار, ومفارقـة لأخواتهـا, فحينئـذ تـذهب عنهـا تلـك القـوة والمتانـة, ويسـهل تحريكهـا وزعزعتهـا, وكـذلك المـؤمن مـع المــؤمن, فــالمؤمن قــوي بأخيــه إذا اجتمعــوا, وإذا افــترقوا ضعفوا[2].

قال القرطبي رحمـه اللـه: (هـذا تمثيـل يفيـد الحض على معاونة المؤمن للمؤمن ونصـرته، وأن ذلـك أمـر متأكـد لا بـد منه؛ فإنّ البناء لا يتم ولا تحصـل فائدتـه إلا بـأن يكـون بعضـه يمسك بعضاً ويقوِّيه, وإن لم يكن ذلك, انحلَّت أجزاؤه وخـرب بناؤه، وكذا المـؤمن لا يشـتغل بـأمر دنيـاه ودينـه إلا بمعاونـة أخيه ومعاضدته ومناصرته، فإن لم يكن ذلك عجز عن القيــام بكل مصالحه وعن مقاومة مضادّه, فحينئذ لا يتم له نظام دنيا ولا دين, ويلحق بالهالكين) [3].

ولهذا أمر الشرع الحنيف بالاجتماع ولـزوم جماعـة الحـق من المسلمين, فإن الاجتماع والائتلاف من أعظم الأمور التي أوجبها الله ورسوله[4], ومـا يتبـع ذلـك من التعـاون والتناصـر, ونهى عن الفرقة والتنازع, فقال تعالى: ﮋ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﮊ [آل عمران: ١٠٣] , وقال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [المائدة: ٢], وقال تعالى: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [الأنفال: ٧٢], وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﮊ [الأنفال: ٤٦].

---

1 () أخرجـه البخـاري, كتـاب الأدب، بـاب تعـاون المؤمـنين بعضـهم بعضا (8/12), رقم: 6026، ومسلم, كتاب الـبر والصـلة والآداب، بـاب تـراحم المؤمـنين وتعـاطفهم وتعاضـدهم (4/1999), رقم: 2585.

2 () انظر: الأدب النبوي (ص59-61), بتصرف.

3 () المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6/565).

4 () مجموع الفتاوى (22/358).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا يتفرق, هو من أعظم أصول الإسلام, ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه, ومما عظم ذمّه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم, ومما عظمت به وصية النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن عامة وخاصة مثل قوله: "عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة"[1]....

وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة, بل وفي غيرها: هو التفرق والاختلاف, فإنّه وقع بين أمرائها, وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك, ما الله به عليم)[2].

ولا يُتصوّر للمسلمين اجتماع, إلا إذا اجتمعوا على الحقِّ, والحقُّ هو ما دل عليه الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة؛ لأنّ هذه المصادر مصادر معصومة عن الخطأ والزلل, وهي الميزان الذي يرجع إليه عند التنازع والاختلاف, فهذا هو الاجتماع الذي يوجب العزّة والرفعة والقوة للمسلمين, لا الاجتماع على فلان وعلان, أو على عرق, أو لغة, أو دستور؛ أو فكر, أو حزب, أو نحو ذلك؛ فإنّ كل هذه الأمور سبب للتفرق والفشل والوهن والضعف.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فلا بدّ أن نؤمن بالكتاب ونتّبع ما أنزل إلينا من ربّنا جميعه, ولا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض, وتلين قلوبنا لاتباع بعض السنة, وتنفر عن قبول بعضها بحسب العادات والأهواء؛ فإنّ هذا خروج عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين)[3].

وقال أيضا: (فدين المسلمين مبني على اتّباع كتاب الله وسنة نبيه, وما اتفقت عليه الأمة, فهذه الثلاثة هي أصول

---

[1] () أخرج نحوه النسائي في الكبرى, كتاب المحاربة, قتل من فارق الجماعة (3/428), رقم: 3469, والطبراني في المعجم الكبير (4/71), رقم: 3709, والبيهقي بنفس اللفظ في شعب الإيمان (13/426), رقم: 10574, والحديث صحّحه الألباني في صحيح الجامع برقم: (3621)

[2] () مجموع الفتاوى (22/359-360).

[3] () المصدر نفسه (20/290).

معصومة, وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول, وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبي صلى الله عليه وسلم, ولا ينصب لهم كلاما يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله, وما اجتمعت عليه الأمة, بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة, يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون, والخوارج إنما تأوّلوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه, وجعلوا من خالف ذلك كافرا؛ لاعتقادهم أنه خالف القرآن, فمن ابتدع أقوالا ليس لها أصل في القرآن, وجعل من خالفها كافرا, كان قوله شرا من قول الخوارج)[1].

وعلى المسلمين أيضا أن يجتمعوا على وليّ أمرهم, وأن يجمعوا كلمة المسلمين عليه, ويطيعوه في غير معصية الله تعالى؛ لما في ذلك من المصالح, وأن يتركوا الخروج عليه, وإن كان فيه شيء من الظلم والجور والاستئثار بالخيرات دون عامة المسلمين؛ وذلك لأنّ الخروج عليه محرم شرعا, وليس فيه فائدة ترجى, فكلّ من خرج على وليه لم يجُرَّ للأمة إلا الشر, ومن تأمل أحوال الخارجين على ولاة أمورهم قديما وحديثا يجد أنّ المفاسد التي في ذلك الخروج من التشتت والشقاق والفرقة, وقطع السبُل, وذهاب الأمن, واستباحة الأعراض, وتيتيم الأطفال, وترميل النساء, وغير ذلك من المفاسد أعظم من فائدة الخروج إن كانت هناك فائدة؟!.

لذلك كلّه أمر الشرع الحنيف بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليك السّمع والطاعة في عسرك ويسرك, ومنشطك ومكرهك, وأثرةٍ عليك"[2].

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يستعمل عليكم أمراء, فتعرفون وتنكرون,

---

1 () المصدر السابق (20/164).

2 () أخرجه مسلم, كتاب الإمارة, باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (3/1467), رقم: 1836.

فمن كره فقد برئ, ومن أنكر فقد سلم, ولكن من رضي وتابع, قالوا: أفلا نقاتلهم ؟ قال: لا ما صلوا"[1].

قال النّووي رحمه الله: (لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرّد الظلم والفسق, مالم يغيروا شيئا من قواعد الإسلام)[2].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (وهذا يبيّن أنّ الأئمة هم الأمراء ولاة الأمور, وأنّه يكره وينكر ما يأتونه من معصية الله, ولا تنزع اليد من طاعتهم, بل يطاعون في طاعة الله, وأنّ منهم خيارا وشرارا, من يُحَبُ ويُدعَى له, ويُحِبُّ النَّاس ويدعو لهم, ومن يُبغِض ويدعو على الناس, ويبغضونه ويدعون عليه)[3].

وقال المباركفوري رحمه الله: (إنّما منع عن مقاتلتهم ما داموا يقيمون الصّلاة التي هي عنوان الإسلام, حذرا من هيج الفتن, واختلاف الكلمة وغير ذلك, مما يكون أشدّ نكاية من احتمال نكرهم, والمصابرة على ما ينكرون منهم) [4].

ويجب على ولاّة أمور المسلمين الاستقامة على شرع الله تعالى, والسّعي في إصلاح أنفسهم؛ لما في ذلك من صلاح الرعيّة واستقامتها؛ لأنّه إذا صلح ولي الأمر سعى في صلاح رعيته, بإلزامهم بطاعة الله ورسوله, وتحكيم شرع الله تعالى, والعكس بالعكس.

قال اللّيث بن سعد رحمه الله: (لما قدمت على هارون الرشيد، قال لي: يا ليث, ما صلاح بلدكم؟ قلت: "يا أمير المؤمنين, صلاح بلدنا بإجراء النيل, وإصلاح أميرها, ومن رأس العين يأتي الكدر, فإذا صفا رأس العين صفت السواقي", فقال: صدقت يا أبا الحارث)[5].

---

1 () أخرجه مسلم, كتاب الإمارة, باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك (3/1480), رقم: 1854.

2 () شرح مسلم للنووي (12/243-244).

3 () منهاج السنة النبوية (1/117).

4 () تحفة الأحوذي (6/544).

5 () حلية الأولياء (7/322).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ومعلوم أنّه إذا استقام ولاة الأمور, الذين يحكمون في النّفوس والأموال, استقام عامة الناس كما قال أبو بكر الصديق فيما رواه البخاري في صحيحه للمرأة الأحمسيّة لما سألته فقالت: "ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح"؟, قال: "ما استقامت لكم أئمتكم"[1], وفي الأثر: "صنفان إذا صلحوا صلح الناس: العلماء والأمراء"[2], أهل الكتاب, وأهل الحديد كما دلّ عليه قوله: ﮋ ﭑ ﭒ ﮊ [الحديد: ٢٥] الآية, وهم أولو الأمر في قوله: ﮋ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﮊ [النساء: ٥٩].

وكذلك من جهتهم يقع الفساد كما جاء في الحديث مرفوعا وعن جماعة من الصحابة "إن أخوف ما أخاف عليكم زلّة عالم, وجدال منافق بالقرآن, وأئمة مضلّون"[3], فالأئمة المضلّون هم الأمراء، والعالم والمجادل هم العلماء) [4].

فمتى اجتمع المسلمون على الحقِّ, وهو الكتاب والسنّة وما أجمعت عليه الأمَّة, وردّوا ما تنازعوا فيه إلى هذه المصادر المعصومة من الخطأ والزَّلل, واجتمعوا على وليّ أمرهم بالسَّمع والطاعة في غير معصية الله تعالى, مع صلاح

---

1 () أخرجه البخاري, كتاب مناقب الأنصار, باب أيام الجاهلية (5/41), رقم: 3834.
قال الحافظ رحمه الله: (قوله: "ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح", أي: دين الإسلام وما اشتمل عليه من العدل, واجتماع الكلمة, ونصرة المظلوم, ووضع كل شيء في محله). فتح الباري (7/151).

2 () أخرجه أبو نعيم في الحلية (4/96), والحديث حكم عليه الألباني بالوضع في ضعيف الجامع الصغير وزيادته برقم: 3495.

3 () لم أجده بهذا اللفظ مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنما يروى بهذا اللفظ عن عمر بن الخطاب أخرجه الدارمي في سننه (1/506), وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير(20/138), والأوسط (6/342), والصغير (2/186) عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن أخوف ما أخاف على أمتي ثلاث: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، ودنيا تفتح عليكم", والحديث ضعّفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم: 220.

4 () مجموع الفتاوى (10/354).

ولي أمرهم واستقامته على شرع الله[1], وتحكيمه كتاب الله تعالى وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم, والأخذ على رعيَّته بالعمل بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف, كان ذلك كله سببا في عزَّتهم وقوَّتهم ورفعتهم بين الأمم.

المسألة الخامسة: إعزاز الله لعباده المؤمنين بسبب إقامة شعيرة الجهاد في سبيل الله.

الجهاد لغة:

الجهاد في اللّغة إما من الجَهْد: التّعب والمشقّة، أو من الجُهْد: وهو الطّاقة؛ لأنّ المجاهد يبذل طاقته ووسعه[2].

والجهاد: محاربة الكفّار، وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطّاقة من قول أو فعل, يقال: جهد الرّجل في الشّيء: أي جدّ فيه وبالغ، وجاهد في الحرب مجاهدة وجهادا[3].

الجهاد شرعا:

هو قتال الكفار لنُصرة الإسلام وإعلاء كلمته[4].

وعرّفه الحافظ ابن حجر رحمه الله بتعريف واسع فقال: (بذل الجهد في قتال الكفّار, ويطلق أيضا على مجاهدة النّفس والشّيطان والفسّاق, فأمّا مجاهدة النّفس: فعلى تعلّم أمور الدّين, ثمّ على العمل بها, ثمّ على تعليمها, وأمّا مجاهدة الشّيطان: فعلى دفع ما يأتي به من الشّبهات, وما يزيّنه من الشّهوات, وأمّا مجاهدة الكفّار: فتقع باليد والمال واللّسان والقلب, وأمّا مجاهدة الفسّاق: فباليد ثمّ اللّسان ثمّ القلب)[5].

وقد حثّ الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيل الله في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ

[1] () انظر: العزّة حقيقتها وآثارها, للدكتور عبد بن محمد العمرو (ص19).
[2] () انظر: تهذيب اللغة (7/204), ومقاييس اللغة (1/487).
[3] () النهاية في غريب الحديث (1/319).
[4] () انظر: إرشاد الساري (5/31).
[5] () فتح الباري (6/3).

ﮱ ﯓ ﯔ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ
ﭼ [المائدة: ٥٤].

وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛﭼ [التوبة: ٧٣].

وقوله: ﭽ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﭼ [العنكبوت: ٦].

وقوله: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ [التوبة: ٨٨].

وقوله: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﭼ [النحل: ١١٠].

وقوله: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ
ﭼ [الحج: ٣٩ - ٤٠].

ففي هذه الآيات المباركات بيان أنّ القتال وسيلة لرفع الذّلّ والظّلم عن المستضعفين من أهل الإيمان، فالله قد أذن لهم بهذا السّبب، وفتح لهم باب الأمل بالنّصر بقوله: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [الحج: ٣٩]، بعدما ابتلاهم ومحّصهم، واقتضت حكمته أن ينقلهم إلى مرحلة المجابهة العسكريّة، وهي خطوة تقودهم إلى وضع العزّة والتّمكين، بعد الخطوة الأولى وهي إقامة الدّين.

فالمسلمون في مكّة كانوا مستضعفين يعذّبون ويُستهزأ بهم، ويضطرون إلى الهجرة عن بلادهم، ولما أراد الله لهم عزّا وتمكينا في الأرض، ورفعا للظّلم عنهم، هيّأ لهم أسباب الجهاد بوجود الجماعة، والمكان الذي ينحازون إليه ويحتمون به، والعدّة، وأذن لهم بالقتال، ووعدهم بالنّصر إذا استقاموا على نصر دينه، وقد فعلوا ما أمرهم به، وأنجز لهم ما وعدهم، فدلّ ذلك على أنّ الله أعزّهم ومكّنهم ورفع الظّلم عنهم بالجهاد، فهو السّبب الشّرعي لعزّة الأمّة وتمكينها في الأرض، بعد نصر الله بالتزام دينه[1].

وقال تعالى: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﭼ [الأنفال: ٤٥].

يقول السّعدي رحمه الله: (يقول تعالى: ﭽ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ، أي: طائفة من الكفّار تقاتلكم، ﭽ ﯶ ﭼ لقتالها، واستعملوا الصّبر وحبس النّفس على هذه الطّاعة الكبيرة، التي عاقبتها العزّ

1 () انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة (2/665).

والنّصر, واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكـر الله: ﮋ ﮊ ﮋ, أي: تدركون ما تطلبـون من الانتصـار على أعـدائكم، فالصّـبر والثّبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنّصر)[1].

ومقصود الجهاد في سبيل الله تعالى: هو إقامة دين اللــه تعالى في كلّ أنحاء العالم, وأن يعبد الله وحـده لا شـريك لـه في مكـان, وأن تكـون كلمـة اللـه هي العليـا, وكلمـة الـذين كفروا هي السفلى.

قـال شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (وإن كـان أصـل القتـال المشروع هو الجهاد, ومقصوده أن يكون الدّين كلّـه للـه، وأن تكون كلمة الله هي العليا, فمن منع من هذا قوتل باتّفاق)[2].

وإذا تــرك المســلمون الجهــاد الــذي هــو ســبب عــزّهم وظهورهم ورفعتهم على الأمم, مع الإخلاد إلى الدّنيا, وجعلهـا أكبر همّهم, رجع ذلك عليهم بالذلّ، وظهر عليهم عدوّهم.

وقد بيّن هذا المعنى نبيّنا الكريم صـلّى اللـه عليـه وسـلّم بقوله: "إذا تبـايعتم بالعينة[3], وأخـذتم أذنـاب البقـر، ورضـيتم بالزّرع، وتـركتم الجهـاد، سـلّط اللـه عليكم ذلا لا ينزعـه حتّى ترجعوا إلى دينكم"[4].

قال الشّيخ الألبانيّ رحمه الله: (إنّ تسليط الذّلّ ليس هو لمجـرّد الـزّرع والحـرث، بـل لمـا يقـترن بـه من الإخلاد إليـه, والانشـغال بـه عن الجهـاد في سـبيل اللـه، فهـذا هـو المـراد بالحديث، وأمّا الزّرع الذي لم يقترن به شـيء من ذلـك، فهـو المراد بالأحاديث المرغبـة في الحـرث، فلا تعـارض بينهـا، ولا

---

1 () تيسير الكريم الرحمن (ص322).

2 () مجموع الفتاوى (28/354).

3 () بيع العينـة: هـو أن يسـتقرض رجـلٌ من تـاجر شـيئًا فلا يقرضـه قرضًا حسنًا, بل يعطيـه عينًـا، ويبيعهـا من المسـتقرض بـأكثر من القيمـة؛ سـمّي بهـا لأنّهـا إعـراض عن الـدين إلى العين. انظـر: التعريفات للجرجاني (ص48), و(ص160).

4 () أخرجـه أبـو داود في سـننه, كتـاب الـبيوع, بـاب في النهي عن العينــة (3/274)، رقم: 3462, والحــديث صــحّحه الألبــاني في الصحيحة (1/42), برقم: 11.

إشكال)[5].

فمن فوائد هذا الحديث أنّ الإخلاد إلى الدّنيا وترك الجهاد والإعداد له, موجب لعقوبة الله لجماعة المسلمين، بتسليط الذّلّ عليهم، وذهاب ريحهم، وزوال الهيبة من قلوب أعدائهم.

يقول الشّيخ ابن باز رحمه الله: (وقد جرت سنّة الله في عباده أنّهم إذا استقاموا على دينه, وتباعدوا عن أسباب غضبه، وجاهدوا في سبيله، أنّه ينصرهم على عدوّهم، ويجمع كلمتهم, ويجعل لهم العاقبة الحميدة، كما قال سبحانه: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [محمد: ٧]، وقال سبحانه: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮊ [الروم: ٤٧]، وقال عزّ وجلّ: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮊ [الحج: ٤٠ – ٤١] ، وقال سبحانه: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﮊ [هود: ٤٩], أمّا إذا ضيّعوا أمره، وتابعوا الأهواء, واختلفوا بينهم، فإنّ الله سبحانه يغيّر ما بهم، من عزّ واجتماع كلمة، ويسلّط عليهم الأعداء، ويصيبهم بأنواع العقوبات من القتل والخوف ونقص الأموال والأنفس والثّمرات، وغير ذلك جزاء وفاقا, وما ربّك بظلاّم للعبيد، وهذا هو معنى قوله عزّ وجلّ: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الرعد: ١١], والمعنى: أنّه سبحانه لا يغيّر ما بالعباد من عزّ, ورغد عيش، واتّحاد كلمة, وغير ذلك من صنوف النّعم، إلاّ إذا غيّروا ما بأنفسهم، من طاعة الله والاستقامة على دينه والأخذ بالأسباب النّافعة, وإعداد المستطاع من القوّة، والقيام بالجهاد، فإذا فعلوا ذلك غيّر الله ما بهم، فصاروا بعد العزّة أذلّة، وبعد الاجتماع والاتّحاد متفرّقين ومختلفين، وبعد رغد العيش وأمن السّبل إلى فقر وحاجة واختلال أمن، إلى غير ذلك من أنواع العقوبات، وهذا هو معنى قوله عزّ وجلّ في الآية الأخرى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الأنفال: ٥٣], فإذا تابوا إلى الله سبحانه، وبادروا إلى الأعمال الصّالحات, والأخذ بالأسباب الشّرعية والحسّيّة, وأعدّوا لعدوّهم ما استطاعوا من القوّة, وجاهدوا في الله حقّ جهاده، أعطاهم الله العزّة بعد الذّلّة، والقوّة بعد الضّعف، والاتّحاد بعد الاختلاف، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، إلى غير ذلك من أنواع النّعم، وكما أنّ النّصوص من

[5] () السلسلة الصحيحة (1/44).

الكتاب والسّنّة، قد دلّت على ما ذكرنا، فالواقع التّاريخي شاهد بذلك، ومن تأمّل أحوال هذه الأمّة، في ماضيها وحاضرها، وما جرى عليها من أنواع التّغير والاختلاف, عرف ما ذكرنا واتّضح له معني الآيتين، وأوضح شاهد على ذلك ما جرى لصدر هذه الملّة من العزّ والتّمكين, والنّصر على الأعداء؛ بسبب قيامهم بأمر الله, وتعاونهم على البرّ والتّقوى, وصدقهم في الأخذ بالأسباب النّافعة وجهاد الأعداء، فلمّا غيّروا غير عليهم، وفي واقعة بدر وأُحد شاهد لما ذكرنا، فإنّ المسلمين لمّا صدقوا مع نبيّهم صلّى الله عليه وسلّم في جهاد العدوّ يوم بدر, نصرهم الله مع قلّتهم وكثرة عدوّهم، وصارت الدّائرة على الكافرين، ولما أخل الرّماة يوم أحد بموقفهم وفشلوا وتنازعوا وعصوا نبيّهم صلّى الله عليه وسلم في أمره لهم بلزوم موقفهم, جرى ما جرى من الهزيمة، وقتل سبعون من المسلمين، وجرح عدد كثير منهم، ولمّا استنكر المسلمون ذلك واستغربوه أنزل الله في ذلك قوله سبحانه: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﮊ [آل عمران: ١٦٥], فإذا كان خير الأمّة وأفضلهم وفيهم سيّد الخلق نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم إذا غيّروا غير عليهم, فكيف بغيرهم من النّاس!) [1].

وقد سئلت اللّجنة الدّائمة عن أسباب العزّة للمؤمنين وكان نصّ السّؤال والجواب كالآتي:

س1: كيف تكون العزّة للمؤمنين وهم الآن ضعفاء في العالم الذي فسد جوانبه وأوسطه، والنّصارى واليهود هم الذين يسيطرون في العالم كيف يشاؤون، كيف تكون العزّة للمؤمنين؟

ج 1: (لا تحصل العزّة للمؤمنين والنّصر على الأعداء والتّمكين في الأرض إلاّ بطاعة الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلم، والعمل بالإسلام والإيمان ظاهرا وباطنا، وقد جاء في القرآن والسّنّة وعن السّلف الصّالح من الآثار ما فيه عظة وادّكار، قال الله تعالى: ﮋ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﮊ [النساء: ١٣٨ – ١٣٩], وقال سبحانه: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ

() حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض (ص26).

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ [الحج: ٤٠ – ٤١], وقال جلّ وعلا: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ [النور: ٥٥], وقال جلّ جلاله: ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ [محمد: ٧], إلى غيرها من الآيات الكريمات التي بيّنت ووضّحت: أنّ تمكين المؤمنين وعزّهم في هذه الحياة مشروط بقيامهم بما أوجب الله عليهم، من توحيده وتعظيمه وإجلاله، والعمل بكتابه واتّباع سنة نبيه محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وإقامة الصّلاة، وإيتاء الزّكاة، ومحبة أولياء الله المؤمنين، وبغض أعدائه من المنافقين والكافرين، ومجاهدتهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السّفلى، وغير ذلك من لوازم الإيمان.

وثبت عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم من حديث ابن عمر أنّه قال: "بعثت بالسّيف بين يدي السّاعة حتّى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذّلّة والصّغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم"[1] أخرجه الإمام أحمد وأبو داود، فبيّن النّبي صلّى الله عليه وسلّم في هذا الحديث أنّ كلّ من خالف أمره، فله نصيب من الذّلّة والصّغار, بحسب مخالفته ومعصيته، قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: ومن أعظم ما حصل به الذّلّ من مخالفة أمر الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ترك ما كان عليه من جهاد أعداء الله، فمن سلك سبيل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في الجهاد عزّ، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذلّ، وقد سبق حديث: "إذا تبايعتم بالعينة، واتّبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد في سبيل الله سلّط الله عليكم ذلاّ لا ينزعه من رقابكم حتّى تراجعوا دينكم".

فمن ترك ما كان عليه النّبي صلّى الله عليه وسلّم من الجهاد مع قدرته, واشتغل عنه بتحصيل الدّنيا من وجوهها المباحة, حصل له الذّلّ، فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدّنيا من وجوهها المحرّمة[2]؟ انتهى كلامه رحمه الله.

---

1 () تقدم تخريجه ص (476).

2 () انظر: الحكم الجديرة بالإذاعة (ص41).

ولقد عرف السّلف الصّالح من الصّحابة، ومن بعدهم هذه الحقيقة، وهي: أنّ العزّة في التّمسّك بالإسلام، واتّبـاع النّـبي صلّى اللـه عليـه وسـلّم والاجتهـاد في طاعـة اللـه ورسـوله, والحذر من معصية الله ورسوله، فصدرت منهم كلمات منهـا: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب رضي اللـه عنـه، أنّه قال: "نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فمهمـا ابتغينـا العـزّة من دونه أذلنا الله"، وثبت عن أبي الـدّرداء رضـي اللـه عنـه، أنّـه لـمّا فتح المسـلمون قـبرص وبكى أهلهـا, وأظهـروا من الحزن والذّل ما أظهروا، جلس أبو الدّرداء[1] رضي اللـه عنـه يبكي، فقال له جبير بن نفير: يا أبا الدّرداء ما يبكيـك في يـوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال رضي اللـه عنـه: ويحـك يـا جبير، ما أهون الخلق على اللـه عـزّ وجـلّ إذا أضـاعوا أمـره، بينمـا هي أمّـة قـاهرة ظـاهرة لهم الملـك, تركـوا أمـر اللـه فصاروا إلى ما ترى[2].

والحاصـل: أنّ على كـلّ مسـلم مسـئوليّة تحقيـق العـزّة للمؤمنين بحسـب قدرتـه، واسـتطاعته فيكـون بنفسـه قائمـا بـأمر اللـه تعـالى، عـاملا بالإسـلام والإيمـان، ظـاهرا وباطنـا، ناصحا لإخوانه المسلمين، آمرا بالمعروف، ناهيـا عن المنكـر، حتّى تصلح أحوال المسلمين، أو يلقى اللـه على تلـك الحـال، وقد اتّقاه حسب وسعه والله المستعان)[3].

والمقصود بالجهاد في سبيل اللـه الجهـاد بقسـميه: جهـاد الطّلب, وجهاد الدّفع, فبهما يكون عـزّ الأمّـة ورفعتهـا, وليس المقصود فقط جهـاد الـدّفع, كمـا يظنّـه بعض المنتسـبين إلى الإسلام من المفكرين وغيرهم.

---

1 () هـو عـويمر بن قيس بن زيـد, وقيـل: ابن ثعلبـة بن عـامر الخزرجي، أبو الدرداء الأنصاري، مشهور بكنيته, كان أحد الحكمـاء العلماء والفضلاء, شهد أحدا وما بعدها من المشاهد, وقد قيل: إنه لم يشـهد أحـدا, مـات سـنة اثنـتين وثلاثين, وقيـل: سـنة إحـدى وثلاثين. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (4/2102), الاستيعاب (3/1227).

2 () تقدم تخريجه (436).

3 () فتـاوى اللّجنـة الدّائمـة للبحـوث العلميـة والإفتـاء, فتـوى رقم: 21009.

يقول الشيخ عبد المحسن العباد البدر حفظه الله: وفي صحيح البخاري عن جبير بن حيّة[1] قال: "بعث عمر النّاس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين... فنَدَبَنا عمر –أي لقتال الفرس-، واستعمل علينا النّعمان بن مقرّن[2]، حتّى إذا كنّا بأرض العدوّ, وخرج علينا عاملُ كسرى في أربعين ألفا، فقام ترجمان فقال: لِيُكلّمنِي رجل منكم، فقال المغيرة: سل عمّا شئت، قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب، كنّا في شقاء شديد وبلاء شديد، نمصّ الجلد والنّوى من الجوع، ونلبس الوبر والشّعر، ونعبد الشّجر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث ربّ السّموات وربّ الأرضين تعالى ذكره وجلّت عظمته إلينا نبيّا من أنفسنا، نعرف أبّاه وأمّه، فأمرنا نبيّنا رسول ربّنا أن نقاتلكم حتّى تعبدوا الله وحده أو تؤتوا الجزية، وأخبرنا عن رسالة ربّنا, أنّه من قتل منّا صار إلى الجنّة في نعيم لم ير مثلها قطّ، ومن بقي منّا ملك رقابكم"[3], أقول: الله اكبر! ما أحسن هذا الكلام، وما أعظمَه، وما أجزله! وهو صادر عن قوّة إيمان، وبهذه القوّة انتصر الصّحابة رضي الله عنهم ومن سار على نهجهم، وحصلت العزّة للإسلام والمسلمين، وهذا الكلام بمنطق القوّة والشّجاعة، ومع الأسف نجد في هذا الزّمان كثيرا من الإسلاميّين يتكلّمون بمنطق الضّعف والذّلّة، فيقولون: إنّ الجهاد إنّما شرع في الإسلام للدّفاع فقط، والله المستعان، وقد قال الرّسول:

---

[1] () هو جبير بن حية بن مسعود الثقفي البصري, روى عن النعمان بن مقرن والمغيرة بن شعبة, وروى عنه بكر بن عبد الله وابنه زياد بن جبير, ذكره بن حبان في ثقات التابعين, توفي في خلافة عبد الملك بن مروان. انظر: التاريخ الكبير (2/224), والثقات لابن حبان (4/111).

[2] () هو النعمان بن مقرن بن عائذ, ويقال: النعمان بن عمرو بن مقرن, أبو عمرو المزني، الصحابي الجليل, أوّل مشاهده الأحزاب، وشهد بيعة الرضوان، ونزل الكوفة، وولي عسكر عمر، ثم صرفه، وبعثه على المسلمين يوم وقعة نهاوند، فكان يومئذ أوّل شهيد فيها سنة إحدى وعشرين. انظر: معرفة الصحابة لأبي نعيم (5/2653), والاستيعاب (4/1505).

[3] () أخرجه البخاري, كتاب الجزية, باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (4/97), رقم: 3159.

"بعثت بين يدي السّاعة بالسّيف حتّى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجعل الذّلّ والصّغار على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم"[1]) [2]

غير أنّه يجب على العبد المؤمن بالله أن يعرف أنّ هناك نوعاً ثانٍ من أنواع الجهاد, وهو من أعظم أنواع الجهاد, ويسبق الجهاد الذي تُكلّم عليه أوّلا, ألاّ وهو جهاد النّفس الأمارة بالسّوء والشّيطان, فمن تمكّن من هذا الجهاد, جهاد العدو الباطن, سهل عليه الجهاد الأوّل, وهو جهاد العدو الظّاهر, ومن لم يقدر على هذا, لم يقدر على الثّاني.

قال ابن القيم رحمه الله: (قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى يا أبا سعيد: أي الجهاد أفضل؟ قال جهادُك هواك.

وسمعت شيخنا يقول: جهاد النّفس والهوى أصل جهاد الكفّار والمنافقين, فإنّه لا يقدر على جهادهم حتّى يجاهد نفسه وهواه أوّلاً, حتّى يخرج إليهم)[3].

فمن قهَرَ هوَاه عزّ وساد, ومن قهره هواهُ ذلّ وهان وهلك وباد[4].

يقول ابن رجب رحمه الله: (فهذا الجهاد يحتاج أيضا إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه، غلبه وحصل له النّصر والظّفر، وملك نفسه، فصار عزيزا ملكا، ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك، غُلب وقُهر وأُسر، وصار عبدا ذليلا أسيرا في يدي شيطانه وهواه، كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه... بمنزلة فيها العزيز ذليل)[5].

---

1 () تقدّم تخريجه (ص476).

2 () الانتصار للصحابةِ الأخيار في ردِّ أباطيل حسن المالكي (ص 97).

3 () روضة المحبين (ص478).

4 () انظر: غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (ص359).

5 () جامع العلوم والحكم (1/490).

فمتى تمسّك المسلمون بكتاب ربّهم, عملا به, وتحكيما له فيما اختلفوا فيه, وقاموا بشعيرة الجهاد في سبيل الله تعالى, أعزّهم الله بين الأمم, وظهر دين الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها؛ ولهذا ذكر أهل العلم أنّ أهل الذّمة لا يتقلّدون السّيوف في بلاد الإسلام؛ لما في ذلك من التّناقض؛ لأنّ الذّميّ من أهل الذّلّ بسبب كفره, وتقلّد السّيف رمز للعزّ والسّلطان والسّؤدد, والسّيف أيضا من أعظم ما يعتمد عليه في الجهاد في سبيل الله, الذي هو سبيل عزّ هذه الأمّة وتمكينها بين الأمم بعد عملها بكتاب ربّها.

قال ابن القيم رحمه الله: (يُمنع أهل الذّمة من تقلُّد السّيوف لما بين كونهم أهل ذمة وكونهم يتقلّدون السّيوف من التّضاد، فإنّ السّيوف عزّ لأهلها وسلطان، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "بعثت بالسّيف بين يدي السّاعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذّلّ والصّغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم"[1], فبالسّيف النّاصر والكتاب الهادي عزَّ الإسلامُ, وظهر في مشارق الأرض ومغاربها, قال تعالى: ﴿ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ﴾ [الحديد: ٢٥], وهو قضيب الأدب، وفي صفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في الكتب المتقدّمة: "بيده قضيب الأدب"، فبعث الله رسوله ليقهر به أعداءه ومن خالف أمره، فالسّيف من أعظم ما يعتمد في الحرب عليه ويرهب به العدو وبه ينصر الدّين ويذلّ الله الكافرين، والذّمي ليس من أهل حمله والعزّ به)[2].

[1] () أخرجه أحمد في المسند (9/123), رقم: 5114, والطحاوي في شرح مشكل الآثار (1/213), رقم: 231, وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم: 1269.

[2] () أحكام أهل الذمة (3/1305).

المطلب الرابع:
نماذج من إعزاز الله لهذه الأمّة.

أحسن النّماذج في إعزاز الله لهذه الأمّة, ما حصل لنبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم وصحابته الكرام رضي الله عنهم أجمعين من عزّة ورفعة وعلوٍّ, وكانوا قبل ذلك مستضعفين كما كان حالهم في مكّة وقبل الهجرة إلى المدينة, فلمّا تمسّكوا بدينهم, وأطاعوا رسول ربّهم, وكان قصدهم وجه الله تعالى, مع اجتماعهم على الكتاب والسّنّة, ورفع راية الجهاد في سبيل الله تعالى, رفع الله شأنهم, وأعزّهم بين الأمم, وجعل لهم الهيبة, وهذه بعض تلك النّماذج:

1-من تلك النّماذج ما حصل لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم من عزّة وهيبة ووقار حتّى عند أعظم الملوك في ذلك الوقت, وهو هرقل عظيم الرّوم, ففي الحديث عن عبد الله بن عباس، أخبره أنّ أبا سفيان بن حرب أخبره: أنّ هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجارا بالشّام في المدّة التي كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَادَّ فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء[1]، فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الرّوم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه، فقال: أيكم أقرب نسبا بهذا الرّجل الذي يزعم أنّه نبي؟, فقال أبو سفيان: فقلت أنا أقربهم نسبا، فقال: أدنوه مني، وقرِّبوا أصحابَه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إنّي سائلٌ هذا عن هذا الرّجل، فإن كذبني فكذّبوه, فو الله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبا لكذبت عنه, ثمّ كان أوّل ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت: لا, قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قلت: لا قال: فأشراف النّاس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم,

---

[1] () اسم مدينة بيت المقدس, وهي من المدائن العظيمة القديمة، وبها قبور الأنبياء، صلوات الله عليهم، وآثارهم. انظر: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان لابن المنجم (ص31), ومعجم البلدان (293).

قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون, قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟, قلت: لا, قال: فهل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟, قلت: لا, قال: فهل يغدر؟, قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعلٌ فيها، قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال: فهل قاتلتموه؟, قلت: نعم, قال: فكيف كان قتالكم إيّاه؟, قلت: الحرب بيننا وبينه سجال: ينال منّا وننال منه, قال: ماذا يأمركم؟, قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصّلاة والزّكاة والصّدق والعفاف والصّلة, فقال للتّرجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنّه فيكم ذو نسب، فكذلك الرّسل تبعث في نسب قومها, وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول، فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله، لقلت رجل يأتسي بقولٍ قيل قبله, وسألتك هل كان من آبائه من ملك، فذكرت أنْ لا، قلت فلو كان من آبائه من ملك، قلت رجل يطلب ملك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتّهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا، فقد أعرف أنّه لم يكن ليذر الكذب على النّاس ويكذب على الله, وسألتك: أشراف النّاس اتّبعوه أم ضعفاؤهم، فذكرت أنّ ضعفاؤهم اتّبعوه، وهم أتباع الرّسل, وسألتك: أيزيدون أم ينقصون، فذكرت أنّهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتّى يتمّ, وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه، فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب, وسألتك: هل يغدر، فذكرت أن لا، وكذلك الرّسل لا تغدر, وسألتك: بما يأمركم، فذكرت أنّه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصّلاة والصّدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً, فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنّه خارج، لم أكن أظنّ أنّه منكم، فلو أنّي أعلم أنّي أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه, ثم دعا بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى[1]، فدفعه إلى

---

[1] () قرية في الشام من أعمال دمشق، وهي مدينة حوران, وفي شرقي هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق، وهي مشهورة

هرقل، فقرأه فإذا فيه "بسم الله الرّحمن الرّحيم، من محمّد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الرّوم: سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنّ عليك إثم الأريسيّين[1] ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ [آل عمران: ٦٤] "، قال أبو سفيان: فلمّا قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب، كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنّه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنا أنّه سيظهر حتّى أدخل الله عليّ الإسلام[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة"[3].

ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "نصرت بالرعب على العدو وأوتيت جوامع الكلم، وبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي"[4].

عند العرب قديما وحديثا، ذكرها كثير في أشعارهم. انظر: معجم البلدان (1/441).

[1] () الأَرِيسَ والأَرِّيسَ بمعْنى الأكّار من كلام أهل الشّام، وكانت العرب تسمِّيهم الفلاّحين، وقيل: هم الخدم والخوَل، يعني لصده إياهم عن الدين، ويقال: للمجوسيّ: أَرِيسيٌّ، وقيل إنهم أتباع عبد الله بن أريس- رجل كان في الزمن الأول- وهم الأروسية، قتلوا نبيا بعثه الله إليهم، متمسكون بدين عيسى لا يقولون أنّه ابن، وقيل الإريسون الملوك واحدهم إريس، وقيل هم العشارون. انظر: تهذيب اللغة (13/47)، والنهاية في غريب الحديث (1/38).

[2] () أخرجه البخاري، باب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (1/8)، رقم: 7.

[3] () أخرجه البخاري، كتاب التيمم (1/87)، رقم: 335.

[4] () أخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (1/372)، رقم: 523.

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلّم أعزّه الله تعالى, ووضع له الرّعب والهيبة والوقار في قلوب أعدائه, رغم أنّهم كانوا أقوى منه عددا وعُدّة, وكانت الروم في ذلك الوقت من أقوى وأعظم الدول, لكن لـمّا جعل الله تعالى العزّة قرين الإيمان والعمل الصالح, والتمسّك بدين الله تعالى ظاهرا وباطنا, كانت العزّة لرسول الله تعالى ولصحابته الكرام ولعباد الله المؤمنين, ومع الأسف نجد المسلمين اليوم يجهلون هذه الحقيقة, وينبهرون بما عند الغرب من حضارة وتطور ماديّ, ويصابون بالانهزامية والشعور بالضعف, بل بعضهم زيّنت له الشياطين أن سبب ذلّهم وهوانهم هو التمسك بدينهم, وأنّ الغرب لما تخلوا عن دينهم تقدموا ونالوا السؤدد والعزّة.

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: يدّعي بعض الناس أنّ سبب تخلّف المسلمين هو: تمسُّكهم بدينهم, وشبهتهم في ذلك، أنّ الغرب لـمّا تخلّوا عن جميع الديانات وتحرَّروا منها، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقدُّم الحضاري، وربما أيَّدوا شبهتهم بما عند الغرب من الأمطار الكثيرة والزروع, فما رأي فضيلتكم؟.

فأجاب بقوله: (هذا الكلام لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان، أو مفقود الإيمان، جاهل بالتاريخ، غير عالم بأسباب النّصر، فالأمة الإسلامية لما كانت متمسِّكةً بدينها في صدر الإسلام كان لها العزّة والتمكين، والقوّة، والسيطرة في جميع نواحي الحياة، بل إن بعض الناس يقول: إن الغرب لم يستفيدوا ما استفادوه من العلوم إلا ما نقلوه عن المسلمين في صدر الإسلام، ولكن الأمة الإسلامية تخلفت كثيراً عن دينها، وابتدعت في دين الله ما ليس منه، عقيدة، وقولا، وفعلا، وحصل بذلك التأخر الكبير، والتّخلف الكبير، ونحن نعلم علم اليقين ونشهد الله عز وجل إنّنا لو رجعنا إلى ما كان عليه أسلافنا في ديننا، لكانت لنا العزّة، والكرامة، والظهور على جميع النّاس؛ ولهذا لمّا حدّث أبو سفيان هرقل ملك الروم -والروم في ذلك الوقت تعتبر دولة عظمى- بما عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه قال: "إن كان ما تقول حقّاً فسيملك ما تحت قدمي هاتين", ولما خرج أبو سفيان

وأصحابه من عند هرقل قال: "لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشة إنّه ليخافه ملك بني الأصفر"...ـ

ونصيحتي له أن يتوب إلى الله عز وجل عن هذه التصوّرات قبل أن يفاجئه الموت، وأن يرجع إلى ربه، وأن يعلم أنه لا عزّة لنا، ولا كرامة، ولا ظهور، ولا سيادة إلا إذا رجعنا إلى دين الإسلام، رجوعا حقيقيا يصدِّقه القول والفعل، وأن يعلم أنّ ما عليه هؤلاء الكفار باطل ليس بحقّ، وأنّ مأواهم النّار، كما أخبر الله بذلك في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه سلم، وأنّ هذا الإمداد الذي أمدّهم الله به من النّعم ما هو إلا ابتلاء وامتحان وتعجيل طيبات، حتى إذا هلكوا, وفارقوا هذا النعيم إلى الجحيم, ازدادت عليه الحسرة والألم والحزن، وهذا من حكمة الله عزّ وجل بتنعيم هؤلاء، على أنّهم كما قلت لم يسلموا من الكوارث التي تصيبهم من الزلازل، والقحط، والعواصف، والفيضانات وغيرها، فأسأل الله لهذا السائل الهداية والتوفيق، وأن يردّه إلى الحقّ, وأن يبصِّرنا جميعاً في ديننا إنّه جواد كريم)[1].

بل ذكر أهل التفسير في قوله تعالى: ﮋ ﯼ ﯽ ﯾ [illegible] ﮊ [الصف: ١٤] أنّ سبب إظهار الله تعالى للطائفة المؤمنة على الطائفة الكافرة هو ببعثة النبي صلى الله عليه وسلّم.

عن ابن عباس قال: لـمّا أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء, خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء, قال: فقال: إنّ منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن بي, قال: ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني، ويكون معي في درجتي؟ قال: فقام شاب من أحدثهم سنًّا، قال: فقال أنا، فقال له: اجلس؛ ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال أنا؛ قال: نعم أنت ذاك؛ فألقى عليه شبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السّماء؛ قال: وجاء الطلب من اليهود، وأخذوا شبهه, فقتلوه وصلبوه، وكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرّة بعد أن آمن به، فتفرّقوا ثلاث فرق، فقالت فرقة:

[1] () فتاوى مهمة لعموم الأمة (ص23).

كان الله فينا ما شاء، ثمّ صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبيـة, وقالت فرقة: كان فينا ابن الله ما شـاء اللـه، ثمّ رفعـه إليـه، وهؤلاء النسطورية, وقالت فرقة: كان فينا عبد اللـه ورسـوله ما شاء الله، ثم رفعه الله إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرت الطائفتــان الكافرتــان على المســلمة، فقتلوهــا، فلم يــزل الإســلام طامســا حــتى بعث اللــه محمــدا صــلى اللــه عليــه وسلم[1]، فآمنت طائفـة من بـني إسـرائيل، وكفـرت طائفـة، يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيســى، والطائفة التي آمنت في زمن عيسى، فأيّدنا الذين آمنوا على عدوهم، فأصبحوا ظاهرين في إظهـار محمـد على دينهم دين الكفار، فأصبحوا ظاهرين، وقوله: ﴿ ﴾ [الصف: ١٤], يقول: فقوّينـا الـذين آمنـوا من الطـائفتين من بـني إسـرائيل على عدوّهم، الذي كفروا منهم بمحمّد صلى الله عليه وسـلم بتصديقه إيّاهم، أنّ عيسى عبد الله ورسوله، وتكذيبه من قال هــو إلــه، ومن قــال: هــو ابن اللــه تعــالى ذكــره، فأصــبحوا ظاهرين، فأصبحت الطائفة المؤمنون ظـاهرين على عـدوّهم الكافرين منهم[2].

وعن مجاهد ﴿ ﴾ [الصف: ١٤] , قال: قوّينا[3].

وعن إبراهيم في قوله: ﴿ ﴾ [الصف: ١٤] قال: أيّـدوا بمحمّـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، فصـدّقهم، وأخـبر بحجّتهم[4].

فهذه الطائفة من النّصارى أُيِّدوا برسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم, فكيـف بمن استمسـك بسـنته, واهتـدى بهديـه, وسـار على نهجـه, لاشـك أنّـه يكـون أولى بالنّصـر والتأييـد, والرفعة والظهور.

قال ابن كثير رحمه اللـه: (فأمّـة محمّـد صـلى اللـه عليـه

---

[1] () جـامع البيـان (23/366-367), وتفسـير القـرآن العظيم (2/449), وقال ابن كثير رحمه الله: (وهـذا إسـناد صـحيح إلى ابن عباس).
[2] () جامع البيان (23/366-367).
[3] () المصدر نفسه (23/367).
[4] () المصدر نفسه (23/367).

وسلم لا يزالون ظاهرين على الحقّ، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك، وحتّى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح، والله أعلم) [1].

2- أيضا من نماذج إعزاز الله له لنبيّه صلى الله عليه وسلم ولصحابته الكرام رضوان الله عليهم ما حصل للمؤمنين يوم الحديبية من نصر وتمكين وعزّ؛ وذلك بسبب صبرهم وطاعتهم لرسول ربّهم.

يقول ابن القيم رحمه الله وهو يتكلّم عن قصة الحديبية, وما فيها من الفوائد:

(فمنها: أنّها كانت مقدّمة بين يدى الفتح الأعظم؛ الذي أعزّ الله به رسوله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجا، فكانت هذه الهدنة بابا له، ومفتاحا، ومؤذنا بين يديه، وهذه عادة الله سبحانه في الأمور العظام التي يقضيها قدرا وشرعا، أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات، تؤذن بها، وتدلّ عليها.

ومنها: أنّ هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح، فإنّ النّاس أمِن بعضهم بعضا، واختلط المسلمون بالكفار، وبادئوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان مختفيا بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل؛ ولهذا سماه الله ﮋ ﭑ ﭒ ﮊ [الفتح: ١], قال ابن قتيبة: قضينا لك قضاء عظيما، وقال مجاهد: هو ما قضى الله له بالحديبية.

وحقيقة الأمر: أنّ الفتح في اللّغة فتح المغلق، والصّلح الذى حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا مغلقا حتّى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه صدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت، وكان في الصورة الظاهرة ضيما وهضما للمسلمين، وفي الباطن عزّا وفتحا ونصرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ما وراءه من: الفتح العظيم، والعزّ والنّصر, من وراء ستر رقيق، وكان

---

[1] () تفسير القرآن العظيم (8/114).

يعطي المشــركين كــل مــا ســألوه من الشــروط، الــتي لم يحتملها أكثر أصحابه ورؤوسهم، وهو صـلى اللـه عليـه وسـلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ [البقرة: ٢١٦].

وربما كان مكروه النفوس إلى   محبوبها سببا ما مثله سبب

فكان يدخل على تلك الشروط دخولَ واثقٍ بنصر اللـه لـه وتأييده، وأنّ العاقبة له، وأنّ تلك الشروط واحتمالَها هــو عين النصــرة، وهــو من أكــبر الجنــد الــذى أقامــه المشــترطون، ونصــبوه لحــربهم، وهم لا يشــعرون، فــذلّوا من حيث طلبــوا العزّ، وقُهروا من حيث أظهروا القدرة والفخــر والغلبــة، وعــزّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعسـاكر الإسـلام من حيث انكسروا لله، واحتملوا الضيم له وفيه، فــدار الــدور، وانعكس الأمر، وانقلب العــزّ بالباطــل ذلاًّ بحــقّ، وانقلبت الكســرة للـه عزًّا بالله، وظهرت حكمة الله وآياته، وتصديق وعده، ونصــرة رســوله, على أتمّ الوجــوه وأكملهــا الــتي لا اقــتراح للعقــول وراءَها)[1].

3-ومن صور اعتزاز صحابة رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلّم بالله تعالى وبرسوله صـلى اللـه عليـه وسـلّم أنّـه لمـا اشتدّ على النّاس البلاء في عــزوة الخنــدق بعث رســول اللــه صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصــن، وإلى الحــارث بن عوف، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمــار المدينــة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصـحابه، فجـرى بينـه وبينهمـا الصــلح، حــتى كتبــوا الكتــاب, ولم تقــع الشــهادة ولا عزيمــة الصلح، فلمّا أراد رسول الله صلى الله عليه وســلم أن يفعــل بعث إلى ســعد بن معــاذ وســعد بن عبــادة فــذكر ذلــك لهمــا، واستشارهما فيه، فقالا: يا رسول الله، أمر تحبه فتصــنعه، أم شيء أمرك الله به لابدّ لنــا من العمــل بــه، أم شــيء تصــنعه لنا؟, قال: بل شيء أصنعه لكم، والله مــا أصــنع ذلــك إلا لأنّي رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحــدة، وكــالبوكم من كــل

---

[1] () زاد المعاد (3/310).

جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما, فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله، قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قراء أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا وأعزّنا بك وبه، نعطيهم أموالنا, والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم, فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك, فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا[1].

4-أيضا من نماذج إعزاز الله تعالى لهذه الأمة, إعزازه لصحابته الكرام؛ بسبب تمسّكهم بدينهم, وثقتهم في ربّهم, واتّباعهم لنبيّهم صلى الله عليه وسلم, ومن تلك الصّور عزّة أمير المؤمنين, وثاني الخلفاء الراشدين, الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه, وذلك ببركة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "اللهمّ أعزّ الإسلام بأحبّ الرجلين إليك بعمر بن الخطاب, أو بأبي جهل بن هشام", فكان أحبهما إلى الله عمر[2] رضي الله عنه, فأعزّ الله به الإسلام والمسلمين.

وأيضا لعلمه رضي الله عنه أنّ العزّة لا تكون إلا بالتمسّك بالإسلام ظاهرا وباطنا.

فعن طارق بن شهاب رضي الله عنه قال: لما قدم عمر الشام عرضت له مخاضة فنزل عن بعيره, ونزع موقيه

---

1 () انظر: دلائل النبوّة للبيهقي (3/430), ومعرفة السنن والآثار (13/412), وجوامع السيرة النبوية (ص188).

2 () أخرجه أحمد في المسند (9/506), رقم: 5696, والترمذي في السنن, كتاب المناقب, باب في مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه (6/58), رقم: 3681, وقال: (هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر), والحاكم في المستدرك, كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم, ومن مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (3/89), رقم: 4485, وقال: (هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه), ووافقه الذهبي, صححه الألباني في مشكاة المصابيح برقم: 6036.

فأمسكهما بيد، وخاض الماء ومعه بعيره، فقال له أبو عبيدة: قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض، صنعت كذا وكذا، قال: فصكّ في صدره وقال: أولو غيرك يقولها يا أبا عبيدة، إنّكم كنتم أذلّ النّاس وأحقر النّاس وأقلّ النّاس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزّ بغيره يذلكم الله[1].

وممّا قيل عن عزّة عمر رضي الله عنه, وعن إعزاز الدّين والمؤمنين به, ما قاله علي بن أبى طالب رضى الله عنه: (ما علمت أحدا هاجر إلا مختفيا، إلا عمر بن الخطاب، فإنّه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه, وتنكّب قوسه، وانتضى في يده سهما، وأتى الكعبة, وأشراف قريش بفنائها، فطاف سبعا، ثم صلّى ركعتين عند المقام، ثمّ أتى خلفهم، وقال: شاهت الوجوه[2]، من أراد أن تثكله أمّه، ويؤتّم ولده، وترمّل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد)[3].

وعن صهيب بن سنان[4] رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام, ودعي إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقا وطفنا بالبيت، وانتصفنا ممّن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به[5].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر[6].

---

1 () البداية والنهاية (7/70).

2 () الشوه: قبح الخلقة ; يقال شاهت الوجوه أي: قبحت. انظر: مقاييس اللغة (3/231), والنهاية في غريب الحديث (2/511).

3 () انظر: الانتصار للقرآن (2/498), والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون (2/29).

4 () هو صهيب بن سنان بن مالك أبو يحيى مولى ابن جدعان التيمي القرشي, يعرف بصهيب الرومي لأنّه أخذ لسان الروم إذ سبوْه وهو صغير، وهو نمري من النمر بن قاسط, شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, مات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين، وقيل: سنة تسع وثلاثين. انظر: الاستيعاب (2/726), وأسد الغابة (3/38).

5 () الطبقات الكبرى (3/204).

6 () أخرجه البخاري, كتاب المناقب, باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه (5/11), رقم: 3684.

هذه بعضٌ من نماذج إعزاز الله لهـذه الأمّـة, وليس كلّها, وإلاّ فنماذج إعزاز الله تعالى لهذه الأمّة أكثر ممّا ذكـر, وإنّمـا القصد التّمثيل لا الاسـتيعاب, وأيضـا فـإنّ البحث لم يخصّـص لهذه الجزئية, فنكتفي بهذا القدر.

البـاب الثاني:
الرّد على الانحرافات العقدية المتعلّقة باسم الله تعالى العزيز وصفة الله العزّة

وفيه فصلان:

الفصل الأول:

الانحرافات العقدية المتعلّقة باسم الله العزيز والردّ عليها.

الفصل الثاني:

انحرافات المخالفين المتعلقة بصفة العزّة والرّد عليهم.

الفصل الأول:
الانحرافات العقدية المتعلقة باسم الله العزيز والرّد عليها

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: انحراف المشركين في اشتقاقهم العزّى من العزيز والرّد عليهم.

المبحث الثاني: الرّد على من أنكر هذا الاسم.

المبحث الثالث: الرد على من أثبته اسما مجردا عن الصفة.

المبحث الرابع: الإلحاد في هذا الاسم.

المبحث الأول:
انحراف المشركين في اشتقاقهم العزّى من العزيز والردّ عليهم:

من الانحرافات العقدية المتعلقة باسم الله العزيز ما وقع من المشركين في الإلحاد في هذا لاسم, وذلك أنّهم اشتقّوا من أسماء الله تعالى أسماء لآلهتهم, فاشتقوا العزّى من العزيز, وعبدوها من دون الله تعالى, وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنّها تعبد في آخر الزمان, ويرجع فئام من النّاس إلى دين آبائهم المشركين, فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزّى", فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظنّ حين أنزل الله: ﮋ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تاما, قال: "إنّه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم"[1].

وسيتكلم الباحث عن بعض أوجه غلوّ المشركين في صنم العزّى, ثم يعقبه بالرد عليهم.

تعظيم المشركين للعزّى:

كان لصنم العزّى مكانة عظيمة عند قريش خاصّة، وعند قبائل العرب عموما، فقد كانوا يشركونها مع الله سبحانه في العبادة.

فعن هشام يعني ابن عروة عن أبيه، قال: حدثني جارٌ لخديجة بنت خويلد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة: "أي خديجة، والله لا أعبد اللات، والله لا أعبد العزّى أبدا" قال: فتقول خديجة: خلِّ اللات، خلِّ العزّى، قال: "كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون"[2].

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الفتن وأشراط الساعة, باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة (4/2230), رقم: 2907.

[2] () أخرجه أحمد في المسند (29/467), رقم: 17947, والحديث

وأيضا من صور تعظيمهم العزّى أنّهم كانوا يحلفون بها, تعظيما لقسمهم بها, فمن ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر[1] محمد وجهه بين أظهركم؟, قال فقيل: نعم، فقال: واللات والعزّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنّ على رقبته، أو لأعفرنّ وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهَولاَ وأجنحة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا"...الحديث[2].

لهذا جاء النهي عن القسم بالعزّى, وذكر كفارة من فعل ذلك, فعن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حلف منكم، فقال في حلفه: باللات والعزّى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، فليتصدّق"[3].

اشتقاقهم العزّى من العزيز:

ومن صور تعظيم المشركين للعزّى أنّهم سمَّوْها بأسماء الله تعالى, واشتقُّوا من اسم الله تعالى العزيز اسما لها, فقالوا: العزّى من العزيز, وقيل العزّى (تأنيث الأعزّ, وهي بمعنى: العزيزة، وكانت شجرة بنخلة لغطفان يعبدونها، فبعث إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد

صحيح قال محققوا المسند إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير جار خديجة فلم يرو له غير المصنف هذا الحديث الواحد، وهو صحابي، وجهالته لا تضر.

[1] () قال ابن الأثير رحمه الله: ("هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم" يريد به سجوده على التراب، ولذلك قال في آخره: "لأطأنّ على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب" يريد إذلاله، لعنة الله عليه). النهاية (3/262).

[2] () أخرجه مسلم, كتاب صفة القيامة والجنة والنار, باب قوله: ﮋﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮊ [العلق: ٦ - ٧] (4/2154), رقم: 2797.

[3] () أخرجه البخاري, كتاب الأدب, باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا (8/27), رقم: 6107.

فقطعها وقال:

يا عزّ كفرانك لا سبحانك — إني رأيت الله قد أهانك[1])[2]

قال ابن جرير رحمه الله: (القول في تأويل قوله تعالى: ﮋ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﮊ [النجم: ١٩ – ٢٢] , يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها المشركون اللات، وهي من الله ألحقت فيه التاء فأنثت، كما قيل عمرو للذكر، وللأنثى عمرة; وكما قيل للذكر عباس، ثم قيل للأنثى عباسة، فكذلك سمّى المشركون أوثانهم بأسماء الله تعالى ذكره، وتقدّست أسماؤهم، فقالوا من الله اللاّت، ومن العزيز العزّى; وزعموا أنّهن بنات الله، تعالى الله عما يقولون وافتروا)[3].

الرد عليهم:

المشركون وأعداء الرّسل عليهم الصلاة والسلام هم سلف أهل الأهواء والبدع في إنكار أسماء الله وصفاته, وجحد حقائقها والإلحاد فيها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأهل السنّة والجماعة المتّبعون لإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين, يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبّته ورحمته, وسائر ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى.....

وأمّا أهل البدع والضلالة من الجهمية ونحوهم, فإنّهم سلكوا سبيل أعداء إبراهيم وموسى ومحمد, الذين أنكروا أن يكون الله كلّم موسى تكليما, واتخذ إبراهيم خليلا, وقد كلّم الله محمّدا ـ واتّخذه خليلا كما اتّخذ إبراهيم خليلا, ورفعه فوق ذلك درجات, وتابعوا فرعون الذي قال: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮊ [غافر: ٣٦ – ٣٧], وتابعوا المشركين الذين ﮋ ﮈ

---

1. () أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف, ما ذكر في كتب النّبي صلى الله عليه وسلم وبعوثه (14/342), رقم: 37788.
2. () الوسيط في تفسير القرآن المجيد (4/199), وانظر: معالم التنزيل (7/407).
3. () جامع البيان (23/522).

ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ [الفرقان: ٦٠] , واتّبعوا الذين ألحدوا في أسماء الله, فهم يجحدون حقيقة كونه الرحمن أو أنـه يـرحم, أو يكلم, أو يودّ عباده, أو يودّونه, أو أنه فوق السموات)[1].

ويقـول الشـيخ الفـوزان حفظـه اللـه: (إنّ أوّل من جحـد الأسماء والصّـفات هم المشـركون، فيكونـون أئمّـة للجهميّـة والمعتزلة ومن نحا نحوهم، وبئس الأئمّة والقدوة، نسأل اللــه العافية والسّلامة)[2].

وقـال أيضـا: (فهـؤلاء المشـركون هُم سـلف الجهميـة، والمعتزلة والأشاعرة، وكلّ من نفى عن الله ما أثبته لنفسـه، أو أثبته لـه رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم من أسـماء اللـه وصفاته, وبئسَ السلف لبئس الخلف)[3].

ومن أوجـه الـردّ على هـؤلاء المشـركين في اشـتقاقهم العزّى من العزيز ما يلي:

الأول: أنّ هذا من الإلحاد الذي نهى الله تعالى عليـه في كتابه العزيز, وتوعد عليه بالعذاب حيث قال: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [الأعراف: ١٨٠].

فقوله: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ، فإنّه يعني به المشركين.

وكان إلحادهم في أسـماء اللـه، أنّهم عـدلوا بهـا عمّـا هي عليه، فسمَّوا بها آلهتهم وأوثانهم، وزادوا فيهـا ونقصـوا منهـا، فسمّوا بعضها اللاّت اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذي هــو الله، وسمّوا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذي هــو العزيز[4].

قال ابن جرير رحمه الله: (قوله: ﮋ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﮊ، ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشـركين أن يقولوا ذلك، حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من اللـه للملحدين في أسمائه، ووعيد منـه لهم، كمـا قـال في موضـع آخر: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﮊ [الحجر: ٣]

---

[1] () مجموع الفتاوى (16/210).
[2] () إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (2/146).
[3] () عقيدة التوحيد (ص45).
[4] () انظر: المصدر نفسه (13/282).

الآية، وكقوله: ﮋ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [العنكبوت: ٦٦] , وهو كلام خرج مخرج الأمر بمعنى الوعيد والتهديد، ومعناه: أن مهّل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله إلى أجل هم بالغوه، فسوف يجزون، إذا جاءهم أجل الله الذي أجَّلهم إليه، جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه، وتكذيب رسوله) [1].

الثاني: ما يقال لهؤلاء المشركين في الرد عليهم في اشتقاقهم العزَّى من العزيز, ومن ثَمَّ عبادتهم هذه الأصنام من دون الله تعالى: أنّ هذه الأصنام ما هي إلا أسماءٌ سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان, وأنّ تسميتكم لها آلهةً من دون الله تعالى لا يعطي لها من الإلهية شيء؛ وإنّما الإله الحق هو رب العالمين, وخالق السماوات والأرضين.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في معرض ردّه على الحلولية الملاحدة: (ثمّ إن هؤلاء الملاحدة: احتجوا بتسمية المشركين لِمَا عبدوه إلها كما قالوا: ﮋ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [ص: ٥], واعتقدوا أنّهم لما سمّوهم آلهة كانت تسمية المشركين دليلا على أنّ الإلهية ثابتة لهم, وهذه الحجة: قد ردّها الله على المشركين في غير موضع, كقوله سبحانه عن هود في مخاطبته للمشركين من قومه: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮊ [الأعراف: ٧١] الآية, هذا رد لقوله: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [الأعراف: ٧٠], فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميتهم إياها آلهة ومعبودين تسمية ابتدعوها هم وآباؤهم, ما أنزل الله بها من حجة ولا سلطان, والحكم ليس إلا لله وحده, وقد أمر هو سبحانه أن لا يعبد إلا إياه, فكيف يحتج بقول مشركين لا حجة لهم؟, وقد أبطل الله قولهم؟, وأمر الخلق أن لا يعبدوا إلا إياه دون هذه الأوثان التي سمّاها المشركون آلهة, وعند الملاحدة عابدو الأوثان ما عبدوا إلا الله, ثم إن المشركين أنكروا على الرسول حيث جاءهم ليعبدوا الله وحده ويذروا ما كان يعبد آباؤهم, فإذا كانوا هم ما زالوا يعبدون الله وحده كما تزعمه الملاحدة: فلم يدعوا إلى ترك ما يعبده آباؤهم, بل جاءهم -

[1] () المصدر نفسه (13/285).

ليعبد كل شيء كان يعبده آباؤهم - هو وغيره من الأنبياء, وكذلك قال سبحانه في سورة يوسف عنه: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ [يوسف: ٣٩ – ٤٠] إلى قوله: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [يوسف: ٤٠] , وقال سبحانه: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ [النجم: ١٩ – ٢٠] , إلى قوله: ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ [النجم: ٢٣] , وهذه الثلاثة المذكورة في هذه السورة: هي الأوثان العظام الكبار التي كان المشركون ينتابونها من أمصارهم, فاللاّت: كانت حذو قديد[1] بالساحل لأهل المدينة, والعزّى: كانت قريبة من عرفات لأهل مكة, ومناة: كانت بالطائف لثقيف, وهذه الثلاث هي أمصار أرض الحجاز, أخبر سبحانه أن الأسماء التي سمّاها المشركون أسماء ابتدعوها لا حقيقة لها, فهم إنّما يعبدون أسماء لا مسميات لها؛ لأنّه ليس في المسمى من الألوهية ولا العزّة ولا التقدير شيء, ولـمَّا ينزل الله سلطانا بهذه الأسماء, إن يتبع المشركون إلا ظنّا لا يغني من الحق شيئا في أنها آلهة تنفع وتضر, ويتبعوا أهواء أنفسهم)[2].

الثالث: أنّ إبراهيم عليه السلام أنكر على قومه عبادة الأصنام؛ لأنّها لا تسمع ولا تبصر, ولا تملك الضر والنفع, وكذلك يقال لهؤلاء الذين اتخذوا اللاّت والعزّى آلهة من دون الله, أنها لا تملك من دون الله تعالى نفعا ولا ضرا, ولا تسمع ولا تبصر, ولا تغني من الله شيئا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد قال سبحانه عن إمام الأئمة, وخليل الرحمن, وخير البرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبيه: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ [مريم: ٤٢ – ٤٣] إلى قوله: ﭽ ﮢ ﮣ ﭼ [مريم: ٤٥], فنهاه وأنكر عليه أن يعبد الأوثان التي لا تسمع ولا تبصر, ولا تغني عنه شيئا)[3].

---

[1] () موضع بين مكة والمدينة, وهو عبارة عن واد به قرى صغيرة لا يزال معروفا, كان طريق المدينة إلى مكة يمر به. انظر: معجم البلدان (4/313)

[2] () مجموع الفتاوى (2/257-259).

[3] () المصدر نفسه (2/260).

المبحث الثاني:
الردّ على من أنكر هذا الاسم.

من الانحرافات العقدية المتعلقة باسم الله العزيز, ما وقع من إنكار هذا الاسم, وغيرَه من الأسماء الحسنى الثابتة لله تعالى من قبل طائفتين من طوائف المعطلة هما: الفلاسفة والجهمية, وسيذكر الباحث الشّبهة التي تمسّكت بها كل طائفة في إنكارها لاسم الله العزيز, ثم يتعقّبه بالرد والآن يشرع الباحث في الطائفة الأولى وهم الفلاسفة.

1- **الطائفة الأولى: الفلاسفة.**

ممّن أنكر اسم الله العزيز: الفلاسفة, فهم لا يثبتون شيئا من أسماء الله وصفاته, بل حقيقةُ قولهم هو إنكار وجود الله تعالى, ولذلك كان مشركو العرب وعباد الأصنام أحسن حالا منهم؛ لأنّهم يثبتون ربا خالقا عالما حيا عزيزا, إلا أنّهم يشركون معه غيره في عبادته.

قال ابن القيم رحمه الله: (فالذي عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم خير منهم, فإنهم يدأبون حتى يثبتوا واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق، لا صفة له ولا نعت، ولا فعل يقوم به، لم يخلق السماوات والأرض بعد عدمهما، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئا, وعباد الأصنام كانوا يثبتون ربا خالقا مبدعا عالما، قادرا حيا، ويشركون به في العبادة, فنهاية أمر هؤلاء الوصول إلى شيء برَّز عليهم فيه عباد الأصنام, وهم فِرقٌ شتى لا يحصيهم إلا الله عز وجل)[1].

فنفوا عن الله تعالى الأسماء والصِّفات, وقالوا عن الله تعالى هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق, ونفوا عنه أيّ صفة ثبوتيّة, مخالفين بذلك ما جاءت به الرسل عن الله عز وجل, (والله سبحانه بعث أنبياءه بإثبات مفصّل، ونفي مجمل، فأثبتوا له الأسماء والصفات، ونفوا عنه مماثلة المخلوقات,

1 () إغاثة اللهفان (2/268).

ومن خالفهم من المعطلة المتفلسفة وغيرهم عكسوا القضيّة، فجاءوا بنفي مفصّل, وإثبات مجمل، يقولون ليس كذا، ليس كذا، ليس كذا.

فإذا أرادوا إثباته قالوا: وجود مطلق بشرط النفي، أو بشرط الإطلاق، وهم يقرون في منطقهم اليوناني: أن المطلق بشرط الإطلاق لا يكون في الخارج، فليس في الخارج حيوان مطلق بشرط الإطلاق، ولا إنسان مطلق بشرط الإطلاق، ولا موجود مطلق بشرط الإطلاق)[1].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (فاعلم أنّ الله سبحانه وتعالى عما يقولون عندهم كما قرَّره أفضل متأخّريهم، ولسانهم، وقدوتهم الذي يقدّمونه على الرسل: أبو على بن سينا: هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق, وليس له عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا يفعل شيئا باختياره البتّة, ولا يعلم شيئا من الموجودات أصلا، لا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئا من المغيَّبات, ولا له كلام يقوم به، ولا صفة, ومعلوم أنّ هذا إنما هو خيال مقدَّر في الذّهن، لا حقيقة له)[2].

بل إذا وصفوه بشيء فإنّما (يصفونه بالصّفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل, وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات)[3], حتى قيل لهم إذا وصفتموه بالسُّلوب فقد شبَّهتموه بالمعدوم, كما أنَّ وصفه بالصِّفات الثُّبوتية فيه تشبيه بالموجود, فوقعوا في شرِّ من ذلك بأن نفوا عنه النَّقيضين فشبَّهوه بالممتنعات, وبهذه الإلزامات وقعت طوائف من المسلمين من المعتزلة في حبائل هؤلاء الفلاسفة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ومن هذا الباب دخلت القرامطة الباطنية والمتفلسفة ونحوهم على طوائف

---

1. () اقتضاء الصراط المستقيم (2/396).
2. () إغاثة اللهفان (2/260).
3. () التدمرية (ص15).

المسلمين, فإن هـؤلاء قـالوا للمعتزلـة ألسـتم قـد وافقتمونـا على نفي الصفات حذرا من التشبيه والتجسيم, فقـالوا: نعم, فقالوا: وهذا المحذور يلزمكم في إثبات أسماء الله تعالى له, فإذا قلتم: هو حي عليم قدير كـان في هـذا تشـبيه لـه بغـيره ممن هو حي عليم قدير, وكان في هذا من التجسيم كمـا في إثبات الحياة والعلم والقدرة له؛ لأنّـه لا يعـرف مسـمى بهـذه الأسماء إلا جسـم, كمـا لا يعـرف موصـوفا بهـذه الصـفات إلا جسم, فأخـذوا ينفـون أسـماء اللـه الحسـنى, ويقولـون ليس بموجـود ولا حي ولا عليم ولا قـدير, ثم اقتصـر بعضـهم على نفي الإثبات, فقال لهم الصنف الآخـر: إذا قلتم ليس بموجـود ولا بحي ولا عليم ولا قدير فقـد شـبهتموه بالمعـدوم, كمـا أنّ في الإثبات تشبيها بـالموجود, فيجب أن يقـال: ليس بموجـود ولا معــدوم, ولا حي ولا ميت, ولا عــالم ولا جاهــل, وهــؤلاء يقولون في أنفسهم أنهم من أذكى الناس وأفضلهم, وهم من أجهل الناس وأضلهم وأكفرهم)[1].

بل طائفة منهم زادوا عن ذلك فقالوا (نحن لا نقـول ليس بموجـود ولا معـدوم ولا حي ولا ميت فلا ننفي النقيضـين, بـل نسكت عن هذا وهذا, فنمتنع عن كل من المتناقضين لا نحكم لا بهذا ولا بهـذا, فلا نقـول ليس بموجـود ولا معـدوم, ولكن لا نقول هو موجود, ولا نقول هو معدوم!)[2].

ولخّص مذهبهم على سبيل الإجمـال شـيخ الإسـلام فقـال رحمه الله: (وقاربَهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم، فوصفوه بالسُّلوب والإضافات، دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشـرط الإطلاق, وقـد عُلم بصـريح العقـل أنّ هـذا لا يكــون إلا في الــذِّهن، لا فيمــا خــرج عنــه من الموجــودات، وجعلـوا الصّـفة هي الموصـوف، فجعلـوا العلم عينَ العـالم، مكابرةً للقضايا البديهيات، وجعلـوا هـذه الصّـفة هي الأخـرى, فلم يميِّزوا بين العلم والقــدرة والمشــيئة جحــدًا للعلــوم الضّروريات)[3].

---

[1] () الصفدية (1/89).
[2] () المصدر نفسه (1/96-97).
[3] () التدمرية (ص17).

تقرير مذهبهم في اسم الله العزيز:

ممّا سبق عرضه من مذهب الفلاسفة في أسماء الله تعالى وصفاته يتبيَّن أنَّهم لا يثبتون اسم الله العزيز ولا غيره من الأسماء الأخرى, ولا صفاته الحسنى, بل غاية قولهم هو نفي وجود الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا, فقولهم يستلزم تعطيل الله سبحانه وتعالى, بل صرَّحوا به فقالوا: هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق, وهذا لا حقيقة له في الخارج بل موجود في الأذهان, مخالفين في ذلك طريقة رسل الله عليهم الصَّلاة والسلام, وموافقين في ذلك إخوانهم من الكفّار والمشركين وأهل الكتاب والصابئة, وأبنائهم من الجهمية والقرامطة الباطنية.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأمّا من زاغ وحاد عن سبيلهم[1]من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب، ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية، والقرامطة الباطنية، ونحوهم فإنهم على ضد ذلك، يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل، ولا يثبتون إلا وجودا مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل، وإنّما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل، فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات، ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات)[2].

الشبهة التي تمسّكوا بها:

الشّبهة الرئيسة التي تمسك بها هؤلاء الفلاسفة في نفي أسماء الله تعالى هي **شبهة التركيب**, وهي في نفس الوقت الطريق الذي أثبتوا به وجود الصانع.

يقول ابن القيم رحمه الله: (أمّا الفلاسفة فأثبتوا وجود الصانع بطريق التركيب, وهو أن الأجسام مركبة, والمركب يفتقر إلى أجزائه, وكلّ مفتقر ممكن, والممكن لا بدّ له من وجود واجب, وتستحيل الكثرة في ذات الواجب بوجه من الوجوه, إذ يلزم تركيبه وافتقاره, وذلك ينافي وجوبه, وهذا

---

[1] () يقصد سبيل رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

[2] () التدمرية (ص14-15-16).

هو غاية توحيدهم[1], وبه أثبتوا الخـالق على زعمهم, ومعلـومٌ أنَّ هذا من أعظم الأدلَّة على نفي الخـالق, فإنّـه ينفي قدرتـه ومشيئته وعلمه وحياته, إذ لو ثبتت له هذه الصـفات بـزعمهم لكـان مركبـا, والمـركب مفتقـر إلى غـيره, فلا يكـون واجبـا بنفسه, وفي هـذه الشـبهة من التلـبيس والتـدليس والألفـاظ المجملة والمعـاني المشـتبهة مـا يطـول وصـفه, وقـد انتـدب لإفسادها جنود الإسلام على اختلاف مذاهبهم)[2].

فقالوا إنّ (إثبات الصّفات يقتضي التركيب والتجسيم, إما لكـون الصّـفة لا تقـوم إلا بجسـم في اصـطلاحهم, والجسـم مـركّب في اصـطلاحهم, وإمـا لأنّ إثبـات العلم والقـدرة ونحوهما يقتضي إثبات أمور متعدّدة وذلك تركيب)[3].

والعجيب من صـنيعهم أنّهم نفـوا عن اللـه الأسـماء والصفات بحجة التركيب, وهم مع ذلك يصفون الله بالمعـاني المتعددة التي تقتضي التركيب.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (هؤلاء يقولـون: إن الـرب واحد, والواحد لا يصدر عنه إلا واحد, ويعنون بكونه واحدا أنـه ليس له صفة ثبوتية أصلا, ولا يعقـل فيـه معـان متعـددة؛ لأن

---

1 () هذه طريقة المتأخرين منهم أنّهم يثبتون الله جل وعلا بطريقـة الوجـود والوجـوب والممكن, أمّـا متقـدموهم وأئمتهم فيثبتونـه بالحركة الفلكية, يقـول شـيخ الإسـلام:(وهـؤلاء المتـأخرون كـابن سـينا وأتباعـه خَلَطـوا الفلسـفة بمـا أخـذوه من كلام المتكلمين الجهمية من المعتزلة وغـيرهم, وسـلكوا في إثبـات الأول طريقـة الوجود, وقالوا: الوجود إما واجب وإمـا ممكن, ولا بـدَّ للممكن من واجب, أخـذوا ذلـك من قـول هـؤلاء المتكلمين: إِنّ الموجـود إمـا قديم وإما مُحْدَث, ولا بُد للمحدَث من قديم.
وإلا فأئمتهم كأرسطو وأتباعه لم يثبتوا الأول إلا بالحركة الفلكيـة, فقالوا: هي حركة شَوْقية إرادية فلا بدَّ لها من مـراد تُحِبّ التشـبه به, وهو يُحركها حركة المعشوق لعاشقه.
وهـذا الكلام ليس فيـه إثبـات أن واجب الوجـود علـة فاعلـة لمـا سواه, وإنَّما فيه أنّه عِلـة غائيـة بمعـنى التشـبُّه بـه, ولهـذا قـالوا: الفلسفة هي التشبُّه بالإله على قدر الطاقة). الـرد على الشـاذلي (ص129).

2 () الصواعق المرسلة (3/982).

3 () الصفدية (1/104).

ذلك عندهم تركيب؛ ولهذا يقولون: لا يكون فـاعلا وقـابلا؛ لأن جهـة الفعـل غـير جهـة القبـول, وذلـك يسـتلزم تعـدد الصـفة المستلزم للـتركيب, ومـع هـذا يقولـون: إنّـه عاقـل ومعقـول وعقل, وعاشق ومعشوق وعشق, ولذيذ وملتذ ولذة إلى غـير ذلك من المعاني المتعددة, ويقولون: إنّ كلّ واحـدة من هـذه الصّفات هي الصفة الأخرى, والصّـفة هي الموصـوف, والعلم هو القدرة وهو الإرادة, والعلم هو العالم وهو القادر) [1].

فخلاصـــة شـــبهتهم و(عمـــدتهم في نفي الـــتركيب أنهم يقولون: إنّ المـركب مفتقـر إلى جزئـه وجـزءٍ غـيره, وواجب الوجود لا يكون مفتقرا إلى غيره, وهذا الكلام اعتمد عليه ابن سينا وأتباعه كالرّازي وغيره, وبنوا عليه النفي والتعطيل, وهو من أبطل الكلام) [2].

الرّد عليهم:

أولا: يـرد على الفلاسـفة بـأن يقـال: إنّ مـا هم عليـه مخالف لما في القرآن, ومخالف لطريقة الأنبيـاء والمرسـلين عليهم الصلاة والسلام, فإنّ (الطريقـة الـتي جـاء بهـا القـرآن هي الطريقـة الموافقـة لصـريح المعقـول وصـحيح المنقـول, وهي طريقـة الأنبيـاء والمرسـلين, وأن الرسـل صـلوات اللـه عليهم جاءوا بنفي مجمل وإثبات مفصل؛ ولهـذا قـال سـبحانه وتعالى: ﮋ [illegible] ى ى ي ي [illegible] ﮊ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢], فسبح نفسه عما وصفه بـه المخـالفون للرسـل, وسـلم على المرسـلين لسـلامة مـا قـالوه من النقص والعيب, وطريقـة الرسل هي ما جاء بها القرآن, واللـه تعـالى في القـرآن يثبت الصـفات على وجـه التفصـيل, وينفي عنــه - على طريــق الإجمال - التشبيه والتمثيل, فهـو في القـرآن يخـبر أنـه بكـل شيء عليم, وعلى كل شيء قـدير, وأنـه عزيـز حكيم, غفـور رحيم, وأنه سميع بصير, وأنه غفـور, ودود وأنـه تعـالى - على عظم ذاتـه - يحب المؤمـنين ويرضـى عنهم, ويغضـب على الكفار ويسخط عليهم, وأنَّه خلق السموات والأرض في سـتَّة أيام ثمّ استوى على العـرش, وأنّـه كلّم موسـى تكليمـا, وأنّـه

---

[1] () مجموع الفتاوى (17/287).

[2] () الصفدية (1/107).

تجلىّ للجبل فجعله دكا؛ وأمثال ذلك, ويقول في النفي: ﭽ ﭡ ﭢ ﭼ [الشورى: ١١] , ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ [مريم: ٦٥] , ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [النحل: ٧٤], ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [الإخلاص: ١ -٤],
فيثبت الصفات وينفي مماثلة المخلوقات..., ومخالفو الرسل يصفونه بالأمور السلبية: ليس كذا ليس كذا, فإذا قيل لهم: فأثبتوه, قالوا: هو وجود مطلق, أو ذات بلا صفات...) [1].

وأيضا هم مخالفون للسلف الصالح من هذه الأمة, ولأئمّة المسلمين, فإنّ السلف والأئمة متبعون طريقة القرآن, التي هي سبيل الأنبياء والمرسلين.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأما السلف والأئمة فلم يدخلوا مع طائفة من الطوائف فيما ابتدعوه من نفي أو إثبات, بل اعتصموا بالكتاب والسنة, ورأوا ذلك هو الموافق لصريح العقل, فجعلوا كل لفظ جاء به الكتاب والسنة من أسمائه وصفاته حقا يجب الإيمان به, وإن لم تُعرف حقيقة معناه, وكلّ لفظ أحدثه النّاس فأثبته قوم ونفاه آخرون, فليس علينا أن نطلق إثباتَه ولا نفيَه حتى نفهم مراد المتكلّم, فإن كان مراده حقا موافقا لما جاءت به الرسل والكتاب والسنة: من نفي أو إثبات قلنا به؛ وإن كان باطلا مخالفا لما جاء به الكتاب والسنة من نفي أو إثبات منعنا القول به, ورأوا أن الطريقة التي جاء بها القرآن هي: الطريقة الموافقة لصريح المعقول وصحيح المنقول, وهي طريقة الأنبياء والمرسلين)[2].

ثانيا: الردّ عليهم في قولهم: إنّ الله هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق.

أما عن قولهم هذا: إنّ الله هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق, وما يتضمّن ذلك من نفي للأسماء والصفات, فيردّ عليهم بأن (يقال: الوجود المطلق بشرط الإطلاق أو بشرط سلب الأمور الثبوتية, أو لا بشرط, ممّا يُعلم بصريح العقل انتفاؤه في الخارج, وإنما يوجد في الذهن, وهذا مما قرروه في منطقهم اليوناني, وبيَّنوا أن المطلق بشرط الإطلاق,

[1] () مجموع الفتاوى (6/36-38).
[2] () المصدر نفسه (6/36-37).

كإنسان مطلق بشرط الإطلاق, وحيوان مطلق بشرط الإطلاق, وجسم مطلق بشرط الإطلاق, ووجود مطلق بشرط الإطلاق: لا يكون إلا في الأذهان دون الأعيان)[1].

بل الوجود المطلق بشرط الإطلاق الذي يدّعونه, يمتنع أن يكون مبدعا لغيره أو شرطا في وجوده كما يقرره قدماؤهم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ولما أثبت قدماؤهم الكليّات المجرّدة عن الأعيان التي يسمّونها المُثُل الأفلاطونية, أنكر ذلك حذّاقُهم، وقالوا: هذه لا تكون إلا في الذهن، ثم الذين ادعوا ثبوت هذه الكليات في الخارج مجردةً قالوا: إنَّها مجردة عن الأعيان المحسوسة, ويمتنع عندهم أن تكون هذه هي المبدعة للأعيان، بل يمتنع أن تكون شرطاً في وجود الأعيان، فإنها إما أن تكون صفةً للأعيان، أو جزءاً منها, وصفةُ الشيء لا تكون خالقةً للموصوف، وجزء الشيء لا يكون خالقاً للجملة، فلو قدِّر أن في الخارج وجوداً مطلقاً بشرط الإطلاق امتنع أن يكون مبدعاً لغيره من الموجودات، بل امتنع أن يكون شرطاً في وجود غيره، فإذن تكون المحدثات والممكنات المعلوم حدوثُها وافتقارها إلى الخالق المبدع مستغنيةً عن هذا الوجود المطلق بشرط الإطلاق، إن قيل: إن له وجوداً في الخارج، فكيف إذا كان الذي قال هذا القول هو من أشد الناس إنكاراً على من جعل وجود هذه الكليات المطلقة المجردة عن الأعيان خارجاً عن الذهن؟)[2].

ثالثا: ردُّ شبهة التركيب:

أولا: أنّ هذه الشّبهة التي اعتمدوا عليها في نفي الأسماء والصفات, قد استندت على ألفاظ مجملة, تحتمل حقا وباطلا, مثل: التركيب, والافتقار, والغير والجزء, فإن أريد به معنى حقا قُبل, وإن أريد بها معنى باطلا رُدّ, ونزه الله سبحانه عنه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (فإنَّ المركَّب لفظ مجمل, يراد به ما ركَّبه غيرُه, وما كان متفرقا فاجتمعت أجزاؤه, وما

---

1 () درء تعارض العقل والنقل (1/276).
2 () المصدر نفسه (1/275).

يمكن تفريق بعضه عن بعض, والله سبحانه منزه عن هذه التراكيب, ويراد به في اصطلاح هؤلاء ما له ماهية خاصَّة, يتميَّز بها عن سائر الماهيات, وما له ذات وصفات بحيث يتميز بعض صفاته عن بعض, وهذا ثابت له سبحانه, وإن سمَّاه هؤلاء تركيبا كما تقدَّم. وكذلك لفظ الافتقار لفظ مجمل. يراد به فقر الماهية إلى موجد غيرها بتحقيق وجودها به, والله سبحانه غني عن هذا الافتقار, ويراد به أنَّ الماهية مفتقرة في ذاتها إلى ذاتها, ولا قوام لذاتها إلا بذاتها, وأنَّ الصفة لا تقوم بنفسها, وإنّما تقوم بالموصوف, وهذا المعنى حقّ, وإن سمّاه هؤلاء الملبسون فقرا.

وكذلك لفظ الغير فيه إجمال, يراد بالغيرين: ما مفارقة أحدهما للآخر ذاتا أو مكانا أو زمانا, فصفات القديم سبحانه ليست غيرا له بهذا الاعتبار.

ويراد بالغيرين: ما جاز العلمُ بأحدهما دون الآخر, وهذا المعنى حق في ذاته وصفاته سبحانه, وإن سماها هؤلاء أغيارا, فإن المخلوق يعلم من الخالق صفة بعد صفة, وقد قال أعلم الخلق به: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"[1], وهذا لكثرة أسمائه, وصفات كماله, ونعوت جلاله, وقال: "أعوذ برضاك من سخطك, وأعوذ بعفوك من عقوبتك"[2], والمستعاذ به غير المستعاذ منه.

والمقصود أنّ تسمية هذا تركيبا وافتقارا وغيرا وضعٌ وضَعَه هؤلاء, وليس الشأن في الألفاظ, إنّما الشأن في المعاني, وقولهم: إنّه مفتقر إلى جزئيه تلبيسٌ, فإنّ القديم الموصوف بالصفات اللازمة له تمتنع أن تفارقه صفاته, وليست له حقيقة غير الذات الموصوفة حتى يقال: إن تلك الحقيقة مفتقرة إلى غيرها, وإن سمّيت تلك الصّفة غيرا. فالذات والصفات متلازمان لا يوجد أحدهما إلا مع الآخر, وهذا التلازم لا يقتضي حاجة الذات والصفات إلى موجد أوجدها وفاعل فعلها, والواجب بنفسه يمتنع أن يكون مفتقرا إلى ما هو خارج عن نفسه, فإما أن لا يكون له صفة ولا ذات ولا

---

1 () تقدم تخريجه (ص22).

2 () تقدم تخريجه.

يتميز منه أمرٌ عن أمر, فلا يلزم ذلك من وجوبه وكونه غنيا بنفسه عن كل ما سواه, فقول الملبس: إنه مفتقر إلى ذلك, كقوله: لو كان له ماهية لكان مفتقرا إلى ماهيته, والله سبحانه اسم للذات المتصفة بكمال العلم والقدرة والحياة والمشيئة وسائر صفات الكمال, ليس اسما لذاتٍ مجردة عن الأوصاف والنعوت, فكل ذات أكمل من هذه الذات, تعالى الله عن قول الملحدين في أسمائه وصفاته علوا كبيرا.

والمقصود أن هذه الطريق التي سلكها هؤلاء في إثبات الصانع هي أعظم الطرق في نفيه وإنكار وجوده, وكذلك كان سالكوها لا يؤمنون بالله ولا بملائكته وكتبه ولا رسله ولا باليوم الآخر, وإن صَانَع مَن صانَع منهم لأهل الملل بألفاظ لا حاصِلَ لها)[1].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والمقصود هنا أنّ هذه الحجة التي ينفون بها الصفات, ويعتمدون على نفي مسمّى التركيب, هي مبنية على ألفاظ مجملة مشتركة موهِمة, فإذا قالوا: إثبات الصفات تركيب, والمركَّب مفتقر إلى جزئه, وجزؤه غيُره, والمفتقر إلى غيره ليس بواجبٍ بنفسه, قيل لهم: إن أردتم بالغير غيرا مباينا له فهذا باطل, وإن أردتم ما هو داخل في مسمى اسمه كان حقيقةُ قولكم: المركب لا يوجد إلا بوجود جزئه, والمجموع لا يوجد إلا بوجود بعضه, والجملة لا توجد إلا بوجود أفرادها.

ومن المعلوم أن القائل إذا قال الشيء لا يوجد إلا بوجود نفسه كان هذا صحيحا, وكذلك إذا قيل لا يوجد إلا بوجود ما هو داخل في نفسه مما يسمى صفاتٍ وأجزاءً ونحو ذلك, فإذا قيل أن هذا يقتضي افتقارَه إلى غيره, كان من المعلوم أن هذا دون افتقاره إلى نفسه, فإن نفسه إذا كانت لا توجد إلا بنفسه فأن لا يوجد إلا بوجود ما يدخل في نفسه أولى, وإذا قيل لم يوجد إلا بنفسه لم يمنع هذا أن يكون واجبا بنفسه, وإذا قيل لا يوجد إلا بوجود ما هو داخل في مسمى نفسه كان هذا أولى أن لا يمنع كونه واجبا بنفسه؛ لأن الافتقار إلى المجموع أعظم من الافتقار إلى الجزء, ومن

---

[1] () الصواعق المرسلة (3/981).

افتقر إلى مجموع العشرة كـان افتقـاره أبلـغ من افتقـارِ مَن افتقر إلى واحد من العشرة, فـإذا كـان المجمـوع لا يوجـد إلا بالمجموع, ولا يمنع هذا أن يكون المجموع مفتقرا إلى نفسه, فَلَأَن لا يمنع كون المجموع مفتقرا إلى فـرد من أفـراده أولى وأحرى.

وإذا قيل: جزؤه غيره, والمفتقر إلى غيره ممكن بنفسـه, قيل: إن أريد بذلك أن المفتقر إلى المباين له ممكن بنفسـه, فليس هذا موردَ كلامنـا, وإن أريـد أن المفتقـر إلى مـا يـدخل في نفسه ممكن بنفسـه كـان هـذا ممنوعـا, بـل كـان معلـوم الفساد بالضرورة, فإنَّ افتقاره إلى ما يدخل في نفسـه ليس بأعظم من افتقاره إلى نفسـه, وإذا كـان هـو موجـود بنفسـه بمعنى أنه لا يفتقر إلى مباين لـه, لم يلـزم من هـذا ألا تفتقـر نفسه إلى نفسه, فكذلك لا يلزم ألا تفتقـر إلى مـا يـدخل في مسمى نفسه, وإذا قيل: هو مفتقـر إلى نفسـه فلـه معينـان: أحدهما أنه مفتقر إلى أن يفعل نفسه ونحو ذلك, فهذا ممتنـع لذاتـه, فـإنّ الشـيء لا يكـون فـاعلا لنفسـه, والعلم بـذلك ضـروري, وإن أريـد بـذلك أن نفسـه لا تكـون إلا بنفسـه, ولا تستغني عن نفسه, ويمتنـع وجـود نفسـه بـدون نفسـه, فهـذا صحيح لا بد منه.

وإذا قيل: هو مفتقر إلى ما يدخل في نفسه سواء سـمّي صفة أو جزءًا أو غير ذلك, قيل: أتريد به أن ذلك الجزء يكـون فاعلا له أو ما يشبه هذا, فهذا ممتنع باطل, ولا يقولـه عاقـل, وإن أردت بـذلك أنـه لا يكـون موجـودا إلا بوجـود ذلـك, وأنـه يمتنع وجودُه بدونه ونحو ذلك, كان ما يقـدر في هـذا دون مـا يقـدر في نفسـه, وإذا كـان لا توجـد نفسـه إلا بنفسـه فـأن لا يوجد إلا بما يدخل في نفسه بطريق الضرورة, وإذا كان ذلـك أمرا واجبا لا محذور فيه فهذا بطريق الأولى, وإذا كـان تقـدير استغناء نفسه عن نفسه يوجب عدمه, فكذلك تقـدير وجـوده بدون ما هو داخل في مسمى نفسه ممـا هـو لازم لـه يـوجب عدمَه بالحقيقة, فهذه الأمور التي نَفَوْها عن الوجـود الـواجب توجِب عدمَه وامتناعَه, ولهذا كانوا من أعظم النـاس تناقضـا, حيث وصـفوا واجبَ الوجـود بممتنـعِ الوجـود, ولهـذا جعلـوه وجودا مطلقا بشرط الإطلاق, أو بشرط نفي الأمور الثبوتيـة,

كما صرّح بذلك ابن سينا وأتباعه) [1].

ثانيا: أن لفظ التركيب لفظ محتمل, وضع في اللغة لمعانٍ متعددة بحسَب الاصطلاحات, وكذلك لفظ الجزء والغير والافتقار.

(فيقال: المركب لما ركَّبَه غيرُه, كما قال تعالى: ﮋﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮊ [الانفطار: ٨], ويقال: ركبت الباب في موضعه ونحو ذلك, وهذا هو مفهوم المركَّب في اللّغة.

وقد يقال: المركَّب لما كان متفرقا, فجمع كجمع الأغذية والأدوية المركبة.

وقد يقال: المركب لما يمكن تفريقُ بعضه عن بعض, كأعضاء الإنسان, وإن لم يُعهد له حال تفريقٍ في الابتداء.

وقد يقال: المركّب لما يشار إليه, كالشَّمس والفلك قبل أن يعلم جواز الانفكاك عنه.

وقد يقال: المركّب لما جاز أن يُعلم منه شيء دون شيء, كما يعلم كونه قادرا قبل أن يعلم كونه سميعا بصيرا, وإذا كان كذلك, فمعلوم أنّهم إذا قالوا: أن إثبات الصفات تستلزم التركيب, لم يريدوا به الأول والثاني, فإن إثبات الصفات لازم لله تعالى, فيمتنع زوال صفات الكمال عنه, ويمتنع أن يجوز عليه خلاف الصمدية كالتفرق ونحوه, فإنّه الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد.

وكذلك إذا قالوا: المركب مفتقر إلى أجزائه, فلفظ الجزء قد يعني به ما جُمع إلى غيره حتى حصلت الجملة, كالواحد من العشرة, وكجزء الطّعام والثِّياب.

وقد يعني بالجزء ما كان بعضا لغيره, وإن لم يعلم انفراده عنه, أو لم يمكن انفراده عنه, وقد يدخلون في هذه الحياة اللازمة للحي, والعلم اللازم للعالم, كما يقولون الحيوانية والناطقية جزءَا الإنسان, وهما نعتان لازمان له, لا يمكن وجوده بدونهما.

وكذلك لفظ الافتقار يراد به: افتقار المعلول إلى علته,

---

[1] () الصفدية (1/109-112).

والمصنوع إلى صانعه.

ويراد به افتقار الصفة إلى مَحلِّها الذي تقوم به, وقد يعني به التلازم, وهو استلزام الموصوف لصفات كماله.

وكذلك لفظ الغير قد يراد به المباين للشيء, وقد يعني به ما يعلم الشيء بدونه, ولهذا لَـمَّا تنازع الناس في صفات الله تعالى, بل في صفة كل موصوف, وبعض كل مجموع, هل يقال: أنّه غير له أم لا, فقالت طائفة: صفة الموصوف وبعض الجملة ليس غيرا له؛ لأنه لا يوجد إلا به, وقال بعضهم: بل هو غيرٌ له؛ لأنّه يمكن العلم به دونه, كان هذا نزاعا لفظيا, فامتنع السلف والأئمة أن يطلقوا على صفات الله كلامه وعلمه ونحو ذلك, أنَّه غير له أو أنه ليس غيره)[1].

ثالثا: أن هؤلاء الفلاسفة مع فرط مبالغتهم في السلب ونفي الصفات بشبهة التركيب, يقولون: إنه موجود واجب, وأنه معقول وعاقل وعقل, ولذيذ وملتذ به, وعاشق ومعشوق وعشق, فوقعوا في نفس المحذور الذي فرُّوا منه, فما الفرق بين ما أثبتوه وبين ما نفوه عن الله عز وجل, فكلُّ ذلك تركيب على حسب مذهبهم؛ لأنّ المعاني التي أثبتوها معان متعددة متغايرة, وهذا تركيب أيضا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وإن قال نفاة الصفات: إثبات العلم والقدرة والإرادة يستلزم تعدد الصفات، وهذا تركيب ممتنع. قيل: وإذا قلتم: هو موجود واجب، وعقل وعاقل ومعقول، وعاشق ومعشوق، ولذيذ وملتذ ولذة، أفليس المفهوم من هذا هو المفهوم من هذا؟، فهذه معان متعددة متغايرة في العقل, وهذا تركيب عندكم، وأنتم تثبتونه وتسمُّونه توحيدًا.

فإن قالوا: هذا توحيد في الحقيقة وليس هذا تركيبًا ممتنعًا.

قيل لهم: واتصاف الذات بالصفات اللازمة لها توحيد في الحقيقة وليس هو تركيبًا ممتنعًا) [2].

---

1 () الصفدية (1/105-107).

2 () التدمرية (ص41), وانظر: مجموع الفتاوى (17/287).

2- الجهمية الغلاة:

أنكر الجهمية الغلاة اسم الله العزيز وغيره من الأسماء الحسنى, وأنكروا مع ذلك صفات الباري جل وعلا, هم الجهمية الغالية الغلاة الذين ينفون كل أسماء الله الحسنى, إلا اسم الله القادر؛ والسبب الذي دفعهم لإثبات اسم الله القادر, هو أنّهم جبرية في باب القدر, والعبد عندهم لا قدرة له, فأثبتوا بذلك اسم الله القادر.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله**:** (جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئا ولا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز, قال: لأنّه إذا سمّي باسم تسمّى به المخلوق كان تشبيها, وكان جهم مجبرا يقول: إن العبد لا يفعل شيئا؛ فلهذا نقل عنه أنّه سمّى الله قادرا؛ لأنّ العبد عنده ليس بقادر)[1].

بل نفي الأسماء والصفات, وجحد حقائقها من تمام التوحيد عندهم, بل هو غاية التوحيد الذي ورثوه عن الفلاسفة.

يقول ابن القيم رحمه الله: (توحيد الجهمية, وهو مشتق من توحيد الفلاسفة, وهو نفي صفات الرب, كعلمه, وكلامه, وسمعه, وبصره, وحياته, وعلوِّه على عرشه, ونفي وجهه, ويديه, وقطب رحى هذا التوحيد جحد حقائق أسمائه وصفاته)[2].

لكن الجهميّة الغلاة لم يكونوا يصرّحون بهذا المعتقد السيّء في باب أسماء الله وصفات؛ لانتشار السنّة في ذلك الوقت؛ ولخوفهم من تشنيع الناس عليهم.

يقول شيخ الإسلام: (وكذلك الجهمية على ثلاث درجات, فشرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته, وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا: هو مجاز, فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير, ولا يكلم ولا يتكلم, وكذا وصف العلماء حقيقة قولهم, كما ذكره

---

1 () مجموع الفتاوى (12/311).
2 () الصواعق المرسلة (3/931).

الامام أحمد فيما خرجه في الرد على الزنادقة والجهمية[1] قال: فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يثبتون شيئا, لكنهم يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية, فإذا قيل لهم: فمن تعبدون, قالوا: نعبد من يدبر هذا الخلق, فقلنا: فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يُعرف بصفة, قالوا: نعم, قلنا: قد عرف المسلمون أنكم لا تثبتون شيئا؛ إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرون, فقلنا لهم: هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى, قالوا: لم يتكلم ولا يتكلم؛ لأنّ الكلام لا يكون إلا بجارحة, والجوارح عن الله منفية)[2].

شبهة الجهمية الغلاة في نفيهم أسماء الله تعالى:

الشبهة التي بسببها نفت الجهمية أسماء الله تعالى هو: زعمهم أنّ ذلك يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق, وهو أنه إذا أثبتنا لله اسما, وكان ذلك الاسم تسمّى به المخلوق أيضا, كان ذلك تشبيهاً له سبحانه بخلقه؛ ولذلك قالوا: إنَّها مجاز في حقِّ الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وكذلك جهم كان ينكر أسماء الله تعالى, فلا يسميه شيئاً ولا حياً ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز, قال: لأنّه إذا سمّي باسم تسمَّى به المخلوقُ كان تشبيهاً)[3].

وبهذه الشبهة التي نقلها عن جهم عامة الناس وشُهِّرت عنه, لم يسمِّ الله تعالى بشيء.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (ولهذا كان قول جهم المشهور عنه الذي نقله عنه عامة الناس, أنّه لا يسمى الله شيئا؛ لأنّ ذلك بزعمه يقتضي التشبيه؛ لأنّ اسم الشيء إذا قيل على الخالق والمخلوق, لزم اشتراكهما في مسمى الشيء, وهذا تشبيه بزعمه)[4].

---

1 () انظر: الرد على الجهمية والزنادقة (ص99).
2 () الفتاوى الكبرى (6/370).
3 () مجموع الفتاوى (12/311).
4 () درء تعارض العقل والنقل (5/178).

ويقول ابن خزيمة رحمه الله: (والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله جل وعلا وصف بها نفسه في محكم تنزيله, أو على لسان نبيه لجهلهم بالعلم, وقال عز وجل: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﮊ [الفرقان: ٤٣ – ٤٤].

فأعلم الله عز وجل أنّ من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام, بل هم أضلّ سبيلا, فمعبود الجهمية -عليهم لعائن الله- كالأنعام التي لا تسمع ولا تبصر, والله قد ثبَّت لنفسه أنَّه يسمع ويرى, والمعطلة من الجهمية تنكر كل صفة لله وصف بها نفسه في محكم تنزيله, أو على لسان نبيه لجهلهم بالعلم, وذلك أنهم وجدوا في القرآن أن الله قد أوقع أسماءً من أسماء صفاته على بعض خلقه, فتوهموا لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بتلك الصفة التي وصف الله بها نفسه قد شبَّهه بخلقه, فاسمعوا يا ذوي الحجا ما أبين من جهل هؤلاء المعطلة)[1].

وبهذه الشّبهة يخدع الجهمية الناس؛ لأنّهم يظهرون من أنفسهم أنّهم معظّمون الله تعالى ومنزهون الله تعالى عن مشابهة المخلوقين, ولكن في الحقيقة هم من أشدّ النّاس تعطيلا لله تعالى, ونفيًا لحقائق أسمائه وصفاته.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: (فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيمًا لله، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله)[2].

واستدل الجهم أيضا على شبهته بآيات من المتشابه من القرآن منها قوله تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الشورى: ١١] , لينفي بزعمه مشابهة الله لخلقه.

يقول الإمام أحمد رحمه الله: (ووجد ثلاث آيات من المتشابه: قوله: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﮊ [الشورى: ١١], ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [الأنعام: ٣], ﮋ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [الأنعام: ١٠٣], فبنى أصل كلامه على هذه الآيات، وتأوَّل القرآن على غير تأويله، وكذب بأحاديث

---

1 () كتاب التوحيد (1/59).
2 () الرد على الجهمية والزنادقة (ص100).

رسول الله صلى الله عليه وسلم, وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافرًا، وكان من المشبهة، فأضل بكلامه بشرًا كثيرًا، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة، وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة, ووضع دين الجهمية، فإذا سألهم الناس عن قول الله: ﴿ ﭡ ﭢ ﭣ ﴾ [الشورى: ١١], يقولون: ليس كمثله شيء من الأشياء، وهو تحت الأرضين السبع، كما هو على العرش، ولا يخلو منه مكان، ولا يكون في مكان دون مكان، ولم يتكلم، ولا يتكلم، ولا ينظر إليه أحد في الدنيا، ولا في الآخرة، ولا يوصف, ولا يعرف بصفة، ولا يفعل, ولا له غاية، ولا له منتهى...)[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وذكر أحمد أنّ الجهم اعتمد من القرآن على ثلاث آيات تشتبه معانيها على من لا يفهمها: آية نفي الإدراك لينفي بها الرؤية والمباينة، وآية نفي المثل لينفي بها الصفات, ويجعل من أثبتها مشبها، وقوله: ﴿ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﴾ [الأنعام: ٣]، لينفي بها علوَّه على العرش، أو ليثبت بها مع ذلك الحلول والاتحاد, وعدم مباينته للمخلوقات)[2].

فيتلخص ممَّا سبق أنّ الجهمية تمسَّكوا بأمور ليعطِّلوا الله تعالى من أسماءه الحسنى وصفاته العلا وهي:

الأولى: ادعاؤهم أن إثبات الأسماء لله تعالى يقتضي التشبيه.

الثانية: دعوى المجاز في أسماء الله تعالى إذا أضيفت إليه.

الثالثة: استدلالهم بالآيات المتشابهات كقوله تعالى: ﴿ ﭡ ﭢ ﭣ ﴾ [الشورى: ١١] , لينفوا بها الصفات, ويجعلوا من أثبتها مشبها.

الرد على الجهمية في نفيهم أسماء الله تعالى:

مما تقدّم بيانه تظهر أهم الشّبه التي يتمسّك بها الجهمية في إنكارهم لأسماء الله وصفاته وهي: شبهة نفي التشبيه

---

1. () المصدر نفسه (ص96-98).
2. () درء تعارض العقل والنقل (5/175).

ودعـوى التنزيـه, ومن ثمّ قـالوا: إن أسـماء اللـه تعـالى إذا أضيفت إليه سبحانه فهي مجاز, واستدلوا لشبهتهم بآيات من كتاب الله تشتبه معانيها, ليلمزوا من أثبت الصفات لله تعالى بأنّه مُشبِّه, وسيكون الـردّ على شـبهة التشـبيه أولا, ثم الـردّ على دعوى المجاز في أسمائه الحسنى ثانيـا, ثم الـردّ عليهم فيما استدلوا به من آيات في كتاب الله تعالى.

وقبل البدء في الردّ عليهم ننبِّه إلى ردّ كليّ إجماليّ, وهـو أنّ قول الجهمية هؤلاء مخالف لصريح القرآن وصحيح السـنّة النبويـة, ومـا عليـه السـلف الصـالح, وجميـع علمـاء الإسـلام المعروفين باتباع السـنّة, وسـلامة المعتقـد, وصـدق اللسـان, وحسن السيرة, بل القرآن والسنة وأقـوال السـلف مناقضـة لما هم عليه.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (بـل جميـع مـا يقولـه الجهمية من النفي, ويزعمون أنّه الحقّ, ليس معهم به حـرف من كتاب الله, ولا سنة رسوله, ولا قول أحد من سلف الأمـة وأئمتها, بل الكتاب والسنة وأقـوال السـلف والأئمـة مملـوءة بما يدل على نقيض قولهم)[1].

وعلى المسـلم أن يـردّ أي شـبهة تعـرض عليـه -مهمـا تضمنت هذه الشبهة من: تعقيـد, وغمـوض, وزخرفـة أقـوال- إلى الأمـر المحكم, وهـو: الكتـاب والسـنة, ومـا كـان عليـه السلف الصالح.

أولا: الرد على شبهتهم التي يدّعون فيهـا تنزيـه الله تعالى, وهي أن إثبات الأسماء عنـدهم يقتضـي التشبيه.

السبب الذي جعل هؤلاء الجهمية يتمسّكون بهذه الشّبهة, هو: جهلهم بالعلم وقلّـة فهمهم, وإلا فلـو أوتـوا علمـا وفهمـا, يفرِّقون به بين الحق والباطل, لعلموا أنّ مـا وصـف اللـه بـه نفسه يليق بجلاله وعظمته, وما وصف به خلقه يليق بعجزهم وضعفهم.

قال ابن خزيمة رحمه الله: (والمعطلة من الجهميـة تنكـر

---

[1] () مجموع الفتاوى (6/578).

كـل صـفة للـه وصـف بهـا نفسـه في محكم تنزيلـه, أو على لسان نبيه؛ لجهلهم بالعلم, وذلـك أنّهم وجـدوا في القـرآن أنّ اللـه قـد أوقـع أسـماء من أسـماء صـفاته على بعض خلقـه, فتوهّموا لجهلهم بالعلم أن من وصف الله بتلـك الصـفة الـتي وصف الله بها نفسه قد شبَّهه بخلقه, فاسمعوا يا ذوى الحجـا ما أبين من جهل هؤلاء المعطلة) [1].

وأيضا المتأمّل في نصـوص الكتـاب والسـنّة يجـد أنّ اللـه تعالى سمّى نفسه المقدسة بأسماء, وسمّى بعض خلقه بتلك الأسماء, ولا يوجب الاتفاقُ في الأسماء الاتفـاقَ في المعـاني, فأسماء الله تعالى تليق بعظمته وجلاله, وأسـماء المخلـوقين تليق بضعفهم وعجزهم وفقرهم, فالفرق بين أسـماء الخـالق جل وعلا وأسماء المخلوق, كالفرق بين الخالق والمخلوق.

يقول ابن خزيمة رحمه الله: (أقـول: وجـدت اللـه وصـف نفسه في غير موضع من كتابـه, فـأعلم عبـادَه المؤمـنين أنـه سميع بصير, فقال: [illegible] [الشورى: ١١] , وذكر عز و جل الإنسان فقال: [illegible] [الإنسـان: ٢] , وأعلمنا جـل وعلا أنّـه يُرى, فقال: [illegible] [التوبة: ١٠٥] , وقال لموسى وهارون عليهما السلام: [illegible] [طه: ٤٦] , فأعلم عزّ وجلّ أنّـه يـرى أعمـال بـني آدم, وأن رسـوله وهـو بشـر يـرى أعمالَهم...

أفيلزم ذوي الحجا عند هؤلاء الفسقة أن من ثبت للـه مـا ثبت الله في هذا الآي, أن يكون مشبها خالقه بخلقه؟!, حاش لله أن يكون هذا تشبيها كما ادعوا لجهلهم بالعلم, نحن نقـول إن الله سميع بصير كما أعلمنا خالقنا وبارؤنا, ونقـول من لـه سمع وبصر من بني آدم فهو سـميع بصـير, ولا نقـول أن هـذا تشبيه المخلوق بالخالق...

وقد سمَّى اللـه لنـا نفسـه عزيـزا, وسـمى بعض الملـوك عزيزا فقال: [illegible] [يوسف: ٣٠], وسمّى إخوة يوسف أخاهم يوسف عزيزا فقالوا: [illegible] [يوسف: ٧٨] , وقال: [illegible] [يوسف: ٨٨], فليس عزة خالقنا العزة التي هي صفة من صفات ذاته كعزة المخلـوقين الـذين

---

[1] () التوحيد (1/58).

أعزهم الله بها, ولو كان كل اسم سمّى الله لنا به نفسه, وأوقع ذلك الاسم على بعض خلقه كان ذلك تشبيه الخالق بالمخلوق على ما توهَّم هؤلاء الجهلة من الجهمية, لكان كلّ من قرأ القرآن وصدَّقه بقلبه أنّه قرآن ووحي وتنزيل قد شبّه خالقه بخلقه.

وقد أعلمنا ربنا تبارك وتعالى أنّه الملك وسمّى بعض عبيده ملكا فقال: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮊ [يوسف: ٥٠], وأعلمنا جلّ جلاله أنّه العظيم, وسمّى بعض عبيدة عظيما فقال: ﮋ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﮊ [الزخرف: ٣١], وسمّى الله بعض خلقه عظيما فقال: ﮋ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [التوبة: ١٢٩] , فالله العظيم, وأوقع اسم العظيم على عرشه, والعرش مخلوق, وربّنا الجبار المتكبر فقال: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﮊ [الحشر: ٢٣] , وسمى بعض الكفار متكبرا جبارا فقال: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﮊ ﮊ [غافر: ٣٥] , وبارؤنا عز وجل الحفيظ العليم, وخبَّرنا أنّ يوسف عليه السلام قال للملك: ﮋ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﮊ [يوسف: ٥٥] , وقال ﮋ ﮯ ﮰ ﮱ ﮊ [الذاريات: ٢٨] , وقال: ﮋ ﯦ ﯧ ﮊ [الصافات: ١٠١] , فالحليم والعليم اسمان لمعبودنا جل وعلا قد سمّى الله بهما بعض بني آدم, ولو لزم يا ذوى الحجا أهل السنّة والآثار إذا أثبتوا لمعبودهم يَدَيْنِ كما ثبتهما الله لنفسه, وثبتوا له نفسا عز ربنا وجل, وأنّه سميع بصير يسمع ويرى, ما ادعى هؤلاء الجهلة عليهم أنّهم مشبهة, لَلَزِم كلَّ من سمّى الله ملكا أو عظيما ورؤوفا ورحيما وجبارا ومتكبرا, أنّه قد شبَّه خالقه عزَّ وجل بخلقه, حاش لله أن يكون من وصف الله جل وعلا بما وصف الله به نفسه في كتابه, أو على لسان نبيّه المصطفى مشبها خالقه بخلقه...

وكلّ من فهم عن الله خطابه, يعلم أنّ هذه الأسامي التي هي لله تعالى, أسامي بيّن الله ذلك في كتابه, وعلى لسان نبيِّه, مما قد أوقع تلك الأسامي على بعض المخلوقين, ليس على معنى تشبيه المخلوق بالخالق؛ **لأنّ الأسامي قد تتفق وتختلف المعاني**) [1].

- وأيضا يلزم على مذهبهم هذا لوازم باطلة منها أنه إذا (كان علماء الآثار الذين يصفون الله بما وصف به نفسه, وبما

---

1 () انظر: التوحيد (1/58-80) بتصرف.

جاء وعلى لسان نبيه مشبهة على ما يزعم الجهمية المعطلة, فكلّ أهل القبلة إذا قرأوا كتاب الله فآمنوا به بإقرار باللسان, وتصديق بالقلب, وسمّوا الله بهذه الأسامي التي خبّر الله بها أنّها له أسامي, وسمّوا هؤلاء المخلوقين بهذه الأسامي التي سمّاهم الله بها هم مشبهة, فعود مقالتهم هذه توجب أن على أهل التوحيد الكفر بالقرآن, وترك الإيمان به, وتكذيب القرآن بالقلوب, والإنكار بالألسن, فأقذر بهذا من مذهب, وأقبح بهذه الوجوه عندهم, عليهم لعائن الله وعلى من ينكر جميع ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله والكفر بجميع ما ثبت عن نبينا المصطفى بنقل أهل العدالة موصولا إليه في صفات الخالق) [1].

ثانيا: الردّ عليهم في دعواهم أنّ الأسماء إذا أضيفت إلى الله تعالى فهي مجاز في حقّه.

الحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له, والمجاز هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له, وفي نفس هذا التقسيم إبطال لدعوى الحقيقة والمجاز, يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (إنّ الذين قسّموا اللّفظ: حقيقة ومجازا قالوا: الحقيقة هو اللفظ المستعمل فيما وضع له, والمجاز هو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له, كلفظ الأسد والحمار إذا أريد بهما البهيمة, أو أريد بهما الشجاع والبليد, وهذا التقسيم والتحديد يستلزم أن يكون اللفظ قد وضع أولا لمعنى, ثم بعد ذلك قد يستعمل في موضوعه, وقد يستعمل في غير موضوعه؛ ولهذا كان المشهور عند أهل التقسيم أن كل مجاز فلا بد له من حقيقة, وليس لكلِّ حقيقة مجاز؟, فاعترض عليهم بعض متأخريهم وقال: اللفظ الموضوع قبل الاستعمال لا حقيقة ولا مجاز, فإذا استعمل في غير موضوعه فهو مجاز لا حقيقة له, وهذا كلُّه إنّما يصح لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعانٍ, ثمّ بعد ذلك استعملت فيها؛ فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال, وهذا إنّما صحّ على قول من يجعل اللغات اصطلاحية, فيدّعي أنّ قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسمّوا هذا بكذا, وهذا

---

1 () المصدر نفسه (1/81).

بكذا, ويجعل هذا عاما في جميع اللغات, وهذا القول لا نعرف أحدا من المسلمين قاله قبل أبي هاشم بن الجبائي...

والمقصود هنا أنّه لا يمكن أحدا أن ينقل عن العرب, بل ولا عن أمة من الأمم, أنّه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللّغة, ثمّ استعملوها بعد الوضع, وإنّما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوْه بها من المعاني, فإن ادّعى مدّعٍ أنّه يعلم وضعا يتقدم ذلك فهو مبطل؛ فإنّ هذا لم ينقله أحد من الناس, ولا يقال: نحن نعلم ذلك بالدليل؛ فإنّه إن لم يكن اصطلاح متقدم لم يمكن الاستعمال)[1].

ويردّ عليهم أيضا في دعوى المجاز في أسماء الله تعالى بما يلي:

أولا: أنّ هذا التقسيم للكلام إلى حقيقة ومجاز لم يكن معروفا في الصّدر الأول من القرون الثّلاثة المفضلة من هذه الأمّة, فلم يقل به أحد من الصّحابة, ولا من التّابعين, ولا من الأئمة الأربعة, وغيرهم من أهل العلم والفضل, وإنّما أغلب من قال به هم أهل الأهواء من المعتزلة, ومن نحى نحوهم من أهل الكلام.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فهذا التّقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة, لم يتكلّم به أحد من الصّحابة ولا التّابعين لهم بإحسان, ولا أحد من الأئمّة المشهورين في العلم, كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي, بل ولا تكلم به أئمة اللّغة والنّحو, كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء[2] ونحوهم, وأوّل من عُرف أنّه تكلّم بلفظ المجاز أبو عبيدة معمر بن المثنى[3] في كتابه,

---

[1] () مجموع الفتاوى (7/90-91), وانظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص292-295).

[2] () أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني البصري, اختلف في اسمه اختلافا كثيرا, وهو أحد أئمة القراء السبعة, وأعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن والشعر, وهو في النّحو في الطبقة الرابعة, مات سنة أربع وخمسين ومائة. انظر: معجم الأدباء (3/1317), وإنباه الرواة (4/131).

[3] () هو معمر بن المثنى، أبو عبيدة التيمي البصري النحوي العلامة,

ولكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة, وإنّما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية؛ ولهذا قال من قال من الأصوليين كأبي الحسين البصري وأمثاله: إنّما تُعرف الحقيقة من المجاز بطرق منها: نصّ أهل اللغة على ذلك بأن يقولوا: هذا حقيقة وهذا مجاز، فقد تكلّم بلا علم، فإنّه ظنّ أنّ أهل اللّغة قالوا هذا, ولم يقل ذلك أحد من أهل اللّغة ولا من سلف الأمّة وعلمائها؛ وإنّما هذا اصطلاح حادث, والغالب أنّه كان من جهة المعتزلة ونحوهم من المتكلمين, فإنّه لم يوجد هذا في كلام أحد من أهل الفقه والأصول والتفسير والحديث ونحوهم من السلف, وهذا الشافعي هو أوّل من جرّد الكلام في أصول الفقه, لم يقسِّم هذا التقسيم, ولا تكلّم بلفظ الحقيقة والمجاز, وكذلك محمد بن الحسن له في المسائل المبنية على العربية كلام معروف في الجامع الكبير وغيره, ولم يتكلم بلفظ الحقيقة والمجاز, وكذلك سائر الأئمة لم يوجد لفظ المجاز في كلام أحد منهم إلا في كلام أحمد بن حنبل, فإنّه قال في كتاب الرّد على الجهمية في قوله: "إنا، ونحن", ونحو ذلك في القرآن: هذا من مجاز اللّغة يقول الرجل: إنّا سنعطيك, إنّا سنفعل, فذكر أنّ هذا مجاز اللّغة, وبهذا احتجّ على مذهبه من أصحابه من قال: إنّ في القرآن مجازا كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل...

وآخرون من أصحابه منعوا أن يكون في القرآن مجاز...

وحكى بعض النّاس عن أحمد في ذلك روايتين, وأمّا سائر الأئمة فلم يقل أحد منهم ولا من قدماء أصحاب أحمد: إنّ في القرآن مجازا, لا مالك, ولا الشافعي, ولا أبو حنيفة, فإنّ تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز إنّما اشتهر في المائة الرّابعة, وظهرت أوائله في المائة الثّالثة, وما علمته موجودا في المائة الثانية, اللهمّ إلا أن يكون في أواخرها, والذين أنكروا أن يكون أحمد وغيره نطقوا بهذا التقسيم قالوا: إن

صاحب التصانيف, وكان الغريب وأيام العرب أغلب عليه، وكان لا يقيم البيت إذا أنشده، ويخطئ إذا قرأ القرآن نظرا، وكان يبغض العرب، وألف في مثالبها كتبا، وكان يرى رأي الخوارج, مات سنة تسع ومائتين, وقيل: سنة عشر ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (15/338), وسير أعلام النبلاء (9/445).

معنى قول أحمد: من مجاز اللغة, أي: مما يجوز في اللغة أن يقول الواحد العظيم الذي له أعوان: نحن فعلنا كذا, ونفعل كذا, ونحو ذلك, قالوا: ولم يرد أحمد بذلك أنّ اللفظ استعمل في غير ما وضع له)[1].

ثانيا: على فرض القول بالمجاز, فإنّه لا يقع في نصوص الصّفات الواردة في الكتاب والسنة؛ لإجماع أهل السنّة والجماعة على أنّ نصوص الصّفات تُحمل على الحقيقة لا على المجاز, ولم يخالف في ذلك إلا من لا يُعتَدّ بخلافه من أهل الأهواء والبدع من الجهمية والمعتزلة, ومن كان على شاكلتهم, وممّن حكى هذا الإجماع ابن عبد البر حيث قال: (أهل السنّة مجمعون على الإقرار بالصّفات الواردة كلّها في القرآن والسنّة والإيمان بها, **وحملها على الحقيقة لا على المجاز**, إلا أنّهم لا يكيّفون شيئا من ذلك, ولا يحدُّون فيه صفة محصورة, وأمّا أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج, فكلهم ينكرها, ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة, ويزعمون أن من أقرّ بها مشبه, وهم عند من أثبتها نافون للمعبود, والحقّ فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنّة رسوله, وهم أئمة الجماعة والحمد لله) [2], فَعُلِم بهذا أنّه على فرض القول بالمجاز, فإنّه لا يقع في الأسماء والصّفات الواردة في الكتاب والسنة؛ للإجماع الذي نقل عن أهل السنّة والجماعة أنّ نصوص الصفات تحمل على الحقيقة لا على المجاز.

ثالثا: أنّ القائلين بوقوع المجاز مجمعون على أنّ كل مجاز يجوز نفيه, ويحكمون على هذا الذي نُفِي من المجاز بالصّدق, وعلى هذا يكون قولهم: إنّ "في القرآن مجاز", أنّه يجوز نفي شيء من القرآن, ويكون نفيه في نفس الأمر صدقا, ولا شك أنّ هذا من أبين الباطل, وأشدّ الكفر؛ لما يتضمّنه من تكذيب الله تعالى, والقدح في أخباره سبحانه, وغير ذلك من اللّوازم الباطلة.

يقول الشنقيطي رحمه الله: (وأوضح دليل على منعه في

---

[1] () مجموع الفتاوى (7/88-89).

[2] () التمهيد (7/145).

القرآن, إجماع القائلين بالمجاز على أنّ كل مجاز يجوز نفيه, ويكون نافيه صادقا في نفس الأمر....

وطريق مناظرة القائل بالمجاز في القرآن هي أن يقال: لا شيء من القرآن يجوز نفيه, وكلّ مجاز يجوز نفيه, ينتج من الشكل الثاني: لا شيء من القرآن بمجاز, وهذه النتيجة كليّة سالبة صادقة) [1].

هذه بعض الأوجه في الردّ على القائلين بالمجاز, وقد تصدّى للردّ عليهم علماء الإسلام, ومنهم ابن القيم رحمه الله, وسمّاه الطاغوت الثّالث, وكان ممّا قال رحمه الله: (فصل في كسر الطاغوت الثالث, الذي وضعته الجهمية، لتعطيل حقائق الأسماء والصّفات، وهو طاغوت المجاز.

هذا الطاغوت لهج به المتأخرون، والتجأ إليه المعطّلون، وجعلوه جنّة يترسون بها من سهام الرّاشقين, ويصدرون عن حقائق الوحي المبين) [2].

وأبطل وفنّد هذا الطّاغوت بأكثر من خمسين وجها[3].

ثالثا: الردّ عليهم فيما استدلوا به من الآيات المتشابهات.

يقال لهم: إنّ استدلالكم بهذه الآية وغيرها من الآيات هو تمويه على الناس من جهال وعوام المسلمين؛ لأنّه لا أحد من المسلمين يقول: إنّ لله مثلا وشبيها.

قال ابن خزيمة رحمه الله: (فأمّا احتجاج الجهمية على أهل السنّة والآثار في هذا النحو بقوله: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الشورى: ١١], فمن القائل إنّ لخالقنا مِثْلاً أو إن له شبيها, وهذا من التمويه على الرَّعاع والسُّفَّل, يموِّهون بمثل هذا على الجهال, يوهمونهم أن من وصف الله بما وصف به نفسه في محكم تنزيله أو على لسان نبيه فقد شبه الخالق بالمخلوق, وكيف يكون يا ذوي الحجا خلقُه مثلَه) [4].

---

1 () منع جواز المجاز (ص8-9).
2 () مختصر الصواعق المرسلة ص (285).
3 () انظر: المصدر نفسه ص (285-335).
4 () التوحيد (1/65).

وأيضا استدلالهم بهذه الآيات المتشابهات على نفي الرؤية, ونفي الصفات, ونفي العلو, ليس فيه دلالة على ما ذهبوا إليه, بل هذه الآيات دليل عليهم لا لهم.

قال ابن القيم رحمه الله: (فقوله: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الأنعام: ١٠٣], يدلّ على غاية عظمته، وأنّه أكبر من كلّ شيء، وأنّه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإنّ الإدراك هو الإحاطة بالشيء, وهو قدر زائد على الرؤية...

قال ابن عباس: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الأنعام: ١٠٣] , لا تحيط به الأبصار.

قال قتادة: هو أعظم من أن تدركه الأبصار.

وقال عطية: ينظرون إلى الله، ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره يحيط بهم، فذلك قوله تعالى: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ [الأنعام: ١٠٣].

فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم بمعنى: أنها لا تحيط به، إذ كان غير جائز أن يوصف الله عز وجل بأنّ شيئًا يحيط به, وهو بكل شيء محيط، وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه, ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يعلم الخلق ما علمهم, ولا يحيطون بعلمه.

ونظير هذا استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الشورى: ١١] , وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه, مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثيل له، وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل, إنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها, وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه, فقوله: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الشورى: ١١] من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته.

وقوله: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الأنعام: ١٠٣] من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك, وقوله: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ [الحديد: ٤] من أدلّ

شيء على مباينة الرب لخلقه، فإنّه لم يخلقهم في ذاتـه، بـل خلقهم خارجـا عن ذاتـه، ثم بـان عنهم باسـتوائه على عرشـه وهو يعلم ما هم عليـه، فـيراهم ويَنْفُـذهم بصـرُه، ويحيـط بهم علمًا وقدرة وإرادة وسمعًا وبصرًا، فهذا معـنى كونـه سـبحانه معهم أينما كانوا, وتأمّل حسن هذه المقابلة لفظًا ومعنى بين قوله: ﮋﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الأنعـام: ١٠٣] , فإنّه سبحانه لعظمته يتعالى أن تُدركه الأبصار وتحيـط بـه، ولِلُطفـه وخبرتـه يـدرك الأبصار, فلا تخفى عليه، فهو العظيم في لطفه, اللطيــف في عظمتـه، العـالي في قُرْبـه, القـريب في علـوِّه، الـذي ليس كمثله شيء, وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار, وهو اللطيف الخبير)[1].

---

1 () حادي الأرواح (ص203).

المبحث الثّالث:
الردّ على من أثبته اسما مجردا عن الصّفة.

من الانحرافات العقدية المتعلقة باسم الله العزيز, ما وقع ممن أثبت هذا الاسم, لكن إثباته ليس كإثبات أهل السنة والجماعة, فذهبت المعتزلة إلى القول بإثبات الأسماء لله ونفي الصفات، (فأثبتوا له الأسماء دون ما تضمنته من الصفات، فمنهم من جعل العليم والقدير والسميع والبصير كالأعلام المحضة المترادفات، ومنهم من قال: عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، سميع بصير بلا سمع ولا بصر، فأثبتوا الاسم دون ما تضمّنه من الصفات) [1].

وبهذا صرّح أئمتهم وعلماؤهم, بل هو محلّ إجماع عندهم, قال ابن المرتضي المعتزلي: (فقد أجمعت المعتزلة على أن للعالم محدِثاً قديما قادراً لا لِـمَعانٍ)[2].

ويبيِّن أبو الحسن الأشعري رحمه الله أنّ هذه المقالة- في الجملة- قد أخذها المعتزلة عن قوم من متقدمي الفلاسفة والصابئة والزنادقة فيقول رحمه الله: (الحمد لله الذى بصرنا خطأ المخطئين, وعمى العمين, وحيرة المتحيرين, الذين نفوا صفات رب العالمين, وقالوا: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له, وأنه لا علم له, ولا قدرة, ولا حياة له, ولا سمع له, ولا بصر له, ولا عزّ له, ولا جلال له, ولا عظمة له, ولا كبرياء له, وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز و جل التي يوصف بها لنفسه, وهذا قولٌ أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة, الذين يزعمون أن للعالم صانعا, لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ولا قديم, وعبروا عنه بأن قالوا: نقول عين لم يزل, ولم يزيدوا على ذلك, غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولَهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يُظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تُظهره, فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون

---

1 () التدمرية (ص116).

2 () المنية والأمل (ص6).

للباري علم وقدرة وحياة وسمع وبصر, ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك, ولأفصحوا به, غير أنّ خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك)[1].

تقرير مذهبهم في اسم الله العزيز:

مما تقدّم يتبيَّن أنّ المعتزلة لا تثبت اسم الله العزيز متضمنا لصفة العزّة كما يثبته أهل السنّة, وبذلك فهم يثبتون هذا الاسم ويجعلونه علما محضا, أو يقولون عزيز بلا عزّة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وقد قال: ﮋ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﮊ [آل عمران: ١٨]، فله الوحدانية في إلهيته، وله العدل، وله العزة والحكمة, وهذه الأربعة إنما يثبتها السلف وأتباعهم، فمن قصر عن معرفة السنة، فقد نقص الرب بعض حقه, والجهمي الجبري: لا يثبت عدلا ولا حكمة، ولا توحيد إلهيته، بل توحيد ربوبيته، **والمعتزلي لا يثبت توحيد إلهيته، ولا عدلا ولا عزّة ولا حكمة**)[2].

وسيقتصر ردّ الباحث في هذا المبحث على المعتزلة ببيان أن أسماء الله تعالى متضمنة للصفات العليا, مستدلا على ذلك بالأدلة الشرعية والعقلية, أما عن شبه المعتزلة في نفيهم صفات الله تعالى والردّ عليها فسيذكرها بإذن الله تعالى في مبحث الرد على من أنكر صفة العزّة.

الرد عليهم:

دلالة القرآن العزيز والسنة النبوية على أن أسماء الله تعالى متضمنة لصفاته العظيمة:

تنوّعت نصوص القرآن العزيز والسنّة المطهّرة على بيان وتأكيد أنّ أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف, وأنّها ليست أعلاما محضة مجرّدة عن المعاني كما تزعمه المعتزلة, من ذلك:

أ- أنّ الله يخبر بمصادرها ويصف نفسه بها: والمصدر هو

---

[1] () مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (2/363), وانظر: بيان تلبيس الجهمية (2/164).

[2] () مجموع الفتاوى (8/211).

الوصف الذي اشتقت منه تلك الصِّفة.

فمن القرآن: قال تعالى: ﮋﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮊ [الشورى: ١٩] ، وقال تعالى: ﮋﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮊ [الذاريات: ٥٨] ، وقال تعالى: ﮋ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ [فاطر: ١٠] , وقوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [ص: ٨٢], فعلم أن ﮋﮒ ﮊ من أسمائه، ومعناه الموصوف بالقوّة, وكذلك ﮋﮓ ﮊ من أسمائه، ومعناه الموصوف بالعزّة.

فالقويّ من له القوّة، والعزيز من له العـزّة، فلـولا ثبـوت القوّة والعزّة لم يُسمَّ قويّا ولا عزيزا.

وقال تعالى: ﮋﭫ ﭬ ﭭ ﮊ [يونس: ١٠٧], وقال تعالى: ﮋﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [الرعد: ٦], وقال تعالى: ﮋﮕ ﮖ ﮊ [النساء: ١٦٦], وقال تعالى: ﮋﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [البقرة: ٢٥٥].

وكذلك الحال في السنّة:

ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع عمـل الليل قبل النهار، وعمـل النهـار قبـل الليـل، حجابـه النُّور، لـو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقــه"[1], فأثبت المصدر الذي اشتق منه اسمه "البصير".

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنهـا: "الحمـد للـه الـذي وسـع سـمعُه الأصـوات"[2], فـأثبت المصـدر الـذي اشتق منه اسمه "السّميع".

وفي الصــحيح حــديث الاســتخارة "اللهم إني أســتخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك"[3], فهو قادر بقدرة.

وفي الصحيح عنـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "يقـول اللـه تبــارك وتعــالى: العظمــة إزاري، والكبريــاء ردائي"[4], فهــو

---

[1] () أخرجه مسلم, كتاب الإيمان, باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: "حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" (1/162), رقم: 295.

[2] () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: ﮋﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [النساء: ١٣٤] (9/117).

[3] () تقدّم تخريجه.

[4] () تقدّم تخريجه.

العظيم الذي له الكبرياءُ.

وقوله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ برضاك من سخطك"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت"[2].

فقد دلَّ القرآن والسنّة على إثبات مصادر هذه الأسماء له سبحانه وصْفاً، ولولا هذه المصادر لانتفت حقائق الأسماء والصفات والأفعال، فإنّ أفعاله غير صفاته، وأسماؤه غير أفعاله وصفاته، فإذا لم يقم به فعلٌ ولا صفة, فلا معنى للاسم المجرد, وهو بمنزلة صوت لا يفيد شيئا، وهذا غاية الإلحاد[3].

فكل ما دلت عليه أسماؤه فهو مما وَصَفَ به نفسه، فيجب الإيمان بكلّ ما وصف به نفسه.

ب- أن الله يخبرُ عن الأسماء بأفعالها, أي: حُكمُ تلك الصِّفة:

قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [المجادلة: ١], وقال تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﮊ [طه: ٤٦], وقال تعالى: ﮋ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﮊ [النحل: ١٩], وقال تعالى: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﮊ [البقرة: ١٨٥].

فلو لم تكن أسماؤه مشتملة على معان وصفات لم يَسُغْ أن يخبر عنها بأفعالها، فلا يقال: يسمع ويرى, ويعلم ويريد، فإنّ ثبوت أحكام الصّفات فرعُ ثبوتها، فإذا انتفى أصل الصّفة استحال ثبوت حكمها[4].

ج- أنّ الله يعلِّل أحكامَه وأفعاله بأسمائه:

(فالله سبحانه يعلل أحكامه وأفعاله بأسمائه، ولو لم يكن

---

1. () تقدّم تخريجه.
2. () أخرجه البخاري, كتاب التوحيد, باب قول الله تعالى: ﮋ ﭙ ﭚ ﭛ ﮊ [إبراهيم: ٤]، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﮊ [الصافات: ١٨٠] ، ﮋ ﮒ ﮓ ﮔ ﮊ [المنافقون: ٨] ، ومن حلف بعزة الله وصفاته (9/117), رقم: 7383.
3. () شفاء العليل (ص271).
4. () مدارج السالكين (1/53).

لها معنى لما كان التعليل صحيحا، كقوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﮊ [نوح: ١٠] ، وقال تعالى: ﮋ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧] ، فختم حكم الفيء, الذي هو الرجوع والعود إلى رضى الزوجة والإحسان إليها بأنّه غفور رحيم، يعود على عبده بمغفرته ورحمته إذا رجع إليه بالمغفرة والرحمة: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [البقرة: ٢٢٧] , فإن الطلاق لـمّا كان لفظا يُسمع ومعنى يُقصد عقّبه باسم "السميع" للنطق به, "العليم" بمضمونه.

وقال أهل الجنة: ﮋ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [فاطر: ٣٤], أي: لما صاروا إلى كرامته بمغفرتِه ذنوبَهُم, وشكرِه إحسانَهم قالوا: ﮋ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮊ [فاطر: ٣٤] , وفي هذا معنى التعليل, أي: بمغفرته وشكره وصلنا إلى دار كرامته، فإنّه غفر لنا السيئات وشكر لنا الحسنات.

وقال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [النساء: ١٤٧], فهذا جزاء لشكرهم، أي: إن شكرتم ربكم شكركم، وهو عليم بشُكرِكم لا يخفى عليه من شكره ممَّن كفره, والقرآن مملوء من هذا) [1].

د- الله يُسْتَدَلُّ على توحيده بأسمائه:

وأيضا فإنّه سبحانه يستدل بأسمائه على توحيده ونفي الشرك عنه, ولو كانت أسماء لا معنى لها, لم تدلَّ على ذلك, كقول هارون لعبدة العِجل: ﮋ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﮊ [طه: ٩٠], وقوله سبحانه في القصَّة: ﮋ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ [طه: ٩٨], قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [البقرة: ١٦٣] , وقوله تعالى: ﮋ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الحشر: ٢٣], فسبَّح نفسه عن شرك المشركين به عَقِب تمدُّحه بأسمائه الحسنى المقتضية لتوحيده، واستحالة إثباتِ شريكٍ له[2].

هـ- أنّ الله يعلِّق بأسمائه المعمولات من الظُّروف والجار والمجرور وغيرهما:

فإن الله سبحانه يعلق بأسمائه المعمولات من الظروف

---

1 () جلاء الأفهام (ص175).

2 () انظر: المصدر نفسه (ص175).

والجار والمجرور وغيرهما، ولو كانت أعلامـا محضـة لم يصـح فيها ذلك, كقوله تعالى: ﮋ ﯾ ﯿ ﰀ ﮊ [البقرة: ٢٨٢], وقوله تعالى: ﮋ ﭬ ﭭ ﭮ ﮊ [البقرة: ٩٥] , وقوله تعالى: ﮋ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﮊ [آل عمران: ٦٣], وقوله تعالى: ﮋ ﰁ ﰂ ﰃ ﮊ [الأحزاب: ٤٣], وقوله تعالى: ﮋ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﮊ [التوبة: ١١٧], وقوله تعالى: ﮋ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮊ [البقرة: ٢٨٤], وقوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮊ [النساء: ٣٩], وقوله تعالى: ﮋ ﯗ ﯘ ﯙ ﮊ [الشورى: ٢٧], ونظائره كثيرة [1].

و- وصف الله عز وجل أسماءه بأنّها حسنى:

قال ابن القيم رحمه اللـه: (أسـماء الـرب تبـارك وتعـالى كلها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظـا مجـردة لا معـاني لهـا، لم تدل على المدح، وقد وصفها الله بأنّها حسنى كلها، فقال: ﮋ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮊ [الأعراف: ١٨٠], فهي لم تكن حسنى لمجرّد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال؛ ولهـذا لـمّا سمع بعض العرب قارئا يقرأ: ﮋ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [المائدة: ٣٨] (والله غفور رحيم).

قال: ليس هذا كلام الله.

فقال القارئ: أتُكذِّب بكلام الله تعالى؟.

فقال: لا، ولكن ليس هذا بكلام الله تعالى.

فعاد إلى حفظـه وقـرأ: ﮋ ﭪ ﭫ ﭬ ﮊ [المائـدة: ٣٨] , فقـال الأعرابي: صـدقت: عـزّ، فحكم، فقطـع، ولـو غفـر ورحم لمـا قطع.

ولهـذا إذا خُتمت آيـة الرحمـة باسـم عـذاب، أو بـالعكس، ظهر تنافر الكلام وعدم انتظامه.

ولو كانت هذه الأسماء أعلاما محضةً لا معنى لها, لم يكن فرق بين ختم الآية بهذا أو بهذا)[2].

وقـال أيضـا: (أخـبر سـبحانه أنَّه إلـه واحـد، وإن تعـدَّدت أسماؤه الحسنى المشتقّة من صـفاته، ولهـذا كـانت حسـنى، وإلا فلو كـانت كمـا يقـول الجاحـدون لكمالـه أسـماءً محضـة فارغة من المعاني, ليس لها حقائق لم تكن حسـنى، ولكـانت

---

[1] () جلاء الأفهام (ص186).

[2] () المصدر نفسه (ص173).

أسماء الموصوفين بالصِّفات والأفعال أحسن منها)[1].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (الله له الأسـماء الحسـنى دون السوأى، وإنما تميّـز الاسـم الحسـن عن الاسـم السـيئ بمعناه، فلو كانت كلُّها بمنزلة الأعلام الجامـدات الـتي لا تـدلّ على معنى لم تنقسم إلى حسنى وسوأى)[2].

دليل الإجماع:

من الأدلّـة على أنّ أسـماء اللـه تعـالى متضـمّنة لصـفاته العظيمة إجماع أهل العلم, وهذا الإجماع نُقِل عن المســلمين عامّة, وعن أهل اللّغة والعرف خاصّة.

فـ(أجمع المسلمون أنّه لو حلف بحياة اللـه، أو سـمعه، أو بصره، أو قوته، أو عزّتـه, أو عظمتـه انعقـدت يمينُـه، وكـانت مكفّرة؛ لأنّ هذه صفات كماله التي اشتقّت منها أسماؤه)[3].

وأجمع (أهل اللّغة والعرف أنّه لا يقال: عليم إلا لمن علم، ولا سميع إلا لمن سمع، ولا بصير إلا لمن له بصـر, وهـذا أمـر أبين من أن يحتاج إلى دليل)[4].

دلالة العقـل على أنّ أسـماء اللـه تعـالى مسـتلزمة لثبوت معانيها:

دل العقل على أن أسـماء اللـه تعـالى متضـمنة للصـفات من وجوه هي:

أ- (إنّه يُعلم بالاضطرار الفرق بين الحيّ والقــدير والعليم والملك والقدُّوس والغفور, وإنّ العبـد إذا قـال: رب اغفـر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور، كان قد أحسن في مناجـاة ربِّه.

وإذا قــال: اغفــر لي وتُب على إنَّك أنت الجبــار المتكــبر الشديد العقاب، لم يكن محسنا في مناجاته)[5].

---

[1] () الصواعق المرسلة (3/938).
[2] () شرح العقيدة الأصفهانية (ص77).
[3] () مدارج السالكين (1/53).
[4] () القواعد المثلى (ص8).
[5] () شرح العقيد الأصفهانية (ص76),

ب- إنَّ من المستحيل أن يكون عليما قديرا سميعا بصيرا ولا علم له ولا قدرة, بل صحَّةُ هذه الأسماء مستلزمة لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعا فتعيَّن الأول[1]؛ لأن شرط صحة إطلاق هذه الأسماء حصول معانيها وحقائقها للموصوف[2].

ج- (أنّ القول بأنّ أسماء الله أعلام محضة مترادفة لا تدل إلا على ذات الله فقط قول باطل؛ لأنّ دلالات الكتاب والسنة متضافرة على أن كل اسم منها دال على معناه المختص به مع اتفاقها على مسمى واحد, وموصوف واحد, فالله تعالى هو الحي القيوم، السميع البصير، العليم القدير، فالمسمّى والموصوف واحد، والأسماء والصفات متعددة, ألا ترى أنّ الله تعالى يسمّي نفسه باسمين أو أكثر في موضع واحد كقوله: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [الحشر: ٢٣] ؟, فلو كانت الأسماء مترادفة ترادفاً محضاً لكان ذكرها مجتمعة لغواً من القول لعدم الفائدة)[3].

ويُردَّ عليهم أيضا بأن يقال لهم إلزاما: إنّ (قولكم منقوض بإثبات الأسماء الحسنى، فإن الله حي عليم قدير، فإن أمكن إثبات حي عليم قدير وليس بجسم، أمكن أن يكون له حياة وعلم وقدرة وليس بجسم، وإن لم يمكن إثبات ذلك فما كان جوابكم عن إثبات الأسماء كان جوابنا عن إثبات الصفات)[4].

والمعتزلة أوتوا من قولهم أنّ الصِّفات غير الذّات, وصفاته مباينة لذاته سبحانه, ولذلك نفوا صفات الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والتحقيق أنّ الذّات الموصوفة لا تنفكّ عن الصّفات أصلا, ولا يمكن وجود ذات خالية عن الصّفات, فدعوى المدعي وجود حيّ عليم قدير بصير بلا حياة ولا علم ولا قدرة, كدعوى قدرة وعلم وحياة لا

---

1. () انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص419).
2. () انظر: بدائع الفوائد (1/165), ومعتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى (ص344-351).
3. () التدمرية (ص30).
4. () منهاج السنة النبويّة (2/221-222).

يكون الموصوف بها حيا عليما قديرا, بل دعوى شيء موجود قائم بنفسه قديم أو محدث عرِيّ عن جميع الصفات ممتنع في صريح العقل, ولكن الجهمية المعتزلة وغيرهم لـمّا أثبتوا ذاتا مجرّدة عن الصّفات صار مناظرهم يقول: أنا أثبت الصّفات زائدة على ما أثبتموه من الذات, أي: لا أقتصر على مجرد إثبات ذات بلا صفات, ولم يَعْنِ بذلك أنّه في الخارج ذات ثابتة بنفسها, ولا مع ذلك صفات هي زائدة على هذه الذات متميزة عن الذات؛ ولهذا كان من الناس من يقول: الصفات غير الذات, كما يقوله المعتزلة والكرامية, ثم المعتزلة تنفيها: والكرامية تثبتها.

ومنهم من يقول: الصفة لا هي الموصوف, ولا هي غيره, كما يقوله طوائف من الصفاتية كأبي الحسن الأشعري وغيره.

ومنهم من يقول كما قالت الأئمة: لا نقول الصفة هي الموصوف ولا نقول: هي غيره؛ لأنّا لا نقول: لا هي هو, ولا هي غيره, فإنّ لفظ الغير فيه إجمال قد يراد به المباين للشيء, أو ما قارن أحدهما الآخر, وما قاربه بوجود أو زمان أو مكان.

ويراد بالغير: أن ما جاز العلم بأحدهما مع عدم العلم بالآخر, وعلى الأول: فليست الصفة غير الموصوف, ولا بعض الجملة غيرها.

وعلى الثاني: فالصّفة غير الموصوف, وبعض الجملة غيرها, فامتنع السّلف والأئمة من إطلاق لفظ الغير على الصفة نفيا أو إثباتا؛ لما في ذلك من الإجمال والتلبيس, حيث صار الجهمي يقول: القرآن هو الله أو غير الله، فتارة يعارضونه بعلمه فيقولون: علم الله هو الله أو غيره, إن كان ممن يثبت العلم, أو لا يمكنه نفيه, وتارة يحلون الشبهة, ويثبتون خطأ الإطلاقين: النفي والإثبات لما فيه من التلبيس, بل يستفصل السائل فيقال له: إن أردت بالغير ما يباين الموصوف فالصفة لا تباينه فليست غيره.

وإن أردت بالغير ما يمكن فهم الموصوف على سبيل الإجمال وإن لم يكن هو, فهو غير بهذا الاعتبار, والله تعالى

أعلم وصلى الله على محمد)[1].

[1] () مجموع الفتاوى (3/336-337).

المبحث الرابع:
الإلحاد في هذا الاسم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: النّهي عن التسمّي بعزيز ووجه ذلك.

المطلب الثاني: التّصرف في بنية الاسم بالزّيادة والنّقصان

المطلب الأوّل:
النّهي عن التسمِّي بعزيز ووجه ذلك.

من تعظيم الله تعالى وتقديره حقّ قدره سبحانه وتعالى, تعظيم أسمائه وصفاته وتوقيرها, وتنزيهها عما لا يليق بقدسيتها, وحرمتها, واختصاصِ الله بها, وتنزيهُها أيضا عن أن يستحقها غيرُه سبحانه تعالى, أو أن يُظنّ مشاركة أحد لله تعالى في شيء منها.

وأسماء الله تعالى باعتبار جواز تسمية المخلوق, وعدم جوازه تنقسم قسمين:

الأول: أسماء مخصوصة بالله تعالى, لا تليق إلا به, ولا يصح إطلاقها إلا عليه, مثل اسم الله الرب, والله, والرحمن, ومالك الملك, والصمد, والخالق, والرازق, والبارئ, وعالم الغيب والشهادة, وغير ذلك من الأسماء التي لا يليق معناها إلا بالله العظيم.

الثاني: أسماء تطلق على الله تعالى وعلى غيره, مثل اسم الرحيم, والعزيز, والرؤوف, والبصير, والسميع, والعليم, إلى غير ذلك من الأسماء التي يصح إطلاق معناها على الله تعالى وعلى خلقه؛ لأنَّها ليست مختصةً بالله تعالى للقدر المشترك بينهما, فما أُطلق على الله تعالى يليق بجلاله وعظمته, وما أطلق منها على المخلوق يليق بضعفه وعجزه.

يقول ابن القيم رحمه الله: (وممّا يمنع تسمية الإنسان به أسماء الرب تبارك وتعالى, فلا يجوز التسمية بالأحد والصمد ولا بالخالق ولا بالرازق, وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى, ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر والظاهر, كما لا يجوز تسميتهم بالجبّار, والمتكبِّر, والأوَّل, والآخر, والباطن, وعلام الغيوب...

والمقصود أنّه لا يجوز لأحد أن يتسمّى بأسماء الله المختصّة به.

وأمّا الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره, كالسميع, والبصير, والرؤوف, والرحيم, فيجوز أن يخبر بمعانيها عن

المخلوق, ولا يجوز أن يتسمَّى بها على الإطلاق بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تعالى)[1].

وقال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لسورة الفاتحة: (والحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيرُه, ومنها مالا يسمى به غيره, كاسم الله والرحمن والخالق والرازق ونحو ذلك, فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرحمن؛ لأنّه أخص وأعرف من الرحيم؛ لأنّ التسمية أولاً إنّما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص)[2].

فالقسم الأوّل من هذه الأسماء لا يجوز تسمية المخلوق بها على الإطلاق؛ لأنّها مختصة بالله تعالى وحده.

أما القسم الثاني, فيجوز تسمية المخلوق به, لكن لا يتسمّى بها على الإطلاق, بحيث تطلق عليه كما تطلق على الله جل وعلا, أو يظنّ أنّه يشارك الله تعالى في شيء من أوصاف ذلك الاسم عند التسمّي به, أو أنّه يستحق اتصافه بذلك الاسم؛ لهذا المعنى غيَّر النَّبي صلى الله عليه وسلم كنية الصحابي الجليل من أبي الحكم إلى أبي شريح؛ لأنّه كان يحكم بين قومه إذا اختلفوا, ويرضون بحكمه, ففي حديث شريح بن هانئ، عن أبيه هانئ، أنه لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه وهم يكنون هانئا أبا الحكم، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: "إن الله هو الحكم وإليه الحكم، فلم تكنى أبا الحكم؟" فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، قال: "ما أحسن من هذا، فما لك من الولد؟" قال: لي شريح، وعبد الله، ومسلم، قال: "فمن أكبرهم؟" قال: شريح، قال: "فأنت أبو شريح" فدعا له ولولده[3].

---

[1] () تحفة المودود (ص125).

[2] () تفسير القرآن العظيم (1/126).

[3] () أخرجه البخاري في الأدب المفرد, باب كنية أبي الحكم (ص 435), رقم: 811, وأبو داود في سننه, كتاب الأدب, باب في تغيير الاسم القبيح (4/289), رقم: 4955, والنسائي في الكبرى, كتاب القضاء, إذا حكموا رجلا ورضوا به فحكم بينهم (5/403), رقم: 5907, والحديث صححه الألباني في الصحيحة برقم: 1939.

ولهذا السّبب أيضا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التسمي بعزيز, ففي حديث خيثمة ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة[1]، أنّ أباه عبد الرحمن ذهب مع جدّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما اسم ابنك؟ " قال: عزيز, فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسمِّه عزيزا، ولكن سمِّه عبد الرحمن" ثم قال: "إن خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن والحارث"[2].

وللبزار: "ما اسمك"؟ قلت: عزيز، قال: "الله العزيز"[3].

قال الخطابي رحمه الله: (وعزيز إنّما غيّره صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ العزّة لله سبحانه، وشعار العبد: الذّلّة والاستكانة، والله سبحانه يقول: عندما يُقرِّعُ بعض أعدائه: ﮋﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ [الدخان: ٤٩])[4].

(فلا يسمّى أحد باسم فيه نوعُ مشاركة لله في أسمائه وصفاته، كقاضي القضاة, وملك الملوك, ونحوها، وحاكم الحكام، أو بأبي الحكم, ونحوه، وكلّ هذا حفظ للتّوحيد ولأسماء الله وصفاته، ودفع لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يُخشى أن يتدرَّج منها إلى أن يُظنَّ مشاركة أحد لله في شيء من خصائصه وحقوقه)[5].

وتسمية المخلوق بأسماء الله تعالى مع اعتقاد مشاركة المخلوق لله تعالى في شيء من كماله في أسمائه وصفاته نوع من الإلحاد الذي وقع فيه المشركون, وذلك أنّهم سمّوا أصنامهم بها, كتسميتهم اللاّت من الله والعزّى من العزيز، ووجه الإلحاد في ذلك كلّه أنّهم عدلوا بأسمائه عزّ وجل إلى

---

1 () هو خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة, واسمه يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي الكوفي, فقيه ثقة, لأبيه ولجده صحبة. انظر: الطبقات الكبرى (6/292), والتاريخ الكبير (3/215)

2 () أخرجه أحمد في المسند (29/147), رقم: 17606, والحاكم في المستدرك, وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه), ووافقه الذهبي, وصححه الألباني في الصحيحة برقم: 904.

3 () انظر: جامع المسانيد والسنن (5/498), ومجمع الزوائد (8/50).

4 () معالم السنن (4/127).

5 () القول السديد شرح كتاب التوحيد (ص169).

أوثانهم وآلهتهم الباطلة[6].

[6] () انظر: بدائع الفوائد (1/169).

المطلب الثاني:
التصرُّف في بنية الاسم بالزّيادة والنّقصان.

أسماء الله تعالى توقيفيّة, فيجب الوقوف فيها مـع النّص, فلا نسمّي الله تعـالى إلا بمـا سـمّى بـه نفسـه, أو سـمّاه بـه رسوله صلى الله عليـه وسـلم لحـديث عبـد اللـه بن مسـعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم: "ما أصاب أحـدا قـط هم ولا حـزن، فقـال: اللهمّ إنّي عبـدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمـك، عـدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لـك سـميت بـه نفسـك، أو علمته أحدا من خلقك، أو أنزلتـه في كتابـك، أو اسـتأثرت بـه في علم الغيب عنـدك، أن تجعـل القـرآن ربيـع قلـبي، ونـور صــدري، وجلاء حــزني، وذهــاب همّي، إلا أذهب اللــه همّــه وحزنه، وأبدله مكانه فرحا"، قال: فقيـل: يـا رسـول اللـه، ألا نتعلمها؟ فقال: "بلى، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها"[1].

فقولـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: "سـمّيت", و"علّمتـه", و"أنزلته", و"استأثرت", كلُّها أفعـال صـادرة من اللـه تعـالى, وليست من فعل المخلـوقين, فهـو سـبحانه الـذي سـمّى بهـا نفسه, وهو الذي علّمها من شاء من خلقه, وهـو الـذي أنزلهـا في كتابه, وهو الذي استأثر بها في علم الغيب عنده.

يقـول ابن القيم رحمـه اللـه: (فالحـديث صـريح في أنّ أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم)[2].

ولهذا لا يجوز التصرف فيهـا بالزيـادة فيهـا والنقص منهـا؛ لأنّها توقيفية؛ ولأنّ هذا مخالف لتعظيم أسماء الله واحترامها.

لكن في مسألة تصغير[3] أسماء الله تعالى يوجـد تفصـيل في المسألة, وهو أنّه إذا أريد بالتصغير اسـم اللـه تعـالى, فلا

---

1 () تقدم تخريجه (ص21)

2 () شفاء العليل (ص277).

3 () التصغير: هو تغيير صيغة الاسم لأجل تغيـير المعـنى تحقـيرا أو تقليلا أو تقريبـا أو تكريمـا أو تلطيفـا, كرُجيْـل ودُرَيْهمـات وقُبيْـل وفُويْــق وأُخي. انظــر: تــاج العــروس (12/323), والتعريفــات للجرجاني (ص83).

يجـوز تصـغير اسـم اللـه تعـالى, فلا يقـال للـه تعـالى: عُزَيْـز بالتصغير, ولا دُحَيْم, ولا يُعبّد بمثل هذا, كأن يقال: عبد العُزَيْـز بالتصغير, ولا عبد الدُحَيْم.

ونقـل ابن حجـر عن إمـام الحـرمين الإجمـاع على عـدم جواز تصغير أسماء الله تعالى[1].

أمّا إن أريد به المنادى, ولم يقصد اسم اللـه تعـالى, كـأن ينادى مَن اسمه عبد المجيد بمجودي, أو ينادي من اسمه عبد العزيـز, بعُزَيْـز, أو عَزَيِّزْ, أو من اسـمه عبـد الـرحمن بـدحيم, فهذا جائز لا بأس به، وقد كان شائعا في المتقدمين, ويسمّى هذا بالنحت[2]، كقولهم: دحيم، وهو منحوت من عبد الرحمن.

فقد ثبت في صحيح البخاري عن أنس خادم النـبي صـلى الله عليه وسلم، قـال: "قـدم النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وليس في أصـحابه أشـمط غـير أبي بكـر، فغلفهـا بالحنـاء، والكتم".

وقـال دحيم، حـدثنا الوليـد، حـدثنا الأوزاعي، حـدثني أبـو عبيد، عن عقبة بن وساج، حـدثني أنس بن مالـك رضـي اللـه عنه، قال: "قدم النبي صلى الله عليـه وسـلم المدينـة فكـان أسـنُّ أصـحابه أبـو بكر، فغلفهـا بالحنـاء والكتم حـتى قنـأ لونها"[3].

قـال الحافـظ ابن حجـر رحمـه اللـه: (قولـه في الروايـة الثانية: وقال دحيم هو: عبد الـرحمن بن إبـراهيم الدمشـقي) [4].

فالنَّحت أو التصـغير هنـا واقـع على المنـادَى، وليس على

---

1 () فتح الباري (13/266).

2 () معنى النّحت: هـو أن تؤخـذ كلمتـان وتنحت منهما كلمـة تكـون آخذة منهما جميعا بحـظ, والأصـل في ذلـك مـا ذكـره الخليـل من قـولهم: حيعل الرجـل، إذا قـال حيّ على. انظـر: مقـاييس اللغـة (1/328), وهذا مثل نحتهم دحيم من عبد الرحمن.

3 () أخرجه البخاري, كتاب مناقب الأنصار, باب هجـرة النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه إلى المدينـة (5/65), رقم: 3919, و 3920.

4 () فتح الباري (7/258).

اسم الله تعالى, وهذا ما أفتى به أهل العلم.

فقد سئل الشيخ ابن باز رحمه الله: كثيراً ما نسمع من عامي ومتعلم تصغير الأسماء المعبدة, أو قلبها إلى أسماء تنافي الاسم الأول، فهل فيه من بأس؟ وذلك نحو عبد الله تجعل "عبَيْد", و"عبُود", و"العِبْدي" بكسر العين وسكون الباء، وفي عبد الرحمن "دحيم" بالتخفيف والتشديد، وفي عبد العزيز "عُزَيْز", و"عَزُوز", و"العَزِّي", وما أشبه ذلك، أما في محمد "مُحَيْمِيد", و"حمداً"، و"الحْمدي", وما أشبهه؟.

فأجاب: لا بأس بالتصغير في الأسماء المعبّدة وغيرها، ولا أعلم أنّ أحداً من أهل العلم منعه، وهو كثير في الأحاديث والآثار كأنيس وحميد وعبيد وأشباه ذلك، لكن إذا فعل ذلك مع من يكرهه فالأظهر تحريم ذلك؛ لأنّه حينئذ من جنس التنابز بالألقاب الذي نهى الله عنه في كتابه الكريم, إلا أن يكون لا يعرف إلا بذلك, فلا بأس كما صرّح به أئمة الحديث في رجال كالأعمش والأعرج ونحوهما)[1].

وسئل الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: هل يجوز اختصار الأسماء مثل: عبد الرحمن, وعبد الله؟.

فأجاب: (هذا مثل شيوخ أبي داود عبد الرحمن بن إبراهيم يقال له: دحيم، وهذا كما هو معلوم تصغير للشخص، وهو منحوت من الاسم، مثل: عبدان وعباد مأخوذة من عبد الله، ودحيم مأخوذة من عبد الرحمن، وهكذا)[2].

فخلاصة القول أنّه إذا قصد بالتصغير الشخص, ولم يقصد اسم الله فهذا يجوز, وأمّا إذا قصد اسم الله تعالى, كأن يقال: عبد العُزيز، أو هو العُزيز، فهذا حرام؛ لأنّه لا يجوز تصغير اسم الله إجماعا, كما حكاه الجويني ونقله ابن حجر في الفتح[3].

---

1 () مجموع فتاوى ابن باز (18/ 54).
2 () شرح سنن أبي داود, شريط رقم: (480).
3 () انظر: فتح الباري (13/ 366).

الفصل الثـــاني:
انحرافات المخالفين المتعلقة بصفة العزّة والرّد عليهم

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الرّد على من أنكر صفة العزّة لله تعالى.

المبحث الثاني: الرّد على من حرّف صفة العزّة لله تعالى.

المبحث الثالث: الرّد على من شبّه صفة العزّة لله تعالى بصفة المخلوق

المبحث الرابع: دعوى أنّ الملائكة خلقت من نور العزّة, وأنّ إبليس خلق من نار العزّة.

المبحث الخامس: عدم مشروعيّة زيادة عبارة "عزّ جاهك".

المبحث السادس: عدم مشروعية سؤال الله بمعاقد العزّ من عرشه.

المبحث الأول:
الرد على من أنكر صفة العزّة.

من الانحرافات العقدية المتعلّقة بصفة العزّة, ما وقع من إنكار ونفي لهذه الصفة من طوائف أهل الضلال, فأنكرت الفلاسفة جميع صفات الله تعالى, وتبعهم على ذلك طوائف من أهل البدع كالجهمية والمعتزلة, فالفلاسفة ينفون عن الله تعالى كل صفة ثبوتية, وإنّما يقولون هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق, وقد تقدم الكلام عن قولهم هذا, والردّ عليهم.

ومن ضلال الفلاسفة في باب الصّفات أنّهم يصفون الله تعالى بالسلوب والإضافات دون صفات الإثبات, ويجعلون الصّفة هي الموصوف, فالعلم عندهم هو الله, والقدرة عندهم هو الله, وكذلك يجعلون الصّفة هي الصّفة الأخرى, فالعلم هو القدرة, والقدرة هي الحياة وغير ذلك, تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وقاربهم طائفة من الفلاسفة وأتباعهم، فوصفوه بالسّلوب والإضافات، دون صفات الإثبات، وجعلوه هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق, وقد عُلم بصريح العقل أن هذا لا يكون إلا في الذهن، لا فيما خرج عنه من الموجودات، وجعلوا الصفة هي الموصوف، فجعلوا العلم عين العالم، مكابرة للقضايا البديهيات، وجعلوا هذه الصفة هي الأخرى, فلم يميزوا بين العلم والقدرة والمشيئة جحدًا للعلوم الضروريات)[1].

وأخذ عنهم هذه الضلالات المعتزلة من أهل الكلام, وبذلك أدخلوا هذه الشرور على المسلمين.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (قال الأشعري: قال شيخهم أبو الهذيل العلاف أنّ علم الباري تعالى هو هو، وكذلك قدرته وسمعه وبصره وحكمته، وكذلك كان قوله في سائر صفات ذاته, وكان يزعم إذا زعم أن الباري عالم فقد

[1] () التدمرية (ص17).

أثبت علما هو الله, ونفى عن الله جهلا, ودلّ على معلوم كان أو يكون، وإذا قال إنّ الباري قادر فقد أثبت قدرة هي الله تعالى, ونفى عن الله عجزا, ودلّ على مقدور كان أو يكون، وكذلك كان قوله في سائر صفات الذات على هذا التثبيت...

وكان يسأل فيمن يزعم أن طول الشيء هو هو: وكذلك عرضه فيقول: إن طوله هو عرضه, قال: وهذا راجع عليه في قوله: إن علم الله هو الله, وإن قدرته هي هو؛ لأنه إذا كان علمه هو هو, وقدرته هي هو فواجبٌ أن يكون علمه هو قدرته والإلزام[1] التناقض، قال: وهذا أخذه أبو الهذيل عن أرسطاطاليس, وذلك أن أرسطاطاليس قال في بعض كتبه: إنّ الباري علم كله, قدرة كله, حياة كله, سمع كله, بصر كله, فحسن اللفظ عند نفسه, وقال: علمه هو هو.

قلت: هو قول أرسطو وأصحابه أن العقل والعاقل والمعقول شيء واحد وكذلك العناية.

قلت: فهذه نقول أهل الكلام بعضهم عن بعض أنهم يجعلون الصفة هي الموصوف الخالق والمخلوق)[2].

فملّخص مذهب الفلاسفة في صفات الله تعالى, أنّهم لا يثبتون أيّ صفة ثبوتية لله تعالى, ومقتضى ذلك أنّهم لا يثبتون صفة العزّة لله تعالى؛ لأنّها كما تقدم من الصّفات الثّبوتية, وأنّهم إذا وصفوه فإنّما يصفونه بالسلوب والإضافات, ويجعلون الصّفة هي الموصوف, والصّفة هي الصّفة الأخرى.

بيان شبهتهم التي ضلوا بها:

الشبهة التي بسببها نفى الفلاسفة الصفات عن الله عز وجل, وتبعهم على ذلك المعتزلة, هي شبهة التركيب, وقد تقدم الكلام عليها والرد عليهم, وينبه الباحث أن كل رد على هؤلاء الفلاسفة في شبهة التركيب هو رد كذلك على المعتزلة؛ لأنّهم أخذوا هذه الشبه عنهم, ولهذا جعل المعتزلة أخصَّ وصفٍ لله تعالى هو القِدَم, وإثبات صفات قديمة يجعل

---

[1] () لعلّ الصواب: "ولَلَزِمَ" أو "وإلاّ لَزِم", كي يستقيم الكلام والله أعلم.

[2] () الفتاوى الكبرى (6/408).

القديم أكثر من واحد, وهذا هو التركيب عندهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (وذلك أنّ المعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون: كلّ من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبِّه ممثِّل، فمن قال: إنّ لله علما قديمًا، أو قدرة قديمة، كان عندهم مشبهًا ممثلا؛ لأنّ القِدَم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله، فمن أثبت لله صفة قديمة, فقد أثبت له مِثْلا قديمًا، ويسمّونه ممثلا بهذا الاعتبار)[1].

وأيضا يقولون إثبات صفات قديمة معه يستلزم المشاركة في أخص وصف له, وذلك يقتضي التشبيه والتمثيل؛ لأنّ من أثبت صفة قديمة, فقد أثبت مثلا قديما بزعمهم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ومقصود المعتزلة أن لا يثبتوا له صفة قديمة لامتناع المشاركة في أخص وصفه)[2].

وزيادة في الردِّ على هؤلاء المعتزلة فيما يتعلق بشبهة التركيب, مع أنّ كل ردٍّ على الفلاسفة في شبهة التركيب فهو ردّ عليهم كما سبق, فقد ردّ عليهم الإمام أحمد وضرب لهم أمثلة محسوسة لإبطال هذه الشّبهة فقال رحمه الله: (فقالت الجهمية: لما وصفنا الله بهذه الصّفات: إن زعمتم أن الله ونوره، والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا، أن الله لم يزل ونوره، ولم يزل وقدرته.

قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته، ولم يزل ونوره، ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدَّر، ولا كيف قدر.

فقالوا: لا تكونون موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء.

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء, ولكن إذا قلنا: إنّ الله لم يزل بصفاته كلّها، أليس إنّما نصف إلَهًا واحدًا بجميع صفاته؟, وضربنا لهم في ذلك مثلا, فقلنا: أخبرونا عن

---

[1] () التدمرية (ص117).
[2] () الرد على البكري (1/315).

هذه النخلة؟ أليس لها جذع وكرب، وليف وسعف وخوص وجَمّار؟, واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها, فكذلك الله –وله المثل الأعلى- بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات, ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات, ولا يعلم حتى خلق له علمًا فعلم, والذي لا يعلم هو جاهل, ولكن نقول: لم يزل الله عالِمًا قادرًا، لا متى ولا كيف, وقد سمّى الله رجلاً كافرًا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﮋ ﮊ [المدثر: ١١], وقد كان هذا الذي سمّاه الله وحيدًا له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان، وجوارح كثيرة, قد سَمَّاه الله وحيدًا بجميع صفاته, فكذلك الله –وله المثل الأعلى- هو بجميع صفاته إله واحد)[1].

الردُّ على الفلاسفة في قولهم: إنَّ كلَّ واحدة من هذه الصّفات هي الصّفة الأخرى, والصّفة هي الموصوف.

(فيقال: إثبات معان متعددة في الموجود الواجب وغيره أمر ضروري لا بدّ منه, وأنتم مع فرط مبالغتكم في السّلب تقولون: إنّه موجود واجب, وأنّه معقول وعاقل وعقل, ولذيذ وملتذ به, وعاشق ومعشوق وعشق إلى أنواع أخر.

وأمّا أهل الملل فمتّفقون على أنّه حي عليم قدير, ومن المعلوم أن من جعل كونه حيا هو كونه عالما, وكونه عالما هو كونه قادرا, فهو من أعظم الناس جهلا وكذبا وسفسطة[2], وكذلك من جعل الحياة هي الحي, والعلم هو العالم, والقدرة هي القادر, فيبين العقل الصريح أنّ كل صفة ليست هي الأخرى, ولا هي نفس الموصوف, وكذلك من جعل العشق هو العاشق, واللّذيذ هو اللذة, ونفس العقل الذي هو مصدر عقل يعقل عقلا هو العقل الذي هو العاقل

---

[1] () الرد على الجهمية والزنادقة (ص140).

[2] () هي المغالطة, وهي: قياس مركّب من مُقدّمات شَبيهَة بالحَقِّ. انظر: التعريفات للجرجاني (ص223), والكليّات للكفوي (ص 849).

القائم بنفسه, فمن جعل هذا هذا كـان في المكـابرة والجهـل والسفسطة من جنس الأول, فمن جعـل المعـاني هي الـذات القائمـة بنفسـها, أو كـلّ معـنى هـو المعـنى الآخـر, كـان من أعظم الناس جهلا وكذبا وسفسطة, وكان أجهل من النصارى الذين يقولون أحد بالذات ثلاثة بالأقنوم[1], ويقولـون مـع ذلـك أنّ أقنوم الكلمة هو المتحد بالمسيح دون غيره)[2].

ولأنّـ(جعـل عين العلم عين القـدرة، ونفس القـدرة هي نفس الإرادة والعناية، ونفس الحياة هي نفس العلم والقدرة، ونفس العلم نفس الفعل والإبداع, ونحو ذلك, معلوم الفســاد بالضرورة؛ فإنّ هذه حقائق متنوعة, فإن جُعلت هذه الحقيقـة هي تلك كان بمنزلة من يقول: إنَّ حقيقة السّـواد هي حقيقـة الطعم هي حقيقـة اللـون، وأمثـال ذلـك ممـا يجعـل الحقـائق المتنوعة حقيقة واحدة) [3].

بل قولهم هذا يؤدي إلى القول بوحدة الوجود, وهو الــذي يصرِّح به أهل وحدة الوجود, ولا يخفى مـا في القـول بوحـدة الوجود من الضلال المبين, والكفر بالله العظيم؛ لمـا يتضـمنه من وصف الله تعالى بكل نقص وعيب في الوجود.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (إنّـه من المعلـوم بصـريح المعقول أنّه ليس معنى كون الشيء عالمـاً هـو معـنى كونـه قادرًا، ولا نفس ذاته هو نفس كونه عالما قادرًا، فمن جوَّز أن تكــون هــذه الصــفة هي الأخــرى، وأن تكــون الصــفة هي الموصوف, فهو من أعظم الناس سفسطة، ثم إنّه متنــاقض، فإنّه إن جوّز ذلـك جـاز أن يكـون وجـود هـذا هـو وجـود هـذا، فيكون الوجود واحدًا بالعين لا بالنوع, وحينئذ فإذا كـان وجـود الممكن هو وجود الواجب، كان وجود كل مخلوق - يُعـدم بعـد وجـوده، ويوجـد بعـد عدمـه - هـو نفس وجـود الحـقّ القـديم الدائم الباقي، الذي لا يقبل العدم, وإذا قدّر هذا، كان الوجــود الواجب موصوفًا بكل تشبيه وتجسيم، وكل نقص وكــل عيب،

[1] () الأقنوم الصفة عندهم, ويزعمون أنّ الأب والابن وروح القــدس ثلاثة أقانيم لله, تبارك وتعالى عما يصفون. انظـر: مفـاتيح العلـوم (ص52).
[2] () الصفدية (1/127).
[3] () درء تعارض العقل والنقل (1/275).

كما يصرح بذلك أهل وحدة الوجود، الذين طردوا هـذا الأصـل الفاسد، وحينئذ فتكون أقوال نفـاة الصـفات باطلـة على كـل تقدير)[1].

وكل ردّ في هذه الجزئية عن هـؤلاء الفلاسـفة هـو ردٌّ عن المعتزلة؛ لأنّهم أخذوها عنهم.

الرد على شبهة الأعراض وحلول الحوادث:

معنى شبهة الأعراض وحلول الحوادث:

سبق في الكلام عن الردّ على المعتزلة قـولهم: إن أخصّ وصف لله تعالى هو القِدَم الذي لا يشاركه فيه أحـد, فوجـوده سبحانه قديم, ومـا عـداه من الأجسـام محدَثـة, واللـه تعـالى ليس بجسم؛ لأنّ الأجسام عندهم متماثلة, والصفات والأفعال لا تقوم إلا بجسم؛ لأنّها حادثة, فلو قامت به سبحانه لَلَـزِم أن يكون مُحْدَثا؛ لأنّه مالا يخلو من الحوادث فهو حادث, وأيضا لو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلا للأجسام, وهذا تشبيه عندهم.

ويوضّح هذه الشّبهة القاضي عبد الجبـار[2] فيقـول: (وأوّل من اسـتدلّ بهـا شـيخُنا أبـو الهـذيل وتابعـه بـاقي الشـيوخ, وتحريرها هـو أن نقـول: إنّ الأجسـام لم تنفـك من الحـوادث ولم تتقدمها, وما لم يَخْـلُ من المحـدَث ولم يتقدمـه يجب أن يكون محدَثا مثله.

وهذه الدلالة مبنية على أربع دعاوى:

أحدها: أنّ في الأجسـام معـاني: هي الاجتمـاع والافـتراق والحركة والسكون.

الثاني: أنّ هذه المعاني محدثة.

---

[1] () التدمرية (ص40-43).

[2] () هو عبد الجبار بن أحمد بن عبـد الجبـار أبـو الحسـن الهمـذاني الأسـداباذي, العلامـة، المتكلّم، شـيخ المعتزلـة، وهـو الـذي تلقبـه المعتزلـة قاضـي القضـاة, ولا يطلقـون هـذا اللقب على سـواه, صاحب التصانيف، ومن كبـار فقهـاء الشـافعية, مـات سـنة خمس عشرة وأربعمائـة. انظـر: سـير اعلام النبلاء (17/244). وطبقـات الشافعية الكبرى (5/97).

الثالث: أنّ الجسم لم ينفكَّ عنها ولم يتقدمها.

الرابع: أنّها إذا لم ينفك عنها ولم يتقدمها, وجب حدوثه مثلها) [1].

قال محقِّق كتاب شرح الأصول الخمسة: (وقد أصبحت هذه الدعاوي الأربع الأساس لكلّ الأدلة على إثبات كون الله صانعا وخالقا, فقد أخذ بها معظم المتكلمين على مختلف اتجاهاتهم)[2].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وكذلك أيضًا يقولون: إن الصفات لا تقوم إلا بجسم متحيّز، والأجسام متماثلة، فلو قامت به الصفات للزم أن يكون مماثلا لسائر الأجسام، وهذا هو التشبيه.

وكذلك يقول هذا كثير من الصّفاتية الذين يثبتون الصّفات, وينفون علوَّه على العرش, وقيام الأفعال الاختيارية به, ونحو ذلك، ويقولون: الصّفات قد تقوم بما ليس بجسم، وأمّا العلوّ على العالم, فلا يصح إلا إذا كان جسمًا، فلو أثبتنا علوّه لَلَزِم أن يكون جسمًا، وحينئذ فالأجسام متماثلة, فيلزم التشبيه) [3].

وبهذه الشّبهة أثبت المعتزلة قِدَم الله تعالى وحدوث العالم, وردّوا بها على الفلاسفة القائلين بقِدَم العالم, وفي نفس الوقت عطّلوا به الله تعالى عن كل وصف وفعل.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (قالوا: هذه حوادث, والربّ لا تقوم به الحوادث, فخالفوا صحيح المنقول وصريح المعقول, واعتقدوا أنّهم بهذا يردون على الفلاسفة ويثبتون حدوث العالم, وأخطأوا في ذلك, فلا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا) [4].

فهذه الشّبهة – أي: شبهة الأعراض وحلول الحوادث- من الشّبَه الرئيسة التي اعتمد عليها أهل الكلام من جهمية

---

[1] () شرح الأصول الخمسة (ص90).

[2] () تعليق محقق كتاب (ص119-120).

[3] () مجموع الفتاوى (3/71).

[4] () المصدر نفسه (12/590).

ومعتزلة في نفي صفات الله تعالى, وهذه الشبهة اعتمدها أيضا الكلابية والأشاعرة في نفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى, فبها نفت الجهمية والمعتزلة الصفات الذاتية والفعلية, ومنها صفة العزّة لله تعالى, وبها نفت الكلابية والأشاعرة الصفات الاختيارية, ومنها صفتي الإعزاز والإذلال لله تعالى, وقد تقدم مع الباحث أن صفة العزّة ذاتية, وأنّ صفتي الإعزاز والإذلال صفتان فعليتان تتعلقان بمشيئة الله تعالى وقدرته, وكلّ هذه الصفات اتصف الله بها أزلا وأبدا, لم يزل ولا يزال الله تبارك وتعالى متصفا بها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (الأصل الثاني الذي تبنى عليه أفعال الرب تعالى اللازمة والمتعدية, وهو أنه سبحانه هل تقوم به الأمور الاختيارية المتعلقة بقدرته ومشيئته أم لا؟, فمذهب السلف وأئمة الحديث وكثير من طوائف الكلام والفلاسفة جواز ذلك, وذهب نفاة الصفات من الجهمية والمعتزلة والفلاسفة والكلابية من مثبتة الصفات إلى امتناع قيام ذلك به, أما نفاة الصفات فإنّهم ينفون هذا وغيره, ويقولون: هذا كله أعراض, والأعراض لا تقوم إلا بجسم, والأجسام محدثة, فلو قامت به الصفات لكان محدثا, أما الكلابية فإنّهم يقولون: نحن نقول: تقوم به الصفات, ولا نقول هي أعراض, فإنّ العرض[1] لا يبقى زمانين, وصفات الرب تبارك وتعالى عندنا باقية بخلاف الأعراض القائمة بالمخلوقات؛ فإنّ الأعراض عندنا لا تبقى زمانين, وأما جمهور العقلاء فنازعوهم في هذا, وقالوا: بل السواد والبياض الذي كان موجودا من ساعة هو هذا السواد بعينه, كما قد بُسط في غير هذا الموضع, إذ المقصود هنا التنبيه على مقالات الطوائف في هذا الأصل, قالت الكلابية: وأمّا الحوادث فلو قامت به للزم أن لا يخلو منها, فإن القابل للشيء لا يخلو

---

1 () هو الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع، أي: محلّ، يقوم به، كاللّون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به, وهو أنواع.

وقيل: هو ما يتميز به الشيء عن الشيء لا في ذاته, كالبياض والسواد, والحرارة والبرودة, ونحو ذلك. انظر: مفاتيح العلوم (ص 166), والتعريفات (ص148).

عنه وعن ضده, وإذا لم يخلُ منها لـزم أن يكـون حادثـا, فـإنّ هذا هو الدليل على حـدوث الأجسـام, هـذا عمـدتهم في هـذا الأصل)[1].

والفرق بين المعتزلة والكلابيـة في هـذا الـدليل على نفي صفات الله تعالى, أنّ المعتزلة اعتبرت كل الصفات أعراضـاً, سـواء الصِّـفات الذاتيـة أو الاختياريـة, والأعـراض دليـل على الحـدوث, فلـو قـامت بـه الصـفات الذاتيـة والاختياريـة لكـان محدثا, والكلابيـة لم يسـمُّوا الصـفات أعراضـا؛ لأنّ الأعـراض عندهم لا تبقى, بخلاف صفات الله تعالى فهي باقية ويريـدون بذلك الصفات الذاتية, وقالوا عن الصـفات المتعلقـة بمشـيئة اللـه وقدرتـه بأنهـا حـوادث, ومـا لا يخلـو من الحـوادث فهـو حادث, وبذلك نفوا الصفات الاختيارية عن الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وجاء أبـو محمـد بن كلاب فقـال هـو وأتباعـه: هـو الموصـوف بالصـفات, ولكن ليسـت الصـفات أعراضـا, إذ هي قديمـة باقيـة لا تعـرض ولا تـزول, ولكن لا يوصف بالأفعال القائمة بـه كالحركـات؛ لأنّهـا تعـرض وتزول)[2].

الرد عليهم:

يـردّ على المعتزلـة في نفيهم صـفات اللـه تعـالى بـدليل الأعراض وحدوث الأجسام من وجوه هي:

أولا: أوّل ما يقال في الردّ عليهم هو أنّ هذا الذي نطقوا به من دليل الأعراض وحدوث الأجسام أمر مبتدع في الـدين, لم ينطق به كتاب ولا سنة صحيحة, ولا عرفه النبي صلى الله عليه وسلم ولا صحابته الكرام رضوان اللـه تعـالى عليهم, ولا استدلوا به على وجود الله تعالى وحدوث العالم.

يقول أبو حامد الغزالي رحمـه اللـه: (فليت شـعري مـتى نُقل عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، أو عن الصـحابة رضوان الله عليهم أنّهم قالوا لمن جـاء مسـلماً: الـدّليل على أنّ العالم حادث: أنّه لا يخلـو عن الأعـراض، ومـا لا يخلـو عن

---

1 () مجموع الفتاوى (5/536-537).

2 () المصدر نفسه (6/36).

الحوادث حادث) [1].

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أنّ محمّدا لم يَدْعُ النّاس بها إلى الإقرار بالخالق ونبوة أنبيائه؛ ولهذا قد اعترف حُذّاق أهل الكلام كالأشعري وغيره بأنّها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ولا سلف الأمة وأئمتها, وذكروا أنّها محرمة عندهم, بل المحقّقون على أنّها طريقة باطلة, وأنّ مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم, يمنع ثبوت المدعى بها مطلقا)[2].

ومعرفة الله تعالى ليست موقوفة على هذه الطريقة المبتدعة؛ لأنّها طريقة باطلة كما تقدم؛ ولذمّ أهل العلم لها من السّلف والخلف؛ ولمخالفتها للعقل والنقل؛ ولما يلزم من سلوكها من اعتقادات باطلة مخالفة للكتاب والسنّة.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأمّا أكابر أهل العلم من السلف والخلف: فعلموا أنّها طريقة باطلة في نفسها، مخالفة لصريح المعقول وصحيح المنقول، وأنّه لا يحصل بها العلم بالصانع، ولا بغير ذلك، بل يوجب سلوكها اعتقادات باطلة توجب مخالفة كثير ممّا جاء به الرسول، مع مخالفة صريح المعقول, كما أصاب من سَلَكها من الجهميّة، والمعتزلة، والكُلاّبيّة، والكرّاميّة، ومن تبعهم من الطوائف)[3].

بل لم يَجُرَّ هذا الدليل الذي تمسَّكوا به في إثبات وجود الله تعالى وحدوث العالم إلا نفيَ صفات الله تعالى, وتجريدَه عن كماله المقدس, مع تسليط أعداء الدين على الإسلام والمسلمين.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأصل ما أوقعهم في نفي الصّفات والكلام والأفعال، والقول بخلق القرآن، وإنكار الرؤية، والعلوّ لله على خلقه - هي طريقة حدوث الأعراض وتركيب الأجسام-، وعنها لزمهم ما خالفوا به الكتاب والسنّة والإجماع في هذا المقام، مع مخالفتهم للمعقولات الصريحة

---

[1] () فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص 89).

[2] () مجموع الفتاوى (3/304), وانظر: درء تعارض العقل والنقل (1/39).

[3] () النبوات (1/261).

التي لا تحتمل النقيض، فناقضوا العقل والسمع من هذا الوجه، وصاروا يعادون من قال بموجَب العقل الصريح، أو بموجب النقل الصحيح.

وهم وإن كان لهم من نصر بعض الإسلام أقوال صحيحة، فهم فيما خالفوا به السنّة سلطوا عليهم وعلى المسلمين أعداء الإسلام، فلا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا)[1].

وهكذا الشأن في كلّ الأصول والطّرق التي جعلوها سبيلا إلى معرفة الله تعالى, وهي مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والمعرفة بالله ليست موقوفة على أصولهم, بل تمام المعرفة موقوف على العلم بفساد أصولهم وإن سمّوها: "أصول العلم والدين", فهي: "أصول الجهل, وأصول دين الشيطان لا دين الرحمن", وحقيقة كلامهم: "ترتيب الأصول في مخالفة الرسول والمعقول" كما قال أصحاب النار: ﮋ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﮊ [الملك: ١٠], فمن خالف الرسول فقد خالف السمع والعقل, خالف الأدلة السمعية والعقلية)[2].

ثانيا: أنّ هؤلاء المعتزلة بنفيهم للصّفات وإثباتهم للأسماء وقعوا في التناقض؛ لأنّ إثبات الأسماء بدون ما تتضمّنه من الصّفات مكابرَةٌ للعقل, وهو كمن أثبت فاعلا بلا فعل.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (والمقصود هنا أنّ المعتزلة لمّا رأوا الجهميّة قد نفوا أسماء الله الحسنى، استعظموا ذلك، وأقرّوا بالأسماء, ولمّا رأوا هذه الطريق توجب نفي الصفات: نفوا الصفات, فصاروا متناقضين؛ فإنّ إثبات حيّ، عليم، قدير، حكيم، سميع، بصير، بلا حياة، ولا علم، ولا قدرة، ولا حكمة، ولا سمع، ولا بصر: مكابَرةٌ للعقل؛ كإثبات مصلٍّ بلا صلاة، وصائمٍ بلا صيام، وقائمٍ بلا قيام، ونحو ذلك من الأسماء المشتقة, كأسماء الفاعلين، والصفات

[1] () درء تعارض العقل والنقل (7/106).
[2] () مجموع الفتاوى (16/452).

المعدولة عنها)[1].

وأيضا يلزم على المعتزلة نفي الأسماء؛ لأنّ أسماء الله تعالى مشتقة متضمنة لمعان, وهذه المعاني هي صفات الله تعالى, والاسم المشتق تابع للمشتق منه نفيا وإثباتا, فإمّا أن يثبتوا الاسم المشتق والمشتق منه جميعا, وإمّا أن ينفوا الجميع.

يقول ابن القيم رحمه الله: (إنّ نفاة الصّفات يلزمهم نفي الأسماء من جهة أخرى، فإنّ العليم والقدير والسميع والبصير، أسماء تتضمّن ثبوت الصّفات في اللغة فيمن وُصف بها، فاستعمالها لغير من وصف بها استعمال للاسم في غير ما وضع له، فكما انتفت عنه حقائقها, فإنّه تنتفي عنه أسماؤها، فإنّ الاسم المشتق تابع للمشتق منه في النفي والإثبات، فإذا انتفت حقيقة الرحمة والعلم والقدرة والسمع والبصر، انتفت الأسماء المشتقة منها عقلا ولغة، فيلزم من نفي الحقيقة أن تُنفَى الصّفات والاسم جميعا، فالمعتزلة لا تقرّ بأنّ الأسماء الحقيقية تستلزم الصّفات، ثم ينفون الصّفات، ويثبتون الأسماء بطريق الحقيقة كما قالوا في المتكلم والمريد)[2].

وأيضا ردّ شيخ الإسلام رحمه الله على المعتزلة بهذا الإلزام في نفيهم للصّفات بحجة التشبيه والتجسيم فقال: (وإن كان المخاطب ممن ينكر الصّفات، ويقرّ بالأسماء كالمعتزلي الذي يقول: إنّه حي عليم قدير، وينكر أن يتصف بالحياة والعلم والقدرة.

قيل له: لا فرق بين إثبات الأسماء وبين إثبات الصفات، فإنّك إن قلت: إثبات الحياة والعلم والقدرة يقتضي تشبيهًا وتجسيمًا، لأنّا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم.

قيل لك: ولا تجد في الشاهد ما هو مسمّى بأنّه حي عليم قدير إلا ما هو جسم، فإن نفيت ما نفيت لكونك لم تجده في الشاهد إلا لجسم فانف الأسماء، بل وكلَّ شيء؛ لأنّك لا تجده

[1] () النبوات (1/265).
[2] () مختصر الصواعق (ص362).

في الشاهد إلا لجسم.

فكلّ ما يحتج به من نفى الصّفات، يحتج به نافي الأسماء الحسنى، فما كان جوابا لذلك كان جوابا لمثبتي الصّفات)[1].

ثالثــا: أنّ لفــظ الحــوادث المنفي عن اللــه تعــالى من الألفاظ المجملة التي لم يــرد في الكتــاب والســنّة إثباتهــا ولا نفيها, وعلى هذا فإن أريد بنفي الحوادث عن الله تعالى أنّه لا تحُلّه المخلوقــات فهــذا نفيٌ صــحيح, وأمــا إذا أريــد بــه نفي الصفات الفعلية عن الله تعالى كما تلتزمه الكلابية فهــذا نفي باطل.

يقول ابن أبي العزّ رحمه الله: (وحلول الحــوادث بــالربّ تعالى، المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنّة, وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنّــه ســبحانه لا يحلّ في ذاته المقدّســة شــيء من مخلوقاتــه المحدثــة، ولا يحدث له وصف متجدد لم يكن, فهــذا نفي صــحيح, وإن أريــد به نفي الصفات الاختيارية، من أنّه لا يفعل ما يريــد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنّه يغضب ويرضــى لا كأحــد من الــورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاســتواء والإتيــان كما يليق بجلاله وعظمته فهذا نفي باطل.

وأهــل الكلام المــذموم يطلقــون نفي حلــول الحــوادث، فيسلِّم السُّني للمتكلم ذلك، على ظنّ أنّــه نفى عنــه ســبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلم له هذا النفي ألزمه نفي الصــفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له, وإنما أتي السّــني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلــو استفســر واستفصــل له لم ينقطع معه)[2].

---

[1] () التدمرية (ص35).
[2] () شرح العقيدة الطحاوية (ص80-81).

المبحث الثاني:
الرّد على من حرّف صفة العزّة.

من الانحرافات العقدية المتعلقة بصفة العزّة, وقوع التحريف في معناها, وهذا المسلك في صفات الله تعالى إنما سلكه الأشاعرة والماتريدية, فهم لا يثبتون إلا الصفات التي دلّ عليها العقل, وما عداها إما يفوِّضون معناها, أو يؤوّلونه, ومن ذلك ما وقع ممّن يفسر صفة العزّة وغيرها من الصفات بلازم الصفة, ويجعل هذا اللازم هو المراد, أما ظاهر الصفة فيقول ليس مرادا لله تعالى.

ومن أمثلة هذه الانحرافات التي وقف عليها الباحث ما قاله العيني[1] رحمه الله: (قوله: "وعزتي" لا فرق بين هذه الألفاظ وأنّها مترادفة، وقيل: نقيض العزّة الذل, ونقيض الكبر الصغر, ونقيض العظمة الحقارة, ونقيض الجليل الدقيق, وبضدها تتبين الأشياء, وإذا أطلقت على الله فالمراد لَوازِمُها بحسب ما يليق به، وقيل: الكبرياء يرجع إلى كمال الذّات، والعظمة إلى كمال الصّفات، والجلال إلى كمالهما)[2].

فهذا نموذج من النّماذج التي تبيّن وقوع الأشاعرة والماتريدية في تأويل نصوص الصّفات الذي هو في الحقيقة تحريف.

الرد عليهم:

يردّ على الأشاعرة والماتريدية في تحريفهم لنصوص الكتاب والسنة, وقولهم: إنّ ظاهر النصوص غير مراد بوجوه منها:

أولا: أنّ الواجب في النّصوص إجراؤها على ظاهرها

---

1 () هو محمود بن أحمد بن موسى أبو محمد بدر الدين العيني العينتابي، الحنفي القاضي بالديار المصرية وعالمها ومؤرخها, صاحب التصانيف منها: شرح على صحيح البخاري سماه عمدة القاري, وشرح للكلم الطيّب لابن تيمية سمّاه: العلم الهيّب في شرح الكلم الطيب, وغيرها, مات سنة خمس وخمسين وثمان مائة. انظر: بغية الوعاة (2/275), البدر الطالع (2/294), وفهرس الفهارس (2/839).

2 () عمدة القاري (25/167).

بدون تحريف لقوله تعالى: ﮋ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮊ [الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥], وقوله: ﮋ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮊ [الزخرف: ٣], وقوله: ﮋ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﮊ [الأعراف: ٣].

فإذا كان الله تعالى أنزله باللسان العربي من أجل عقلــه وفهمــه، وأمرنــا باتباعــه، وجب علينــا إجــراؤه على ظــاهره بمقتضى ذلك اللّسان العربي، إلا أن تمنع منه حقيقة شرعية.

ولا فرق في هــذا بين نصــوص الصّــفات وغيرهــا، بــل قــد يكــون وجــوب الــتزام الظــاهر في نصــوص الصّــفات أولى وأظهــر؛ لأنّ مــدلولها تــوقيفي محض, لا مجــال للعقــول في تفاصيله[1].

فإن قال قائل في نصوص الصّفات: لا يجوز إجراؤها على ظاهرها؛ لأنّ ظاهرها غير مراد.

فيقال له: (لفظ الظاهر فيه إجمال واشــتراك، فــإن كــان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصــهم، فلا ريب أن هــذا غــير مــراد، ولكن الســلف والأئمة لم يكونوا يسمون هذا ظاهرها، ولا يرتضون أن يكــون ظاهر القرآن والحــديث كفــرًا وبــاطلًا، واللــه ســبحانه وتعــالى أعلم وأحكم من أن يكــون كلامــه الــذي وصــف بــه نفســه لا يظهر منه إلا مــا هــو كفــر وضــلال، والــذين يجعلــون ظاهرهــا ذلك، يغلطون من وجهين:

تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفــظ، حــتى يجعلــوه محتاجًا إلى تأويل يخالف الظاهر ولا يكون كذلك.

وتــارة يــردُّون المعــنى الحــق الــذي هــو ظــاهر اللفــظ لاعتقادهم أنه باطل)[2].

ثانيا: أن صرف كلام الله ورسوله صلى الله عليه وســلم عن ظــاهره إلى معــنى يخالفــه قــولٌ على اللــه بلا علم، وهــو محرّم لقوله تعالى: ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮊ [الأعراف: ٣٣] ، ولقوله سبحانه: ﮋ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [الإسراء: ٣٦].

فالصّارف لكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معــنى يخالفــه قــد قفــا مــا ليس لــه بــه علم،

---

[1] () انظر تقريب التدمرية (ص55).

[2] () المصدر نفسه (ص69).

وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنّه زعم أنّه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كذا، مع أنّه ظاهر الكلام.

الثاني: أنّه زعم أنّ المراد به كذا لمعنى آخر لا يدل عليه ظاهر الكلام, وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قولٌ بلا علم، فما ظنّك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام؟.

ثالثا: أنّ صرف نصوص الصّفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النّبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً، لأنّ الحقّ بلا ريب فيما كان عليه النّبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

رابعا: أنّ قولهم هذا يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم, فمن هذه اللوازم الباطلة:

أ- أن أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصّفات عن ظاهرها إلا حيث اعتقدوا أنّه مستلزم, أو موهم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر؛ لأنّه تكذيب لقوله تعالى: ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ [الشورى: ١١], قال نعيم ابن حماد الخزاعي أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها"[1].

ومن المعلوم: أنّ من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم تشبيها وكفرا, أو موهما لذلك.

ب- أنّ كتاب الله تعالى الذي أنزله تبيانا لكل شيء، وهدى للنّاس، وشفاء لما في الصدور، ونورًا مبينا، وفرقانا بين الحقّ والباطل، لم يبيّن الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنّما جعل ذلك موكولاً إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاؤون، وينكرون ما لا يريدون, وهذا ظاهر البطلان.

ج- أن النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها كانوا قاصرين أو مقصرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات، أو يمتنع عليه،

[1] () تقدم تخريجه.

أو يجـوز, إذ لم يـرد عنهم حـرف واحـد فيمـا ذهب إليـه أهـل التعطيل في صفات الله تعالى وسمّوه تأويلا.

وحينئذ إما أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وخلفـاؤه الراشـدون وسـلف الأمـة وأئمتهـا قاصـرين لجهلهم بـذلك، وعجزهم عن معرفتـه، أو مقصـرين لعـدم بيـانهم للأمـة, وكلا الأمرين باطل.

د- أن كلام اللـه ورسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم ليس مرجعا للناس فيما يعتقدونه في ربهم وإلههم، الذي معـرفتهم به من أهم ما جـاءت بـه الشـرائع، بـل هـو زبـدة الرسـالات, وإنّما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة، ومـا خالفهـا فسبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريـف الـذي يسمّونه تأويلاً, إن لم يتمكّنوا من تكذيبه.

إلى غـير ذلـك من اللـوازم الباطلـة الـتي تلـزمهم على قولهم هذا[1].

أمـا عن تفسـيرهم الصّـفات بلوازمهـا, فتفسـير اللّفـظ بـاللاّزم يكـون مـع إثبـات مـدلول اللفـظ حقيقـة, وذلـك في نصوص الصفات بأن يثبت معنى الصفة حقيقة لله تعالى على ما يليق بجلالـه وعظمتـه, ثمّ يثبت لوازمهـا, لا أن يجعـل لازم الصّفة هو حقيقة معناها, وممّا يجب أن يعلم أن دلالة أسـماء الله تعـالى على ذاتـه وصـفاته تكـون بالمطابقـة، وبالتضـمن، وبالالتزام.

فمعنى دلالة المطابقة: تفسير الاسـم بجميـع مدلولـه، أو دلالته على جميع معناه.

ومعنى دلالـة التضـمن: تفسـير الاسـم ببعض مدلولـه، أو بجزء معناه.

ومعنى دلالـة الالـتزام: الاسـتدلال بالاسـم على غـيره من الأسماء الـتي يتوقـف هـذا الاسـم عليهـا، أو على لازم خـارج عنها.

مثال ذلك: الخالق يدل على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقـة، ويـدل على الـذات وحـدها بالتضـمن، ويـدل على صفتي العلم والقدرة بالالتزام[2].

---

1 () انظر: القواعد المثلى (ص40-44).

2 () انظر: المصدر نفسه (ص11).

والمقـدّم في هـذه الـدّلالات هي دلالـة المطابقـة ودلالـة التضمّن؛ لأنّ دلالـة اللفـظ بالمطابقـة والتضـمن هي المعـنى الحقيقي لـه, أمـا دلالـة الالـتزام فلا تنحصـر, ومـدلولها غـير محدود.

قال الغـزالي رحمـه اللـه: (وإيّـاك أن تسـتعمل في نظـر العقل من الألفاظ ما يدل بطريق الالـتزام, لكن اقتصـر على مـا يـدل بطريـق المطابقـة والتضـمّن؛ لأنّ الدلالـة بطريـق الالتزام لا تنحصر في حدّ؛ إذ السقف يلزم الحائـط, والحائـط الأسّ, والأسّ الأرض, وذلك لا ينحصر)[1].

قال شيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (والمعتـبر في التعريفـات دلالة المطابقة والتضمّن, فأمّا دلالة الالتزام فلا؛ لأنّ المدلول عليه فيها غير محدود ولا محصور, إذ لـوازم الأشـياء, ولـوازم لوازمهـا لا تنضـبط ولا تنحصـر, فيـؤدي إلى أن يكـون اللفـظ الواحد على ما لا يتناهى من المعاني وهو محال)[2].

فالصّفة من صفات الله تعالى يراد معناها بدلالة المطابقـة والتضـمّن, وذلـك هـو الأصـل, ويـراد أيضـا معناهـا بطريق الالتزام إذا كان اللازم صحيحا.

يقول شيخ الإسلام رحمه اللـه: (وقولـه ﮋ ﯬ ﯭ ﮊ [النسـاء: ١٤٦] , يدل على موافقتهم في الإيمان وموالاتهم, فالله تعـالى عـالم بعبـاده وهـو معهم أينمـا كـانوا, وعلمـه بهم من لـوازم المعية, كما قالت المرأة: "زوجي طويل النّجاد عظيم الرّمـاد قـريب الـبيت من النّـاد"[3], فهـذا كلّـه حقيقـة ومقصـودها أن تعرف لوازم ذلك, وهو طول القامة, والكـرم بكـثرة الطعـام, وقرب البيت من موضع الأضياف.

وفى القرآن: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ [الزخرف: ٨٠], فإنّه يراد برؤيته وسمعه إثبات علمه بذلك, وأنّه يعلم هل ذلك خير أو شر, فيثيب على الحسنات, ويعاقب على السيئات, وكذلك

[1] () المستصفى (1/74).

[2] () الرد على المنطقيين (ص76).

[3] () هـذا قطعـة من حـديث عائشـة رضـي اللـه عنهـا, والمعـروف بحـديث أمّ زرع, أخرجـه البخـاري, كتـاب النكـاح, بـاب حسـن المعاشرة مع الأهل (7/27), رقم: 5189, ومسلم, كتاب فضـائل الصـحابة رضـي اللـه تعـالى عنهم, بـاب ذكـر حـديث أم زرع (4/1896), رقم: 2448.

إثبات القدرة على الخلق كقوله: ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﮊ [العنكبوت: ٢٢], وقوله: ﮋ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﮊ [العنكبوت: ٤], والمراد التخويف بتوابع السيئات ولوازمها من العقوبة والانتقام.

وهكذا كثير مما يصف الربّ نفسه بالعلم بأعمال العباد تحـذيرا وتخويفـا ورغبـة للنّفـوس في الخـير, ويصـف نفسـه بالقدرة والسمع والرؤية والكتاب, فمدلول اللفظ مـراد منـه, وقد أريد أيضا لازم ذلك المعنى فقد أريد ما يدل عليه اللفـظ في أصل اللغة بالمطابقـة والالـتزام, فليس اللفـظ مسـتعملا في اللازم فقط, بل أريد به مدلوله الملزوم وذلك حقيقة)[1].

وقال ابن القيم رحمه الله: (ولا ريب أنّ الأمور ثلاثة: أمـر يلـزم الصّـفة لـذاتها من حيث هي, فهـذا لا يجب, بـل لا يجوز نفيه, كما يلزم العلم والسمع والبصر من تعلّقها بمعلوم ومسـموع ومبصـر, فلا يجـوز نفي هـذه التعلّقـات عن هـذه الصّفات؛ إذ لا تحقق لها بـدونها, وكـذلك الإرادة مثلا تسـتلزم العلم لذاتها, فلا يجوز نفي لازمها عنها, وكذلك السمع والبصر والعلم يستلزم الحيـاة, فلا يجـوز نفي لوازمهـا, وكـذلك كـون المرئي مرئيا حقيقـة لـه لـوازم لا ينفـك عنهـا, ولا سـبيل إلى نفي تلك اللوازم إلا بنفي الرؤية, وكذلك الفعل الاختيـاري لـه لوازم لا بد فيه منها, فمن نفى لوازمه, نفى الفعل الاختيـاري ولا بد)[2].

ولازم الصّفة الذي يجب على الناس اعتقاده هو الـذي دلّ عليـه الشـرع, ومـا لم يـدلَّ عليـه الشـرع ليس على النّـاس اعتقاده, وإن كان في نفس الأمر حقا.

قال شيخ الإسلام رحمه اللـه: (ثم بعـد هـذا من كـان قـد تبين له معنى من جهـة العقـل أنـه لازم للحـق لم يدفعـه عن عقله, فلازم الحقّ حقّ, لكن ذلك المعنى لابدّ أن يدل الشــرع عليه, فيبيّنه بالألفاظ الشرعية, وإن قُـدِّر أنّ الشـرع لم يـدلّ عليه, لم يكن ممـا يجب على النـاس اعتقـاده, وحينئـذ فليس لأحد أن يدعو الناس إليه, وإن قدر أنه في نفسه حق)[3].

---

1 () مجموع الفتاوى (5/128).

2 () طريق الهجرتين (ص236).

3 () مجموع الفتاوى (17/319).

المبحث الثالث:
الردّ على من شبه صفة العزّة بصفة المخلوق.

من الانحرافات العقدية المتعلقة بصفة العزّة وغيرها من صفات الله تعالى, ما وقع من بعض طوائف أهل الضّلال من تشبيه صفات الله جل وعلا بصفات خلقه, وقد تقدم مع الباحث أن القائلين بالتشبيه هم قدماء الرافضة, وفرقة الشيبانية من الخوارج, وفرقة الحشوية من جهال أهل الحديث.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وكان متكلّمو الشيعة كهشام بن الحكم، وهشام بن الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، وأمثالهم يزيدون في إثبات الصّفات على مذهب أهل السنّة، فلا يقنعون بما يقوله أهل السنّة والجماعة من أنّ القرآن غير مخلوق، وأنّ الله يرى في الآخرة، وغير ذلك من مقالات أهل السنّة والحديث, حتى يبتدعون في الغلوّ في الإثبات، والتجسيم، والتبعيض، والتمثيل, ما هو معروف من مقالاتهم التي ذكرها النّاس)[1].

ويقول أيضا: (والإثبات في الجملة مذهب الصّفاتية من الكلابية والأشعرية والكرامية وأهل الحديث وجمهور الصوفية...؛ لكن الزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه هو قول الغالية من الرافضة ومن جهال أهل الحديث وبعض المنحرفين)[2].

شبهة القائلين بالتمثيل:

الشّبهة التي تمسّك بها المشبّهة في تشبيههم الله عزّ وجل بخلقه هي: أنّ الله تعالى لما أخبرنا عن أسمائه وصفاته وأفعاله في الكتاب والسنّة, إنّما خاطبنا بما نعقل, ونحن لا نعقل إلا أنّها جسم مثل الذي نشاهده.

يقول ابن حزم رحمه الله: (فليقنعوا بمثل هذا من

---

1 () منهاج السنة النبوية (1/71).

2 () مجموع الفتاوى (6/51).

المجسِّمة إذ قالوا: إنّما خاطبنا الله تعالى بما نفهم ونعقـل, لا بما لا يعقل, وقد أخبرنا اللـه تعـالى أنّ لـه عينـا ويـدا ووجهـا, وأنّـه يـنزل ويجيء في ظلـل من الغمـام, قـالوا: فكـلُّ هـذا محمول على ما عقلنا من أنّها جوارح وحركـات, وأنّهـا جسـم وأقنعوا به منهم أيضـا, إذ قـالوا ببديهـة العقـل وأولـه, عرفنـا ووجب أنّـه لا يكـون الفاعـل إلا جسـما في مكـان, وبضـرورة العقل علمنـا أنـه لا شـيء إلا بجسـم أو عـرَض, ومـا لم يكن كذلك فهو عدم, وإن مـا لم يكن عرضـا فهـو جسـم, والبـاري تعالى ليس عرضا, فهو جسم ولا بد)[1].

ويقول ابن عـثيمين رحمـه اللـه: (وشـبهتهم في ذلـك: أنّ الله تعالى خاطبنا في القرآن بما نفهم ونعقل, قالوا: ونحن لا نفهم ولا نعقل إلا ما كـان مشـاهَداً، فـإذا خاطبنـا عن الغـائب بشيء وجب حملُه على المعلوم في الشاهد)[2].

وأيضـا من الشُّـبَه الـتي تمسـك بهـا هـؤلاء المشـبّهة في تشبيههم الله تعالى بخلقه تعالى الله عمّا يقولون علوا كبـيرا, أنّ الاشتراك في الأسماء العامة والمعـاني الكليّـة المشـتركة يقتضي التشابه في المسمّيات والحقـائق, فيكـون مـا وصـف الله به نفسه من الأسـماء والصّـفات والأفعـال هـو بعينـه مـا وصف به خلقه.

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (وأصـل خطـأ هـؤلاء توهمّهم أنّ هذه الأسماء العامة الكلية يكون مسمّاها المطلق الكلّي هـو بعينـه ثابتـا في هـذا المعيّن وهـذا المعيَّن، وليس كذلك, فإنّ ما يوجد في الخارج لا يوجد مطلقـا كليـا، لا يوجـد إلا معيّنا مختصا)[3].

ويقول أيضا: (والمقصود هنا التنبيه على مجـامع الأقـوال, ومنشـأ الضـلال, حيث أخـذوا لفـظ التشـبيه بمعـنى مشـترك مجمل فأرادوا نفيه بكل معنى من المعاني, ومن المعلوم أنّه ما من موجودين إلاّ وبينهما قدْرُ يتفقان فيه, وإن كان المعـنى الكلي المشترك وجودُه في الاذهان لا في الأعيان, فلا بـدّ أن

---

1 () الفصل في الأهواء والملل والنحل (2/120-121).
2 () تقريب التدمرية (ص22).
3 () منهاج السنة النبوية (2/119).

يكون بين أفراد الاسم العام الكلي نوعٌ من المشابِهة باعتبار اتفاقهما في ذلك المعنى العام, وهذا موضع غَلِطَ فيه كثير من النّاس في أحكام الأمور الكلية التي تشتبه فيها أعيانُها) [1].

وأيضا من الشُّبَه التي تمسّكت بها فرقة الحشوية المجسمة من الكرّامية قوله تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [الأعراف: ١٩٥], وشبهتهم في هذه الآية الكريمة أنّ الله تعالى ذمّ من يعبد الأصنام من المشركين؛ لأنّها ليس لها أرجل, ولا أيدي, ولا أعين, ولا آذن.

قال السكسكي[2] رحمه الله: (ويقولون -لعنهم الله-: إذا لم يكن له عين ولا يد ولا أذن ولا رجل مرئيات, فما نعبد بطيخة, ويحتجون بأن الله تعالى ذم في القرآن ما ليس له جوارح, وهي الأصنام التي كانت تعبدها الكفار, فقال تعالى: ﮋ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﮊ [الأعراف: ١٩٥], ولعمري إن الله سميع بصير له البطش والقدرة, يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد, موجود الذات والصفات, متصف بما وصف به نفسه, من غير تمثيل ولا تكييف ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الشورى: ١١]) [3].

فهذه هي الشّبه الرئيسة التي تمسك بها المشّبهة في تشبيههم الله تعالى بخلقه, وسيشرع الباحث في الردّ عليهم معتمدا في ذلك على الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

الرد عليهم:

دلالة الشرع على بطلان التماثل بين الخالق والمخلوق:

---

1 () الصفدية (1/99).

2 () هو عباس بن منصور بن عباس أبو الفضل التريمي السكسكي، الشافعي متكلم، أصولي, له البرهان في معرفة عقائد أهل الاديان, مات سنة ثلاث وثمانين وستمائة. انظر: معجم المؤلفين (5/65), الأعلام (3/268).

3 () البرهان في عقائد أهل الأديان (ص38-39).

دلّت الأدلة على تنزّه الله تعالى أن يماثله أحد من خلقـه, أو أن يكون له سميّ أو ندّ أو كفـؤ أو شـبيه, تعـالى اللـه عن ذلك علوا كبيرا من ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ [الشورى: ١١].

يقول محمّد الأمين الشـنقيطي رحمـه اللـه: (فهـذه الآيـة فيهـا تعليم عظيم يحـل جميـع الإشـكالات, ويجيب عن جميـع الأسئلة حول الموضوع؛ ذلك لأنّ الله قـال: ﴿ ٹ ٹ ٹ ﴾ بعـد قوله: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ﴾ , ومعلوم أنّ السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتّصف بهمـا جميـع الحيوانـات, فكـأنّ اللـه يشـير للخلق ألاّ ينفوا عنه صفة سمعه وبصـره بادعـاء أنّ الحـوادث تسمع وتبصـر وأنّ ذلـك تشـبيه, **بل عليهم أن يثبتـوا لـه صفة سمعه وبصره على أساس ليس كمثلـه شـيء,** فالله جل وعلا له صفات لائقـة بكمالـه وجلالـه, والمخلوقـات لهم صفات مناسبة لحالهم, وكلُّ هذا حقّ ثـابت لا شـك فيـه, إلاّ أنّ صفة ربّ السّـموات والأرض أعلا وأكمـل من أن تشـبه صـفات المخلـوقين، فمن نفى عن اللـه وصـفاً أثبتـه لنفسـه, فقـد جعـل نفسـه أعلم باللـه من اللـه, سـبحانك هـذا بهتـان عظيم, ومن ظنّ أنّ صفة ربه تشـبه شـيئاً من صـفة الخلـق, فهذا مجنون ضالّ ملحد لا عقل له, يدخل في قوله: ﴿ ڳ ں ں ڻ ڻ ۀ ۀ ہ ہ ہ ﴾ [الشعراء: ٩٧ – ٩٨], ومن يسوي ربّ العالمين بغيره فهو مجنون)[1].

وقال تعالى: ﴿ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ﴾ [مريم: ٦٥].

وقال أيضا: ﴿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ﴾ [النحل: ٧٤].

يقـول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (وبهـذا جـاءت الكتب الإلهية, فإنّ الله تعالى وصف نفسه فيها بصفات الكمال على وجه التفصيل, فأخبر أنّه بكـلّ شـيء عليم, وعلى كـلّ شـيء قدير, وأنّه عزيز حكيم غفور ودود سميع بصير, إلى غير ذلـك من أسمائه وصفاته, وأخبر أنّه ليس كمثله شيء, ولم يكن له كفوا أحد, وقال تعالى: ﴿ پ ڀ ڀ ڀ ﴾ [مريم: ٦٥] , فأثبت لنفسه ما يستحقه من الكمال بإثبات الأسماء والصـفات, ونفى عنـه مماثلة المخلوقات؛ ولهـذا كـان مـذهب سـلف الأمـة وأئمتهـا

[1] () منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (ص36).

أنهم يصفون الله سبحانه وتعالى بما وصف به نفسه, وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل, ومن غير تكييف ولا تمثيل, يثبتون له الأسماء والصفات, وينفون عنه مماثلة المخلوقات, إثبات بلا تمثيل, وتنزيه بلا تعطيل, كما قال تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الشورى: ١١], فقوله ليس كمثله شيء رد على أهل التمثيل, وقوله وهو السميع البصير رد على أهل التعطيل)[1].

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (أمّا السّمع: فقد قال الله تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ [الشورى: ١١], وقال: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ [النحل: ٧٤], ففي الآية الأولى نفى أن يكون له مماثل مع إثبات السمع والبصر له, وفي الثانية نهى أن تُضرب له الأمثال، فجمع في هاتين الآيتين بين النفي والنهي)[2].

ومن الأدلّة أيضا في نفي المماثلة بين الخالق جل وعلا والمخلوق قوله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [الإخلاص: ١ – ٤]

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (فاسمه "الصمد" يتضمن اتصافه بصفات الكمال، ونفي النقائص عنه، واسمه "الأحد" يتضمن اتصافه أنه لا مثل له)[3].

ويقول أيضا: (وهذان الاسمان "الأحد والصّمد" لم يذكرهما الله إلا في هذه السورة, وهما ينفيان عن الله ما هو منزّه عنه من التّشبيه والتمثيل, ومن التركيب والانقسام والتجسيم, فإنّ اسمه الأحد ينفي المثل والنّظير كما تقدم الكلام على ذلك في أدلته السمعية, وبيّنا أنّ الأحد في أسماء الله ينفي عنه أن يكون له مثل في شيء من الأشياء, فهو أحد في كلّ ما هو له, واسمه الصّمد ينفي عنه التفرّق والانقسام والتمزّق, وما يتبع ذلك من تركيب ونحوه)[4].

فظهر أنّ اسم الأحد يوجب تنزيهه عما يجب نفيه عنه من التشبيه ومماثلة غيره له في شيء من الأشياء, واسمه

---

[1] () الصفدية (1/103).
[2] () تقريب التدمرية (ص23).
[3] () الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص124).
[4] () بيان تلبيس الجهمية (3/461).

الصّمد يوجب تنزيهه عما يجب نفيه من الانقسام والتفرق ونحو ذلك مما ينافي كمال صمديّته, سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا[1].

وبالجملة دلّت الآيات الكريمات على نفي المماثلة بين الخالق العظيم الكامل من كل وجه, وبين المخلوق الضعيف, كما دلت أيضا على نفي النِّدّ والكفؤ والسميّ والمثل لله تعالى.

الإجماع على عدم التماثل بين صفات الله, وصفات المخلوقين:

ومن الأدلّة على نفي المماثلة بين الله تعالى وبين خلقه, إجماع سلف الأمة وأئمتها على أنّ الله تعالى لا تشبه صفاته صفات خلقه, وأنّه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله, وأنّه لا ندّ له ولا كفؤ ولا مثل له ولا نظير.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وأجمع سلف الأمّة وأئمتها على أنّ الرب تعالى بائن من مخلوقاته, يوصف بما وصف به نفسه, وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم, من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل, يوصف بصفات الكمال دون صفات النّقص, ويُعلم أنّه ليس كمثله شيء في صفات الكمال, كما قال الله تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [الإخلاص: ١ – ٤]) [2].

وقال أيضا: (وأمّا لفظ المشبهة فلا ريب أن أهل السنّة والجماعة والحديث من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم, متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق، وعلى ذمّ المشبّهة الذين يشبّهون صفاته بصفات خلقه، ومتّفقون على أنّ الله ليس كمثله شيء, لا في ذاته, ولا في صفاته, ولا في أفعاله) [3].

ويقول ابن أبي العزّ رحمه الله: (اتّفق أهل السنّة على أنّ الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في

---

1 () المصدر نفسه (3/466).

2 () مجموع الفتاوى (1/123).

3 () منهاج السنة النبوية (2/522).

أفعاله)[1].

أقوال علماء سلف الأمة في بيان عدم التماثل بين الخالق والمخلوق:

وزيادة على الأدلة من كتاب الله تعالى, وما أجمعت عليه الأمة, على نفي مماثلة الله تعالى لخلقه, فقد نُقل عن سلف هذه الأمة وعلمائها التنصيص على أن صفات الله تعالى لا تشبه صفات خلقه, ومن ذلك:

ما قاله نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله: (من شبه الله بخلقه فقد كفر, ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر, وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها) [2].

وقال إسحاق بن راهويه رحمه الله: (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم؛ لأنّه وصف بصفاته إنما هو استسلام لأمر الله ولما سنّ الرسول) [3].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه, وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم, من غير تحريف ولا تعطيل, ولا تكييف ولا تمثيل, فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه, ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين, بل هو سبحانه ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ [الشورى: ١١] , ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله...ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات, فقوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ ردٌّ على أهل التشبيه والتمثيل, وقوله: ﭽ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ رد على أهل النفي والتعطيل, فالممثل أعشى[4] والمعطل أعمى: الممثل يعبد صنما, والمعطل يعبد

---

1 () شرح العقيدة الطحاوية (ص52).

2 () تقدّم تخريجه.

3 () رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (3/532), رقم: 937.

4 () الأعشى هو السيّء البصر من غير عمى، ويكون الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار, وقيل: هو السيّء البصر بالنهار وبالليل. انظر: تهذيب اللغة (3/35).

عدما)[1].

ويقول أيضا: (فمن قال: إنّ علم الله كعلمي, أو قدرته كقدرتي, أو كلامه مثل كلامي, أو إرادته ومحبته ورضاه وغضبه مثل إرادتي ومحبتي ورضائي وغضبي, أو استواءه على العرش كاستوائي, أو نزوله كنزولي, أو إتيانه كإتياني, ونحو ذلك, فهذا قد شبّه الله ومثَّله بخلقه, تعالى الله عما يقولون, وهو ضال خبيث مبطل بل كافر, ومن قال: إن الله ليس له علم ولا قدرة ولا كلام ولا مشيئة ولا سمع ولا بصر ولا محبة ولا رضى ولا غضب ولا استواء ولا إتيان ولا نزول, فقد عطل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى, وألحد في أسماء الله وآياته, وهو ضال خبيث مبطل بل كافر؛ بل مذهب الأئمة والسلف إثبات الصفات ونفي التشبيه بالمخلوقات, إثبات بلا تشبيه وتنزيه بلا تعطيل, كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها)[2].

وقال ابن أبي العز رحمه الله شارحا كلام الطحاوي[3] رحمه الله عند قوله: (ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر, من أبصر هذا اعتبر, وعن مثل قول الكفار انزجر, وعلم أنّ الله بصفاته ليس كالبشر).

(لما ذكر فيما تقدم أنّ القرآن كلام الله حقيقة، منه بدأ، نبَّه بعد ذلك على أنّه تعالى بصفاته ليس كالبشر، نفيا للتشبيه عقيب الإثبات، يعني أن الله تعالى وإن وصف بأنّه متكلم، لكن لا يوصف بمعنى من معاني البشر التي يكون الإنسان بها متكلما؛ فإنّ الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير,

---

1 () مجموع الفتاوى (5/195-196).

2 () المصدر نفسه (11/482).

3 () هو أحمد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الأزدي الحجري المصري الطحاوي الفقيه الشافعي ثم الحنفي, المحدّث, مصنفاته كثيرة، منها: شرح معاني الآثار؛ مشكل الآثار, والعقيدة وهي مشهورة باسم العقيدة الطحاوية؛ مات سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة. انظر: تاريخ دمشق (5/367), وسير أعلام النبلاء (15/27).

وما أحسن المثل المضروب للمثبت للصفات من غير تشبيه ولا تعطيل، باللبن الخالص السائغ للشاربين، يخرج من بين فرث التعطيل ودم التشبيه, والمعطل يعبد عدما، والمشبه يعبد صنما, وسيأتي في كلام الشيخ، (ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه، زلَّ ولم يُصِب التنزيه), وكذا قوله: (وهو بين التشبيه والتعطيل), أي: دين الإسلام، ولا شك أنّ التعطيل شرٌّ من التشبيه، بما سأذكره إن شاء الله تعالى, وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيها، بل صفات الخالق كما يليق به، وصفات المخلوق كما يليق به.

وقوله: (فمن أبصر هذا اعتبر), أي: من نظر بعين بصيرته فيما قاله من إثبات الوصف ونفي التشبيه, ووعيد المشبّه, اعتبر وانزجر عن مثل قول الكفار)[1].

ويقول حافظ الحكمي رحمه الله: (ونعتقد تنزُّهه وتقدُّسه عن مماثلة المخلوقات ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﮊ [الشورى: ١١], وإذا كان القول على الله بلا علم في أحكام الشريعة هو أقبح المحرمات كما قال تعالى: ﮋ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮊ [الأعراف: ٣٣] , فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته من تشبيه خلقه به, أو تشبيهه لخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم, وإن اعتقاد تصرُّفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق, كما أنّ تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق, وكلا التشبيهين كفرٌ بالله عزّ وجل أقبح الكفر, وقد نزّه الله تعالى نفسه عن ذلك كلّه في كتابه, كما قال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﮊ [الإخلاص: ١ – ٤] , وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﮊ [مريم: ٦٥] , وقال تعالى: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ [الشورى: ١١] , وقال تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮊ [النحل: ٦٠] , وقال تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﮊ [النحل: ٧٤], وغير ذلك من الآيات, بل جميع القرآن من أوّله إلى خاتمته في هذا المعنى, بل لم يرسل الله تعالى

[1] () شرح العقيدة الطحاوية (1/153).

رسله ولم ينزل كتبه إلا بذلك: ﮋ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮊ [الأحزاب: ٤])[1].

فهذه أدلة الكتاب العزيز وإجماع سلف الأمة وعلمائها في بيان عدم مماثلة الله تعالى لخلقه, مع تنصيص علماء الأمة على أنّ الله تعالى لا تشبه صفاته صفات خلقه جل وعلا, والآن يشرع الباحث في رد شبههم التي تمسّكوا بها:

أولا: الردّ عليهم في قولهم أنّ الله تعالى خاطبنا بما نعقل, ونحن لا نعقل إلا ما كان مشاهداً، فإذا خاطبنا عن الغائب بشيء, وجب حمله على المعلوم في الشاهد.

أمّا قولهم: (إنّ الله تعالى خاطبنا بما نعقل ونفهم) فصحيح؛ لقوله تعالى: ﮋ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮊ [الزخرف: ٣], وقوله: ﮋ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [ص: ٢٩], وقوله: ﮋ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮊ [إبراهيم: ٤] , ولو أنّ الله أراد من عباده عقل وفهم ما جاءت به الرسل, لكان لسان قومه ولسان غيرهم سواء، ولما حصل البيان الذي تقوم به الحجّة على الخلق.

وأمّا قولهم: (إذا خاطبنا عن الغائب بشيء وجب حمله على المعلوم في الشاهد) فجوابه من وجهين:

أحدهما: أنّ ما أخبر الله به عن نفسه إنمّا أخبر به مضافاً إلى نفسه المقدّسة، فيكون لائقاً به, لا مماثلاً لمخلوقاته، ولا يمكن لأحد أن يفهم منه المماثلة, إلاّ من لم يعرف الله تعالى، ولم يقدره حقّ قدره، ولم يعرف مدلول الخطاب الذي يقتضيه السياق.

الثاني: أنّه قد علم بضرورة العقل والشّرع ما بين الخالق والمخلوق من التباين العظيم في الذات والوجود, فكيف يتصوّر مؤمن أو عاقل أن يكون بينهما تماثل في الصفات؟, فضلا عن أن يعتقد ذلك في الله عزّ وجل وعلا[2].

ثانيا: الردّ على ما توهموه من أنّ هذه الأسماء

---

1 () معارج القبول (1/363).

2 () انظر: تقريب التدمرية (23-24).

العامة الكلية يكون مسمّاها المطلق الكلي هو بعينه ثابتا في هذا المعيّن, وهـذا المعيّن, بـدون تميّـز ولا اختصاص.

يقول ابن القيم رحمه اللـه: (أنّ الاسـم والصّـفة من هـذا النّوع له ثلاث اعتبارات: اعتبار من حيث هو, مع قطـع النّظـر عن تقييده بالرب تبارك وتعالى أو العبد, اعتبـاره مضـافا إلى الرب مختصا به, اعتباره مضافا إلى العبد مقيدا به, فمـا لَـزِم الاسم لذاته وحقيقته كان ثابتا للرب والعبـد, وللـرب منـه مـا يليق بكماله وللعبد منه ما يليق به, وهذا كاسم السميع الــذي يلزمــه إدراك المســموعات, والبصــير الــذي يلزمــه رؤيــة المبصرات, والعليم والقدير وسائر الأسماء, فإن شرط صـحة إطلاقها حصول معانيها وحقائقها للموصوف بها, فما لزم هذه الأسماء لذاتها فإثباته للرب تعـالى لا محـذور فيـه بوجـه, بـل ثبتت له على وجه لا يماثله فيه خلقه ولا يشابههم, فمن نفـاه عنه لإطلاقه على المخلـوق ألحـد في أسـمائه وجحـد صـفات كماله, ومن أثبته له على وجـه يماثـل فيـه خلقـه فقـد شـبهه بخلقه, ومن شبه الله بخلقه فقد كفر, ومن أثبته له على وجه لا يماثل فيه خلقه, بل كما يليق بجلاله وعظمتـه, فقـد بـريء من فرث التشبيه ودم التعطيل, وهذا طريق أهل السنة, ومـا لزم الصفة لإضافتها إلى العبد وجب نفيه عن الله, كمـا يلـزم حياة العبد من النوم والسنة والحاجة إلى الغـذاء ونحـو ذلـك, وكذلك ما يلزم إرادته من حركة نفسه في جلب ما ينتفع بــه, ودفع ما يتضرر به, وكذلك ما يلزم علوه من احتياجـه إلى مـا هو عالٍ عليه, وكونه محمولا به مفتقـرا إليـه محاطـا بـه, كـل هذا يجب نفيه عن القدوس السلام تبـارك وتعـالى, ومـا لـزم صـفة من جهـة اختصاصـه تعـالى بهـا فإنّـه لا يثبت للمخلـوق بوجـه, كعلمـه الـذي يلزمـه القِـدَم والوجـوب والإحاطـة بكـل معلوم, وقدرته وإرادته وسائر صفاته, فإنّ ما يختص بـه منهـا لا يمكن إثباتــه للمخلــوق, فــإذا أحطت بهــذه القاعــدة خــبرا وعقلتها كما ينبغي خلصت من الآفـتين اللـتين همـا أصـل بلاء المتكلمين, آفة التعطيـل وآفـة التشـبيه, فإنّـك إذا وفيت هـذا المقام حقّه من التصور أثبت لله الأسماء الحسـنى والصـفات العلى حقيقـةً, فخلصـت من التعطيـل, ونفيت عنهـا خصـائص

المخلـوقين ومشـابهتهم, فخلصـت من التشـبيه, فتـدبر هـذا الموضع, واجعله جنتك التي ترجع إليها في هـذا البـاب, واللـه الموفق للصواب)[1].

يقول شـيخ الإسـلام رحمـه اللـه: (وإذا كـان من المعلـوم بالضرورة أنّ في الوجود ما هو قديم واجب بنفسـه، ومـا هـو محدث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلـوم أنّ هـذا موجـود وهذا موجـود, ولا يلـزم من اتفاقهمـا في مسـمّى الوجـود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هـذا يخصّـه ووجـود هذا يخصه، واتفاقهمـا في اسـم عـامّ لا يقتضـي تماثلهمـا في مسمّى ذلك الاسم عند الاضـافة والتقييـد والتخصـيص ولا في غيره، فلا يقول عاقل - إذا قيل: إنّ العرش شيء موجود وإنّ البعـوض شـيء موجـود -: إنّ هـذا مثـل هـذا لاتفاقهمـا في مسمّى الشيء والوجود، لأنّه ليس في الخارج شـيء موجـود غيرهما يشتركان فيه، بل الذّهن يأخذ معنى مشتركا كليـا هـو مسمّى الإسم المطلق، وإذا قيل: هذا موجـود وهـذا موجـود، فوجود كلٍّ منهما يخصّه لا يشـركه فيـه غـيرُه، مـع أنّ الاسـم حقيقة في كلٍّ منهما؛ ولهذا سمّى الله نفسه بأسماء وسـمّى صفاته بأسماء، فكانت تلـك الأسـماء مختصـة بـه إذا أضـيفت إليه, لا يشـركه فيهـا غـيره، وسـمّى بعض مخلوقاتـه بأسـماء مختصة بهم مضافة إليهم توافق تلك الأسـماء إذا قطعت عن الإضـافة والتخصـيص، ولم يلـزم من اتفـاق الاسـمين تماثـل مسـمّاهما واتّحـاده عنـد الإطلاق والتجريـد عن الإضـافة والتخصـيص، لا اتفاقهمـا، ولا تماثـل المسـمّى عنـد الإضـافة والتخصـيص، فضـلا عن أن يتحـد مسـمّاهما عنـد الإضـافة والتخصيص.

فقد سمّى الله نفسه حيًّا فقال: ﮋ ﮌ [البقرة: ٢٥٥], وسمّى بعض عباده حيًا، فقال: ﮋ ﮌ [الروم: ١٩] وليس هذا الحيّ مثل هـذا الحي، لأن قولـه: ﮋ ﮌ اسم لله مختص به، وقوله: ﮋ ﮌ [الروم: ١٩] , اسـم للحي المخلوق مختص به، وإنّما يتفقان إذا أطلقـا وجُـرِّدا عن التخصيص، ولكن ليس للمطلق مسـمّى موجـود في الخـارج،

---

[1] () بدائع الفوائد (1/164-165).

ولكن العقل يفهم من المطلق قدرا مشتركا بين المسميين، وعند الاختصاص يقيّد ذلك بما يتميز به الخالق عن المخلوق، والمخلوق عن الخالق.

ولا بدّ من هذا في جميع أسماء الله وصفاته، يُفهم منها ما دلّ عليه الاسم بالمواطأة والاتفاق، وما دلّ عليه بالإضافة والاختصاص، المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه سبحانه وتعالى.

وكذلك سمّى الله نفسه عليمًا حليمًا، وسمّى بعض عباده عليمًا، فقال: ﮋ ﮊ [الذاريات: ٢٨] , يعني إسحق، وسمّى آخر حليمًا، فقال: ﮋ ﮊ [الصافات: ١٠١], يعني إسماعيل، وليس العليم كالعليم، ولا الحليم كالحليم, وسمّى نفسه سميعا بصيرا، فقال: ﮋ ﮊ [النساء: ٥٨] , وسمّى بعض خلقه سميعًا بصيرًا فقال: ﮋ ﮊ [الإنسان: ٢], وليس السميع كالسميع, ولا البصير كالبصير..... ووصف نفسه ببسط اليدين فقال: ﮋ ﮊ [المائدة: ٦٤] ووصف بعض خلقه ببسط اليد في قوله: ﮋ ﮊ [الإسراء: ٢٩], وليس اليد كاليد, ولا البسط كالبسط, وإذا كان المراد بالبسط الإعطاء والجود: فليس إعطاء الله كإعطاء خلقه ولا جوده كجودهم, ونظائر هذا كثيرة.

فلا بدّ من إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي مماثلته بخلقه, فمن قال: ليس لله علم ولا قوة ولا رحمة ولا كلام, ولا يحب, ولا يرضى, ولا نادى, ولا ناجى, ولا استوى: كان معطلا جاحدا ممثلا لله بالمعدومات والجمادات, ومن قال: له علم كعلمي, أو قوة كقوتي, أو حب كحبي, أو رضاء كرضاي, أو يدان كيداي, أو استواء كاستوائي كان مشبها ممثلا لله بالحيوانات؛ بل لا بد من إثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل)[1].

ثالثا: الرد عليهم فيما تمسكوا به من قوله تعالى: ﮋ ﮊ [الأعراف: ١٩٥] **, وذلك بأن الله تعالى ذمّ في القرآن من يعبد هذه الأصنام, لأنّها ليس لها جوارح.**

---

[1] () مجموع الفتاوى (3/9-12), وانظر: الصفدية (1/100-101).

يقول شيخ الإسلام رحمه اللــه رادًّا عليهم في اســتدلالهم بهذه الآية الكريمة: (وللنّاس في هذه الآية قولان:

أحدهما: أنّه وصفهم بهذه النّقائص ليبيِّن أنّ العابــد أكمــل من المعبود.

الثاني: أنّه ذكر ذلك؛ لأنّ المعبود يجب أن يكون موصــوفا بنقيض هذه الصفات.

فــإن قيــل بــالقول الأول أمكن أن يقــال بمثلــه في آيــة العجل[1], فلا يكون فيه تعرض لصفات الإله.

وإن قيل بالثاني: وجب أن يتصف الــرب تعـالى بمـا نفـاه عن الأصنام) [2].

أما عن استدلال أهل السنة بهذه الآية وآيــة العجــل على استحقاق الله تعالى الألوهية وحــده لا شــريك لـه فيقـول ابن القيم رحمه الله: (وكذلك قوله في الآية الأخــرى عن العجــل: ﮋ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﮊ [طه: ٨٩], فجعل امتناع صفة الكلام والتكليم وعدم ملك الضرّ والنّفع دليلا على عدم الإلهية, وهذا دليــل عقلي ســمعي على أنّ الإلــه لا بــدّ أن يكلِّم ويتكلَّم, ويملك لعابده الضـر والنفـع وإلا لم يكن إلهـا...., وقـال تعـالى في آلهة المشركين المعطلين: ﮋ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﮊ [الأعراف: ١٩٥], فجعل سبحانه عدم البطش والمشي والسمع والبصر دليلا على عدم إلهية من عدمت فيه هذه الصفات, فالبطش والمشي من أنواع الأفعـال, والســمع والبصر من أنواع الصفات[3].

---

1. () آية العجل هي قوله تعالى: ﮋ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﮊ [الأعراف: ١٤٨], ووجه الدلالة من الآية أن فيها نقض وإبطال لألوهية العجل، وأنّ الإله الحق لا بدّ أن يكون متكلماً.
يقول ابن جرير رحمه الله: (ألم ير الذين عكفوا على العجل الذي اتخذوه من حليهم يعبدونه، أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا؟ يقول: ولا يرشدهم إلى طريق؟, وليس ذلك من صـفة ربهم الـذي له العبادة حقا، بل صفته أنـه يكلم أنبيـاءه ورسـله، ويرشـد خلقـه إلى سـبيل الخـير، وينهـاهم عن سـبيل المهالـك والـردى). جـامع البيان (13/117).
2. () مجموع الفتاوى (5/223).
3. () الصواعق المرسلة (3/914).

المبحث الرابع:
دعوى أنّ الملائكة خلقت من نور العزّة وأنّ إبليس خلق من نار العزّة.

من معتقد أهل السنّة والجماعة, الإيمـان بالملائكـة, وهـو أحد أركان الإسلام, ولا يتمّ إيمان أحد حتى يـؤمن بهم, لقولـه تعالى: ﮋ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﮊ [البقرة: ٢٨٥] (فهم رسل الله في خلقـه وأمـره، وسفراؤه بينه وبين عباده، ينزلون الأمر من عنـده في أقطـار العالم، ويصعدون إليه بالأمر، قـد أطَّت السـماوات بهم وحـقَّ لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك قـائم أو راكـع أو ساجد لله، ويدخل الـبيت المعمـور منهم كـل يـوم سـبعون ألفا لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومـراتبهم، فتـارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصـلاته بصـلاتهم، ويضـيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفَّهم بالعرش وحملهم لـه، وبـراءتهم من الـدنو، وتـارة يصـفهم بـالإكرام والكـرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوّة والإخلاص, قال تعـالى: ﮋ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮊ [البقرة: ٢٨٥] ، ﮋ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﮊ [آل عمران: ١٨] ، ﮋ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﮊ [الأحزاب: ٤٣] ، ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ [غافر: ٧] ، ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﮊ [الزمر: ٧٥] ، ﮋ ﭡ ﭢ ﭣ ﮊ [الأنبياء: ٢٦] ، ﮋ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﮊ [الأعراف: ٢٠٦] ، ﮋ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﮊ [فصلت: ٣٨] ، ﮋ ﮃ ﮄ ﮊ [الانفطار: ١١] ، ﮋ ﮐ ﮑ ﮊ [عبس: ١٦] ، ﮋ ﯹ ﯺ ﮊ [المطففين: ٢١] ، ﮋ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮊ [الصافات: ٨])[1].

والإيمان بالملائكة (يتضـمّن الإيمـان بهم إجمـالا وتفصـيلا, فيؤمن المسلم بأنّ لله ملائكة خلقهم لطاعته ووصفهم بـأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون...

وهم أصناف كثيرة, منهم الموكَّلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجَنَّة والنّار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد.

ونـؤمن على سـبيل التفصـيل بمن سـمّى اللَّه ورسـوله

---

1 () شرح العقيدة الطحاوية (ص280-281).

منهم: كجبريل, وميكائيل, ومالك خازن النَّار, وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور)[1], وأنّهم (مخلوقون من النّور، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة, ميسَّرون للطاعات، معصومون من المعاصي, مسخّرون بإذن الله في شؤون الخلق وتدبير الكون، وحفظ العباد، وكتابة أعمالهم، أمناء على الوحي في حفظه وتبليغه، لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "خُلقت الملائكة من نور, وخلق الجانّ من مارج من نار, وخلق آدم مما وصف لكم"[2])[3].

فالمّادة التي خلقت منها الملائكة الكرام البررة هي النور, كما دلّ عليه حديث عائشة, ولم يبيّن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيّ نور هذا الذي خلقوا منه، ولذلك فإنّنا لا نستطيع أن نخوض في هذا الأمر لمزيد من التحديد؛ لأنّه غيب لم يرد فيه ما يوضحه أكثر من هذا الحديث, وما روي عن عكرمة أنه قال: "خلقت الملائكة من نور العزة، وخلق إبليس من نار العزة"[4]، وما روي عن عبد الله بن عمرو أنّه قال: "خلق الله الملائكة من نور الذراعين والصدر"[5]، لا يجوز الأخذ به، وعلى فرض صحّته عن هؤلاء العلماء الأفاضل فهم غير معصومين، ولعلّهم قد استقوه من

---

[1] () العقيدة الصحيحة وما يضادها لعبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله (ص8).

[2] () أخرجه مسلم, كتاب الزهد والرقائق, باب في أحاديث متفرقة (4/2294), رقم: 2996.

[3] () العقائد الإسلاميّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة (ص 98).

[4] () رواه عبد الله بن أحمد في السنة (2/474) وقال المحقق: (إسناده إلى أبي صالح صحيح وبين أبي صالح وعكرمة انقطاع), وانظر: خلق الملائكة عليهم السلام, تأليف: أ.د.محمد بن عبد ابو سيف الجهني (ص28-38).

[5] () رواه عبد الله بن أحمد في السنة (2/474) وقال المحقق: (فيه تدليس هشام عن أبيه..., وهذا الأثر منكر لأنّ النصوص الصريحة بخلافه, ثم هو دخول في الكيفية والكلام فيها مخالف لصريح مذهب السلف, بل هذا الكلام أقرب إلى الفكر البرهمي منه إلى غيره كما هو معلوم في ديانة البراهمة).

الإسرائيليات[1], وهي لم ترد في كتـاب اللـه ولا سـنة رسـول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الألباني رحمه الله**:** (أمّا مـا رواه عبـد اللـه بن أحمـد في السنّة عن عكرمة قال: "خلقت الملائكـة من نـور العـزة، وخلق إبليس من نار العزة", وعن عبـد اللـه بن عمـرو قـال: "خلق الله الملائكة من نور الذراعين و الصدر".

قلت: فهذا كلّه من الإسرائيليات التي لا يجـوز الأخـذ بهـا، لأنّها لم ترد عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم)[2].

---

1 () انظر: عالم الملائكة الأبرار (ص9).

2 () سلسلة الأحـاديث الصـحيحة (1/820), وانظـر: خلـق الملائكـة عليهم السلام, تأليف: أ.د.محمد بن عبد ابو سيف الجهني (ص28-38).

المبحث الخامس:
عدم مشروعية زيادة عبارة "عز جاهك".

ممّا هو معلوم من معتقد أهل السنّة والجماعة أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية, فلا يوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه في كتابه, أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنّته, وعلى هذا فيكون الجاه ليس من صفات الله تعالى؛ لأنّه لم يأت به دليل من كتاب ولا سنة.

قال بكر بن عبدالله أبو زيد رحمه الله: (إضافة الجاه إلى الله تعالى تحتاج إلى دليل؛ لأنّه من باب الصّفات, والصّفات توقيفية، فلا يوصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه أو رسوله صلى الله عليه وسلم, ولا دليل هنا يعلم, فلا يطلق إذاً)[1].

وبهذا يعلم أنّ ما يزيده بعض النّاس في ثنائهم على الله تعالى كقولهم: "عزّ جاهك" ليس بمشروع لما سبق بيانه من أنّ أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية, وهو لم يرد في كتاب الله تعالى ولا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

[1] () معجم المناهي اللفظية (ص379).

المبحث السّادس:
عدم مشروعية سؤال الله بمعاقد العزّ من عرشه.

سؤال الله بمعاقد العزّ من عرشه رُوي فيه حديث موضوع عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تصلي اثنتي عشرة ركعة من ليل أو نهار, تشهد بين كل ركعتين، فإذا جلست في آخر صلاتك, فأثن على الله عز وجل, وصل على النبي صلى الله عليه وسلم, ثم كبر واسجد، واقرأ وأنت ساجد فاتحة الكتاب سبع مرات، وآية الكرسي سبع مرات، وقل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات، ثم قل: اللهم إني أسألك بمعاقد العزّ من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم، وجدّك الأعلى، وكلماتك التامّة، ثم تسأل بعد حاجتك، ثم ارفع رأسك فسلم عن يمينك وعن شمالك، واتق السفهاء أن تعلموها, فيدعون ربهم فيستجاب لهم"[1].

ومعنى قوله: "أسألك بمعاقد العزّ من عرشك" كما قال ابن الأثير رحمه الله: (وفي حديث الدعاء: "أسألك بمعاقد العز من عرشك", أي: بالخصال التي استحق بها العرشُ العزَّ، أو بمواضع انعقادها منه, وحقيقة معناه: بعزّ عرشك, وأصحاب أبي حنيفة يكرهون هذا اللفظ من الدعاء)[2].

---

[1] () أخرجه البيهقي في الدعوات الكبير, باب القول والدعاء عقيب صلاة الليل النفل (2/18), رقم: 443, والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال: (هذا حديث موضوع بلا شك, وإسناده مخبط كما ترى, وفي إسناده عمر بن هارون, قال ابن معين فيه: كذاب, وقال ابن حبان: يروي عن الثقات المعضلات ويدعى شيوخا لم يرهم, وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن القراءة في السجود). الموضوعات (2/142), وانظر: نصب الراية (8/179), فالحديث موضوع, وممن حكم عليه أيضا بالوضع الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (1/106), رقم: 418.

[2] () النهاية (3/270-271).

فعلى الوجه الأول من هذا الشرح، وهو الخصال التي استحق بها العرش العزّ، يكون توسلاً بصفة من صفات الله تعالى فيكون جائزاً.

وأمّا على الوجه الثاني الذي هو مواضع انعقاد العزّ من العرش، فهو توسل بمخلوق فيكون غير جائز[1].

وممن كَرِه سؤال الله تعالى بمعاقد العزّ أبو حنيفة, ومحمد بن الحسن الشيباني[2], وأجازه أبو يوسف[3] لما بلغه حديث ابن مسعود لظنّه بصحته.

قال الزبيدي رحمه الله: (كَرِه أبو حنيفة وصاحباه أن يقول الرجل: أسألك بحقّ فلان، أو بحقّ أنبيائك ورسلك، أو بحقّ البيت الحرام والمشعر الحرام، ونحو ذلك، إذ ليس لأحد على الله حق، وكذلك كره أبو حنيفة ومحمد أن يقول الداعي: اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك، وأجازه أبو يوسف لما بلغه الأثر فيه) [4].

وتعقّب الألباني تجويز أبي يوسف للتوسل "بمعاقد العز من العرش" بقوله: (أقول: لكن الأثر المشار إليه باطل لا

---

1 () انظر: التوسل أنواعه وأحكامه (ص31).

2 () هو محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة, وإمام أهل الرأي, أصله دمشقي وسكن بغداد وحدث بها, كان مرجئا داعيا إليه, ضعيف الحديث قال عنه أحمد: (ليس بشيء), مات بالري سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: المجروحين (2/275), والكامل في الضعفاء (7/377), وتاريخ بغداد (2/561).

3 () هو يعقوب بن إبراهيم بن حبيب أبو يوسف القاضي, كان يعرف بالحفظ للحديث, ثم لزم أبا حنيفة فتفقه وغلب عليه الرأي وجفا الحديث, كان شيخا متقنا لم يكن يسلك مسلك صاحبيه إلا في الفروع وكان يباينهما في الإيمان والقرآن مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. انظر: الطبقات الكبرى (7/238), والثقات (7/645).

4 () اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (2/285).

يصح، رواه ابن الجوزي[1] في الموضوعات[2] وقال: هذا حديث موضوع بلا شك، وأقره الحافظ الزيلعي[3] في نصب الراية[4] فلا يحتج به، وإن كان قول القائل: أسألك بمعاقد العز من عرشك يعود إلى التوسل بصفة من صفات الله عز وجل، فهو توسل مشروع بأدلة أخرى كما سبق، تغني عن هذا الحديث الموضوع)[5].

ولعلّ الأقرب إلى الصّواب هو عدم جواز التوسل بهذا النّوع من الدعاء؛ لما فيه من ألفاظ مجملة مثل لفظ "المعاقد", ولمخالفته للأحاديث الصحيحة النّاهية عن قراءة القرآن في السجود, وفي التوسّل بأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العليا, وبالأعمال الصالحة, غنية عن التوسّل بهذا النّوع من الدّعاء.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله -بعدما نقل كلام أهل العلم في بيان أنّ الحديث موضوع-: (الحديث المذكور من الأحاديث الموضوعة، ولفظ "المعاقد" لفظ مجمل ومحتمل، فلا يجوز التوسّل به، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من القاعدة الجليلة في التوسّل والوسيلة: أنّ أبا حنيفة رحمه الله كره التوسل بمعاقد العزّ من العرش. انتهى[6].

وأمّا التوسّل برحمة الله واسمه الأعظم وكلماته التامة, فهو توسّل شرعي قد دلّ عليه القرآن الكريم والسنّة

---

[1] () هو عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج بن الجوزي القرشي التيمي البكري, الفقيه, المفسر, الواعظ, صاحب التصانيف في فنون العلم من التفسير والفقه والحديث والوعظ والتاريخ, مات سنة سبع وتسعين وخمسمائة. انظر: الوافي بالوفيات (18/110), وتوضيح المشتبه (3/296).

[2] () انظر: الموضوعات (2/142).

[3] () هو عبد الله بن يوسف بن محمد جمال الدين أبو محمد الزيلعي الحنفي, فقيه عالم بالحديث, خرج الهداية وأحاديث الكشاف, مات سنة اثنين وستين وسبعمائة. انظر: الدرر الكامنة (3/95), والبدر الطالع (1/402).

[4] () انظر: نصب الراية (8/163-164).

[5] () التوسل أنواعه وأحكامه (ص31).

[6] () التوسل والوسيلة (ص 50).

المطهّرة في قوله سبحانه: ﮋﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮊ [الأعراف: ١٨٠], وقوله صلى الله عليه وسلم: "من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامّات من شرّ ما خلق لم يضرّه شيء حتى يرتحل من منزله ذلك" رواه مسلم في صحيحه من حديث خولة بنت حكيم رضي الله عنها[1].

وهكذا التوسّل بتوحيد الله والإيمان به وبالأعمال الصّالحات, كلّ ذلك قد جاءت به السنّة الصحيحة كحديث أصحاب الغار وهو مخرّج في الصحيحين، وكحديث عائشة رضي الله عنها أنّها سمعت النّبي صلى الله عليه وسلم يدعو في سجوده بقوله: "اللهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" خرّجه مسلم في صحيحه"[2], ومن المنكرات في هذا الخبر الموضوع: الأمر بقراءة الفاتحة وآية الكرسي في السجود، وقد صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث علي وابن عباس رضي الله عنهما النّهي عن ذلك خرّجه مسلم في صحيحه عنهما[3], والله ولي التوفيق)[4].

وبهذا يكون البحث قد تمّ ووصل إلى نهايته, والحمد لله رب العالمين.

---

1 () تقدّم تخريجه (ص380).

2 () تقدّم تخريجه (ص22).

3 () أخرجهما مسلم, كتاب الصلاة, باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (1/248), رقم: 479, و480.

4 () فتاوى ابن باز (26/270).

الخــاتمــة
وفيها أهم النتائـج والتوصيـات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات, والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين, أمّا بعد:

فأشكر الله تعالى وأحمده على ما منّ عليّ من النِّعم العظيمة والكثيرة, ومنها نعمة توفيقه لإتمام هذه الرسالة, ولم يبق إلاّ أهمّ النّتائج والتّوصيات التي سيختم بها الباحث هذه الرّسالة.

أهم النتائج:

توصّل الباحث خلال بحثه في هذا الموضوع إلى النتائج الآتية:

1- إنّ معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أصل العلوم وأشرفها وأجلّها, وأنفعها للعبد؛ لأنّها الأساس الذي يبنى عليه عمل العبد, والسّبب في زيادة الإيمان, ورسوخ اليقين, وأيضا هي أصل كلّ العبادات القلبية من محبة وخوف ورجاء وتوكل, وغير ذلك من أنواع العبادة.

2- منهج أهل السنّة والجماعة في أسماء وصفاته مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم, فيثبون ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه, أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم, من غير تحريف ولا تعطيل, ومن غير تكييف ولا تمثيل, وهم بذلك مخالفون لطريقة أهل الأهواء والبدع, الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته, فيخوضون فيها بالتعطيل تارة, وبالتحريف تارة, وبالتأويل والتفويض تارة, وبالتشبيه تارة أخرى.

3- أنّ الأدلة على ثبوت أسماء الله وصفاته هي الكتاب والسنّة, ودلالة العقل, ودلالة الصُّنعة, ودلالة القرآن على أسماء الله وصفاته على نوعين:

أ- دلالة سمعية شرعية.

ب- دلالة سمعية عقلية.

4- لا يتمّ الإيمان باسم من أسـماء اللـه تعـالى عنـد أهـل السنّة والجماعة إلا بإثبات ثلاثة أمور:

أ- إثبات الاسم حقيقة لله تعالى.

ب- إثبـات مــا دلّ عليــه من معــنى, وهي الصــفة الــتي تضمنها ذلك الاسم.

ج- إثبات الأثر الذي دل عليه الاسم.

5- أسماء الله تعالى يشرع دعاء الله بهـا, والتوسـل بهـا, وإضافة التعبيد لها.

6- الضابط في أسماء اللـه تعـالى, أنّهـا هي الـتي جـاءت في الكتـاب والسـنّة, وهي الـتي يـدعى اللـه بهـا, وهي الـتي تقتضي المدح والثناء بنفسها.

7- أن لاقـتران اسـم اللـه "العزيـز" بغـيره من الأسـماء الأخــرى مثــل اســم اللــه "الحكيم" و"الغفــور" و"الغفــار" و"العليم" و"الرحيم" وغيرها, وختم الآيات بها, حكم عظيمــة, ودلالات عجيبة, وفوائد جليلة, ذلـك لأنّ كـل اسـم من أسـماء الله تعالى يتضمّن صفة كمال للـه تعـالى, فـإذا اقـترن باسـم آخر, كان له سبحانه ثناء من كلّ اسم باعتبـار انفـراده, وثنـاء آخر من اجتماعهما, وذلك قدر زائد على مفرديهما.

8- أنّ صفة العزّة صفة ذاتية لله تعالى لا تتعلــق بمشـيئة اللــه تعــالى وقدرتــه, وأنّ صــفتي الإعــزاز والإذلال صــفتان فعليتان لله تعالى, وكلا النّوعين من الصّفات الذّاتية والفعليـة يجتمعان في كونهما صفات لله تعـالى أزلا وأبـدا, لم يـزل ولا يزال الله تعالى متّصفا بها.

9- أن معاني عزّة الله تعالى ترجع إلى ثلاثة معاني: عــزّة القوة, وعزّة الامتناع, وعزّة القهر والغلبة, وأنّ اللــه تعـالى لا مثل ولا نظير ولا كفؤ في عزّته, ولا في غيرها من الصّفات.

10- أن الله سـبحانه مـنزّه عن النقص في عزّتـه, فتـنزّه عن اتخــاذ الــولي من الــذل, وتــنزّه عن الظهــير والمعين والشريك, وتنزّه أن يناله أحد بسوء, وتنزّه أن يسأله أحد عما يفعل, أو أن يتعقبه أحد في حكمـه, أو أن يخـاف من عـواقب

الأمور, وتنزّه أن يعجزه شيء, وعن اللغـوب ومـا في معنـاه, وعن حاجته إلى خلقه, وعن أن يكرهه أحـد على شـيء, كـلُّ ذلك لكمال عزّته سبحانه.

11- أنّ لعزّة الله تعالى مظاهر عديدة, من أعظمها عـزّة كلامه سبحانه.

12- من المسائل العقدية المتعلّقة بصفة العزّة ما يلي:

- مشروعية التوسل بها, كما يشرع التوسل بسائر صفات الله تعالى.

- مشروعية الاستعاذة بصفة العـزّة, وبغيرهـا من صـفات الله تعالى.

- مشروعية الحلف بصفة العزة, وبغيرها من صفات اللــه تعالى.

13- من الأمور التي لا تجـوز والـتي لا تشـرع, والمتعلقـة بصفة العزّة ما يلي:

- عدم جواز دعـاء صـفة العـزّة, وغيرهـا من صـفات اللـه تعالى.

- عدم جواز تعبيد الاسم لصفة العزّة, ولغيرها من صفات الله تعالى.

- عـدم مشـروعية سـؤال اللـه تعـالى بمعاقـد العـزّ من عرشه.

- عدم مشروعية زيادة عبارة "عـزّ جاهـك" لعـدم الـدليل على ذلك.

14- أن الإيمـان بصـفة العـزّة على مـا يليـق بجلال اللـه وعظمته, وبغيرها من صـفات اللـه تعـالى, لـه أثـر عظيم في تقريــر أنــواع التوحيــد: توحيــد الربوبيــة, وتوحيــد الأســماء والصّفات, وتوحيد الألوهية.

15- أن الإيمـان بصـفة العـزّة, وبغيرهـا من صـفات اللـه تعـالى, لـه آثـار عظيمـة في الأعمـال القلبيـة, من: محبـة, وخوف, ورجاء, وتوكل, وخضوع, وغـير ذلـك, ولـه أثـر عظيم في تقويم خلق المؤمن وسلوكه.

16- على العباد أن يتيقّنوا أنّ العزّة لله جميعا, فما من عزّة إلا بالله تعالى, وأن لا يطلبوا العزّة إلاّ من الله وحده بالإيمان والعمل الصالح, وأنّ الذّلة في مخالفة أمر الله تعالى بترك أوامره, وفعل مناهيه.

17- أن الله تعالى يهب العزّة لمن يشاء من عباده رحمة منه وفضلا, وجعل لذلك أسبابا, فمن أتى بتلك الأسباب نال العزّة بقدر إتيانه لتلك الأسباب, وأعظم تلك الأسباب تقوى الله تعالى, ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنهم, يجدهم أحسن نموذج لمن أعزّه الله تعالى؛ وذلك بسب التمسك بالإسلام ظاهرا وباطنا.

18- أن المشركين وقعوا في الإلحاد في اسم الله العزيز, وذلك بأن اشتقّوا العزّى من العزيز, وسمّوا بها آلهتهم.

19- المخالفون للحق في صفة العزّة على أقسام:

الأول: من ينفيها بالكليّة وهؤلاء هم:

1- الفلاسفة: فهم لا يثبتون صفة العزّة, ولا غيرها من صفات الله تعالى, بل ينكرون أسماء الله تعالى, ولا يثبتون شيئا, وإنّما يقولون هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق-تعالى الله عن قولهم علواّ كبيرا-.

2- الجهمية: وهم أيضا ينفون صفة العزّة, وجميع صفات الله تعالى, أما الأسماء الحسنى فيزعمون أنها حقيقة في حق المخلوق, مجاز في حق الخالق جلّ وعلا.

3- المعتزلة: فهم ينفون جميع صفات الله تعالى, ويثبتون الأسماء لا لمعانٍ, أي: بدون تضمُّنها للصِّفات, وهو محلّ إجماع لديهم.

الثاني: من يثبتها لكن إثباته ليس على طريقة أهل السنة والجماعة وهؤلاء هم:

1- الأشاعرة والماتريدية: فهاتان الفرقتان تثبت بعضاً من صفات الله تعالى بالعقل, وما عداها, يؤوّلونه, أو يفوِّضون معناه, ومن ذلك تفسيرهم صفة العزّة وغيرها من الصفات, أنها إذا أطلقت على الله تعالى فالمراد لوازمها

بحسب ما يقتضيه المقام.

2- قدماء الرافضة: وهؤلاء من جملة الفرق التي تثبت صفات الله تعالى, لكنهم غلوا في الإثبات إلى حدّ التشبيه والتمثيل.

20- تنوعت شبه المخالفين للحقّ في صفة العزّة وفي غيرها من صفات الله تعالى, لكنّ الله تعالى بمنه وفضله قيّض لهذا الدين علماء أجلاء, ردُّوا هذه الشُّبه وفنّدوها, وأبطلوها, وعلى رأسهم: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله, وابن القيم رحمه الله.

أهم التوصيات:

أهم التوصيات التي يقدّمها الباحث لإخوانه القرّاء هي:

- وصية الله تعالى للأولين والأخرين, التي لا تتقدّمها أيّة وصيّة, وهي تقوى الله, كما قال تعالى: ژ ڻ ٹ ٹ ـ ـ ـ ـ ه ژ [النساء: ١٣٠].

- التمسُّك بدين الإسلام ظاهرا وباطنا, وأنّه لا سبيل لعزّ المسلمين ورفعتهم وسؤددهم إلا بذلك, وعلى هذا فلا يطلب المسلم العزّة إلا بطاعة الله وتقواه.

- دراسة باقي صفات الله تعالى الواردة في الكتاب والسنّة, والتي لم تُتَناول بالدّراسة, وذلك ببحث مسائلها العقدية, وآثارها الإيمانية, وفق منهج أهل السنّة والجماعة.

- جمع الصفات الإلهية التي تناولها الباحثون بالدراسة في موسوعة علمية عقدية, تشمل التعريف بالصفة, ومباحثها العقدية, وآثارها الإيمانية, وغير ذلك من الفوائد؛ لإثراء المكتبة الإسلامية؛ ولعموم الفائدة.

وفي الختام أحمد الله عزّ وجل على توفيقه لإتمام هذا البحث, وأساله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصا لوجهه الكريم, ونافعاّ للمسلمين, وأن يتجاوز عني ما وقع فيه من خطأ وزلل وتقصير, وأن يجعله في ميزان حسناتي, إنّه جواد كريم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.